

شيخ الترجمة

عبد العزيز توفيق جابري

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقُ الْعَرَبِ

عُنِيَ بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الرابع



طبعة تاسعة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٥٩

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الحليّة ١٧٤

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّدْنِي

عظمة الخالق وجبروته

١ سُجَّانَ مَنْ تَقَدَّسَتْ سُجُجَاتُ جَمَالِهِ عَنْ سِمَةِ الْحُدُوثِ وَالزَّوَالِ .
وَتَنَزَّهَتْ سُرَادِقَاتُ جَلَالِهِ عَنْ وَضْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالْإِنْتِقَالِ . تَلَالَتْ عَلَى
صَفَحَاتِ الْمَوْجُودَاتِ أَنْوَارُ جَبَرُوتِهِ وَسُلْطَانِهِ . وَتَهَلَّلَتْ عَلَى وَجَنَاتِ
الْكَائِنَاتِ آثَارُ مَلَكُوتِهِ وَإِحْسَانِهِ . تَحَيَّرَتْ الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ فِي
كِبَرِيَاءِ ذَاتِهِ . وَتَوَلَّهَتْ الْأَذْهَانُ وَالْأَوْهَامُ فِي بَيْدَاءِ عَظَمَةِ صِفَاتِهِ .
دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ . وَشَهِدَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ نِظَامُ مَصْنُوعَاتِهِ

(شرح مواقف الايجي للبرجاني)

٢ الْعَظَمَةُ لَكَ وَالْكِبَرِيَاءُ لَجَلَالِكَ يَا قَائِمَ الدَّاتِ . وَمُفِضَ الْخَيْرَاتِ .
وَوَاجِبَ الْوُجُودِ وَوَاهِبَ الْعُقُولِ وَقَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ . وَمُبْدِيَ
الْحَرَكَةِ وَالزَّمَانِ . وَمُبْدِعَ الْحَيِّينَ وَالْمَمَاتِ . وَقَاعِلَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَشْبَاحِ
وَجَاعِلَ النُّورِ وَالظُّلُمَاتِ . وَنَحْرَكَ الْأَفْلَاقِ الْمُدْبِرَاتِ . وَمَزِينَهَا بِالنُّجُومِ
الْثَوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ . وَمُقَرِّرَ الْأَرْضِ وَمُهِدَهَا لِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِ
وَأَصْنَافِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ . دَامَ حَمْدُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ . وَتَعَالَى ذِكْرُكَ
وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ . وَكَثُرَتْ
آلَاؤُكَ وَنِعْمَاؤُكَ . أَفِضْ عَلَيْنَا أَنْوَارَ مَعْرِفَتِكَ . وَطَهِّرْ نُفُوسَنَا عَنْ

كُدُورَاتِ مَعْصِيَتِكَ . وَأَمْطِرْ عَلَيْنَا سَحَابَ فَضْلِكَ وَمَرَحِمِكَ وَأَضْرِبْ
عَلَيْنَا سُرَادِقَاتِ غَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ . وَأَدْخِلْنَا فِي حِفْظِ عِنَايَتِكَ وَمَكْرُمَتِكَ
(عجائب المخلوقات للقرظيني)

متن الشیانیة فی التوحید

٣

سَاحِدُ رَبِّي طَاعَةً وَتَعَبْدًا وَأَنْظِمُ عَهْدًا فِي الْعَقِيدَةِ أَوْحَدًا
وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ تَعَزَّزَ قَدَمًا بِالْبَقَا وَتَفَرَّدَا
هُوَ الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بَدَايَةٍ وَآخِرُ مَنْ يَبْقَى مُقِيمًا مُؤَبَّدًا
سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمٌ مُتَكَلِّمٌ قَدِيرٌ يُعِيدُ الْعَالَمِينَ كَمَا بَدَا
مُرِيدٌ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ لَوْفَتِهَا قَدِيمٌ قَائِمًا مَا أَرَادَ وَأَوْجَدَا
إِلَاهٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ قَدِ اسْتَوَى وَبَيْنَ تَخْلُوقَاتِهِ وَتَوْحَدَا
فَلَا جِهَةً تُخَوِي الْإِلَاهَةَ وَلَا لَهُ مَكَانٌ تَعَالَى عَنْهُمَا وَتَعَبَّدَا
إِذْ الْكُونُ تَخْلُوقٌ وَرَبِّي خَالِقٌ لَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْكُونِ رَبًّا وَسَيِّدَا
وَلَا حَلَافٍ فِي شَيْءٍ تَعَالَى وَلَمْ يَزَلْ مَلِيًّا غَنِيًّا دَائِمٌ الْغَيْرِ سَرْمَدَا
وَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ شَيْءٌ وَلَا لَهُ شَيْءٌ تَعَالَى رَبَّنَا أَنْ يُحَدِّدَا
وَمَنْ قَالَ فِي الدُّنْيَا يَرَاهُ بِعَيْنِهِ فَذَلِكَ زَنْدِيقُ طَغَا وَتَمَرَّدَا
وَلَكِنْ يَرَاهُ فِي الْجَنَانِ عِبَادُهُ كَمَا صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ تَرْوِيهِ مُسْنَدَا
٤ رُوِيَ أَنَّ الزُّنْجَشَرِيَّ سَأَلَ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ عَنْ قَوْلِ الْقَائِلِ:

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . فَأَجَابَ :
قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَزْكَى النَّجْثِ فَذَا شَرْحٌ يَطْلُونُ

ثُمَّ سِرُّ غَايِضٍ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ بِالسَّيْفِ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ وَلَمْ تَذَرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 لَا وَلَا تَذَرِي صِفَاتِ رُكَبَتِ فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا أَوْ تَرَى كَيْفَ تَجُولِ
 أَنْتَ أَكْثَلُ الْخُبْرِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ تَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ يُوْثِلِ
 فَإِذَا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي بَيْنَ جَنَّتِكَ بِهَا أَنْتَ جَمُولِ
 كَيْفَ تَذَرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ الْوُصُولِ
 فَهُوَ لَا كَيْفُ وَلَا أَيْنُ لَهُ هُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يُحُولِ
 وَهُوَ فَوْقَ الْفُوقِ لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ انْتَوَاحِي لَا يَزُولِ
 جَلَّ ذَاتًا وَصِفَاتٍ وَعَالًا وَتَعَالَى رَبَّنَا عَمَّا نَقُولِ

قصيدة لاحمد البرعي في الاستدلال على الحق تعالى

كُلُّ شَيْءٍ مِنْكُمْ عَلَيْكُمْ دَلِيلُ وَضَحَ الْحَقُّ وَأَسْتَبَانَ السَّبِيلُ
 أَحَدَثَ الْخَلْقَ بَيْنَ كَافٍ وَنُونِ مَنْ يَكُونُ الْمُرَادُ حِينَ يَقُولُ
 مَنْ أَقَامَ السَّمَاءَ سَقْفًا رَفِيعًا يَرْجِعُ الْطَّرْفُ عَنْهُ وَهُوَ كَلِيلُ
 وَدَحَا الْأَرْضَ فَهِيَ بَحْرٌ وَرَدُّ وَوَعُودٌ مُجْمُولَةٌ وَسُهُولُ
 وَجِبَالٌ مُنِيفَةٌ شَايِخَاتُ وَعُيُونٌ مَعِينَةٌ وَسُيُولُ
 وَرِيَّاحٌ تَهْبُ فِي كُلِّ جَوٍّ وَتَحَابٌ يَسْقِي الْجِهَاتِ ثَقِيلُ
 وَدَرَارٌ بِكُمْ وَنَمْسٌ وَبَدْرُ وَتَجْمُومٌ طَوَالِغٌ وَأَفُولُ
 حِكْمُهُ تَاهَتْ الْبَصَارُ فِيهَا وَأَعْرَاهَا دُونَ الدُّهُولِ دُهُولُ

قَالَ سَمَاوَاتُ السَّبْعِ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْحُجُبُ ذِكْرُهَا التَّهْلِيلُ
 مُنْسَكُ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ وَنَحْيِي السُّحُوتِ فِي الْمَاءِ فَهُوَ كَافٍ كَفِيلُ
 سِرْمَدِي الْبَقَا أَخِيرُ قَدِيمُ قَصَرَتْ عَنْ مَدَى عِلَّاهُ الْعُقُولُ
 حَيْثُ لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ مَكَانٌ يَحْتَوِيهِ أَوْ غُدُوَّةٌ وَأَصِيلُ
 مَنْ لَهُ الْمُلْكُ وَالْمُلُوكُ عَيْدُ وَلَهُ الْعِزُّ وَالْعَزِيزُ ذَلِيلُ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ يَفْنَى وَيَبْلَى وَهُوَ حَيٌّ سُبْحَانَهُ لَا يَذُولُ
 أَتَيْتُ بِهِ الْبَرَايَا فَهُمْ فِي رَحْمَةٍ ظِلْمًا عَلَيْهِمْ ظَلِيلُ
 سَيِّدِي أَنْتَ مَقْصِدِي وَمُرَادِي أَنْتَ حَسْبِي وَأَنْتَ نِعْمَ الْوَكِيلُ
 أَحْيِ قَلْبِي بِمَوْتِ نَفْسِي وَصِلْنِي وَأَنْلِنِي إِنَّ الْكَرِيمَ يُنِيلُ
 وَأَجِرْنِي مِنْ كُلِّ خَطْبٍ جَلِيلٍ قَبْلَ قَوْلِ الْوَشَاةِ صَبْرٌ جَمِيلُ
 وَأَقْتَدِنِي بِرَحْمَةٍ وَأَوَانِنِي مِنْ عِتَارِي فَإِنِّي مُسْتَقِيلُ
 كَيْفَ يَظُنُّ قَلْبِي وَعَفْوُكَ بِحَرْ زَاخِرٌ طَافِحٌ عَرِيضٌ طَوِيلُ
 رَبِّ صَفْحًا فَإِنَّ ذَنْبِي كَبِيرُ وَأَصْطَبَارِي عَلَى الْعَذَابِ قَلِيلُ
 وَالرَّجَافِيكَ وَالرِّضَا مِنْكَ فَضْلُ وَلَكَ الْمُنُّ وَالْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

نُجَّةٌ مِنْ مَتْنِ بَدْءِ الْأَمَالِي فِي التَّوْحِيدِ

يَقُولُ الْعَبْدُ فِي بَدْءِ الْأَمَالِي لِتَوْحِيدِ بِنْتِ الْكَوَالِي
 إِلَهِ الْخَلْقِ مَوْلَانَا قَدِيمُ وَمَوْصُوفُ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ
 هُوَ الْحَيُّ الْمُدِيرُ كُلِّ أَمْرٍ هُوَ الْحَقُّ الْمَقْدِرُ ذُو الْجَلَالِ
 صِفَاتُ اللَّهِ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتٍ وَلَا غَيْرًا سِوَاهُ ذَا أَنْفِصَالِ

صِفَاتُ الدَّاتِ وَالْأَفْعَالِ طُرًّا
 نَسِي اللَّهُ شَيْئًا لَا كَالْأَشْيَاءِ
 وَلَيْسَ الْإِنْسُ غَيْرًا لِلْمُسَمَى
 وَمَا إِنْ جَوْهَرُ رَبِّي وَجْهٌ
 وَرَبُّ الْعَرْشِ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ
 وَمَا التَّشْبِيهُ لِلرَّحْمَانِ وَجْهًا
 وَلَا يَمُضِي عَلَى الدَّيَّانِ وَقْتُ
 وَمُسْتَعْنِ الْإِلَهِيِّ عَنِ عِبَادِ
 يُمِيتُ الْخَلْقَ طُرًّا ثُمَّ يُحْيِي
 لِأَهْلِ الْخَيْرِ جَنَاتٍ وَنُعْمَى
 وَلَا يَفْنِي الْحَجِيمُ وَلَا الْجِنَانُ
 بِرَأْيِ الْمُؤْمِنُونَ بغيرِ كَيْفٍ
 فَيَنْسَوْنَ النِّعَمَ إِذَا رَأَوْهُ
 قَصِيدَةُ الدَّبْعِيِّ فِي الْحَقِّ سُبْحَانَهُ

أَغِيبُ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ
 وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
 وَأُزِلُّ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
 وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
 فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ
 وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يُخِيبُ
 بَلَيْتُ بِهِ نَوَائِبُهُ نُشِيبُ
 إِلَى مَنْ تَطْمِئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
 زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارِ الْمُرِيبُ
 طَوْتُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ

وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَسِيرٍ عُسِرٍ وَمِنْ تَفْرِيجٍ نَائِبَةٍ ثُوبُ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ وَمِنْ فَرَجٍ تَرَوُلٍ بِهِ الْكَرُوبُ
وَمَا لِي غَيْرَ بَابِ اللَّهِ بَابُ وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَيْبُ
كَرِيمٍ مُنْعَمٍ بِرُ لَطِيفٍ جَمِيلُ السِّرِّ لِلدَّاعِي حُجُبُ
حَلِيمٍ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا رَحِيمٌ غَمٍّ رَحْمَتُهُ يَصُوبُ
فَمَا مَلَكَ الْمُلُوكِ أَقْلٌ عِثَارِي فَأَنِي عَنْكَ أَنَاثِي الذُّنُوبُ
وَأَمْرَضَنِي أَلْهَوَى لَهْوَانِ حَظِي وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرُكَ لِي طَلِيبُ
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَقَلَّ صَبْرِي وَصَاقَ بِعَبْدِكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
وَعَدَّ النَّائِبَاتِ إِلَى عَدُوِّي فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا ثُوبُ
وَأَنْسَنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
وَأَكْبَنِي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي لِمَنْ قَدِيرُهُ فِيهِ عَجِيبُ
هُوَ الرَّحْمَانُ حَوْلِي وَأَعْتَصَامِي بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهَلَا أُنِيبُ
إِلَهِمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي فَهَلْ يَأْسِدِي فَرَجٌ قَرِيبُ
وَكَمْ مُتَمَلِّقٍ يُخْفِي عِنَادَا وَأَنْتَ عَلَى سِرِّيهِ رَقِيبُ
وَحَافِرِ خُفْرَةٍ لِي هَارَ فِيهَا وَسَهْمُ الْبُغْيِ يَذْرِي مَنْ يُصِيبُ
وَمُتَمَتِّعِ أَلْفَوَى مُسْتَضْعِفٍ بِي فَصَمْتُ قَوَاهُ عَنِّي يَا حَسِيبُ
وَذِي عَصِيَّةٍ بِالْمَكْرِ يَسْعَى إِلَى سَمِيٍّ بِهِ يَوْمٌ عَصِيبُ
فَيَا دِيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ فَرَجُ هُمُومًا فِي الْفَوَادِ لَهَا دَيْبُ
وَصِلْ حَبْلِي بِحَبْلِ رِضَاكَ وَأَنْظُرْ إِلَيَّ وَتُبْ عَلَيَّ عَسَى أَوْبُ

وَرَاعَ حِمَايَتِي وَوَلَّ نَصْرِي وَشَدَّ عُرَايَ إِنْ عَرَّتِ الْخُطُوبُ
وَأَفْنِ عِدَايَ وَأَقْرِنْ نَجْمَ حَظِّي بِسَعْدٍ مَا لَطَالِمِهِ غُرُوبُ
وَالْهِنِّي لِذِكْرِكَ طَوْلَ عُمْرِي فَإِنَّ بِذِكْرِكَ الدُّنْيَا تَطِيبُ
قَظَنِي فِيكَ يَا سَنَدِي جَمِيلُ وَمَرَعَى ذَوْدِ آمَالِي خَصِيبُ

قصيدة له في الابتغال الى الله تعالى

٨

قِفْ بِالْخُضُوعِ وَنَادِ رَبَّكَ يَا هُوَ إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
وَأَطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
وَأَسْأَلُهُ مُسَلَّةً وَفَضْلًا إِنَّهُ مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِهِ يَدَاهُ
وَأَقْصِدْهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ
شَمَلَتْ لَطَائِفُهُ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
فَقَرِّبْهَا وَذَلِّلْهَا وَغَنِّهَا وَقَهِّرْهَا لَا يَرْتَجُونَ سِوَاهُ
مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَيَلْتَجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَهْرُهُمْ بِنِيعَاهُ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرُ حَجَّتِهِ أَسْرَارُ الْجَلَالِ قُدُونُهُ
صَمَدٌ بَلَا كُفٍّ وَلَا كِفْيَةٍ هُوَ بَاطِنُ لَيْسَ الْعِيُونُ تَرَاهُ
شَهِدَتْ غَرَائِبُ صُنْعِهِ بُوجُودِهِ تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَحْرَسُ الْأَفْوَاهُ
وَالْبَيْتُ أَذْغَتِ الْعُقُولُ فَأَمَّتْ أَبَدًا فَمَا تُنْظَرُهَا وَالْأَشْبَاهُ
سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
طَوَاعَا وَكَرَهَا حَاشِعِينَ لِعِزِّهِ بِالْقَيْبِ تُؤَوِّرُ حُبَّهَا إِيَّاهُ
وَلَهُ سَجُودُ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ وَلَهُ عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالْإِكْرَاهُ

سَلَّ عَنْهُ دَارَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ
مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ إِلَهِ غَيْرِهِ وَالْكُلُّ تَحْتَ الْقَهْرِ وَهُوَ الْإِلَهِ
أَبَدَى يُنْجِيكُمْ صُنْعِهِ مِنْ نُطْقَةٍ بَشَرًا سَوِيًّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
وَبَنَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ ثُمَّ عَلَا الْجَمِيعَ عُلَاهُ
وَدَحَا بِسَيْطِ الْأَرْضِ قَرَشًا مُثْنًا بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالْتَّبَاتِ حُلَاهُ
تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافِ هُبُوبِهَا عَنْ إِذْنِهِ وَالْفَلَكَ وَالْأَمْوَاهُ
رَبِّ رَحِيمٍ مُشْفِقٍ مُتَعَطِّفٍ لَا يَنْتَهِي بِالْخَصْرِ مَا أَعْطَاهُ
كَمْ نِعْمَةٍ أُولَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ أَجْلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلَى عَاقَاهُ
فَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ قَادَعُ الْإِلَاحَ وَقُلْ سَرِيعًا يَا هُوَ
لَا تُحْسِنِ الظَّنَّ الْجَمِيلَ بِهِ بَدَى سُوءًا وَلَا رَاجِيَ خَابَ رَجَاهُ
وَلِحَالِهِ سُجَانَهُ يُعْصَى فَلَمْ يَجْعَلْ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
يَأْتِيهِ مُعْتَدِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاهُ

وللبرقي في حمد الله

٩

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدُكَ فَإِنْ لَدَائِمٍ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحُ شَاكِرٍ لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَامِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِيٍّ وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ قَائِمٌ وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجِي لِكَشْفِ الْعِظَامِ
وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَادِمٍ
فَيَا قَالِقَ الْأَصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ

وَيَا كَافِلَ الْحَيْثَانِ فِي لُجِّ بَحْرِهَا
وَيَا مُنْخَصِي الْأَوْرَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْخَصَى
إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ أَغْفِرْ ذُنُوبَنَا
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَأَعْصِمْ قُلُوبَنَا
وَدَمِّرْ أَعَادِيَنَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
وَمِنْ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَاءُ

وَلَهُ اِيضًا مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الرَّجَاءِ بِاللَّهِ

١٠

إِكْلَ خَطْبِ مُهَمِّ حَسْبِيَ اللَّهُ
وَأَسْتَعِثُّ بِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
ذُو الْمَنِّ وَالْمَجْدِ وَالْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَمَنْ
لَهُ الْمَوَاهِبُ وَالْآلَاءُ وَالْمَثَلُ أَوْ
الْقَادِرُ الْأَمِيرُ النَّاهِي الْمُدَبِّرُ لَا
مَنْ لَا يُقَالُ بِحَالٍ عَنْهُ كَيْفٌ وَلَا
وَلَا يُغَيَّرُهُ مَرُّ الدُّهُورِ وَلَا
وَلَا يُعْبِرُ عَنْهُ بِالْحُلُولِ وَلَا
أَنْشَأَ الْعَوَالِمَ أَعْلَامًا بِقُدْرَتِهِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

لَيْسَتْ تَوْبَةُ الرِّجَالِ وَالنَّاسِ قَدَرَقْدُوا
فَهَمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
فَهَمْتُ يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
وَمَنْ عَلَيْهِ لِدَفْعِ الضَّرِّ اعْتِمِدُ

لَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَالضُّرُّ مُشْتَمِلٌ إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ

قصيدة لعبد الغني النابلسي في الثقة بالله

١١

كُنْ مَعَ اللَّهِ تَرَّ اللَّهُ مَعَكَ وَأَتْرَكَ الْكُلَّ وَحَازِرَ طَمَعِكَ
وَالزَّمِ الْقَنَعَ يَمِنْ أَنْتَ لَهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ حَتَّى يَسْمَعَكَ
بِالْصَّفَاحَيْنِ كَدَرَ الْحِسِّ قَبِ وَأَطْرَحَ الْأَغْيَارَ وَأَتْرَكَ خُدَعَكَ
لَا تُمَوِّهْ بِكَ وَأَطْلُبْ مِنْكَ مَا قَرَّ مِنْ يَوْمٍ بِشَانِ ضَيْعِكَ
نُورِكَ اللَّهُ بِهِ كُنْ مُشْرِقًا وَأَحْذَرِ الْأَضْدَادَ تُطْفِئُ شَمْعَكَ
وَأَعْبُدِ اللَّهَ بِكَشْفِ وَأَصْطَبِرْ وَعَلَى الْكَشْفِ تَوَقَّ جَزَعَكَ
لَا تَقُلْ لَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ وَلَا تَطْلُبِ الْفَتْحَ وَحَرِّزْ وَرَعَكَ
كَيْفَمَا شَاءَ فَكُنْ فِي يَدِهِ لَكَ إِنْ فَرَّقَ أَوْ إِنْ جَمَعَكَ
فِي الْوَرَى إِنْ شَاءَ خَفَضَ ذِقَتَهُ وَإِذَا شَاءَ عَلَيَّهِمْ رَفَعَكَ
وَإِذَا ضَرَّكَ لَا نَافِعَ مِنْ دُونِهِ وَالضُّرُّ لَا إِنْ نَفَعَكَ
وَإِذَا أَعْطَاكَ مِنْ يَمْنِهِ ثُمَّ مَنْ يُعْطِي إِذَا مَا مَنَعَكَ
لَيْسَ يُوقِيكَ أَذَاهُ أَحَدٌ وَإِنْ اسْتَنْصَرْتَ فِيهِ شَيْعَكَ
إِنَّمَا أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ فَكُنْ جَاعِلًا بِالْقُرْبِ مِنْهُ وَلَمَكَ
كُلَّمَا نَابَكَ أَمْرٌ ثِقَ بِهِ وَأَحْزَرَ لِلغَيْرِ تَشْكُو وَجَمَكَ
لَا تُؤْمَلْ مِنْ سِوَاهُ أَمَلًا إِنَّمَا يَسْقِيكَ مَنْ قَدْ زَرَعَكَ
لَيْتَ لَوْ تَشَعَّرُ مَاذَا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مَا مَوَى الْمَوَالِي أُخْتَرَعَكَ
كُنْتَ لَا شَيْءَ وَأَصْبَحْتَ بِهِ خَيْرَ شَيْءٍ بَشَرًا قَدْ طَبَعَكَ

تَأْيَمًا كُنْ دَائِمًا أَنْتَ وَلَا تَتَمَنَّ أَنَّهُ لَوْ تَبِعَكَ
وَدَعِ التَّدْبِيرَ فِي الْأَمْرِ لَهُ وَأَضْعِ الْمَعْرُوفَ مَعَ مَنْ صَنَعَكَ
وَأَحْتِظْ حُرْمَةً مَنْ يُبْصِرُ إِنْ رُمْتَ فِعْلًا أَوْ تُسَادِي سَمْعَكَ
كُنْ بِهِ مُقْتَصِمًا وَأَخْضَعْ لَهُ لَا تُكَانِذْ فِيهِ وَاتَّجِرْ بِدَعَاكَ
١٢ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَانَ فِي هَذَا الْمَثْنِيِّ :

قَصْدِي رِضَاكَ بِكُلِّ وَجْهِ أَمَكْنَا قَامُنْ عَلَيَّ بِذَاكَ مِنْ قَبْلِ الْفَسَا
وَلَنْ رَضِيتَ فَذَاكَ غَايَةً مَطْلَبِي وَالْقَصْدُ كُلُّ الْقَصْدِ بِلِ كُلِّ الْمُنَى
لَوْ أَبْذَلَنْ رُوحِي فِدَى لِرَأْيَتِهَا أَمْرًا حَقِيرًا فِي جَنَابِكَ هِنَا
وَبَقِيتُ فِي خَجَلٍ كَمَبْدٍ قَدْ جَنَى وَالْكُلُّ مُلْكُكُمْ فَمَا مِنِّي أَنَا
وَلَقَدْ تَفَضَّلْتُمْ بِإِيْجَادِي كَمَا أَنْعَمْتُمْ أَيْضًا بِكَوْنِي مُؤْمِنًا
لَوْ لَا تَطَوَّلْتُكُمْ عَلَيَّ وَفَضَّلْتُكُمْ مَا كُنْتُ مُوجُودًا وَلَا مِنِّي ثَنَا
مَنْ ذَا الَّذِي يَسْعَى وَيَشْكُو فَضْلَكُمْ لَوْ عَمَرَ الْأَبْدَيْنِ يَشْكُرُ مُعْلِنًا
وَأَنَا الْمُسِيكِينُ الَّذِي قَدْ جَاءَكُمْ لِمَقْوَمِكُمْ طَالِبًا وَلَقَدْ جَنَى
فِي أَيْمَانِكُمْ وَيَمِينِكُمْ وَبِجَاهِكُمْ مُنَا عَلَيَّ وَأَذْهِبُوا عَنِّي الْغَسَا
قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفُتْ وَدَعَتْ أَيَّامُ الْحَيَاةِ وَدَاعَا
لَا أَسْتَلِذُ بِغَيْرِ وَجْهِكَ مَنَظَرًا وَسِوَى خَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

قصيدة للباي في التوسل والاستعطاف

هَوَتْ الْمُسَاعِيرُ وَالْمَدَا رَكُّ عَنْ مَعَارِجِ كِبَرِيَاكَ

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ قَدْ بَهَرَ الْعُقُولَ سَنَا بَهَائِكَ
أَنْتَنِي عَلَيْكَ بِمَا عَلِمْتُ وَأَنْتَنِي عَلَيَّ مِنْ ثَنَائِكَ
مُتَجَبِّ فِي غَيْبِكَ أَا أَحْمِي مَنِيعُ فِي عَلَانِكَ
وَوَهَرْتَ بِالْآثَارِ وَأَا أَفْعَالِي بَادٍ فِي جَلَانِكَ
عَجَابًا خَفَاؤُكَ مِنْ ظُهُورِكَ أَمْ ظُهُورُكَ مِنْ خَفَائِكَ
مَا أَلْكَوْنُ إِلَّا ظُلْمَةٌ قَبَسَ الْأَشْعَةُ مِنْ ضِيَائِكَ
بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ فَقِيرٌ مُسْتَسِجٍ مِنْ عَطَائِكَ
مَا فِي الْعَوَالِمِ ذَرَّةٌ فِي جَنْبِ أَرْضِكَ أَوْ سَمَائِكَ
إِلَّا وَوَجْهَهَا إِلَيْكَ بِالْإِقْتِفَارِ إِلَى غَنَائِكَ
فَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْتَعِيْثُ بِكَ عَانِدًا بِكَ مِنْ بَلَائِكَ
قَدَفَتْ بِهِ مِنْ شَاهِقِ أَيْدِي أُمْتَحَانِكَ وَأَبْيَائِكَ
وَسَطَتْ عَلَيْهِ لَوَازِمُ أَا أَمْكَانِ صَدَا عَنْ فَنَائِكَ
وَرَمَتْهُ فِي ظُلْمِ الْفَنَاءِ صِرٌّ وَالطَّبَائِعِ فِي شَبَائِكَ
فَإِذَا أَرْعَوَى أَوْكَادَنَا دَتُهُ الْقُيُودُ إِلَى وَرَائِكَ
فَالْطُفْ بِهِ فِيمَا جَرَى فِي طَيِّ عَالَمِكَ مِنْ قَضَائِكَ
وَأَسْلُكْ بِهِ سَنَنَ الْهَدَايَةِ فِي مَعَارِجِ أَصْفِيَائِكَ
١٤ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْحَوَائِجِ حَاجَةً فَادْعُ الْإِلَاحَ وَأَحْسِنِ الْأَعْمَالَ
فَلْيُعْطِيَنَّكَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَةٍ فَهُوَ الْأَطِيفُ لِمَا أَرَادَ فَعَالًا

إِنَّ الْعِبَادَ وَشَأْنَهُمْ وَأُمُورَهُمْ بِيَدِ الْإِلَهِ يُقَلِّبُ الْأَحْوَالَ
قَدَحَ الْعِبَادَ وَلَا تَكُنْ بِطَلَابِهِمْ لَهَا تُضْفِضُ لِلْعِبَادِ سُؤَالَ
قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِي :

تُبْقَى اللَّهُ وَالزَّمْ هَدَى دِينَهُ وَمِنْ بَعْدِ ذَا قَالَزَمَ الْفَلَسَفَةَ
وَلَا تَغْتَرِزْ بِأَنَاسٍ رَضُوا مِنَ الدِّينِ بِالزُّورِ وَالسَّفَسَفَةَ
وَدَعِ عَنْكَ قَوْمًا يَعْبُونَهَا ففَلَسَفَةُ الْمَرْءِ قُلُ السَّفَةِ
لَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ أَبَا الْحَسَنِ الْهَمْدَانِيَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

قَالُوا غَدًا نَأْتِي دِيَارَ الْحَمِي وَيَنْزِلُ الرَّكْبُ بِمَفَنَاهُمْ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لَهُمْ أَصْبَحَ مَسْرُورًا بِمَقَاهِمُ
فَقُلْتُ لِي ذَنْبٌ فَمَا حِيلَتِي بِأَيِّ وَجْهِ أَتَلَقَاهُمْ
قَالُوا أَلَيْسَ الْغَفْوُ شَأْنَهُمْ لَأَسِيًّا عَمَّنْ تَرْجَاهُمْ

أَلْبَابُ الثَّانِي

فِي الزُّهْدِ

الزهد في الدنيا والانتقطاع إلى الله

١٥ (مِنْ أَلْفَحَجِّ) خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا
مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ . لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ
أَطَاعَةٍ . فَفَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَالِيَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ
فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مُنَظَّمُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْإِقْتِصَادُ وَمَشِيهِمْ

التَّوَّاضِعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ . وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ
 النَّافِعِ لَهُمْ . تَرَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي تَرَلَّتْ فِي الرَّخَاءِ
 لَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَفِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ
 طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ . وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَالِقُ فِي
 أَنْفُسِهِمْ قَصْرُ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ضَمُّ وَلَجَتُهُ كَمَنْ قَدَّرَ آهًا ضَمُّ فِيهَا
 مُنْعَمُونَ . وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدَّرَ آهًا ضَمُّ فِيهَا خَالِدُونَ مُعَذَّبُونَ .
 أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوا وَأَسْرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . لَا يَرْضَوْنَ
 مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ . ضَمُّ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَمِيمُونَ .
 وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ . إِذَا رُكِّي أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ :
 أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي
 بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ . فَمِنْ
 عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي الدِّينِ . وَحَزْمًا فِي لَيْلٍ . وَإِيمَانًا فِي
 يَفِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ . وَعَمَلًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنَى . وَخُشُوعًا
 فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي قَافَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ . وَنَشَاطًا
 فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَعْمٍ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ .
 يَمْسِي وَهُوَ الشُّكْرُ . وَيُصْبِحُ وَهُوَ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ قَرِحًا .
 حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْفَلَةِ . وَقَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِذَا
 اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّهُ لَمْ يُعْطَهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تَحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ
 فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى . يَمُزْجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

رَأَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَّهُ . خَاشِمًا قَلْبُهُ . قَانِمَةً نَفْسُهُ . مَتَزَوِّرًا
 أَكْنَهُ . سَهْلًا أَمْرَهُ . حَرِيذًا دِينَهُ . مَيِّتَةً شَهْوَتَهُ . مَكْظُومًا عَظْمَتَهُ . إِنْ
 كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
 يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَقْوَمَنَّ ظَلَمُهُ . وَيُعْطَى مِنْ حَرَمِهِ . وَيَصِلُ مِنْ
 قَطْعِهِ . بَعِيدًا فُحْشُهُ . لَنَا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلًا
 خَيْرُهُ . مُذِرًا شَرَّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورُ . وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورُ . وَفِي
 الرِّخَاءِ شُكُورُ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُنْفِضُ . وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ . يَتَرَفُّ
 بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا اسْتَحْفَظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذَكَرَ .
 وَلَا يُتَارِ بِالْأَلْقَابِ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَابِ . وَلَا
 يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يُخْرَجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَنْهَ صَمَتُهُ . وَإِنْ
 صَحَّكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُنِيَ عَلَيْهِ صَبْرٌ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
 يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ أَنْعَبَ نَفْسُهُ لِآخِرَتِهِ
 وَأَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَتْهُ زُهْدٌ وَرَأَاهُ . وَدُنُوهُ
 مِنْ دَنَا مِنْهُ لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعَدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَتُهُ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ
 وَخَدِيعَةٍ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

قصيدة للبرعي في الزهد

١٦

أَحْبَابَ قَلْبِي مَضَى زَمَانِي وَتَنَقَّصْتُ عَيْشِي الْهُمُومُ
 وَفَرَّقَ الْمَوْتُ أَهْلَ عَصْرِي فَلَا صَدِيقٌ وَلَا حَمِيمُ
 وَأَخْلَفَ الدَّهْرُ خَلْفَ سَوْءٍ كَأَنِّي بَيْنَهُمْ يَتِيمُ

وَأَلَانَ حَانَ الرَّحِيلِ مِنِّي وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَدُومُ
وَمَا تَرَوْدَتْ غَيْرَ ذَنْبٍ عَذَابُهُ دَائِمٌ أَلِيمٌ
يُصْرَحُ الْوَعْظُ بِي وَقَلْبِي كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ صَمِيمٌ
أَبَارِزُ اللَّهِ بِالْخَطَايَا وَاللَّهُ سُجَّانُهُ حَلِيمٌ
فَكَمْ خَلَفْتُ الْعِذَارَ جَهْلًا وَلَمْتُ فِي النَّفْسِ مِنْ يَلُومُ
وَكَمْ تَعَامَيْتُ عَنْ رِشَادِي وَمَنْعُ الْحَقِّ مُسْتَعِيمٌ
لَا أَتَنْهَى عَنْ قَبِيحٍ فَعَلِي وَلَا أَصْلِي وَلَا أَصُومُ
عَصَيْتُ طِفْلًا وَصِرْتُ أَعْصَى وَالشَّيْبُ فِي مَفْرِقِي يَحُومُ
شَيْبٌ وَعَيْبٌ وَحَمْلُ ذَنْبٍ وَالذَّنْبُ بَعْدَ الْمَشِيبِ شُومُ
يَا جَامِعَ أَمْوَالٍ مِنْ حَرَامٍ سَيَقْضِي مَالَكَ الْفَرِيمُ
وَتَقْضِي وَزْرَهُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ يَغْلِي بِهَا الْحَمِيمُ
وَكَيْفَ يَهْنِكَ صَفْوُ عَيْشٍ خَتَامُهُ عَلَقَمٌ عَقِيمُ
يَا وَاسِعَ الْأَلْفِ جُدْ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ
إِنْ قَالَ عَبْدُ الرَّحِيمِ ذَنْبِي فَكُلْ أَنَا الْمُسْفِقُ الرَّحِيمُ
وَإِنْ شَكَاهُ مِنْ خُصُومٍ سَوَاءٍ فَكُلْ مَا تَقَعَّدُ الْخُصُومُ
وَسَامِحَ الْكُلِّ فِي ذُؤُوبٍ أَنْتَ بِهَا سَيِّدِي عَلِيمُ

١٧ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَجُلٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَعْظُمَهُ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو
الْآخِرَةَ بِالْعَمَلِ . وَيَرْجِي التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا يَقُولُ
الزَّاهِدِينَ . وَيَعْمَلُ فِيهَا يَقُولُ الرَّاعِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَع . وَإِنْ

مَنَعَ لَمْ يَنْقُصْ . يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي . وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ
 وَلَا يَمْلِكُ عَمَلَهُمْ . وَيُغْنِي الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . وَيَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ
 ذُنُوبِهِ وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ . إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَإِنْ صَحَّ آمِنَ
 لَاهِيًا . يُحِبُّ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا
 مُضْطَرًّا . وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا
 يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَقِينُ . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذَى مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ
 بِأَكْثَرٍ مِنْ عَمَلِهِ . إِنْ اسْتَعْنَى بِطَرِيقٍ . وَإِنْ أَفْقَرَ قَطَعَ وَوَهِنَ .
 يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ . وَيُبَالِغُ إِذَا سَالَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْفَافَ الْمُعْصِيَةِ
 وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ غِنًى أَنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ . يَصِفُ
 الْغَيْرَ وَلَا يَتَعَبَّرُ . وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَعَطُّ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ .
 وَمِنْ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغَنَمَ
 مَفْرَمًا . وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ . وَلَا يُبَادِرُ الْقَوْتَ . يَسْتَغْظِمُ مِنْ
 مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكَثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا
 يَخْتَفِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ . وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّهُ مَعَ
 الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ
 وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ . يُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُعْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ يَطَاعُ وَيُعْصَى .
 وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُؤْفِي . وَيَخْشَى الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ رَبِّهِ وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي
 خَلْفِهِ . قَالَ جَامِعُ التَّحْفِ : كَفَى بِهَذَا الْكَلَامِ مَوْعِظَةً نَاجِمَةً وَحِكْمَةً
 بِالْقَلَمِ وَبِصِيرَةِ الْمُبْصِرِ وَعِبْرَةً لِنَاطِرِ مُفَكِّرِ
 (لبهاء الدين)

زهد رجل من بني عباس

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَعْلَمِ خَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ حُجَّاجًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ رَفَضَ الدُّنْيَا
وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ . فَجَمَعَتْنِي وَإِيَّاهُ الطَّرِيقُ فَأَنْسَتُ بِهِ وَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ لَكَ أَنْ تُعَادِلَنِي فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي . فَحَزَانِي خَيْرًا .
ثُمَّ أُنْسَ إِلَيَّ فَعَمَلْتُ يُحَدِّثُنِي فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ كُنْتُ
أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَنِعْمَةٌ طَائِلَةٌ وَمَالٌ كَثِيرٌ وَبَذَخُ
زَائِدٌ . فَأَمَرْتُ يَوْمًا خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُو لِي فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَخِدَّةً بَوْرِدٍ
ثَمِيرٍ . فَقَعَلَ . فَأَتَانِي لِنَائِمٍ إِذَا يَقَعُ وَرَدَّةٌ قَدْ نَسِيَهُ الْخَادِمُ فَقَعْتُ إِلَيْهِ
فَأَوْجَعْتُهُ ضَرْبًا . ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَضْجِعِي بَعْدَ إِخْرَاجِ الْقَمْعِ مِنَ الْخِدَّةِ
فَأَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةِ قَظِيمَةٍ فَهَزَنِي وَقَالَ : أَفَقَ مِنْ غَشِيَتِكَ
وَأَنْتَ مِنْ رَقَدَتِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا خَلُّ إِنَّكَ إِنْ تَوَسَّدَ لَنَا وَسَدَتْ بَعْدَ الْيَوْمِ صَمَّ الْجَنْدَلِ
فَأَهْدِ لِنَفْسِكَ صَاحِبًا تَسْعُدُ بِهِ فَلْتَتَدَمَّنْ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
فَأَنْتَبَهْتُ رَعُوبًا . وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا إِلَى رَبِّي

(مستطف المستطرف للابشيحي)

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيُّ الشَّنَرِيُّ فِي الزُّهْدِ :

يَا مَنْ يُصْبِحُ إِلَى دَايِ السَّقَاةِ وَقَدْ نَادَى بِهِ التَّلَاعِيانِ الشَّبَّ وَالْكِبَرُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَسْمَعُ الذِّكْرَى فَعِمْ تَوَى فِي رَأْسِكَ التَّلَاعِيانِ السَّمْعُ وَالذِّكْرُ

لَيْسَ الْأَصَمُّ وَلَا الْأَعْمَى سِوَى رَجُلٍ لَمْ يَهْدِهِ الْهَادِيَانِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ
لَا الدَّهْرُ يَتَّقِي وَلَا الدُّنْيَا وَلَا الْهَلَاكُ أَوْ أَعْلَى وَلَا النَّيْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
لَيَرْحَلَنَّ عَنِ الدُّنْيَا وَإِنْ كَرِهَا فِرَاقَهَا الثَّوَابَانِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ
١٩ قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ الْكِنَانِيُّ أَحَدُ الرَّاحِلِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ :

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ تَطْمِئِنُّهُ فِي الْعَيْنِ وَالْأَجَلَ الْحَتْمُ يَقْطَعُهُ
عَيْسَى وَيَضْحَكُ فِي عَشْوَاءٍ يَخْطِئُهَا أَعْمَى الْبَصِيرَةِ وَالْأَمَالُ تَخْذَعُهُ
يَفْتَرُّ بِالْدَّهْرِ مَسْرُورًا بِصَحْبَتِهِ وَقَدْ تَيَقَّنَ أَنَّ الدَّهْرَ يَصْرَعُهُ
وَيَجْمَعُ الْمَالَ حِرْصًا لَا يَفَارِقُهُ وَقَدْ دَرَى أَنَّهُ لِلتَّغْيِيرِ يَجْمَعُهُ
رَأَاهُ يُشْفِقُ مِنْ تَضْيِيعِ دِرْهَمِهِ وَلَيْسَ يُشْفِقُ مِنْ دَيْنٍ يُضَيِّعُهُ
وَأَسْوَأُ النَّاسِ تَذْبِيرًا لِعَاقِبَةٍ مَنْ أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي مَا لَيْسَ نَفْعُهُ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَمِيرِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

فَوَادُ بِأَيْدِي النَّائِبَاتِ مُصَابٌ وَجَنُّ لَقِيضِ الدَّمْعِ فِيهِ مُصَابٌ
تَنَاءَتْ دِيَارٌ قَدْ أَلْقَتْ وَجِيرَةً فَهَلْ لِي إِلَى عَهْدِ الْوَصَالِ إِيَابٌ
وَفَارَقْتُ أَوْطَانِي وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى وَدُونَ مُرَادِي أُنْجَرُ وَهَضَابٌ
مَضَى زَمَنِي وَالشَّيْبُ حَلَّ بِمَفْرِقِي وَأَبْعَدُ شَيْءٍ أَنْ يُودَّ شَبَابٌ
إِذَا مَرَّ غَمْرُ الْمَرْءِ لَيْسَ بِرَاجِعٍ وَإِنْ حَلَّ شَيْبٌ لَمْ يُفِدْهُ خِضَابٌ

ذو النون والزائدة

٢٠ قَالَ ذُو النُّونِ بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ إِذَا بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ
عَلَيْهَا أَظْهَارُ شَعْرِ . فَإِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَالِيَّةٌ . فَدَفَوْتُ مِنْهَا لَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ .

فَرَأَتْهَا مُتَّصِلَةً الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ . وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتِ
 الْأَمْوَاجُ وَظَهَرَتِ الْحَيْثَانُ . فَصَرَخَتْ ثُمَّ سَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ . فَلَمَّا
 قَامَتْ نَجَّحَتْ ثُمَّ قَالَتْ : سَيِّدِي بِكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخُلُوتِ .
 وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتِ النَّيْنَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّائِرَاتِ . وَلِجَلَالِ قُدْسِكَ
 تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِفَاتُ . أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ الْأَيْلِ
 وَضَوْءُ النَّهَارِ . وَأَلْفَاكَ الدَّوَّارُ وَالْبَجَرُ الزَّخَّارُ . وَالْقَمَرُ التَّوَّارُ وَالنَّجْمُ
 الزَّهَّارُ . وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمِقْدَارٍ لِأَنَّكَ أَعْلَى الْأَهْمَارُ . ثُمَّ أُنْشَدَتْ :
 يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خُلُوتِهِمْ يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ الْتُرَّالُ
 مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتِمِّمًا قَرَحَ الْفَوَادِ مُتِمِّمًا بَلْبَالَ
 فَقُلْتُ لَهَا : عَسَى أَنْ تَرِيدِنِي مِنْ هَذَا . فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ثُمَّ
 رَفَعَتْ طَرَفَهَا تَحْوِ السَّمَاءِ فَقَالَتْ :

أُحِبُّكَ حُبِّينِ حُبُّ الْوَدَادِ وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذَاكَ
 فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوَدَادِ فَحُبُّ شُغْلَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ
 وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشَفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أَرَاكَ
 فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
 ثُمَّ سَهَقَتْ سَهَقَةً فَإِذَا هِيَ فَدْفَارَقَتِ الدُّنْيَا (اسواق الاشواق للبغاعي)

ذلة الدنيا

٢١ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : صِفْ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ : أَمَلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ .
 وَأَجَلٌ مُطِلٌّ عَلَيْكَ . وَشَيْطَانٌ فَتَّانٌ . وَأَمَانِيٌّ جَرَّارَةٌ الْعِنَانِ . تَدْعُوكَ

فَلَسْتَجِيبُ. وَتَرْجُرُهَا فَنَجِيبُ. نَاقِضَةُ الْعَزِيمَةِ مُرْتَجِمَةٌ لِلْمَطِيَّةِ. كُلُّ مَنْ فِيهَا يَجْرِي. إِلَى مَا لَا يَذَرِي. وَقَالَ أَبُو الْعَرَبِ الصَّقَلِيُّ :

وَلَا يَفِرُّكَ مِنْهَا حَسَنُ بُرْدٍ لَهُ عِلْمَانِ مِنْ عِلْمِ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهُ رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهُ رَدَاءٌ مِنْ تُرَابٍ
قَالَ ابْنُ قَاضِي مِيلَةَ :

لَدُنِّيَاكَ نُورٌ وَلَكِنَّهُ ظَلَامٌ يَحَارُ بِهِ الْمُبْصِرُ
فَإِنْ عِشْتَ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا كَمَا قِيلَ قَطْرَةٌ تَعْبُرُ
فَلَا تَعْمُرُنَّ بِهَا مَنْزِلًا فَإِنَّ الْحَرَابَ لِمَا تَعْمُرُ
وَلَا تَذْخُرَنَّ خِلَافَ التَّقَى فَتَقْنَى وَيَبْقَى الَّذِي تَذْخُرُ
وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي الْمَتَلَهَةِ قَوْلُهُ :

٢٢

وَأَعْجَبَا لِلنَّاسِ لَوْ فَكَّرُوا وَحَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَبْصَرُوا
وَعَبَرُوا الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا لَهُمْ مَعْبَرُ
الْخَيْرِ مِمَّا لَيْسَ يَخْفَى هُوَ الْمَعْرُوفُ وَالشَّرُّ هُوَ الْمُنْكَرُ
وَالْمَوْعِدُ الْمَوْتُ وَمَا بَعْدَهُ الْحَشَرُ فَذَاكَ الْمَوْعِدُ الْأَكْبَرُ
لَا فُخْرَ إِلَّا فَخْرُ أَهْلِ التَّقَى غَدًا إِذَا صَحَّحُوا الْحَشَرَ
لَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّقَى وَالْبِرَّ كَانَا خَيْرًا مِمَّا يَذْخُرُ

زوال الدنيا

٢٣ (مِنْ النَّفْعِ .) وَأَتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ .
وَأَتَّبِعُوا مَا يَتَّبِعُ لَكُمْ يَمْزِلْ عَنْكُمْ . وَتَرَحَّلُوا فَهَذَا جَدُّ يَكُمُ السَّيْرُ .

وَأَسْعِدُوا لِمَوْتٍ قَدْ أَظْلَمَكُمْ . وَكُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ فَاتَّبِعُوا . وَعَلِمُوا
 أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا . فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَادًا
 وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ
 أَنْ يَنْزِلَ بِهِ . وَإِنْ غَايَةَ تَقْصُّهَا الْحُظَّةُ وَتَهْدِيهَا السَّاعَةُ لَجِدِيرَةٌ بِقَصْرِ
 الْمُدَّةِ . وَإِنْ غَايَةَ يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لِحَرِيٍّ بِسُرْعَةِ
 الْأَوْبَةِ . وَإِنْ قَادِمًا يَهْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ .
 فَتَرَوْدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحَرِّزُونَ بِهِ نَفْسَكُمْ غَدًا . فَاتَّقِ عَبْدٌ
 مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَعَلَبَ شَهْوَتَهُ . فَإِنَّ أَجَلَهُ مُسْتَوْدَعُهُ وَأَمَلُهُ
 خَادِعُهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُزَكِّيَهَا . وَيُؤَيِّدُ التَّوْبَةَ
 لِيُسَوِّفَهَا . حَتَّى تَعْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْطَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا . فَيَأْخُذُ حَسْرَةً
 عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . وَأَنْ تُودِيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى
 شَقْوَةٍ . نَسَّأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ . وَلَا
 تَقْصُرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا
 كَاثِبَةٌ

(لها الدين)

قَالَ أَبُو أَمْتَاهِيَّةَ :

عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ إِيَّيْ مُودَعٍ وَعَيْنَايَ مِنْ مَضَى التَّفَرُّقِ تَدْمَعُ
 فَإِنْ نَحْنُ عِشْنَا نَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَنَا وَإِنْ نَحْنُ مُتَا فَالْقِيَامَةُ تَجْمَعُ
 أَلَمْ تَرَى رَبَّ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمُنِيَّةُ تَلْمَعُ
 أَيَا بَنِي الدُّنْيَا لِعَفْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِعَفْرِكَ تَجْمَعُ

أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا حَالَةَ مَصْرَعٍ
تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ أَلَمَكَ غَيْرُهُ مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتٍ مِنْ لَيْسَ شَيْعٍ
وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةٍ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةٍ أُخْرَى سِوَاهَا تَطْلُعُ
٢٤ قَالَ أَيْضًا:

طُولُ التَّمَاثُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءُ مَا لِابْنِ آدَمَ إِنْ قَسَّتَ مَقُولُ
يَا رَاغِي الشَّاءَ لَا تُثْقِلْ رِعَايَتَهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتَرْعَيْتَ مَسْئُولُ
إِنِّي لَهِيَ مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينِي يَأْتِي عَنْهُ مَنُوقُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ
لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا وَكُلُّنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَبَبٌ وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشِي وَمَوْصُولُ
كُلُّ مَا بَدَأَ لَكَ فَالْآكَالُ قَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولُ
٢٥ قَالَ الْأَسْوَدُ الدَّارِمِيُّ بَعْدَ نَكْبَةِ الْأَكَاكِيرَةِ لِأَلِ الْحَرَقِ:

مَاذَا نُؤْمِلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَهْلُ الْخُورَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
زَلُّوا بِأَنْقَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمِ مَا أَهْلُ الْفَرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى رُسُومِ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِيَادِ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوَادِ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهِي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَقَادِ
٢٦ وَمِنْ رَقِيقٍ مَا جَاءَ فِي الزُّهْدِ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

تَعَلَّى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرِّجَالِ
 هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَضِيرُ ذَلِكَ لِلزَّوَالِ
 نَتَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ الْأَلْيَالِ تَصْرُفُهُنَّ حَالًا بَعْدَ حَالِ
 وَمَالِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَالِي قَمَالِي لَسْتُ مُشْغُولًا بِنَفْسِي
 أَمَا فِي السَّالِهِينَ لِي أَعْتِبَارُ وَمَا لَأَقْوَهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
 كَأَنِّي بِالْمَنِيِّ أَرْجَعُنِي وَنَفْسِي بَيْنَ أَرْبَعَةِ عِجَالِ
 وَخَلْفِي نِسْوَةٌ يَبْكِينَ بَعْدِي كَأَنَّ قُلُوبَهُنَّ عَلَى الْمَقَالِي
 وَحَقَّ كُلُّ ذَا بَفَنَى سَرِيحًا وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ مَعَ الْأَلْيَالِ
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّمَا نِعْمَةٌ دُنْيَا مُتَعَةً وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ
 وَصُرُوفُ الدَّهْرِ فِي أَطْبَافِهِ حَلَقَةٌ فِيهَا أَرْتِفَاعٌ وَأُنْحَادٌ
 بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي عَلَيْهَا إِذْ هَوَى فِي هُوَةٍ مِنْهَا فَعَارٌ

٢٧ قَدْ شَبَّهَ بَعْضُهُمُ الدُّنْيَا بِخَيَالِ الظِّلِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ خَيَالِ الظِّلِّ أَكْظَمَ عِبْرَةً لِمَنْ كَانَ فِي عِلْمِ الْحَقَائِقِ رَاقِي
 شُخُوصًا وَأَشْبَاحًا يُخَالِفُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَأَشْكَالًا يَبْغِي وَفَاقِ
 تَجِيٍّ وَتَضْيِي بَابَةً بَعْدَ بَابَةٍ وَتَفْنَى جَمِيعًا وَالْعَمْرُكَ بَاقِ
 وَقَالَ شَرَفُ بْنُ أَسَدٍ فِي مَعْنَاهُ :

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لَا بَقَاءَ لَهُ حَمَلَتْ نَفْسَكَ آثَامًا وَأَوْزَارًا
 هَلِ الْحَيَاةُ يَذِي الدُّنْيَا وَإِنْ عَذِبَتْ إِلَّا كَطِيفِ خَيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

وَعَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْغَيْرِ وَالْتَقِ
وَيَعْقِبُهَا الْأَخْزَانُ وَالْهَمُّ وَالْتَدَمُّ وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ
٢٨ قَالَ الْبُسْتِيُّ :

أَقُولُ لِمَنْ لَاحَ الْمَشِيبُ بِفَوْدِهِ وَأَلْقَتْهُ عَنْ غَيْهِ لَيْسَ يُقْصِرُ
عَذْلُكَ أَنْ أَضَالْتَ رُشْدَكَ حَاطِئًا وَلَيْلُ الشَّابِّ الْوَحْفُ دَاجٌ فَعُذِرُ
فَهَلْ لَكَ فِي سِنِّ الْكُهُولَةِ عَازِرُ إِذَا زَعْتَ عَنْ قَصْدٍ وَلَيْلِكَ مُقِيرُ
قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ يَذْكُرُ إِيوَانَ كَسْرَى :

يَا مَنْ بَنَى بِشَاهِقِ الْبَنَانِ أَلَسْتَ صُنْعَ الدَّهْرِ بِالْإِيوَانِ
هَذِي الْمَصَانِعُ وَاللِّسَاكِرُ وَاللِّبَا وَقُصُورُ كِسْرَانَا أُنُوشِرَوَانِ
كُتِبَ اللَّيَالِي فِي ذَرَاهَا أَسْطَرًا بِيَدِ اللَّيْلِ وَأَنَامِلِ الْجِدْتَانِ
إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْحَطُوبَ إِذَا سَطَتْ أَوْدَتْ بِكُلِّ مُوْتَقٍ الْأَزْكَانِ

ذكر النية والعواقب

٢٩ قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ :

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَتَادَيْتُهَا فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُحْتَمَرُ
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْمَذْكِيُّ إِذَا مَا أَفْتَحَرُ
فَوُدِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ لَا أَرَى شُحُوصًا لَهُمْ وَلَا مِنْ أَرْ
تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا تُخْبِرُ وَمَاتُوا جَمِيعًا وَمَاتَ الْخَبَرُ
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنَاسٍ مَضَوْا أَمَا لَكَ فِيهَا تَرَى مُعْتَبَرُ

تُرُوحُ وَتَعْدُو بَنَاتُ الثَّرَى وَتُحْيِي مَحَاسِنُ تِلْكَ الصُّورِ
 ٣٠ قَالَ سَابِقُ الْبَرِّ بَرِّي وَأَجَادَ:

تَلَهُوُ وَتَأْمُلُ أَيَّامًا تُعَدُّ لَنَا سَرِيعَةً الْمَرِّ تَطْوِينَا وَنَطْوِيهَا
 كَمْ مِنْ عَزِيزٍ سَلَقَى بَعْدَ عِزَّتِهِ ذُلًّا وَضَاحِكَةً يَوْمًا سَنَبِكِيهَا
 وَلِخُتُوفٍ تَرْتِي كُلَّ مَرْضَعَةٍ وَالْحِسَابِ بَرَى الْأَرْوَاحَ بَارِيهَا
 لَا تَبْرَحُ النَّفْسُ تُعَيُّ وَهِيَ سَالِمَةٌ حَتَّى يَقُومَ بِإِدَائِي الْقَوْمَ نَاعِيهَا
 أَمْوَالُنَا لِدَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمُهَا وَدُورُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ تَبْنِيهَا
 ٣١ وَلَا يَلِي الْمَتَاعَةَ:

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَبُوحُ
 لِدَوَاعِي الْحَيْرِ وَالشَّرِّ مَدْنُو وَرُوحُ
 هَلْ لِمَطْلُوبٍ يَذْنِبُ قُوَّةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
 كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
 أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ مِ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِنْهَا بَيْنَ قُوَّتَيْهِ قُضُوحُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَتْ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلِ صَاحُّ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
 مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ عَلَى قَوْمٍ قُفُوحُ
 سَيَصِيرُ الرَّءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 يَنْ عَيْنِي كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ وَإِذَا مَوْتُ يَأْتِيهِمْ وَدُوحُ
 لِبْنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا يَا غُبُوقُ وَصَبُوحُ
 رَحْنٍ فِي الْوُشْيِ وَأَصْبَحَ نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
 كُلُّ نَطَاحٍ مِنَ اللَّهِ رَ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مَسْكِينُ إِنْ كُنْتَ تُسُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عَمِرْتَ مَا عَمَّرَ نُوحُ
 ٣٣ قَالَ بِهِمَا الدِّينُ زُهَيْرُ:

لَيْتَ شِعْرِي لَيْتَ شِعْرِي أَيُّ أَرْضٍ هِيَ قَبْرِي
 ضَاعَ عُمْرِي فِي أَغْتِرَابٍ وَرَجِيلٍ مُسْتَمِرٍ
 وَمَتَى يَوْمٌ وَفَاتِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ أَذْرِي
 لَيْسَ لِي فِي كُلِّ أَرْضٍ جِثَّتْهَا مِنْ مُسْتَمِرٍ
 بَعْدَ هَذَا لَيْتَنِي أَعْرِفُ مَا آخِرُ عُمْرِي
 وَمَتَى أَخْلُصُ مِمَّا أَنَا فِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
 وَلَقَدْ آنَ بَانَ أَصْحُو فَمَا لِي طَالَ سُكْرِي
 أَتَرَى يُسْتَدْرَكُ الْفَا رِطٌ مِنْ تَضْيِيعِ عُمْرِي
 ٣٣ قَالَ آخَرُ:

قَدِمَ لِنَفْسِكَ خَيْرًا وَأَنْتَ مَا لَكَ مَا لَكَ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَتَفَانِي وَلَوْ نَحَا لَكَ مَا لَكَ
 لَمْ تَذَرِ نَفْسَكَ حَقًّا أَيُّ الْمَسَالِكِ سَالِكَ

لَجَنَةٍ أَمْ لِنَارٍ إِلَى مَمَالِكٍ مَالِكٍ
وَأَنْتَ لَا بُدَّ يَوْمًا بَعْدَ التَّكَاهُلِ هَالِكٍ

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْقَرِدًا وَاحِدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ بِمَا عَلَيَّا
كَأَنَّ اللَّبَايِكَ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِّي فَنَعَيْنَ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَّ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ عِنْدَ مَوْتِهِ :

يَا نَفْسُ صَبْرًا لَعَلَّ الْخَيْرَ عُثْبَاكِ خَانَكَ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْأَمْنِ دُنْيَاكِ
مَرَّتْ بِنَا سَحْرًا طَيْرٌ فَقُلْتُ لَهَا طُوبَاكِ يَا لَيْتَنِي إِيَّاكِ طُوبَاكِ
إِنْ كَانَ قَصْدُكَ شَرْقًا بِالسَّلَامِ عَلَيَّ شَاطِي الْفَرَاتِ أَلْبَغِي إِنْ كَانَ مَثْوَاكِ
مِنْ مُوثِقٍ بِالْمَنَآيَا لَا فَكَاكِ لَهُ يَبْكِي الدَّمَاءَ عَلَى الْفِيلِ لَهُ بَاكِ
أَظْنُهُ آخِرَ الْأَيَّامِ مِنْ عُمرِي وَأَوْشَكَ الْيَوْمَ أَنْ يَبْكِي لَهُ بَاكِ

٣٥ وَمَا أَحْوَدُ قَوْلِ ابْنِ أَبِي زَمْتَيْنَ :

الْمَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكُفْنََا وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
لَا تَطْمَئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَهْجَتِهَا وَإِنْ تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحُسْنَا
أَيُّ الْأَحْبَةِ وَالْخَيْرَانُ مَا فَعَلُوا أَيْنَ الَّذِينَ هُمْ كَانُوا لَنَا سَكَنَا
سَقَاهُمُ الْمَوْتُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ فَصَيَّرْتَهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَا
تَبْكِي الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْسَجِمٍ بِالْمَكْرُمَاتِ وَتَرْتِي أَلْبَرَّ وَالْمَلْنَا

حَسْبُ الْحَمَامِ لَوْ أَبْقَاهُمْ وَأَهْلَهُمْ أَلَّا يُظَنَّ عَلَى مَعْلُومِهِ حَسَنًا
 ٢١ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْبُخْتِ عَلَى أَبِي حَفْصٍ الشَّطْرَنَجِيِّ يَبُودُهُ فِي
 عَلَيْهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا. فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
 فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِذَائِعِي الْفِتَاءِ فَإِنَّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
 أَلَسْنَا نَرَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ سِ تَفْنَى وَتَبْقَى عَلَيْهَا الذُّنُوبُ
 وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّيِّبُ فَعَاشَ الْمَرِيضُ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
 يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ
 وَلَا يَبِي الْعَتَهِيَّةَ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى الذَّهَابِ
 أَلَا يَأْمُوتُ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تُحِيفُ وَمَا تُحَايِي
 كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي
 ٣٧ وَجَاءَ فِي قَلَانِدِ الْعَيَّانِ :

أَيُّنَ الْمُلُوكِ وَمَنْ بِالْأَرْضِ قَدْ عَمَرُوا قَدْ فَارَقُوا مَا بَنَوْا فِيهَا وَمَا عَمَرُوا
 وَأَصْبَحُوا رَهْنَ قَبْرِ الَّذِي عَمِلُوا عَادُوا رَمِيًا بِهِ مِنْ بَدَا مَا دَثَرُوا
 أَيُّنَ الْعَسَاكِرِ مَا دَدَتْ وَمَا نَفَعَتْ وَأَيُّنَ مَا جَمَعُوا فِيهَا وَمَا أَذْخَرُوا
 أَنَاهُمْ أَمْرُ رَبِّ الْعَرْشِ فِي عَجَلٍ لَمْ يُنْجِهِمْ مِنْهُ لَا مَالٌ وَلَا وَزَرٌ
 قَالَ أَبُو الْعَتَهِيَّةِ وَلَهُ الْبَدَا الطُّوْلَى فِي مَعَانِي الزُّهْدِ :

يَعْمَدُ لِنَفْسِكَ وَأَذْكُرْ سَاعَةَ الْأَجَلِ وَلَا تُغَرَّنْ فِي دُنْيَاكَ بِالْأَمَلِ

سَابِقُ خُوفِ الرَّدَى وَأَعْمَلُ عَلَى مَهَلٍ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ مَسْئُولٌ وَمُفْتَحَصٌ
لَا تَلْمِزَنَّ بَكَ الدُّنْيَا وَزُخْرُفَهَا
لَا يَحْذَرُ النَّفْسَ إِلَّا ذُو مُرَاقَبَةٍ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ وَمَا
مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا
وَلَهُ أَيْضًا: ٣٨

قَدْ سَمِعْنَا الْوَعْدَ لَوْ يَتَقَنَّا
كُلُّ نَفْسٍ سَتُوفِي سَعْيَهَا
جَعَتْ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِ مَا
يَهْرُبُ الْمَرْءُ مِنَ الْمَوْتِ وَهَلْ
كُلُّ نَفْسٍ سَتَقَاسِي عَاجِلًا
أَيُّهَا ذَا النَّاسِ مَا حَلَّ بِكُمْ
وَسَقَامٌ ثُمَّ مَوْتٌ نَازِلٌ
وَحِسَابٌ وَكِتَابٌ حَافِظٌ
وَصِرَاطٌ مِنْ يَزُلْ عَنْ حِدِهِ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَتَلَحُّظِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
وَتَنَشُّرِي كِتَابًا فِيهِ طَيِّبٌ
وَتَلَحُّظِي الْمُنِيَّةَ مِنْ قَرِيبٍ
بِحِطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيبِي

كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُوضٌ تُلُوحٌ لِكُلِّ أَوَابٍ مُنِيبٍ
أَزَالَ اللَّهُ يَاصَاحِي شَبَابِي فَعَوِضْتُ الْبَيْضَ مِنَ الْحَبِيبِ
وَبَدَلْتُ التَّكَاثُلَ مِنْ نَشَاطِي وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ يَمْلُوهَا أَصْفَرَارُ إِذَا جَنَحَتْ. وَمَا لَ لِلْغُرُوبِ
قَالَ الْإِلْبِيرِيُّ:

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكَرَاتِ تَعَالَجُ أَنْ تَرَقَى إِلَى اللَّهُوَاتِ
وَقَدْ زُمَ رَحْلِي وَأَسَقَلْتُ رَكَائِي وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجَرٍ لَنَا وَعِظَاتِ
وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا وَمِنْ أَوْجِهِ فِي الثَّرْبِ مُنْفِرَاتِ
وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ وَكَمْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ

في الدهر ونوابه

٣٩ أَنشَدَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَعَصِّدُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَصِيدَةً مِنْهَا:

وَلَا تَأْمَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي خِلاَ وَلَمْ يَزَعْ لِي حَقًّا
قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرِّجَالِ وَلَمْ أَدَعْ عَدُوًّا وَلَمْ أَهْلَ عَلَى طَنْعِهِ خَلْقًا
وَأَخْلَيْتُ دَارَ الْمَلِكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ فَشَرَّدْتَهُمْ غَرْبًا وَمَزَقْتَهُمْ شَرْقًا
فَلَمَّا بَلَغْتُ النُّجْمَ عِزًّا وَرِفْعَةً وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعُ لِي رِقَاً
رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَخَذَ جُرْحِي فَمَا أَنَا ذَا فِي خُرْفَتِي عَاجِلًا أَلْقَى
قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُظَفَّرٍ الْأَبْيُورْدِيُّ:

يَا مَنْ يُؤْمِلُ أَنْ يَعِيشَ مُسْلِمًا جَذْلَانِ لَا يُدْهِمُ بِخَطْبٍ يُخْزَنُ

أَقْرَطْتُ فِي شَطَطِ الْأَمَانِي فَأَقْصِدْ وَأَعْلَمْ بَأَنَّ مِنَ الْمُنَى مَا يَفِينُ
لَيْسَ الْأَمَانُ مِنَ الزَّمَانِ بِمُمْكِنٍ وَمِنَ الْحَالِ وُجُودُ مَا لَا يُمْكِنُ
مَعْنَى الزَّمَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَأَسْمِهِ فَعَلَامَ رَجُو أَنَّهُ لَا يُزْمِنُ

قصيدة لاسماعيل القرني في التوبة

٤٠

إِلَى كَمِّ تَمَادَى فِي غُرُورٍ وَغَفْلَةٍ وَكَمْ هَكَذَا نَوْمٌ إِلَى غَيْرِ يَفْظَةٍ
لَقَدْ صَاعَ عَمْرُ سَاعَةٍ مِنْهُ تُشْتَرَى بِمِلءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَةً ضَيْعَةٍ
أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ الرِّغْدَ وَعَيْشَةٍ مَعَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى بِعَيْشِ الْبَيْعَةِ
فِيَادِرَةٍ بَيْنَ الزَّالِيلِ أُلْقِيَتْ وَجَوْهَرَةٍ بَيْتٌ بِأَجْحَسِ قِيَمَةٍ
أَفَانٍ يَبَاقِي تَشْتَرِيهِ سَفَاهَةٌ وَنُحْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةِ
أَأَنْتَ صَدِيقٌ أَمْ عَدُوٌّ لِنَفْسِهِ فَإِنَّكَ تَزِمُهَا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ
وَلَوْ فَعَلَ الْأَعْدَا نَفْسُكَ بَعْضَ مَا فَعَلْتَ لَمَسْتَهُمْ لَهَا بَعْضُ رَحْمَةٍ
لَقَدْ يَتَمَتَّعُ هُونًا عَلَيْكَ رَخِصَةٌ وَكَانَتْ بِهَذَا مِنْكَ غَيْرَ حَقِيقَةٍ
كَفَيْتَ بِهَا دُنْيَا كَثِيرُ غُرُورُهَا تُقَابِلُنَا فِي نُصْحِهَا بِالْحَدِيقَةِ
عَلَيْكَ بِمَا يُجِدِّي عَلَيْكَ مِنَ اتَّقَى فَإِنَّكَ فِي سَهْوٍ عَظِيمٍ وَغَفْلَةٍ
تُصَلِّي بِلَا قَلْبٍ صَلَاةً يَمُتُّهَا يَصِيرُ أَلْقَى مُسْتَوْجِبًا لِلْعُقُوبَةِ
تُخَاطِبُهُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُقْبِلًا عَلَى غَيْرِهِ فِيهَا لِغَيْرِ ضَرُورَةٍ
وَلَوْ رَدَّ مِنْ تَأْجَالِكَ لِغَيْرِ طَرَفِهِ تَمَيَّزَتْ مِنْ غَيْظٍ عَلَيْهِ وَغَيْرَةٍ
فَوَيْلَكَ تَدْرِي مَنْ تَأْجَاهِهِ مُعْرِضًا وَبَيْنَ يَدَيَّ مَنْ تَتَحَنَّنِي غَيْرَ مُخْبِتٍ
تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ صَدَقْتَ وَلَكِنْ غَافِرٌ بِالْمُشِيبَةِ

وَرَبُّكَ رَزَاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ فَلَمْ لَمْ تُصَدِّقْ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
فَكَيْفَ تُرْجِي النُّفُوسَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ وَلَسْتَ تُرْجِي الرِّزْقَ إِلَّا بِحِيلَةٍ
وَهَا هُوَ بِالْأَرْزَاقِ كَهْلُ نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَكَفَّلْ لِلْأَنَامِ بِجَنَّةٍ
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى فِي الَّذِي قَدْ كُفِيَتهُ وَتَهْمِلُ مَا كُفِيَتهُ مِنْ وَظِيفَةٍ
تُسَيِّئُ بِهِ ظَنًّا وَتُحْسِنُ تَارَةً عَلَى حَسْبِ مَا يَفْضِي الْهَوَى بِالْقَضِيَّةِ

البرعي في الاغراء بالتوبة

٤١

يَا مُحْسِنًا بِالزَّمَانِ ظَنًّا لَمْ تَذَرِ مَا يَفْعَلُ الزَّمَانُ
لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ أَتْبَعَ الْهَوَى هَوَانُ
وَأَحْجَلْتَنِي مِنْ عِتَابِ رَبِّي إِنْ قَالَ أَسْرَفْتَ يَا فُلَانُ
إِلَى مَتَى أَأَنْتَ فِي الْمَعَاصِي تَسِيرُ مُرْخًى لَكَ الْعَنَانُ
لَوْ خَوْفُكَ الْحَجِيمُ بَطْشِي لَشَوَقَتْ قَلْبَكَ الْجَنَانُ
أَنْتَ سَجَاعٌ عَلَى الْمَعَاصِي وَأَنْتَ عَنْ طَاعَتِي جَبَانُ
عِنْدِي لَكَ الصُّلْحُ وَهُوَ يَرِي وَعِنْدَكَ السَّيْفُ وَاللِّسَانُ
فَأَسْتَحْيِ مِنْ شَيْبَةٍ رَأَاهَا فِي النَّارِ مُسْتَجُونَةً تِهَانُ
أَيُّ أَوَانٍ تَتُوبُ فِيهِ هَلْ بَعْدَ قَطْعِ الرَّجَا أَوَانُ
يَا سَيِّدِي هَذِهِ عِيُوبِي وَأَنْتَ فِي الْخُطْبِ مُسْتَعَانُ
يَا مَنْ لَهُ فِي الْمَعَاذِ شَأْنُ وَشَأْنُهُ الْعُطْفُ وَالْحَنَانُ
يَا مَنْ مَلَإَ بِهِ التَّوَّاحِي لَمْ يَخْلُ مِنْ يَرِهِ مَكَانُ
عَفْوًا فَإِنِّي رَهِينُ ذَنْبٍ حَاشَاكَ أَنْ يَنْقُ الرِّهَانُ

٤٢ قَالَ حُرَيْثُ بْنُ جَبَلَةَ الْمُذَرِّيُّ وَقِيلَ عَثِيرُ بْنُ لَيْدٍ الْمُذَرِّيُّ :
 يَا قَلْبُ إِنَّكَ فِي الْأَحْيَاءِ مَفْرُورٌ قَاذِرٌ وَهَلْ يَنْفَعُكَ الْيَوْمَ تَذَكِيرُ
 تَرِيدُ أَمْرًا قَمَا تَدْرِي أَعَاجِلُهُ خَيْرٌ لِنَفْسِكَ أَمْ مَا فِيهِ تَأْخِيرُ
 فَاسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرًا وَارْضَيْنِ بِهِ فَيَنَامَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
 وَبَيْنَمَا الْمَرءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْبِطُ إِذْ صَارَ فِي الرَّمْسِ تَفْهُوهُ الْأَعَاصِيرُ
 حَتَّى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَوْهْمُهُ وَالْدَّهْرُ فِي كُلِّ حَالِهِ دَهَارِيرُ
 يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورُ
 قَالَ آخِرُ :

وَيَلِي إِذَا كَانَ الْحَجِيمُ حَزَازِي مَاذَا يَحِلُّ بِمُفْجِئِي وَبِهَازِي
 يَلِي الْعَذَابُ مُحَاسِنِي وَيَشِينَهَا وَيَطُولُ مِنِّي فِي الْحَجِيمِ بُكَازِي
 وَيَقُولُ لِي الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ يَا عَبْدَ سَوْءٍ أَنْتَ مِنْ أَعْدَائِي
 بَارَزْتَنِي وَعَصَيْتَ أَمْرِي جَاهِلًا وَلَسَيْتَ وَعْدِي مَا تَخَافُ لِقَائِي
 وَتَرَى وَجْهَ الطَّامِعِينَ كَأَنَّهَُا بَدْرٌ بَدَأَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَامَا
 كَشَفُوا الْحِجَابَ فَشَاهَدُوهُ وَأَدْهَشُوا وَكُفُوا نَعِيمًا دَائِمًا بِضِيَاءِ
 ٤٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ خَاتِمَةَ مُسْتَعِينًا بِهِ تَعَالَى :

يَا مَنْ نَعِيَتْ أَلْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا إِرْحَمْ عِبَادًا أَكْثَفَ الْفَقْرِ قَدَبَسَطُوا
 عَوَدَتَهُمْ بَسَطَ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ سَوَى جَمِيلٍ رَجَاءَ نَحْوَةِ أَنْبَسَطُوا
 وَعَدَتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
 عَوَافٍ أَرْتَبَطَتْ شَمَّ الْأَنْوَفِ بِهَا وَكُلُّ صَغْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبَطُ

يَا مَنْ تَعْرِفَ بِالْمَعْرُوفِ فَأَعْتَرَفْتَ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ قَعِيرٌ بِبَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمَا أَتَى لِيَمْدُ الْكَفِّ أَخْجَلُهُ
يَا وَاسِمَا صَاقُ خَطْوِ الْخَلْقِ عَنْ نَعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجَالِ رَحْمَةً
إِرْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكِ الْعَيْشِ مَا لَهُمْ
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى
قَالَ آخَرُ :

أَفْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَأَهْلُهُ
فَدَعَ الصَّبَا ياقُوبُ وَالْعَنُ الْهُوَى
وَأَنْظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ مُودِعٍ
وَالْحَادِثَاتُ مُوَكَّلَاتُ بِالْفَقَى
قَالَ يَشْرُبُ بْنُ الْمَعْمَرِ :

تَعَافُ الْقَهْدَى فِي الْمَاءِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
وَتُؤَثِّرُ مِنْ أَكْلِ الطَّعَامِ الَّذِي
وَتَكْرَعُ فِي حَوْضِ الذُّنُوبِ فَتَشْرَبُ
وَلَا تَذْكُرُ الْمُسْكِينَ مِنْ أَيْنَ يَكْسِبُ

وَرَفَدُ يَامِسْكِينُ فَوْقَ نَمَارِقٍ وَفِي حَشَوِهَا نَارٌ عَلَيْكَ تَلْبُ
فُحَّتِي مَتَى لَا تَسْتَفِيقُ جَمَالَهٗ وَأَنْتَ ابْنُ سَبِينٍ بِذَلِكَ تَلْبُ
٤٤ قَالَ أَبُو الْعَتَّاهِ :

فَيَا مَنْ بَاتَ يَنْوِي بِالْخَطَايَا وَعَيْنُ اللَّهِ سَاهِرَةٌ تَرَاهُ
أَمَا تَخْشَى مِنَ الدَّيَّانِ طَرْدَا بِجُرْمٍ دَائِمًا أَبَدًا تَرَاهُ
أَتَعْصِي اللَّهَ وَهُوَ يَرَاكَ جَهْرًا وَتَنْسَى فِي غَدٍ حَقًّا تَرَاهُ
وَتَخْلُو بِالْمَعَاصِي وَهُوَ دَانَ إِلَيْكَ وَلَيْسَ تَخْشَى مِنْ لِقَاہُ
وَتُكْرِ فِعْلَهَا وَلَهَا شُھُودٌ يَكْتُوبُ عَلَيْكَ وَقَدْ حَوَاهُ
فَيَا حُزْنَ أَلْسِي لِشُؤْمِ ذَنْبٍ وَبَعْدَ الْحُزْنِ يَكْفِيهِ جَمَاهُ
فَيَنْدُبُ حَسْرَةً مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ وَيَبْكِي حَيْثُ لَا يُجِدِي بُكَاهُ
يَبْضُ يَدَيْهِ مِنْ نَدَمٍ وَحُزْنٍ وَيَنْدُبُ حَسْرَةً مَا قَدْ عَرَاهُ
قَبَادِرُ بِالصَّلَاحِ وَأَنْتَ حَيٌّ لَعَلَّكَ أَنْ تَتَالَ بِهِ رِضَاهُ

ما كتب على القبر

٤٥ تُوْفِّي رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَكُتِبَ عَلَى قَبْرِهِ هَذِهِ الْآيَاتُ :
يَا وَاقِعِينَ أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُوا أَنَّ الْجَمَامَ بِكُمْ عَلَيْنَا قَادِمٌ
لَوْ تَتَزَلُّونَ بِشَعْنِنَا لَمَرَقْتُمْ أَنَّ الْمُرْقَطَ فِي التَّرْوُدِ نَادِمٌ
لَا تَسْتَعْرِوْا بِالْحَيَاةِ فَإِنَّكُمْ تَبْنُونَ وَالْمَوْتَ الْمُرْقِقُ هَادِمٌ
سَاوَى الرَّدَى مَا يَتَنَا فِي حُفْرَةٍ حَيْثُ الْمُخْدَمُ وَاحِدٌ وَالْحَادِمُ
وَمِمَّا أُجِدَ عَلَى قَبْرِ :

إِنَّ الْحَبِيبَ مِنَ الْأَجَابِ يُخْتَلَسُ لَا يَمْنَعُ الْمَوْتَ بَوَابٌ وَلَا حَرَسٌ
فَكَيْفَ تَفْرَحُ بِالدُّنْيَا وَلَنْتَهَا يَأْمَنُ يَعُدُّ عَلَيْهِ الْأَلْفُ وَالْأَلْفُ
لَا يَرْحَمُ الْمَوْتُ ذَا جَاهٍ لِعِزَّتِهِ وَلَا الَّذِي كَانَ مِنْهُ الْعِلْمُ يُقَبِّسُ
قَدْ كَانَ قَصْرُكَ مَعْمُورًا لَهُ شَرَفٌ قَصْرُكَ الْيَوْمَ فِي الْأَجْدَاثِ مُنْدَرِسٌ
قَالَ ابْنُ الزَّفَاقِ هَذِهِ الْآيَاتُ وَأَوْصَى أَنْ تُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

أَخَوَانَا وَالْمَوْتُ قَدْ حَالَ دُونَنَا وَلِلْمَوْتِ حُكْمٌ نَافِذٌ فِي الْخَلَائِقِ
سَبَقْتُكُمْ لِلْمَوْتِ وَالْعُمْرُ طَيْهٌ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُلَّ لَا بُدَّ لَاجِي
بِعَيْشِكُمْ أَوْ بِاضْطِجَاعِي فِي التُّرَى أَلَمْ تَكْ فِي صَفْوٍ مِنَ الْعَالَمِ رَاقٍ
فَمَنْ مَرَّ بِي فَلْيَمْسُ بِي مُرَحِّمًا وَلَا يَكْ مَنَسِيًا وَفَاءَ الْأَصَادِقِ
٤٦ أَمْرَ أَبُو الصَّلْتِ الْإِسْبِيلِي أَنْ تُكْتَبَ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِهِ:
سَكُنْتُكَ يَا دَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا بِأَنِّي إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي صَارْتُ إِلَى عَادِلٍ فِي الْحُكْمِ لَيْسَ بِجَوْرٍ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكْ حُجْزِيَا بِذَنْبِي فَأَنِّي بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيدُ
وَإِنْ يَكْ عَفْوُكُمْ عَنِّي وَرَحْمَةُ فَمَنْ نَعِمَ زَانِدٌ وَسُرُورُ

خُفِرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَهِيَ مِنْ تَصْنِيفِهِ:
تَرْحَمَ عَلَى قَبْرِ ابْنِ بَاقٍ وَحَبِّهِ فَمَنْ حَقَّ مِيتَ الْحَيِّ تَسْلِيمُ حَبِّهِ
وَقُلْ أَمَّنَ الرَّحْمَنُ رَوْعَةً خَائِفٍ لِتَقْرِيطِهِ فِي الْوَأَجِبَاتِ وَغَيْهِ
وَإِنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوْثَقُ وَاثِقُ وَحَسْبِي وَإِنْ أَذْنَبْتُ حَسْبُ صَفِيٍّ

٤٧ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُقَرِّيُّ الْحَيَّاطُ عَلَى لِسَانِ مَيْتٍ :

أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَعْدَ وَقَاتِي جَدًّا صَمْنِي وَلَحْدًا عَمِيًّا
سَتَرُونَ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ عِيَانًا وَتَسْلُكُونَ طَرِيقًا
نَظَمَ أَسْعَدُ مُصْطَفَى الْقُتَيْبِيِّ قَبْلَ مَوْتِهِ تَارِيخًا لِقَبْرِهِ :

قَبْرُهُ مِنْ أَوْزَمَتِهِ ذُنُوبُهُ وَعَدَا لِسُوِّهِ فَمَالَهُ مُتَخَوِّفًا
قَدْ ضَاعَ مِنْهُ عُمْرُهُ بِطَالَةٍ وَالْعَيْشُ مِنْهُ بِالتَّكْدُرِ مَا صَفَا
مَاذَا صَوَى قَبْرُ الْقُتَيْبِيِّ أَرْخُوا مُسْتَنْخِجًا لَلْفَتَا أَسْعَدُ مُصْطَفَى

٤٨ لَمَّا قَتَلَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنٍ الْحَمِيرِيَّ ذُو فَنٍ فِي صَنْعَاءَ بِمَقْبَرَةٍ
وَوُضِعَ فِي سَرِيرِهِ عِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ قَدْ كُتِبَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَاتُ :

أَنَا ابْنُ ذِي يَزْنٍ مِنْ قُرْعِ ذِي يَمِنٍ مَلَكَتْ مِنْ حَدِّ صَنْعَاءَ إِلَى عَدَنَ
جَلَبْتُ مِنْ فَارِسٍ جَيْشًا عَلَى عَجَلٍ فِي الْبَحْرِ أَحْمَلُهُمْ فِيهِ عَلَى السُّفُنِ
حَتَّى غَزَوْتُ بِهِمْ قَوْمًا هَاجِرَةً فِي الْبَرِّ جَاسُوا خِلَالَ الْحَيِّ مِنْ يَمِنَ
بِالْحَسَفِ وَالذَّلِّ حَتَّى قَالَ قَاتِلُهُمْ ذُوقُوا ثَمَارَ ذَوَاتِ الْحَقْدِ وَالْإِحْنِ
فَأَوْقَعُوا بِهِمْ وَاللَّهْرُ ذُو دُولٍ حَتَّى كَانَ مَعَارِ الْقَوْمِ لَمْ يَكُنْ
حَتَّى إِذَا ظَهَرَتْ نَفْسِي يَمَا طَلَبْتُ وَزَالَ مَا كَانَ فِي قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ
وَنَلْتُ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَمِلُهُ مِنْ قَتْلِي الْخُبَشَ حَتَّى طَابَ لِي وَطَنِي
جَاءَ الْقَضَاءُ بِمَا لَا يُسْتَطَاعُ لَهُ دَفْعُ وَلَا يُشْتَرَى بِأَقْوَمِ بِالْثَمَنِ
مِنْ بَعْدِ مَا جُبْتُ أَحْوَالًا مُصَرَّمَةً قَطَرَ الْبِلَادِ فَلَمْ أَعْجِزْ وَلَمْ أَهِنْ
قَدْ صِرْتُ مَرْتَهَنًا فِي قَاعِ مُظْلِمَةٍ لِلَّهِ دَرِي مِنْ تَارٍ وَمَرْتَهَنَ

اللب الثالث في المراتي

رأه اعزاية لابها

٤٩ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ بِهِ . فَلَمَّا
دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ مُوجِمَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ
رَضِيماً . وَقَدْ نَكَتُ سَرِيماً . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةُ النَّدَى
بِمِيشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّضَارَةِ وَالنَّضَارَةِ وَرَوْتِي الْحِلَاةَ
وَالْتَنَسَمَ فِي طِيبِ رَوَائِحِهَا تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَداً هَامِداً وَرَفَاتاً
سَحِيحاً وَصَمِيداً جُرْزاً . أَيُّ بُنَيَّ قَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالُ الْفَنَاءِ
وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى . وَرَمَيْتَنِي بِمَدِّكَ نَكْبَةً الرَّدَى . أَيُّ بُنَيَّ لَقَدْ
أَسْفَرْتَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ . (ثُمَّ قَالَتْ) : أَيُّ رَبِّ وَمَنْكَ
الْعَدْلُ وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ . وَهَبْتَنِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُخَيِّرْني بِهِ كَثِيراً
بَلَى سَلْبَتِيهِ وَشَيْكَ . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ
وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ . فَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَيَّ مَنْ اسْتَوْدَعْتَهُ
الرَّدَمَ وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَيْسَ وَخَشَتَهُ وَأَسْرُ
سَوَاتِهِ يَوْمَ تَنْكَشِفُ السَّوَاتُ . (فَلَمَّا أَرَادَتْ الرُّجُوعَ إِلَى
أَهْلِهَا وَقَفَتْ عَلَى قَبْرِهِ فَقَالَتْ) : أَيُّ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَرَوَدْتُ لِسَفَرِي
فَلَيْتَ سِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي

أَسَأَلَكَ لَهُ الرِّضَا بِرِضَايَ عَنْهُ. ثُمَّ قَالَتْ: أَسْتَوْدَعُكَ مِنْ أَسْتَوْدَعُكَ
فِي أَحْشَائِي جَنِينًا. وَأَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةِ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَى أُنْسِهِنَّ وَأَشَدَّ
وَحْشَتِهِنَّ. وَأَبْعَدُهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبِهِنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ. فَلَمْ تَرَلْ
تَقُولُ هَذَا وَتَحْوَهُ حَتَّى أَبْكْتَ كُلَّ مَنْ سَمِعَهَا. وَحَمِدَتْ اللَّهَ وَصَلَّتْ
رَكَعَاتٍ عِنْدَ قَبْرِهِ وَأَنْطَلَقَتْ

الاحنف بن قيس والرائية

٥٠. لَمَّا دُفِنَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ بِالْكُوفَةِ قَامَتِ امْرَأَةٌ عَلَى قَبْرِهِ
هَكَالَتْ: لِلَّهِ دَرُكٌ مِنْ حُجْنٍ فِي جَنِّ مُمْدَرَجٍ فِي كَهْنٍ. نَسَأَلُ الَّذِي
فَجَعَلَنَا بِمَوْتِكَ. وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ. أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ. وَدَلِيلَ
الرُّشْدِ دَلِيلَكَ. وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ. وَيَغْفِرَ لَكَ فِي حَشْرِكَ.
فَلَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَاظِلِ شَرِيفًا. وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي
الْحَيِّ مُسَوِّدًا. وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِّدًا. وَلَقَدْ كَانُوا الْقَوْلَكَ مُسْتَمِعِينَ.
وَلَرَأَيْكَ مُتَمِعِينَ. وَأَنْتَ أَهْلُ لِحْسَنِ الثَّنَاءِ وَطِيبِ الْبَقَاءِ. أَمَّا وَالَّذِي
كُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ فِي عِدَّةٍ. وَمِنْ الْحَيَاءِ إِلَى مُدَّةٍ. وَمِنْ الْإِقْدَارِ إِلَى
غَايَةٍ. وَمِنْ الْأَثَارِ إِلَى نِهَايَةٍ. الَّذِي رَفَعَ عَمَّاكَ لَمَّا قَضَى أَجَلَكَ. لَقَدْ
عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا. وَمُتَ سَعِيدًا مَفْقُودًا. ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ وَهِيَ تَقُولُ:
لِلَّهِ دَرُكٌ يَا أَبَا بَجْرٍ مَاذَا تَقِيبَ مِنْكَ فِي الْقَبْرِ
لِلَّهِ دَرُكٌ أَيَّ حَشْوٍ رَى أَصْبَحْتَ مِنْ عُزْفٍ وَمِنْ نُكْرِ

إِنْ كَانَ دَهْرُ فَيْكَ جَدًّا لَنَا حَدَّثْنَا بِهِ وَهَنْتَ قَوَى الصَّبْرِ
 فَلَكُمْ يَدِ اسْدَتَيْهَا وَيَدِ كَانَتْ رَدُّ جَرَارِ الدَّهْرِ
 ثُمَّ انْصَرَفَتْ . فَقَالَ النَّاسُ : مَا سَمِعْنَا كَلَامَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَبْلَغَ وَلَا
 أَصْدَقَ مِنْهُ . فَسُئِلَ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ امْرَأَتُهُ (زهر الآداب القيرواني)
 ٥١ قَالَ أَبُو جِبَالِ الْبَرَاءِ بْنِ رَبِيعٍ الْقُشَيْبِيُّ بِرَّتِي إِخْوَتُهُ :

أَبَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا أَرْجَى حَيَاةٍ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجَزُ
 ثَمَانِيَةَ كَانُوا ذَوَابَّةَ قَوْمِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مَا أَشَاءُ وَأَمْنَعُ
 أَوْلَكَ إِخْوَانُ الصَّمَاءِ رُزْنُهُمْ وَمَا الْكُفُّ إِلَّا إِضْغَعُ ثُمَّ إِضْغَعُ
 لَعَنَكَ إِنِّي بِالْحَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٍ لَمْ يَمُتْ
 وَإِنِّي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي وَلَا ضَارِي فَهَدَانُهُ لَمُتْ
 ٥٢ وَقَالَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيِّ فِي ابْنِ سَعِيدٍ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَا دُخِ
 وَمَا كُنْتُ أَذْرِي مَا قَوَاضِلُ كَهْ عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّمَاخُ
 فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّمَاخُ
 سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ بَقِيَ فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَجُنُّ الْجَوَاخُ
 فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ وَلَا يَسْرُورٌ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ
 كَانَ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ التَّوَانِخُ
 لَنْ حَسَبْتُ فَيْكَ الْمَرَاتِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسَبْتُ مِنْ قَبْلُ فَيْكَ الْمَدَاخُ
 ٥٣ وَقَالَ مَوْلِيكَ الْمَرْمُومُ بِرَّتِي امْرَأَتُهُ أُمُّ الْعَلَاءِ :

أَمْرٌ عَلَى الْجِدَتِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ
 أَنَّى حَلَّتْ وَكُنْتُ جِدَّ فَرْوَةٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مَفْثُودَةٍ
 فَلَقَدْ تَرَكْتُ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً
 فَهَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لَزَامِكِ حُلُوةً
 وَإِذَا سَمِعْتُ أُنِينَهَا فِي لَيْلِهَا
 ٤٤ وَقَالَ أَغْرَابِي بِرَيْي بَيْنَهُ :

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا
 فَبَايْتُ مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ
 وَقَاتَمَنِي تَهْرِي بَنِي مُسَاطِرًا
 فَصَارُوا دِيُونًا لِلْمَنَآيَا وَلَمْ يَكُنْ
 كَانَهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ
 وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخَوْفِ قَبْلَ وَقَلْبِهِمْ
 قَلْبُهُ مَا أَعْطَى وَلِلَّهِ مَا حَوَى
 رَأَى ذُو الْوَرَارَتَيْنِ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَجُلًا مَاتَ مُجْدُومًا :

مَاتَ مَنْ كُنَّا زَاهُ أَبَدًا
 كَانَ مِثْلَ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ
 سَالِمَ الْعَقْلِ سَقِيمَ الْجَسَدِ
 حُسِدَ الدَّهْرِ عَلَيْهِ فَصَدِي

٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ بِرَيْي وَلَدَا لَهُ :

قَصَدَ الْمُنُونُ لَهُ فَمَاتَ قَعِيدًا
 وَمَضَى عَلَى صَرْفِ الْخُطُوبِ حَمِيدًا

بَابِي وَأَتِي هَالِكًا أَفْرَدْتُهُ قَدْ كَانَ فِي كُلِّ الْعُلُومِ قَرِيدًا
سُودُ الْمَقَابِرِ أَصْبَحَتْ بِيضًا بِهِ وَعَدَتْ لَهُ بِيضُ الضَّمَامِ سُودًا
لَمْ تَزُرْهُ لَمَّا رُزِينَا وَحَدَّهُ وَإِنْ اسْتَقَلَّ بِهِ الْمُنُونُ وَحِيدًا
لَكِنْ رُزِينَا أَلْهَمَ بَنَ مُحَمَّدٍ فِي فَضْلِهِ وَالْأَسْوَدَ بَنَ بَرِيدًا
وَأَبْنُ الْمُبَارَكِ فِي الرِّقَاقِ مَعْمَرًا وَأَبْنُ الْمُسَيْبِ فِي الْحَدِيثِ سَعِيدًا
وَالْأَخْشَيْنِ فَصَاحَةٌ وَبَلَاغَةٌ وَالْأَعَشَيْنِ رِوَايَةٌ وَتَشِيدًا
كَانَ الْوَصِيِّ إِذَا أَرَدَتْ وَصِيَّةٌ وَالْمُسْتَفَادَ إِذَا طَلَبَتْ مُفِيدًا
وَلَى حَفِظًا فِي الْأَرْزَمَةِ حَافِظًا وَمَضَى وَدُودًا فِي الْوَرَى مَوْدُودًا
مَا كَانَ مِثْلِي فِي الرِّزِيَةِ وَالِدًا ظَهَرَتْ يَدَاهُ بَيْنَهُ مَوْلُودًا
حَتَّى إِذَا بَدَأَ السَّوَابِقَ فِي الْعُلَى وَالْعَالَمِ ضَمِنَ شِلْوَهُ مَلْحُودًا
يَا مَنْ يُقْنِدُ مِنَ الْبُكَاءِ مَوْلَهَا مَا كَانَ يَسْمَعُ فِي الْبُكَاءِ تَقْنِيدًا
تَأْتِي الْقُلُوبُ الْمُسْتَكْنَةَ لِلْأَمَى مِنْ أَنْ تَكُونَ حِجَارَةً وَحَدِيدًا
إِنَّ الَّذِي بَادَ السَّرُورَ بِمَوْتِهِ مَا كَانَ خُزْنِي بَعْدَهُ لِيَدِيدًا
أَلَانَ لَمَّا أَنْ حَوَيْتَ مَا ثَرَا أَعْيَتْ عُدُوًا فِي الْوَرَى وَحَسُودًا
وَرَأَيْتُ فِيكَ مِنَ الصَّلَاحِ شَمَانًا وَمِنَ السَّمَاكِ دَلَالًا وَشُهُودًا
أَبْكِي عَلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ أَطْرَبَتْ وَجْهَ الصَّبَاحِ وَغَرَدَتْ تَرِيدًا
لَوْلَا الْحَيَا أَتَى أَرْنُ بِيَدَعَةٍ بِمَا يُعَدِّدُهُ الْوَرَى تَقْدِيدًا
لَجَلَّتْ يَوْمِي فِي الْمَلَاخَةِ مَأْتَمًا وَجَعَلَتْ يَوْمَكَ فِي الْمَوْلِدِ عِيدًا
٥٦ قَالَ الشَّمْرَدَلُ بَرْنِي أَخَاهُ حَكَمًا:

يَقُولُونَ أَحْتَسِبُ حَكَمًا وَرَأُوحًا
وَقَبْلَ فِرَاقِهِ أَتَيْتُ أَتِي
أَخِي لَوْ دَعَوْتُ أَجَابَ صَوْتِي
فَقَدْ أَقْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي
مَضَى لِسِيلِهِ لَمْ يُعْطَ ضَمِيمًا
قَتَلْنَا عَنْهُ قَاتِلَهُ وَكُنَّا
قَتِيلًا لَيْسَ مِثْلَ أَخِي إِذَا مَا
وَكُنْتُ سِنَانٌ رُمِحِي مِنْ قَتَائِي
وَكُنْتُ بَنَانٌ كَفَيْ مِنْ يَمِينِي
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا
فَقَدْ أَبَدُوا ضَعْفَانَهُمْ وَشَدُّوا
فِدَاكَ أَخُ نَبَا عَنْهُ غِنَاهُ

٥٧ وَمِنْ رَقِيقٍ مَرَّائِي لَيْدٍ :

وَتَبَقَى الْجِبَالُ بَعْدَنَا وَالْمَصَانِعُ
قَارَقْنِي جَارٌ يَارِبْدُ نَافِعُ
فَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا بِالدَّهْرِ فَاجِعُ
بِهَا يَوْمٌ حَلَّوْهَا وَعَدُّوا بِلَاقِعُ
كَأَجْزَمِ أُخْرَى التَّالِيَاتِ الْمَشَانِعُ
يُحَوِّرُ رِمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاهِطُ

وَمَا أَلْبَسَ إِلَّا مُضْرَاتٍ مِنَ التُّنَى
 أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَأَيْتَ مَنِيَّتِي
 أَخْبَرُ أَخْبَارَ الْفُرُونِ الَّتِي مَضَتْ
 فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَخْلَقَ جَفْنَهُ
 فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنَّةَ مَوْعِدُ
 أَعَازِلُ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيَا
 أَتَجَزَّعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْفَتَى
 لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الصُّوَارِبُ بِالْحَصَى
 ٥٨ لَمَّا تُوُفِّيَ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ قَالَ
 سَعِيدُ بْنُ حَمِيدٍ يَرْثِيهِ :

بِأَيِّ يَدٍ أَسْطَوْ عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَ مَا
 وَهَاضَ جَنَاحِي حَدِيثُ جَلِّ خَطْبُهُ
 وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنْ صُرُوفَهَا
 لَعَمْرِي لَقَدْ غَالَ التَّجَلُّدُ أَتْنَا
 فَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامُ إِلَّا ذَمِيمَةً
 وَلَا لِي مِنْ الْإِخْوَانِ إِلَّا مُكَاشِرُ
 فَقَدْتُ فَتًى قَدْ كَانَ لِلْأَرْضِ زِينَةً
 لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الرَّدَى بِكَ فَاتَنِي
 لَقَدْ أَخَذْتُ مِنِّي التَّوَانِبُ حُكْمَهَا
 وَلَا تَرَكْنِي أَرْهَبُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
 أَبَانُ يَدِي عَضْبُ الذُّبَابَيْنِ قَاضِبُ
 وَسَدَّتْ عَنِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ الْمَذَاهِبُ
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 فَهَذَا نَاكَ فَقَدْ أَلْفَيْتُ وَالْعَامُ جَادِبُ
 وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ بِالْثَّارِ طَالِبُ
 فَوَجَّهُ لَهُ رَاضٍ وَوَجَّهُ مُغَاضِبُ
 كَمَا زَيْتُ وَجْهَ السَّمَاءِ الْكَوَاكِبُ
 وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا إِلَى اللَّهِ ذَلِيلُ
 فَمَا تَرَكْتُ حَقًّا عَلَى التَّوَانِبُ
 لَقَدْ كَلَّ عَنِّي نَابُهُ وَالْخِلَابُ

سَقَى جَدًّا أَمْسَى الْكَرِيمُ ابْنَ صَالِحٍ يُحِلُّ بِهِ دَانَ مِنَ الْأَزْنِ مَسْكِبُ
 إِذَا بَشَرَ الرُّوَادَ بِالْفَيْثِ بَرَقَهُ مَرَّتَهُ الصَّبَا وَاسْتَجَلَّتْهُ الْجَنَابُ
 قَنَادَرِ بَاقِي الدَّهْرِ تَأْيِيرُ صَوْبِهِ رِيَّاسَ زَهَتْ مِنْهُ الرَّبِّي وَالْمَذَانُ
 ٥٩ قَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ يَرَى مَالِكَ بْنَ عَلِيٍّ الْخُرَاصِيَّ وَخَرَجَ عَلَى
 الشَّرَافَةِ لِقَاءَ تِلْكَ فَأَصِيبَ بِهِمْ :

يَا عَيْنَ جُودِي بِالْذُّمِّ مَوْعِ السَّجَامِ عَلَى الْأَمِيرِ الْيَمِينِي أَلْهَامِ
 عَلَى فَتَى الدُّنْيَا وَصَنَدِيذِهَا وَقَارِسِ الدِّينِ وَسَيْفِ الْأَمَامِ
 لَا تَذْخِرِي الدَّمْعَ عَلَى هَالِكِ أَيْتَمَ إِذْ أَوْدَى جَمِيعَ الْأَنَامِ
 طَابَ ثَرَى حُلُوفَانِ إِذْ ضَمِنْتَ عِظَامَهُ سَفِيًّا لَهَا مِنْ عِظَامِ
 أَغْلَقْتَ الْخَيْرَاتُ أَبْوَابَهَا وَامْتَمَعْتَ بِعَدْلِكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَأَصْبَحْتَ خَيْلَكَ بَعْدَ الْوَجَى وَالْقَرَّ تَشْكُومُنَا طُولَ الْحِمَامِ
 إِزْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكِ كَيْمَا نُحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ
 كَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ غِنَى عَنِ النَّجْرِ وَصَوْبِ الْغَنَامِ
 وَكَانَ فِي الصَّنَجِ كَتَمْسِ الصُّمَى وَكَانَ فِي اللَّيْلِ كَبْدَرِ الظَّلَامِ
 وَسَائِلُ يَنْجِبُ مِنْ مَوْتِهِ وَقَدْ رَأَاهُ وَهُوَ صَبُّ الْمَرَامِ
 قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُعَلَّمًا يَضْرِبُهُمْ عِنْدَ أَرْتِقَاعِ الْقَتَامِ
 وَالْحَرْبُ مِنْ طَارَ لَهَا لَمْ يَكْدُ يَفْلِتُ مِنْ وَقْعِ صَقِيلِ الْحَسَامِ
 لَمْ يَنْظُرِ الدَّهْرُ لَنَا إِذْ عَدَا عَلَى رَيْعِ النَّاسِ فِي كُلِّ عَامِ
 لَنْ يَسْتَقِيلُوا أَبَدًا قَدَّهُ مَا هَيَّجَ الشَّجْوُ دُعَاهُ الْحِمَامِ

٦٠ وَقَالَ أَيْضًا بَرِّيهِ :

يَا حَفْرَةَ صَمْتٍ تَحَاسِنَ مَالِكٍ مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ
لَهْفِي عَلَى الْبَطْلِ الْمَرَضِ خَدَهُ وَجِينَهُ لِأَيِّنَةِ الْقُرْسَانِ
خَرَقَ الْكُتَيْبَةَ مُعَلِّمًا مُتَكَبِّرًا وَالْمَرْهَقَاتُ عَلَيْهِ كَالثِيرَانِ
فَهَبَتْ بِشَاشَةٍ كُلِّ شَيْءٍ بَعْدَهُ فَلِلْأَرْضِ مُوَحِّشَةٌ بِلَا عُمُرَانِ
هَدَمَ الشَّرَاةُ غَدَاةَ مَصْرَعِ مَالِكٍ شَرَفَ أَلْمَلَا وَمَكَارِمِ الْبَلْبَانِ
قَتَلُوا قَتَى الْعَرَبِ الَّذِي كَانَتْ بِهِ تَقْوَى عَلَى اللَّزَبَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
حَرَمُوا مَعْدًا مَا لَدَيْهِ وَأَوْقَعُوا عَصِيَّةً فِي قَلْبِ كُلِّ يَمَانٍ
رَكُوهُ فِي رَهْجِ الْعِجَاجِ كَأَنَّهُ أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِ وَبَنَانٍ
هَوَتْ الْجُدُودُ عَنِ السُّعُودِ لِفَقْدِهِ وَتَمَسَّكَتْ بِالنَّخَسِ وَالْأَبْرَانِ
لَا يُبْعِدَنَّ أَخُو خِرَاعَةٍ إِذْ قَوَى مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَانِ
عَزَّ النُّوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَّةٌ مَحَبَّةً بِمَحَابِقِ الْإِيمَانِ
وَبَكَاهُ مُضْحِكُهُ وَصَدَّرَ حُسَامِيهِ وَالْمُسْلِمُونَ وَدَوْلَةُ السُّلْطَانِ
وَعَدَّتْ تَقَرُّ خَيْلُهُ وَتَقَسَّمَتْ أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ الْأَبْدَانِ
أَفْتَحَهُ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ بَيْنَ كَانَ الْعَجِيرَ لَنَا مِنَ الْحِدَنَانِ

٦١ قَالَ بِهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِي بَرِّي وَالِدَهُ :

قِفْ بِالطُّلُولِ وَسَلَامًا أَيْنَ سَلَامَهَا وَرَوْ مِنْ جُرْعِ الْأَجْفَانِ رِيَاهَا
وَرَدِّدِ الطَّرْفِ فِي أَطْرَافِ سَاحَتِهَا وَرَوْحِ الرُّوحِ مِنْ أَرْوَاحِ أَرْجَاهَا
وَإِنْ يَفْتَكُ مِنَ الْأَطْلَالِ خَبْرُهَا فَلَا يَفُوتُكَ مَرَاهَا وَرِيَاهَا

رُبُّوعُ فَضْلٍ يُضَاهِي التَّبَرُّ زُرْبَتَهَا
 عَدَا عَلَى جِرَّةٍ حُلُوا بِسَاحَتِهَا
 بُدُورٌ تَحْمِي عَمَامُ الْمَوْتِ جَلَّلَهَا
 فَالْمَجْدُ يَبْكِي عَلَيْهَا جَازِعًا أَيْسَا
 يَا حَبْدًا أَرْمَنُ فِي ظِلِّهِمْ سَلَقْتُ
 أَوْقَاتِ أَنْسٍ فَضَيْنَاهَا فَمَا ذُكِرْتُ
 يَا سَادَةَ هَجَرُوا وَاسْتَوْطَنُوا هَجَرًا
 رَعِيًا لَّيَالٍ وَضَلَّ بِالْحَمَى سَلَقْتُ
 لِقَدِّكُمْ شَوْجِيبُ الْمَجْدِ وَأَنْصَدْتُ
 وَخَرَّ مِنْ شَانِخَاتِ الْعِلْمِ أَرْقَعَهَا
 يَا نَاوِيَا بِالْمَصَلَى مِنْ قَرَى هَجَرٍ
 أَقَمْتُ يَا بَحْرُ بِالْبَحْرَيْنِ فَاجْتَمَعْتُ
 ثَلَاثَةٌ أَنْتَ أَسَدَاهَا وَأَغْزَرُهَا
 حَوَيْتَ مِنْ دُرَرِ الْحُلِيَاءِ مَا حَوَى
 يَا أَخْصَا وَطِئْتَ هَامَ السَّهَى شَرَفًا
 وَيَا ضَرْبِيحًا عَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَا
 فِيكَ أَنْطَوَى مِنْ شُمُوسِ الْفَضْلِ أَخْرَمَهَا
 وَمِنْ شَوَائِخِ أَطْوَادِ الْقُسُوفِ أَرْ
 فَانْتَحَبَ عَلَى الْهَلَاكِ الْعُلُويِّ ذَيْلُ عَلَا
 وَدَارُ أَنْسٍ يُحَاكِي الدَّرَّ حَصْبَاهَا
 صَرَفُ الزَّمَانِ فَأَبْلَاهُمْ وَأَبْلَاهَا
 شُمُوسُ فَضْلٍ سَحَابُ الثَّرْبِ غَشَاهَا
 وَالَّذِينَ يَنْدُبُهَا وَالْفَضْلُ يَنْعَاهَا
 مَا كَانَ أَقْصَرَهَا عُمرًا وَأَحْلَاهَا
 إِلَّا وَقَطَعَ قَلْبُ الصَّبِّ ذِكْرَهَا
 وَهِيَ لِقَلْبِ الْمُغْنَى بَعْدَكُمْ وَهِيَ
 سَقِيًا لِأَيَّامِنَا بِالْخَيْفِ سَقِيَاهَا
 أَرْكَانُهُ وَبِكُمْ مَا كَانَ أَقْوَاهَا
 وَأَنْهَدَ مِنْ بَانِخَاتِ الْحِلْمِ أَرْسَاهَا
 كَسَيْتَ مِنْ حُلَلِ الرُّضْوَانِ أَرْضَاهَا
 ثَلَاثَةٌ كُنَّا أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
 جُودًا وَأَعْذِبُهَا طَعْمًا وَأَحْلَاهَا
 لَكِنَّ دَرَكَ أَعْلَاهَا وَأَغْلَاهَا
 سَقَاكَ مِنْ دِيمِ الْوَسْمِيِّ أَسْمَاهَا
 عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَرْكَاهَا
 وَمِنْ مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ أَسْنَاهَا
 سَاهَا وَأَرْقَعَهَا قَدْرًا وَأَنْهَاهَا
 هَذِهِ حَوَيْتَ مِنَ الْعُلِيَاءِ أَعْلَاهَا

عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا صَدَحْتَ عَلَى عُصُونِ أَرَاكِ الدَّوْحَ وَرَفَاَهَا
٦٢ قَالَ أَبُو فِرَاسٍ الْحَمْدَانِي يُرِثِي جَابِرَ بْنَ نَاصِرٍ الدِّينِي:

أَلْفَكُرُ فِيكَ مُقَصَّرُ الْأَمَالِ وَالْحِرْصُ بَعْدَكَ غَايَةُ الْجَمَالِ
لَوْ كَانَ يَخْلُدُ بِالْفَضَائِلِ فَاضِلٌ وَصَلَتْ لَكَ الْأَجَالُ بِالْأَجَالِ
لَوْ كُنْتَ تُفْدِي لَأَقْدَنْتَكَ سَرَاتِنَا بِفَانِسِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَمْوَالِ
أَوْ كَانَ يَدْفَعُ عَنْكَ بَأْسُ أَقْبَلَتْ صَرَعًا تَكْدُسُ بِالنَّفَا الْعَسَالِ
أَعَزَّ عَلَى سَادَاتِ قَوْمِكَ أَنْ تُرَى فَوْقَ الْهَرَّاشِ مُقَلَّبَ الْأَوْصَالِ
وَأَسْمَرُ عِنْدَكَ لَمْ تَرَقَّ صُدُورُهَا وَالْحَيْلُ وَاقِفَةٌ عَلَى الْأَطْلَالِ
وَأَلْسِنَاتُ مَصُونَةٌ لَمْ تُبْتَذَلْ وَأَلْيَضُ سَالِمَةٌ مَعَ الْأَبْطَالِ
وَإِذَا النِّيَّةُ أَقْبَلَتْ لَمْ يَنْبَهَا حِرْصُ الْحَرِيسِ وَحِيلَةُ الْفُحَّالِ
مَا لِلْخُطُوبِ وَمَا لِأَحْدَاثِ النَّوَى أَتَجَلَّنَ جَابِرُ غَايَةَ الْإِنْعَجَالِ
لَمَّا تَسَرَّبَلْ بِالْفَضَائِلِ وَارْتَدَى بَرْدَ الْعُلَى وَاعْتَمَّ بِالْإِقْبَالِ
وَتَشَاهَدَتْ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِفَضْلِهِ وَآرَى الْمُكَارِمَ مِنْ مَكَانٍ عَالِ
أَبَا الْمُرْجِي غَيْرُ خُرْنِي دَارِسُ أَبَدًا عَلَيْكَ وَغَيْرُ قَلْبِي سَالِ
وَلَنْ هَلَكَتْ قَمَا الْوَفَاءُ بِهَا لِكَ وَلَنْ يُلَيْتَ قَمَا الْوَدَادُ بِهَا لِ
لَا زِلْتُ مَعْدُوقَ الثَّرَى مَطْرُوقَهُ بِسَحَابَةٍ تَجْرُورَةُ الْأَذْيَالِ
وَحُجِبَ عَنْكَ السَّيَّاتُ وَلَمْ يَزَلْ لَكَ صَاحِبٌ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ
٦٣ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مُعَبِّدٍ تَرِثِي خَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ:

أَأُمِّمِ هِيَّاتِ الصَّبَا ذَهَبَ الصَّبَا وَأَطَارَ عَنِّي الْحِلْمَ جَهْلُ غَرَابِي

أَتَى الْأَلَى بِالْأَمْسِ كَانُوا حَبِيرَةً أَمْسُوا دَفِينِ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ
مَاتُوا وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ بِحِيلَةٍ لَأَحَدْتُ صَرْفَ الْمَوْتِ عَنْ أَحِبَائِي
مَا حِيلَتِي إِلَّا أَلْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ إِنَّ أَلْبُكَاءَ سِلَاحٌ كُلُّ مُصَابِ
٦٤ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ يَرَى أَخَاهُ عُمَرَ :

أَلَا تَوَهَّ الدَّاعِيَ بَلِيلٍ فَأَسْمَعَا مَجْرَقَ كَرِيمٍ كَانَ فِي النَّاسِ أَرْوَعَا
مَضَى صَاحِبِي وَأَسْتَقْبَلَ الدَّغْرُ صَرْعِي وَلَا بُدَّ أَنْ أَلْقَى حِمَامِي فَأَصْرَعَا
كَانَ لَمْ نَكُنْ يَا عَمْرُو فِي دَارِ غِبْطَةٍ جَمِيعًا وَلَمْ تَشْرَعْ إِلَى مَوْعِدِ مَمَّا
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تَرِيدُكَ لَمْ تَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدَقَمًا
فَلَمْ يَبْلُ ذِكْرُكَ مِنْكَ كُنْتَ تُجِدُهُ جَمِيلٌ وَلَكِنَّ أَلَيْسَ فِيكَ أَسْرَعَا
وَمَا دَنَسَ الثُّوبُ الَّذِي رَوَّدُوكَ وَإِنْ خَانَهُ رَبُّ أَلَيْسَ فَتَقَطَّمَا
وَطَابَ ثَرَى أَصْبَحَتْ فِيهِ وَإِنَّمَا يَطِيبُ إِذَا كَانَ الثَّرَى لَكَ مَضْجَمًا
٦٥ أَنشَدَ مَخْرُزُ بْنُ عُلْقَمَةَ يَرَى أَخَاهُ شَرِيكَ :

لَقَدْ وَارَى الْمُقَابِرُ مِنْ شَرِيكِ كَثِيرُ تَكْرُمٍ وَقَلِيلُ عَابِ
بِهِ كُنَّا نَصُولُ عَلَى الْأَعَادِي وَنَدْفَعُ مِرَّةَ الْقَوْمِ الْغَضَابِ
صُمُوتٌ فِي الْمَجَالِسِ غَيْرُ عِيٍّ جَدِيدٌ حِينَ يَنْطِقُ بِالصَّوَابِ
كَرِيمٌ الْخَلْقِ لَا طَيْعُ عَيْنٍ وَلَا قَحَاشَةٌ تَرْقُ السَّبَابِ
كَرِيمٌ مُوَاطِنُ الْأَحْسَابِ عَفٌّ إِذَا الضَّلِيلُ مَالَ بِهِ التَّصَايِ
دَلُوفٌ بِالْقَرَى وَاللَّيْلُ قَرٌّ إِلَى الْمُسْتَعِينِ ذُرَى الرِّكَابِ

٦٦ وَقَالَ الْأَبَرْدُ الْيَرْبُوعِيُّ يَرَى أَخَاهُ بُرَيْدًا وَتُرَى لِسَلْمَةَ الْجَنْفِي :

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ الْوُحَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا اتَّجَلَّدُ وَالصَّبْرُ
أَمَّا تَعْلِمِينَ أَجْبَرَ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَتَوَاهِ الْقَبْرِ
فَتَى كَانَ يَدِينَهُ النَّفْسُ مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَقْنَى وَيُعِيدُهُ الْقَفْرِ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السَّيْفَ فِي الْحَرْبِ حَتَّى إِذَا هَتَفَ الدَّاعِي وَيَشْقَى بِهِ الْجُزْرُ
وَسَخَى بِنَفْسِي أَنِّي سَوْفَ أَعْتَدِي عَلَى إِثْرِهِ يَوْمًا وَإِنْ نَفْسُ الْعَمْرِ
٦٧ وَقَالَ أَيُّضًا فِيهِ :

تَطَاوَلَ لَيْلِي لَمْ أَتَمَّ تَقَلُّبًا كَانَ فِرَاشِي حَالٍ مِنْ دُونِهِ الْجَمْرُ
فَإِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا فَهَذَانِ مَنِي فِي تَذَكُّرِهِ الْمَذْرُ
أَحْمًا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لَاقِيَا بِرَيْدِ أَطْوَالِ الدَّهْرِ مَا لَآلَا الْقَفْرِ
فَتَى إِنْ هُوَ اسْتَقْنَى يُخْرِقُ فِي النَّفْسِ فَإِنْ قَلَّ مَا لَا لَا يُودِّبُهُ الْقَفْرِ
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فِي النَّاسِ بَاقِيَا وَكُنْتُ أَنَا أَلَيْتَ الَّذِي غَيَّبَ الْقَبْرِ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ النِّسَاءِ بِمَالِهِ إِذَا السَّنَةُ الشَّهَابُ قَلَّ بِهَا الْقَطْرُ
كَأَنَّ لَمْ يُصَاحِبْنَا بِرَيْدٍ يُبْطِلُهُ وَلَمْ تَأْتِنَا يَوْمًا بِأَخْبَارِهِ السَّفَرِ
وَلَا نَمَى النَّاسُ بِرَيْدٍ تَمَوَّلَتْ فِي الْأَرْضِ قُرْطُ الْحَزْنِ وَاقْطَعَ الظُّهْرِ
عَسَاكَ تَشْقَى النَّفْسُ حَتَّى كَأَنِّي أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْحَزْرِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فِي بَرِيدٍ مُصِيبَتِي وَبَنِي أَخْرَانَا تَضَمَّنَهَا الصَّدْرُ
٦٨ قَالَتْ الْحُسَيْنَةُ تَرَى أَخَاهَا صَغِيرًا :

قَدْ دَى بِمَيْنِكَ أُمُّ بِالْمَيْنِ عَوَارُ أُمُّ أَقْفَرَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ فَيَضُ يَسِيلُ عَلَى الْحَدَيْنِ مِدْرَارُ

تَبْكِي خُنَّاسٌ عَلَى صَخْرٍ وَحَقَّ لَهَا
لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْحِهَا غَيْرُ
يَا صَخْرُ وَارِدَ مَاءٌ قَدْ تَوَارَدَهُ
وَإِنَّ صَخْرًا حَلَامِينَا وَسِيدُنَا
وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ
لَمْ تَرَهُ جَارَةً يَمْشِي بِسَاحَتِهَا
مِثْلُ الرُّدْنِيِّ لَمْ تَقْدِ شَيْئَتُهُ
طَلَقُ الْيَدَيْنِ يَفْعَلُ الْخَيْرَ مُعْتَمِدٌ
٦٩ وَقَالَتْ أَيْضًا:

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
٧٠ قَالَ الْمُتَمِّمُ يَرَى أَخَاهُ مَا لَكَ:

أَعْيَنِي جُودِي بِالْذُّمِّ لِمَالِكَ
فَتَى كَانَ مِقْدَامًا إِلَى الرُّوعِ رَكْضُهُ
أَبِي الصَّبْرِ آيَاتُ أَرَاهَا وَإِنِّي
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِأَسْمِكَ لَا تُجِيبُ
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَمًا قَبْرُ مَا لَكَ
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ فَرْقَنَ بَيْنَنَا
إِذَا ذَرَبَ الرِّيحُ الْكَثِيفَ الْمَرْبَا
سَرِيحًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا
أَرَى كُلَّ حَبْلٍ دُونَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
وَكُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسَمَّا
يُذْهَبُ الْغَوَادِي الْمُنْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا
فَقَدْ بَانَ مُحَمَّدًا أَخِي يَوْمَ وَدَعَا

وَعَشْنَا مَجْزِي فِي الْحَيَاةِ وَقَبَلْنَا
 فَتًى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ
 تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمَرِيِّ مَا لَكَ بَعْدَ مَا
 قُتِلْتُ لِمَا طَوَّلَ الْأِسَاءَةَ سَاءَ بِي
 ٧١ قَالَ زُهَيْرٌ بَرِّتِي بَعْضَ مَنْ يَبْغِ عَلَيَّ :
 أَصَابَ الْمُنَايَا رَهْطُ كِسْرَى وَتُبَا

أَرَاكَ هَجْرَتِي هَجْرًا طَوِيلًا
 عَمِدَتُكَ لَا تَطِيقُ الصَّبْرَ عَنِّي
 وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
 وَكَيْفَ تَغَيَّرْتَ بِلَكَ السَّجَايَا
 وَمَا وَاللَّهِ مَا حَاوَلْتَ عَذْرًا
 وَمَا فَارَقْتَنِي طَوْعًا وَلَكِنْ
 قِيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحي
 وَلَيْتَكَ لَوْ بَقِيتَ لِضَنْفِ حَالِي
 يَمِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي
 خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي
 لَقَدْ عَجَلْتُ عَلَيْكَ يَدُ الْمُنَايَا
 قَوَا أَسْفِي لِحْسَمِكَ كَيْفَ يَبْلِي
 وَمَا لِي أَدْعِي أُنِّي وَفِي
 تَمُوتُ وَمَا أَمُوتُ عَلَيْكَ حُزْنًا
 وَيَا حَجَلِي إِذَا قَالُوا حُبُّ
 وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّا
 أَرَاكَ قَدِيمًا نَاعِمَ الْوَجْهِ أَفْرَمَا
 وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَمَا

وَمَا عَوَّدْتَنِي مِنْ قَبْلُ ذَاكَ
 وَتَعْصِي فِي وَدَادِي مَنْ نَهَاكَ
 وَمَنْ هَذَا الَّذِي عَنِّي ثَنَاكَ
 فَكُلُّ النَّاسِ يَنْدُرُ مَا خَلَاكَ
 دَهَاكَ مِنَ النِّيَّةِ مَا دَهَاكَ
 وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحي أَنْفَكَ
 وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِدَاكَ
 أَقْتَسُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكَ
 وَلَيْسَ بَزَالُ غُثُومًا هُنَاكَ
 وَمَا اسْتَوَيْتَ حَظَّكَ مِنْ صَبَاكَ
 وَيَذْهَبُ بَعْدَ بَهْجَتِهِ سَنَاكَ
 وَلَسْتُ مُشَارِكًا لَكَ فِي بِلَاكَ
 وَحَقِّ هَوَاكَ خُتْمَكَ فِي هَوَاكَ
 وَلَمْ أَنْفَعَكَ فِي خَطْبِ أَمَّاكَ

أَرَى الْبَاكِينَ فِيكَ مَعِيَ كَثِيرًا وَلَيْسَ كَمَنْ بَكَى مِنْ قَدْ تَبَاكَى
وَيَا مَنْ قَدْ نَوَى سَفَرًا بَعِيدًا مَتَى قُلْ لِي رُجُوعُكَ مِنْ تَوَاكَى
جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ خَيْرٍ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ عَنِّي حَزَاكَى
فَيَا قَبْرَ الْحَبِيبِ وَدِدْتُ أَنِّي حَمَلْتُ وَلَوْ عَلَى عَنِّي ثَرَاكَى
سَقَاكَ أَلْتَيْتُ تَهْنَأًا وَإِلَّا فَحَسْبُكَ مِنْ دُمُوعِي مَا سَقَاكَى
وَلَا زَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي يُزْفُ عَلَى النَّسِيمِ إِلَى ذَرَاكَى
٧٢ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ مِنْ رَأَاهُ فِي بَنِي أُمَيَّةَ:

بَكَيْتُ وَمَاذَا يَرُدُّ الْبُكَاءَ وَقَلَّ الْبُكَاءُ لِقَتْلَى كَدَا
أَصِيبُوا مِمَّا قَتَلُوا مِمَّا كَذَلِكَ كَانُوا مِمَّا فِي رَجَا
بَكَيْتُ لَهُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمْ نُجُومُ السَّمَاءِ
وَكَانُوا ضِيَاءِي فَلَمَّا انْقَضَى زَمَانِي يَقُومِي تَوَلَّى الضِّيَاءِ
٧٣ وَقَالَ فِيهِمْ أَيْضًا وَتَرَوْنِي هَذِهِ الْأَيَّامُ لِلْمَلِكِي:

أَفَاضَ الْمَدَامِ قَتْلَى كَدَا وَقَتْلَى بِكُشُوءَةٍ لَمْ تَرَمَسِ
وَقَتْلَى بَوَجٍ وَبِالْأَلْبَتِينَ يَثْرِبُ هُمْ خَيْرٌ مِمَّا أَنْفَسِ
وَبِالْزَائِبِينَ نَفُوسُ تَوْتُ وَأُخْرَى يَنْهَرُ أَيُّ فُطْرُسِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَنَاخَتْ بِهِمْ تَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَمَسِ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الرَّاكِبِينَ وَإِنْ جَلَسُوا زَيْنَةُ الْمَجْلِسِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لِزَيْبِ الزَّمَانِ وَهُمْ لَصَفُوا الرَّغْمَ بِالْمِطْسِ
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ قَتْلَاهُمْ وَلَا عَاشَ بَعْدَهُمْ مَنْ نَسِي

٧٤ كَانَ لِابْنِ عَمَارٍ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ مَعْنٌ قَالَتْ قَالَتْ يَرْثِيهِ :

يَا مَوْتُ مَا لَكَ مُوَلِّمًا ضِرَارِي إِنِّي عَلَيْكَ وَإِنْ صَبَرْتُ لَزَارِي
تَعْدُو عَلَيَّ كَمَا تَنِي لَكَ وَارِثُ وَأَوَّلُ مِنْكَ كَمَا يَوَلُّ فِرَارِي
نَفْسُ الْبَعِيدِ إِذَا أَرَدَتْ قَرِيبَةً لَيْسَتْ بِبَاجِيَةٍ مَعَ الْأَقْدَارِ
وَالْمُرْسُوفِ وَإِنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ يَوْمًا يَصِيرُ لِحَفْرَةِ الْحَقَارِ
لَمَّا عَلَا عَظْمِي بِهِ فَكَانَهُ مِنْ حُسْنِ بَلِيَّتِهِ قَضِيبُ نُضَارِ
فَجَبَّتَنِي بِأَعْزَى أَهْلِي كُلِّهِمْ تَعْدُو عَلَيْهِ عِدْوَةً الْجَبَّارِ
هَلَا بِنَفْسِي أَوْ بِبَعْضِ قَرَابَتِي أَوْقَعْتَ أَوْ مَا كُنْتَ بِالْفَخْرَارِ
وَرَزَّكَ رَبِّي أَلَّتِي مِنْ أَهْلِكَ عَفْتُ الْجِهَادَ وَصَرْتُ فِي الْأَمْصَارِ

٧٥ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ تَرْثِي أَبَاهَا وَأَخَوَيْهَا :

مَنْ حَسَّ إِلَى الْأَخْوَانِ كَالْغُضَنِينِ أَوْ مَنْ رَاهَا
قَرْمَانٍ لَا يَنْظُرُ إِلَّا نِ وَلَا يُرَامُ جِهَاها
وَيَلِي عَلَى أَبِي وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُفُو لِ وَلَا قَتَى كَفَنَاهَا

٧٦ قَالَ أَعْرَابِي تَرْثِي أَبْنَهُ وَكَانَ وَقَعَ صَرِيحًا فِي الْحَرْبِ :

حُسَيْنٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِذْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُحْلِيهَا
نَمَى النَّمَاةُ حُسَيْنًا لِي قُلْتُ لَهُمْ مَا لَبِثْنَا الْأَرْضَ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا
الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَمَا نَا مِنْ صَنِيعَتِهِ مَا كُلُّ آلَانِهِ يَا قَوْمُ أَحْصِيهَا
تَرَوِي الرِّمَاحَ بِأَيْدِينَا قُودَرُهَا بِيضًا وَتُصْدِرُهَا حُمْرًا أَعَالِيهَا

لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَأَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ فَأَنْجَابَتْ بَيْنَ فِيهَا
لَا أَصْلَحَ اللَّهُ مِنَّا مَنْ يُصَالِحُكُمْ مَا لَاحَتِ الشَّمْسُ فِي أَعْلَى تَجَارِيهَا

رثاء مشاهير العرب

٧٧ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيُّ فِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ :

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَّتْكَ الْغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ خُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّامَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَرْتَعًا
بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودُ وَالْجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِفْتُ حَتَّى تَصْدَعًا
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّلْبِ حِجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٍ مَضَى الْجُودُ فَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عِرْنَيْنُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

٧٨ قَالَ ثَابِتُ بْنُ هَارُونَ الرَّقِّيُّ النَّصْرَانِيُّ يَرْثِي أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ :

الْدَّهْرُ أَخْبْتُ وَالْإِلَهِي أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَعِيشَ لِأَهْلِهِا يَا أَحْمَدُ
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ نَفِيسَهَا بَخْلًا بِمِثْلِكَ وَالنَّفَاسُ تُقْصَدُ
ذُقْتَ الْكَرِيهَةَ بَنَةً وَقَصَدْتُهَا وَكَرِهْتُ قَدِيدَكَ فِي الْوَرَى لَا يُفْقَدُ
قُلْ لِي إِنْ أَسْطَعْتَ الْخُطَابَ فَإِنِّي صَبُّ الْغَوَادِ إِلَى خُطَابِكَ مُكْبَدُ
أَتَرَكْتَ بَعْدَكَ شَاعِرًا وَاللَّهُ لَا لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ فِي الْوَرَى مَنْ يُشَدُّ
أَمَّا الْعُلُومُ فَإِنَّهَا يَا رَبِّهَا تَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمَعٍ لَا تَجْمَدُ
٧٩ وَرثاه أيضا أبو القاسم الطغرثي علي الكتاب :

لَا رَعَى اللَّهُ سِرْبَ هَذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يَرَى لِيَكُنَّ الزَّمَانُ
 مَكَانَ مَنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءِ ذِي سُلْطَانٍ
 كَانَ فِي لَفْظِهِ نَبِيًّا وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجَزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
 ٨٠ لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيِّ مِنَ الرِّقَصِ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ:
 وَلَيْسَ صَرِيدُ النَّشْ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصِفُ
 وَلَيْسَ قَتِيقُ الْمَسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخُفِّ
 وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

الْيَوْمَ مَاتَ نِظَامُ الْمَلِكِ وَاللَّسَنِ وَمَاتَ مَنْ كَانَ يُسْتَعْدَى عَلَى الزَّمَنِ
 وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْأَدَابِ وَأَخْجَبَتْ شَمْسُ الْمَكَارِمِ فِي غَيْمٍ مِنَ الْكُفَنِ
 ٨١ قَالَ جَرِيْرُ بَرِّيِّ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِ هَلْجَةِ الذِّكْرِ فَمَا لِدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرُ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَى شِمَائِلَهُ غَيْرَاهُ مَلْحُودَةٌ فِي جُوهَا زُورُ
 أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
 كَانُوا شُهُودًا فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحُ وَلَا عُمَرُ
 وَخَالِدٌ لَوْ أَرَادَ الدَّهْرُ فِدْيَتَهُ أَغْلَوْا مُحَاطَرَةً لَوْ يَنْفَعُ الْخَطَرُ
 قَدْ شَفَّنِي رَوْعَةُ الْعَبَاسِ مِنْ قَرْعٍ لَمَّا أَتَاهُ بِدْرِ الْقَسْطِلِ الْخَبَرُ
 ٨٢ قَالَ الشُّبْرَاوِيُّ بِرِّيِّ الْعَلَامَةِ الْعَبَّادِيِّ :

يَا طَالِبَا رَاحَةٍ مِنْ دَهْرِهِ عَيْشًا أَقْصِرْ فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا بِالْمُؤْمِ مِلِي
 كَمْ مَنْظَرٍ رَاقٍ أَقْتَتَ جَمَالَهُ يَدُ الْمُتَوَنِّ وَأَعْيَتْهُ عَنْ الْحِيلِ

وَكَمْ هُمَامٍ وَكَمْ قَرَمٍ وَكَمْ مَلَكٍ
وَكَمْ إِمَامٍ إِلَيْهِ تَنْهِي دَوْلُ
وَكَمْ عَزِيْزٍ أَذْنُهُ الْمُنُونُ وَمَا
يَا عَارِفًا دَهْرُهُ يَكْنِيكَ مَعْرِفَةٌ
هَلْ فِي زَمَانِكَ أَوْ مِنْ قَبْلِهِ سَمِعْتَ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَنَسًا قَدْ عَلَا وَعُلُوًّا
أَوْ هَلْ نَسِيتَ لِدَوَالِ الْمَوْتِ أَوْعِيَّتَ
وَهَلْ رَعَى الْمَوْتُ ذَا عِزٍّ لِعِزَّتِهِ
الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ
وَلَيْسَ قَسْدُ إِمَامٍ عَالِمٍ عِلْمٍ
وَلَيْسَ مَوْتُ الَّذِي مَاتَ لَهُ أُمَمٌ
لِأَجْلِ ذَا طَالَ مِنَ التَّوْحُ وَأَتَحَدَّرَتْ
عَلَى إِمَامٍ هُمَامٍ فَاضِلٍ قَطَنِ
لَهُ يَدُ وَرَدَتْ بِحَرِّ الْمُدَى وَرَوَتْ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَالِيفٍ بِجَوْهَرِهَا
٨٣ قَالَ الْبُزْجِيُّ بْنُ مُعِينَةَ الْمُقَرَّبِيُّ يَرَى الْكِسَاوِيَّ وَ مُحَمَّدَ بْنَ
الْحَسَنِ وَكَانَا قَدْ خَرَجْنَا مَعَ الرَّشِيدِ إِلَى خُرَاسَانَ فَأَتَانِي الطَّرِيقُ :
تَصَرَّمَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ خُلُودُ وَمَا قَدْ تَرَى مِنْ بَهْجَةِ سَيِّدُ
سَيِّفِيكَ مَا أَفْنَى الْعُرُونُ الَّتِي خَلَّتْ فَكُنْ مُسْتَعِدًّا فَأَلْقَاهُ عَتِيدُ

أَسَيْتُ عَلَى قَاضِي الْفَضَاءِ مُحَمَّدٍ فَأَذَرْتُ دَمْعِي وَالْقَوَادِعِيدُ
وَقُلْتُ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَشْكَلَ مِنْ لَنَا بِإِضَاحِهِ يَوْمًا وَأَنْتَ قَعِيدُ
وَأَقْلَمْتَنِي مَوْتَ الْكِسَاوِيِّ بَعْدَهُ وَكَادَتْ بِي الْأَرْضُ الْفَضَاءُ تَمِيدُ
وَأَذْهَلَنِي عَنْ كُلِّ عَيْشٍ وَلَذَّةٍ وَأَرَقَ عَيْنِي وَالْعُيُونُ هُجُودُ
هَما عَالِمَانِ أَوْدِيَا وَتَحْرَمَا وَمَا لُهُمَا فِي الْعَالَمِينَ نَدِيدُ
فَحَزَنِي إِنْ تَخْطُرُ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَةٌ بِذِكْرِهَا حَتَّى الْمَمَاتِ جَدِيدُ
٨٤ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْمَتَاهَةِ يَرَى الْأَصْمَعِي:

أَسَيْتُ لِقَعْدِ الْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ مَضَى حَمِيدًا لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمُ
تَقَضَّتْ بِشَاشَاتُ الْحُجَالِسِ بَعْدَهُ وَودَعْنَا إِذْ وَدَعَ الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
وَقَدْ كَانَ نَجْمُ الْعِلْمِ فِينَا حَيَاتُهُ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَفَلُ النُّجُومِ
٨٥ قَالَ الْمُتَعَمِّدُ يَرَى أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَسَى عَرَانِي كَوَقْعِ الْأَسَلِ
عَلَى رَجُلٍ أَرْوَعَ يَرَى مِنْهُ فَضْلُ الْوَجَلِ
شِهَابُ خَبَا وَقَدْهُ وَعَارِضُ غَيْثٍ أَفَلِ
شَكْتُ دَوْلَتِي فَهَدَهُ وَكَانَ يَزِينُ الدُّوَلِ

٨٦ قَالَ الشَّهَابُ النَّصُورِيُّ يَرَى الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ الشُّوْطِي:

مَاتَ الْكَمَالُ فَهَالُوا وَلَّى الْحُجَّى وَالْجَلَالَ
قَلْعُيُونُ بَكَاءُ وَلِلدُّمُوعِ انْهِمَالَ
وَفِي فُؤَادِي حُزْنٌ وَلَوْعَةٌ لَا تَرَالُ

لِلَّهِ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَارْتُهُ تِلْكَ الرِّمَالُ
بِكَيِّ الرِّشَادُ عَلَيْهِ دَمًا وَسِرُّ الضَّلَالُ
قَدْ لَاحَ فِي الْخَيْرِ نَقْصٌ لَمَّا مَضَى وَاخْتِلَالُ
وَكَيْفَ لَمْ تَرَ نَقْصًا وَقَدْ تَوَلَّى الْكَمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتُ تَرُولٍ مِنْهَا الْجِبَالُ
يَقْبِرُهُ الْعِلْمُ نَاوٍ وَالْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ

٨٧ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُعَبِّدٍ يَرْثِي يَحْيَى بْنَ مُعِينٍ:

لَقَدْ عَظَمْتَ فِي الْمُسْلِمِينَ رِزِيَّةً غَدَاةَ نَعْيِ النَّاعُونَ يَحْيَى فَاسْتَمِعُوا
فَقَالُوا وَإِنَّا قَدْ دَفَنَاهُ فِي الثَّرَى فَكَادَ فَوَادِي حَسْرَةٍ يَتَصَدَّعُ
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ لِعَيْنِي عِبْرَةً وَلَا خَزَعًا إِنَّا إِلَى اللَّهِ نَرْجِعُ
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عُظُمَ رِزْيَتِي يَحْيَى إِلَى مَنْ نَسْتَرْجِعُ وَنَفْرَعُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُؤْتِي فَيُسْأَلُ بَعْدَهُ إِذْ أَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي الْعِلْمِ مُنْعِعُ
لَقَدْ كَانَ يَحْيَى فِي الْحَدِيثِ بَقِيَّةً مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ حِينَ تَفْشَعُوا
فَلَمَّا مَضَى مَاتَ الْحَدِيثُ بِمَوْتِهِ وَأُذِرَجَ فِي أَكْفَانِهِ الْعِلْمُ أَجْمَعُ
وَصِرْنَا حَيَارَى بَعْدَ يَحْيَى كَأَنَّا رَعِيَّةُ رَاعٍ بِهِمْ قَصْدَعُوا
وَلَيْسَ بِمَنْعٍ عَنْكَ دَمْعٌ سَفَحْتَهُ وَلَكِنْ إِلَيْهِ يَسْتَرْجِعُ الْمُنْجِعُ
لَعَمْرُكَ مَا لِلنَّاسِ فِي أَلْوَتِ حِيلَةٍ وَلَا لِقَضَاءِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَدْفَعُ
وَلَكِنَّمَا أَبْكِي عَلَى الْعِلْمِ إِذْ مَضَى فَمَا بَعْدَ يَحْيَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَفْرَعُ
فَقَدْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَفَرَّ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَهُوَ مَمْتَعُ

٨٨ قَالَ إِسْحَاقُ الْوَصْلِيُّ يَرْفِي أَبَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْمُنْفِي :

أَقُولُ لَهُ لَمَّا وَقَفْتُ بِقَبْرِهِ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ
وَيَا قَبْرَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ حُفِرَ وَلَا زِلْتُ تُسْقِي الْقَيْثَ مِنْ سُبُلِ الْقَطْرِ
لَقَدْ عَزَّنِي وَجَدِي عَلَيْكَ فَلَمْ يَدَعْ لِقَلْبِي نَصِيبًا مِنْ عَزَاءٍ وَلَا صَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ لَيْلَةً فَكَيْفَ وَقَدْ صَارَ الْقِرَاقُ إِلَى الْحَشْرِ

٨٩ لَمَّا مَاتَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي رُتَاهُ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ الْمَوْسَوِيُّ بِقَوْلِهِ :

أَعْلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي
جَبَلَ هَوَى لَوْخَرٍ فِي الْبَجَرِ اغْتَدَى مِنْ وَفْهِهِ مُتَابِعَ الْأَزْبَادِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَلُوعُ عَلَى الْأَطْوَادِ

٩٠ قَالَ الشَّهَابُ الْمَنْصُورِيُّ يَرْفِي أَلَمَامَةَ نَحْيِي الدِّينِ الْكَافِي :

بَكَتْ عَلَى الشَّيْخِ نَحْيِي الدِّينِ كَافِي عُيُونَنَا بِدُمُوعٍ مِنْ دَمِ أَلْمَحِ
كَانَتْ أَسَارِي هَذَا الدَّهْرِ مِنْ دَرَرٍ تَرَهَّى قَبِيلَ ذَلِكَ الدَّرِّ بِالسَّجِ

فَكَمْ نَفَى بِسَمَاحٍ مِنْ مَكَارِمِهِ فَتَرَا وَقَوْمَ بِالْإِعْطَاءِ مِنْ عَوَجِ
يَا نُورَ عِلْمٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ مُنْطَقًا وَكَانَتْ النَّاسُ تُعْشِي مِنْهُ فِي سَرَجِ

فَلَوْ رَأَيْتَ الْقَتَاوَى وَهِيَ بَاكِهٌ رَأَيْتَهَا مِنْ مُجِيعِ الدَّمْعِ فِي لَحْجِ
وَلَوْ سَرَتْ بِنَاءَ عَنْهُ رِيحُ صَبَا لَأَسْتَشْفُوا مِنْ شِدَاهَا أَطِيبَ الْأَرْجِ

يَا وَحْشَةَ الْعِلْمِ مِنْ فِيهِ إِذَا اعْتَرَكْتَ أَبْطَالُهُ فَتَوَارَتْ فِي دُجَى الرَّحْجِ
لَمْ يَلْحُظُوا شَأْوَ عِلْمٍ مِنْ خَصَائِصِهِ أَنَّى وَرُتْبَتُهُ فِي أَرْفَعِ الدَّرَجِ
قَدْ طَالَ مَا كَانَ يَثِيرُنَا وَيُثِرُونَا فِي حَالَتِهِ يَوْجُهُ مِنْهُ مُبْتَهَجِ

سَقِيَّالَهُ وَكَسَاهُ اللَّهُ نُورَ سَنَا مِنْ سُنْدُسٍ يَدِ الْقُرْآنِ مُنْتَسِجٍ
 ٩١ وَقَالَ أَيضًا يَرْثِي الْحَجَّازِيَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْحُرْزَجِيَّ :

لَهْفَ قَلْبِي عَلَى أَقْوَالِ الشَّهَابِ نُخْفَةَ الْقَوْمِ زُهَةَ الْأَصْحَابِ
 كَانَ فِي مَطْلَعِ الْبَلَاغَةِ يَسْرِي قَوَارِي مِنَ الثَّرَى بِحِجَابِ
 فَهَدَتْ بَرَّةً أَيَّامِي الْمَعَانِي وَيَتَأَمَّى جَوَاهِرُ الْأَدَابِ
 هَطَلَتْ أَدْنَعُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَقَلِيلٌ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ
 وَذَوُّو الْجَمْعِ أَصْجُو حِينِ وَلَّى كُلُّهُمْ جَامِعًا بِلَا مِحْرَابِ
 يَا شَيْهًا بَاطِلُوعُهُ فِي سَمَاءِ الْفَضْلِ وَلَكِنْ أَقْوَلُهُ فِي الثَّرَابِ
 لَكَ فِيهَا أَلْفَتْ تَذَكُّرَةً مِنْ مَا أَتَقَى دُرَّةً أَوَّلُو الْأَلْبَابِ
 رَوْضُهُ أُنَيْتَ بِفَاكِهَةٍ مِنْ حُسْنِ لَفْظٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابِ
 فَسَقَى تَرْبَهَا الرِّبَابُ لَتَهْتَرَّ وَتَرْبُو عَلَى سَمْعِ الرِّبَابِ
 وَرَأَى كَمَرَهُ فَقَابَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَبْرِ يَوْمَ الْحِسَابِ
 ٩٢ قَالَ عِمَادُ الْكَاتِبِ يَرْثِي صَلَاحَ الدِّينِ :

تَمَلُّ الْهَدَى وَالْمَلِكُ عَمَّ شَتَاتُهُ وَاللَّهْرُ سَاءَ وَأَقْلَمَتْ حَسَنَاتُهُ
 يَا اللَّهُ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي لِلَّهِ خَالِصَةٌ صَفَتْ نِيَّاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا يَرْجَى نَدَاهُ وَتُنَقَّى سَطَوَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي شَرُفَ الزَّمَانُ بِفَضْلِهِ وَتَمَتَّ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ
 أَيْنَ الَّذِي عَنَتِ الْقَرْجُ لِبَاسِهِ ذُلًّا وَمِنْهَا أَدْرَكْتَ ثَارَاتُهُ
 أَغْلَالُ أَعْنَاقِ الْعِدَى أَسْيَافُهُ أَطَوَاقُ أَجَادِ الْوَرَى حَسَنَاتُهُ

أَلْبَابُ الرَّابِعِ فِي الْحِكْمِ

٩٣ قَالَ السَّعْدِيُّ لِبَعْضِ أَصْحَابِ ابْنِ الْعَمِيدِ الْكَفَايَتَيْنِ :
كَيْفَ رَأَيْتَ الْوَزِيرَ . قَالَ : رَأَيْتُهُ يَأْسُ الْعُودَ دَمِيمَ الْهُودِ سَيِّئِ
الظَّنِّ بِالْمَعْبُودِ . قَالَ السَّعْدِيُّ : أَمَا رَأَيْتَ تِلْكَ الْأَبْهَةَ وَالصِّتَ
وَالْمَوَاكِبَ وَالتَّجَمُّلَ الظَّاهِرَ وَالْدَّارَ الْجَلِيلَةَ وَالْفَرْشَ السَّنِّيَّ وَالْحَاشِيَةَ
الْجَمِيلَةَ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الدَّوْلَةُ غَيْرُ السُّودِدِ . وَالسُّلْطَنَةُ غَيْرُ
الْكُرْمِ . وَالْحُظُّ غَيْرُ الْمَجْدِ . أَيْنَ الزُّوَارُ وَالْمُتَجَمِّعُونَ . وَأَيْنَ الْأَمِلُونَ
وَالشَّاكِرُونَ . وَأَيْنَ الْوَاصِفُونَ الصَّادِقُونَ . وَأَيْنَ الْمُنْصَرِفُونَ
الرَّاضُونَ . وَأَيْنَ الْهَبَاتُ وَأَيْنَ التَّفَضُّلَاتُ وَأَيْنَ الْحِلْعُ وَاللَّتْرِيفَاتُ .
وَأَيْنَ الْهَدَايَا وَأَيْنَ الصِّيَافَاتُ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا تُجِيءُ الرِّئَاسَةُ
بِالْتَّرَهَاتِ . وَلَا يَحْصُلُ الشَّرَفُ بِالْخُرْعِيَّاتِ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

أَبَا جَمْرٍ لَيْسَ فَضْلُ الْقَتَى إِذَا رَاحَ فِي قَرْطِ إِنْجَاهِهِ
وَلَا فِي قَرَاهَةِ بَرْدُونِهِ وَلَا فِي مَلَاخَةِ أَتْوَاهِهِ
وَلَكِنَّهُ فِي أَعْمَالِ الْجَمِيلِ وَالْكُرْمِ الْأَشْرَفِ النَّاهِهِ

٩٤ إِجْتَمَعَ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْمَدَوَانِيُّ وَحَمَّةُ بْنُ رَافِعِ الدَّوْسِيِّ عِنْدَ
مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ خَمِيرَ . فَقَالَ : لَا تَسْأَلَا حَتَّى أَسْمَعَ مَا تَقُولَانِ . فَقَالَ
عَامِرُ لِحَمَّةَ : أَيْنَ نَحْبُ أَنْ تَكُونَ أَيَادِيكَ . قَالَ : عِنْدَ ذِي الرُّتْبَةِ

الْعَدِيمِ وَعِنْدَ ذِي الْخَلَّةِ الْكَرِيمِ . وَالْمُعْسِرِ الْغَرِيمِ . وَالْمُسْتَغْفِرِ الْحَلِيمِ .
 قَالَ : مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَقَاتِ . قَالَ : الْفَقِيرُ الْخَسَالُ . وَالضَّعِيفُ
 الصَّوَالُ . وَالنَّبِيُّ الْقَوَالُ . قَالَ : فَمَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ . قَالَ : الْحَرِيسُ
 الْكَانِدُ وَالْمُسْتَمِيدُ الْحَاسِدُ . وَالْخَلْفُ الْوَاجِدُ . قَالَ : مَنْ أَجْدَرُ النَّاسِ
 بِالصَّيْعَةِ . قَالَ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ . وَإِذَا مُنِعَ عَذَرَ . وَإِذَا مَطَّلَ
 صَبَرَ . وَإِذَا قَدَّمَ الْعَهْدَ ذَكَرَ . قَالَ : مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ عِشْرَةً . قَالَ : مَنْ
 إِذَا قُرِبَ مَنَعَ . وَإِذَا ظَلِمَ صَفَحَ . وَإِنْ ضُوبِقَ سَمَحَ . قَالَ : مَنْ أَلَامَ
 النَّاسَ . قَالَ : مَنْ إِذَا سَأَلَ خَضَعَ . وَإِذَا سُئِلَ مَنَعَ . وَإِذَا مَلَكَ كَنَعَ .
 ظَاهِرُهُ جَشَعٌ . وَبَاطِنُهُ طَبَعٌ . قَالَ : فَمَنْ أَجَلُّ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ عَفَا إِذَا
 قَدَرَ . وَأَجَلُّ إِذَا ائْتَصَرَ . وَلَمْ تُطْعَمِهِ عِزَّةُ الظَّفَرِ . قَالَ : فَمَنْ أَأَزْمُ النَّاسِ .
 قَالَ : مَنْ أَخَذَ رِقَابَ الْأَسْوَدِ بِيَدَيْهِ . وَجَعَلَ الْعَوَاقِبَ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .
 وَنَبَذَ التَّهْيَبَ دُبُرَ أُذُنَيْهِ . قَالَ : فَمَنْ أَخْرَقَ النَّاسَ . قَالَ : مَنْ رَكِبَ
 الْحِطَارَ . وَأَعْتَسَفَ الْعِتَارَ . وَأَسْرَعَ فِي الْبِدَارِ قَبْلَ الْإِقْتِدَارِ . قَالَ : مَنْ
 أَجْوَدُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ بَدَّلَ الْمَجْهُودَ . وَلَمْ يَأْسَ عَلَى الْفَقُودِ . قَالَ : مَنْ
 أَبْلَغُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَرْبِذَ بِالْأَفْظِ الْوَجِيزِ . وَطَبَّقَ الْمَنْفِصَ
 قَبْلَ التَّخْرِيزِ . قَالَ : مَنْ أَنْعَمَ النَّاسُ عَيْشًا . قَالَ : مَنْ تَحَلَّى بِالْعَفَافِ
 وَرَضِيَ بِالْكَفَافِ . وَتَجَاوَزَ مَا يَخَافُ إِلَى مَا لَا يَخَافُ . قَالَ : فَمَنْ أَشَقَى
 النَّاسِ . قَالَ : مَنْ حَسَدَ عَلَى النَّعْمِ . وَتَخَطَّ عَلَى الْقِسْمِ . وَأَسْتَشَمَرَ
 النَّدَمَ عَلَى مَا ائْتَحَمَ . قَالَ : مَنْ أَغْنَى النَّاسَ . قَالَ : مَنْ أَسْتَشَمَرَ

الْيَاسَ . وَأَظْهَرَ التَّجْمُلَ لِلنَّاسِ وَأَسْتَكْتَرَ قَلِيلَ النِّعَمِ . وَلَمْ يَسْتَخْطِ عَلَى الْقِسْمِ . قَالَ فَمَنْ أَحْكَمُ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ صَمَتَ فَأَذْكَرُ . وَنَظَرَ فَأَعْتَبَرُ . وَوَعُظَ فَأَزْدَجِرُ . قَالَ : مَنْ أَجْمَلَ النَّاسِ . قَالَ : مَنْ رَأَى الْخُرْقَ مَغْنَمًا . وَالتَّجَاوَزَ مَغْرَمًا (لابن عبد ربه)

٩٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَعْجَبُ مَا فِي الْإِنْسَانِ قَلْبُهُ وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَخَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَهُ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْخِرَاصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَاسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ . وَإِنْ أَسْعَدَ بِالرِّضَا نَفْسِي التَّخَفُّظُ . وَإِنْ آتَاهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنْ أَسْعَى لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغَرَّةُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّتْهُ الْجُرْعُ . وَإِنْ اسْتَفَادَ مَا لَا أَطْفَاءُ النَّفْسُ . وَإِنْ عَضَّتْهُ قَافَةٌ بَلَغَ بِهِ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَ بِهِ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ فِي الشَّبَعِ كَطَّتْهُ الْبُطْنَةُ . فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ قَاتِلٌ

٩٦ نَجْةٌ مِنْ وَصِيَةِ ابْنِ سَمِيدٍ الْمَقْرِي لِبَنِيهِ وَقَدْ ارَادَ السَّفَرَ

أَوْدِعَكَ الرَّحْمَنَ فِي غُرْبَتِكَ مُرْتَقِبًا رُحْمَاهُ فِي أَوْبَتِكَ
فَلَا تُطِلْ حَبْلَ النَّوَى إِنِّي وَاللَّهِ أَشْتَقُّ إِلَى طَلْعَتِكَ
وَأَخْتَصِرِ التَّوْدِيْعَ أَخَذًا فَإِنِّي نَاطِرٌ يَتَوَى عَلَى فُرْقَتِكَ
وَأَجْعَلُ وَصَاتِي نُصْبَ عَيْنٍ وَلَا تَبْرَحْ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ فِكْرَتِكَ
خُلَاصَةُ الْعُمُرِ الَّتِي حُنْتُكَ فِي سَاعَةِ رَفْتٍ إِلَى فِطْنَتِكَ

فَلْتَجَارِبِ أُمُورٌ إِذَا طَالَمَهَا تَشْخَذُ مِنْ غَفْلَتِكَ
فَلَا تَنْمَ عَنْ وَعِيهَا سَاعَةً فَإِنَّمَا عَوْنٌ إِلَى يَفْظَتِكَ
وَكُلُّ مَا كَابَدْتَهُ فِي النَّوَى إِيَّاكَ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ هِمَّتِكَ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَصْلُ ذِي غُرْبَةٍ وَإِنَّمَا تُعْرِفُ مِنْ شَيْعِكَ
وَأَمْسِرِ الْهُوَيْنَا مُظْهِرًا عَفَّةً وَأَنْتَ بِحَيْثُ أَلْمِي مُسْتَقْبِحٌ
وَلِجْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ وَأَقْصِدْ لَهُ مَا عَشْتَ فِي بُكَرَتِكَ
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّهُ وَلَتَكُنْ تَكْسِرُ عِنْدَ الْفَحْرِ مِنْ حَدَّتِكَ
وَحَيْنًا خِيمْتَ فَأَقْصِدْ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
وَلِلرَّزَايَا وَثْبَةٌ مَا لَهَا إِلَّا الَّذِي تَذْخُرُ مِنْ عُدَّتِكَ
وَلَا تُثْقِلْ أَسْلَمِي وَخَدَتِي فَقَدْ تَقَاسَى الذَّلَّ فِي وَحَدَتِكَ
وَأَلْتَرِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
وَتَجْعَلِ الْعَقْلَ مُحْكَمًا وَخُذْ كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي نَقْدَتِكَ
وَأَعْتَبِرِ النَّاسَ بِالْقَاضِيَةِ وَأَصْحَبْ أَخَا يَرْغَبُ فِي صُحْبَتِكَ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ بَعْضُهُ وَفَكَرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثَرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرُبَهُ إِنَّهُ عَوْنٌ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كُرْبَتِكَ
وَأَنْتُمْ نَمُو الْبَتَّ قَدْ زَارَهُ غِيبُ الدَّيِّ وَأَسْمُ إِلَى قَدَرَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمْكِنًا تَذْكَارُهُ يُذَكِّرُ لَطْفَ حَسْرَتِكَ
وَالشَّرُّ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِيهِ فَإِنَّهُ حَوْرٌ عَلَى مُهْجَتِكَ

يَا بُنَيَّ الَّذِي لَا تَصِحَّ لَهُ مِثْلِي وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ . قَدْ قَدَّمْتُ
لَكَ فِي هَذَا النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ رَجَوْتُ لَكَ
حُسْنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحَفْظِ وَأَعْلَقَ
بِالْفِكْرِ وَأَحَقَّ بِالتَّقَدُّمِ قَوْلُ الْأَوَّلِ :

يَزِنُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اعْتَرَبَ ثَلَاثَ فَمِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ
وَتَأْنِيَةِ حُسْنِ أَخْلَاقِهِ وَتَأْنِيَةِ اجْتِنَابِ الْغَرِيبِ
وَأَصْنَعُ يَا بُنَيَّ إِلَى الْيَتِيمِ الَّذِي هُوَ يَتِيمَةُ الدَّهْرِ وَسَلَامُ الْكَرَمِ وَالصَّبْرِ
وَلَوْ أَنَّ أَوْطَانَ الدِّيَارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَا
إِذْ حُسْنُ الْخَلْقِ أَكْرَمُ زَيْلٍ . وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنَزِلٍ . وَلَنْ تَكُنْ
كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي أَدِيبٍ مُتَغَرَّبٍ : وَكَانَ كُلَّمَا طَرَأَ عَلَى مَلِكٍ
فَكَانَتْ مَعَهُ وَلَدٌ وَإِلَيْهِ قَصْدٌ . غَيْرُ مُسْتَرِيبٍ بِدَهْرِهِ . وَلَا مُتَكِرٍ شَيْئًا
مِنْ أَمْرِهِ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخَذَ بِتَجَامِيعِ هَوَاهُ فَاجْعَلِ
الْكَفْلَ لَهُ سُلَامًا وَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ . وَحُلْ بِطَرَفِهِ
حُلُولُ الْوَسَنِ وَأُزِلْ بِقَلْبِهِ زُيُولَ الْمَسَرَّةِ حَتَّى يَتِمَّكَ لَكَ وَدَادُهُ .
وَيُخْلَصَ فَيْكَ اعْتِقَادُهُ . وَطَهَّرْ مِنَ الْوُقُوعِ فِيهِ لِسَانَكَ . وَأَعْلِقْ سَمَكَكَ
وَلَا تُرَخِّصْ فِي جَانِبِهِ لِحُسُودٍ لَكَ مِنْهُ يُرِيدُ إِبْعَادَكَ عَنْهُ لِمَنْفَعَتِهِ . أَوْ
حُسُودٍ لَهُ يُفَارِ لِحِمْلِهِ بِصُحْبَتِكَ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَتَرَبَّطُ بِطُولِ صُحْبَتِهِ وَلَا
تَتَهَدَّدُ بِدَوَامِ رِقْدَتِهِ . فَقَدْ يَلْبِثُهُ الزَّمَانُ . وَيَتَغَيَّرُ مِنْهُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ .
وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ جَعَلَ عَمَلَهُ مِيعَارًا وَكَانَ كَالْمِرْآةِ يَلْقَى كُلَّ وَجْهِ بِمِثَالِهِ

وَفِي أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : مَنْ سَبَقَكَ يَوْمَ فَقَدْ سَبَقَكَ بِعَقْلِ . فَاحْتَذِ
بِأَمْثَلِهِ مِنْ جَرَبٍ . وَاسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَأْصُونُ بَعْدَ جُهِدِهِمْ وَتَعْيِهِمْ مِنْ
الْأَقْوَالِ . فَإِنَّهَا خُلَاصَةُ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تَجَارِبِهِمْ . وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى
عَمَلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعْبُ فِيهِ النَّاسُ طُولُ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاؤُهُ غَالِيَا
بِتَجَارِبِهِمْ يُرَبِّحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخِصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ
وَتَجَرِبَةٌ فَاسْتَعِذْ مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلْقَاهُ تَأْتِيحًا
لِعَمَلِكَ وَحَتَّى لَكَ وَاهْتِدَاءٌ . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يُحَسِّنُ
بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَمَلِكَ مُصْلِحًا لِحَالِكَ
فَرَاغْ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَانْزِدْهُ نَبْذَ النَّوَاةِ . فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يُتَّبَعُ .
وَلَا كُلُّ شَخْصٍ يُكَلَّمُ . وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعْمُ بِهِ . وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ رَطِيبُ
النَّفْسِ مِمَّا يَعْمَلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَا لِي لَا أُوَفِّي الْبَرِيَّةَ قِسْطَهَا عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطِي وَعَقْلِي مِيزَانُ
وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ . فَلَا تُعَامِلِ الدُّنْيَ بِعَامَلَةِ
الْكُفْرِ وَلَا الْكُفْرُ بِعَامَلَةِ الْإِلَهِ . وَلَا تُضَيِّعْ عُمْرَكَ فِي مَنْ يُعَامِلُكَ
بِالطَّامِعِ وَيُشِيبُكَ عَلَى مَصْلُحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ . وَلَا تُجْفِ
النَّاسَ بِالْجَمَلَةِ وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُلْحِقُ مِنْهُ مَلَلٌ وَلَا تَجَبُّرٌ وَلَا
جَفَاءٌ . فَمَتَى فَارَقْتَ أَحَدًا فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي
هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ . فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ : وَلَمَّا مَضَى سَأَمُ بَكَيْتُ
عَلَى سَلَمٍ . وَإِيَّاكَ وَالْيَتَّ السَّائِرَ :

وَكُنْتَ إِذَا حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكْتَ عَارًا
وَأَحْرَصَ عَلَى مَا جَمَعَ قَوْلُ الْقَائِلِ : ثَلَاثَةٌ تُبْقِي لَكَ الْوُدَّ فِي
صَدْرِ أَخِيكَ . أَنْ تَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ وَتُوسِّعَ لَهُ فِي الْخُلُوصِ وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ
الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَأَحْذَرُ كُلِّ مَا بَيْنَهُ لَكَ الْقَائِلُ : كُلُّ مَا تَغْرُسُهُ تُجْنِيهِ
إِلَّا ابْنَ آدَمَ . فَإِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَمُكَ . وَقَوْلُ الْآخِرِ : ابْنَ آدَمَ ذِئْبٌ مَعَ
الضُّعْفِ أَسَدٌ مَعَ الْقُوَّةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَلَى صُحْبَةِ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ
تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ . (وَيُحْكِي) أَنَّ ابْنَ الْمُقَفَّعِ خَطَبَ مِنَ الْحَلِيلِ صُحْبَتَهُ .
فَجَاوَبَهُ أَنَّ الصُّحْبَةَ رِقٌّ وَلَا أَضْعُرِّي فِي يَدَيْكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ
مَلَكَتُكَ . وَاسْتَمَلَ مِنْ عَيْنٍ مِنْ تَعَايُرِهِ وَتَقَفَّدَ فِي فَلَتَاتِ الْأَنْسِ
وَصَفَحَاتِ الْأَوْجِهِ . وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لَا
تُبَيِّنَهُ . فَإِنَّ الْكَلَامَ سِلَاحُ السَّلَامِ . وَبِالْأَيْنِ يُعْرِفُ أَلَمَ الْجُرْحِ وَاجْعَلْ
لِكُلِّ أَمْرٍ أَخَذْتَ فِيهِ غَايَةً تَجْعَلُهَا نِهَايَةً لَكَ . وَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا
أَتَاكَ . مَنْ قَرَعَ عَيْنًا بِعَيْنِهِ نَفَعَهُ إِذْ الْأَفْكَارُ تُجَابِ الْهُمُومِ . وَتَضَائِفُ
الْهُمُومِ . وَمُلَازِمَةُ الْقُطُوبِ . عَنْوَانُ الْمَصَائِبِ وَالْخُطُوبِ . يَسْتَرِيبُ بِهِ
الصَّاحِبُ . وَيَشْتُمُ الْعَدُوَّ وَالْعَجَابُ . وَلَا تَضُرُّ بِالْوَسَاوِسِ إِلَّا نَفْسُكَ
لِأَنَّكَ تَنْصُرُ بِهَا الدَّهْرَ عَلَيْكَ . وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

إِذَا مَا كُنْتَ لِلْأَحْزَانِ عَوْنًا عَلَيْكَ مَعَ الزَّمَانِ قَدْ تَلُومُ
مَعَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْغَائِبَ الْحَزْنَ . وَلَا يَرْعَوِي بِطُولِ عَنَيْتِكَ
الزَّمْنَ . وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِغَرَاظَةِ شَخْصًا قَدْ أَلْقَتْهُ الْهُمُومُ . وَعَشِيتُهُ

الْقَوْمُ . وَمِنْ صَغَرِهِ إِلَى كِبَرِهِ لَا تَرَاهُ أَبَدًا خَلِيًّا مِنْ فِكْرَةٍ حَتَّى تُبْصِرَ
 بِصَدْرِ الْقَوْمِ . وَمِنْ أَنْجَبَ مَا رَأَيْتُهُ مِنْهُ أَنَّهُ يَتَنَكَّدُ فِي الشَّدَةِ وَلَا
 يَتَعَلَّلُ بِأَن يَكُونَ بَعْدَهَا فَرَجٌ وَيَتَنَكَّدُ فِي الرِّخَاءِ خَوْفًا مِنْ أَنْ لَا يَدُومَ
 (وَيُنْشِدُ) : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ . (وَيُنْشِدُ) : وَعِنْدَ التَّأْهِ يَقْصُرُ
 الْمُتَطَاوِلُ . وَلَهُ مِنْ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الشَّانِ عَجَابٌ . وَمِثْلُ هَذَا عَمْرُهُ
 تَحْسُورٌ بِمِزْضَاعًا . وَمَتَى رَفَعَكَ الزَّمَانُ إِلَى قَوْمٍ يَذْمُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا
 تُحْسِنُهُ حَسَدًا لَكَ وَقَصْدًا لِتُصَغِّرَ قَدْرَكَ عِنْدَكَ وَتَرْهِيْدًا لَكَ فِيهِ
 فَلَا يَحْمِلُكَ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَرْهَدَ فِي عِلْمِكَ وَتَرْكَنَ إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي
 مَدَّحُوهُ . فَتَكُونُ مِثْلَ الْغُرَابِ الَّذِي أَعْجَبَهُ مَشْيُ الْحَجَلَةِ فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ
 فَصَبَّ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشْيِهِ فَتَسَبَّهَ فَبَقِيَ تَحْبَلُ الْمَشْيَ كَمَا قِيلَ :
 إِنَّ الْغُرَابَ وَكَانَ يَمْشِي مَشْيَةً فِي مَاضِيٍّ مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ
 حَسَدًا لِقَطَا وَأَرَادَ يَمْشِي مَشْيَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَطَالِ
 فَأَضَلَّ مَشْيَتَهُ وَأَخْطَأَ مَشْيَهَا فَلِذَاكَ كُنُوهُ أَبَا يَرْقَالِ
 وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرَكَ مَنْ جَعَلَ يَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَيَقُولُ : مَا بَقِيَ
 فِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاحُ فِيهِ . فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِمَّنْ صَحِبَهُ الْحَرَمَانُ . وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ
 لِلْهَوَانِ . وَأَمْرُ مَوَاعِلِ النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَقَتُوهُمْ وَعَجْزُ رَاعِنِ طَلَبِ الْأُمُورِ
 مِنْ وُجُوهِهَا فَاسْتَرَاخُوا إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ . وَأَقَامُوا الْأَعْدَادَ
 لِأَنْفُسِهِمْ يَقْطَعُ أَسْبَابَهُمْ . وَلَا تَرِلْ هَذَيْنِ الْيَتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لَنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَلَاخُو الْعِزِّ يَبِينُ
 نِإَذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ
 وَالْأَمْثَالُ تَضْرِبُ لِذِي أَلْبِ الْحَكِيمِ . وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى
 الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَالْقَطْنُ يَنْفَعُ بِالْقَلِيلِ وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ . وَاللَّهُ
 سُجَّانُهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لَا رَبَّ سِوَاهُ (ملخص عن المقرئ)

طريقة من وصية ابن طاهر لابنه

٩٧ أَمَا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ
 وَمَزَالَيْهِ سُخْطِهِ وَحِفْظِ رِعَّتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَالزَّمْ مَا أَلْبَسَكَ
 مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَارَتْ إِلَيْهِ وَمَوْقُوفٌ عَلَيْهِ
 وَمَسْئُولٌ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَمِصُّكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنِجِيكَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِقَابِهِ وَالْإِيمِ عَذَابِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ
 إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ الرَّأْفَةَ بِمَنْ اسْتَرْعَاكَ أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ .
 وَأَلْزَمَكَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ فِيهِمْ . وَالذَّبَّ عَنْهُمْ
 وَالدَّفْعَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَيُوتِيهِمْ . وَالْحُسْنَ لِدِيَارِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسَبِيلِهِمْ .
 وَإِخْلَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ . وَمُواخِذَكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْقِفَكَ عَلَيْهِ
 وَمَسَائِلَكَ عَنْهُ . وَمُشِيبَكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدِمْتَ وَأَخَّرْتَ . فَفَرِّغْ لِذَلِكَ
 فَهْمَكَ وَعَقْلَكَ وَنَظْرَكَ وَلَا يَشْغَلْكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَأَنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ
 وَمَلَاكُ شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُوقِفُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ لِرُشْدِكَ . وَلَكِنْ
 أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ نَفْسَكَ وَتَنْسِبُ إِلَيْهِ أَفْعَالَكَ الْمُواظَبَةَ عَلَى مَا أَفَرَضَ

اللَّهُ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَواتِ . وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ
 اللَّهِ وَتَقَوَاهُ . وَآثِرِ الْهَفْهَ وَأَهْلَهُ وَالْدِينَ وَحِمْلَهُ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ
 الْمَرْءُ الْهَفْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّلَبُ لَهُ وَالْحُثُّ عَلَيْهِ . وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا يَقْتَرِبُ بِهِ
 إِلَى اللَّهِ . فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي
 عَنِ الْمَعْصِيَةِ الْمَوْصِيَاتِ كُلِّهَا . وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ يَزْدَادُ الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ
 وَدَرَكَ لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ . مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْفِيقِ
 لِأَمْرِكَ وَأَمْرِهِ سُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالثِّقَةِ بِمَذَلِكِ . وَعَلَيْكَ
 بِالْإِقْتِسَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا . فَلَيْسَ شَيْءٌ آيِبٌ نَفْعًا وَلَا أَخْضَرُ أَمْنًا
 وَلَا أَجْمَعُ فَضْلًا مِنْهُ . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقَوَامِ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ
 بِالْإِقْتِسَادِ . فَأَثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ
 وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ . وَلَا غَايَةَ لِلِاسْتِكْتَارِ
 فِي الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ . إِذَا كَانَ يُطَلَّبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ وَمُرَافَقَةُ
 أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْغَيْرَ
 وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّهُ لَنْ تَحُوطَ نَفْسُكَ وَمَنْ يَلِيكَ وَلَا تَسْتَصْلِحُ
 أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ . فَأَتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَتِمَّ أُمُورُكَ وَتَرَدَّ مَقْدَرُكَ
 وَتَصْلَحُ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا قَوْلُهُ مِنْ
 عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِيقَاعَ التُّهْمِ بِالْإِبْرَاءِ وَالظُّنُونِ
 السَّيِّئَةِ بِهِمْ مَاثِمٌ . وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوُّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَغْمَزًا فَإِنَّهُ

إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ وَهْنِكَ وَيَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ فِي سُوءِ
 الظَّنِّ مَا يَنْقُصُكَ لَذَاذَةُ عَيْشِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَجِدُ بِحُسْنِ الظَّنِّ قُوَّةَ
 وَرَاحَةٍ وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كَهَاتِهِ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ النَّاسَ إِلَى
 مَحَبَّتِكَ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ... وَتَقَرَّدُ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَقَرَّدُ
 مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَمَّا صَنَعَ وَمَحْزِيٌّ بِمَا أَحْسَنَ وَمَأْخُذٌ بِمَا أَسَاءَ . فَإِنَّ
 اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَمَلَ الدِّينِ جِرْزًا وَغِزَاوَرَفَعَ مَنْ أَتْبَعَهُ وَعَزَّزَهُ . فَالْمَاكَ
 بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرْعَاهُ نَهْجُ الدِّينِ وَطَرِيقَةُ الْهُدَى . وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ
 فِي أَصْحَابِ الْجِرَانِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَخْصَمُوهُ . وَلَا تَعْطِلْ ذَلِكَ
 وَلَا تَتَهَاوَنَ بِهِ . وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي تَفْرِيطِكَ فِي
 ذَلِكَ مَا يَفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ . وَاعْتَرِمْ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ
 بِالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمْ
 لَكَ مُرُوءَتُكَ . وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا
 فَأَتِمِّمْهُ وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَغْمِضْ عَنْ عَيْبِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ
 رَعِيَّتِكَ وَأَسَدِّدْ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلِ الْكُذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْنِضْ أَهْلَهُ
 وَأَقْصِ النِّمِيَّةَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآخِلِهَا تَقَرُّبُ
 الْكُذُوبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ . وَالزُّورُ وَالنِّمِيَّةُ خَائِمَتُهَا لِأَنَّ
 النِّمِيَّةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا . وَلَا يَسْتَتِمُّ لُطِيعُهَا أَمْرٌ . وَأَحْبَبُ أَهْلِ
 الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ وَأَعْيُنُ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ . وَوَأَسِ الضُّعَفَاءُ وَصِلِ
 الرَّحِمَ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِعْزَازَ أَمْرِهِ . وَالتَّمَسَّ فِيهِ

ثَوَابُهُ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ وَاجْتَنِبْ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورَ وَأَصْرِفْ عَنْهَا
 رَأْيَكَ . وَأَمْلِكْ نَفْسَكَ عَنِ الْغَضَبِ وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْجَلَمَ . وَإِيَّاكَ
 وَالْحِدَّةَ وَالطَّيْشَ وَالْعُرُورَ فِي مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ أَنَا
 مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى نَقْصِ الرَّأْيِ وَقِلَّةِ الْيَقِينِ
 بِاللَّهِ وَأَخْلَصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ
 سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ
 وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ
 وَالْمُبْسُوطِ لِحُكْمِهِ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ . وَاسْتَطَالُوا بِمَا
 آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ . وَدَعَوْا عَنْكَ شَرَّ نَفْسِكَ . وَلَكِنْ دَخَاثُكَ وَكُتُورُكَ
 الَّتِي تَذْخِرُ وَتُكْثِرُ الْبِرَّ وَالْقُوَى وَالْمَعْدِلَةَ وَاسْتِصْلَاحَ الرِّعْيَةِ وَعِمَارَةَ
 بِلَادِهِمْ وَالنَّفَقَةَ لِأُمُورِهِمْ وَالْإِعَاثَةَ لِلْمَوْضِعِ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمَوَوتَةِ عَنْهُمْ سَمَتْ
 وَزَكَتْ وَنَمَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَّةُ وَتَرَبَّتْ بِهَا الْوُلَاةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ
 وَاعْتَمَدَ فِيهَا الْبِرُّ وَالنِّعْمَةُ . فَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ وَتَعَمَّدَ مَا
 يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ . فَتَقَرَّ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجِبَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ وَكُنْتَ
 بِذَلِكَ عَلَى جِبَابَةِ خَرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رِعْيَتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرُ . وَكَانَ
 الْجَمِيعُ لِمَا شَاءَ لَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْكَنَ لِبَطَاعَتِكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا
 بِكُلِّ مَا أَرَدَتْ . وَأَجْهِدْ نَفْسَكَ فِيمَا حَدَّثَتْ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ
 وَلَتَعْظُمَ خَشْيَتُكَ فِيهِ وَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْأَمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَيَاكَ أَنْ تُنْسِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورَهَا أَهْلَ الْآخِرَةِ قَتَّهَآوْنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ.
فَإِنَّ التَّهَآوْنَ يُورِثُ التَّقْرِيطَ وَالتَّقْرِيطَ يُورِثُ الْبُورَ . وَلَا تُخْفِرَنَّ ذُنُبَا
وَلَا تُمَالِئَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِرًا . وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوًّا وَلَا تُصَدِّقَنَّ
نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا . وَلَا تَأْتِيَنَّ مَذْحًا وَلَا تَمْشِيَنَّ مَرَحًا . وَلَا تُغِيْضَنَّ
عَنْ ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا
وَأَعْلَمْ أَنَّكَ جُمِلْتَ بِوَلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا . وَإِنَّمَا سَمِيَّ
أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتَكَ لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقِيَّتُهُمْ . تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أُعْطَوْكَ مِنْ
عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ وَتُنْفِذُهُ فِي قَوَامِ أَمْرِهِمْ وَصَالِحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ .
فَأَسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ ذَا الرِّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْحَيَازَةِ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمِ
بِالسِّيَاسَةِ وَالْعُقُوفِ . وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخُفُوقِ
الْأَلَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ . وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا
يَضْرِبُكَ عَنْهُ صَارِفٌ . فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ
أَسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ . وَحُسْنَ الْأَخْدُوَّةِ فِي عَمَلِكَ .
وَأَحْرَزْتَ بِهِ الْحُبَّةَ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتَ عَلَى الصَّلَاحِ . وَفَشَتِ الْعِمَارَةُ
بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْحُصْبُ فِي كُورِكَ . وَكَثُرَ خَرَابُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ .
وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى أَرْبَاطِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْطَّاءِ
فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ . وَكُنْتَ مَحْمُودَ السِّيَاسَةِ مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ
عِنْدَ عَدُوِّكَ . وَكُنْتَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَآلِهِ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ .
فَنَافَسَ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمَ عَلَيْهِ شَيْئًا تَحْمَدُ فِيهِ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ . وَاجْعَلْ

فِي كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ
 بِسِرِّيَّتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ
 كُلِّهَا. فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ
 ذَلِكَ. فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَوْتَ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ
 وَالصَّنْعِ فَأْمُضْ بِهِ. وَإِلَّا قَوِّفْ عَنْهُ وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ.
 ثُمَّ خُذْ فِيهِ عِدَّتَهُ. فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَقَدْ
 أَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ. فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ
 أَهْلَكَهُ وَنَقِضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ. فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ وَبَاشِرْهُ
 بِبَدْعِ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَانْكَرِ فِي اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ
 أُمُورِكَ. وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِنَفْسِكَ وَانْكَرِ مُبَاشَرَتَهُ
 بِنَفْسِكَ. فَإِنَّ لِلْعَدَاوَةِ أُمُورًا وَحَوَادِثَ تُهْلِكُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي
 أَخَّرْتَ. وَأَعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ
 اجْتَمَعَ عَلَيْكَ أُمُورُ يَوْمَيْنِ فَيُثْقِلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تُعْرِضَ عَنْهُ. وَإِذَا
 أَمَضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَحْتَ نَفْسَكَ وَبَدَنَكَ وَأَحْكَمْتَ أُمُورَ
 سُلْطَانِكَ. وَانْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَسْتَعِينُ
 صَفَاءَ طَوْبِيَّتِهِمْ وَشَهِدَتْ مَوَدَّتَهُمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتَهُمْ بِالنَّصِيحِ وَالْمُخَالَطَةِ
 عَلَى أَمْرِكَ. فَاسْتَخْلَصْهُمْ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ. وَتَمَاهَدْ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ مِمَّنْ
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ فَاحْتَمِلْ مُوَوَّنَتَهُمْ وَأَصْلِحْ حَالَهُمْ حَتَّى لَا
 يَجِدُوا الْحِلْمَ مَسَاءً. وَأَفْرِدْ نَفْسَكَ بِالنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَةٍ إِلَيْكَ وَالْخُتْمُ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ . فَسَلْ عَنْهُ أَحَقَّ مَسْأَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمثَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ مِنْ رَعِيَّتِكَ . وَرَهْمُ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيهَا بِمَا يُضِلُّ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ . وَتَعَاهِدَ ذَوِي الْبِلَاسِ وَأَيَاتَهُمْ وَأَرْامِلَهُمْ وَأَجْمَلَ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَقْدَاءَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ فِي الْعُطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَةِ لَهُمْ . لِيُضِلَّ اللَّهُ بِذَلِكَ عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهَ وَزِيَادَةَ وَأَجْرٍ لِلْأَرْضَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ . وَاعْرِفْ مَا تَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيُفْقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُفِقْ إِسْرَافًا . وَانْكَرِ مُجَاسَاةَ الْعُلَمَاءِ وَمُشَاوَرَتَهُمْ وَمُخَالَطَتَهُمْ . وَلِيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيثَارُ مَسَاكِمِ الْأُمُورِ وَمَعَالِيهَا . وَلِيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عِيَا فِيكَ لَمْ تَنْتَعِهُ هَيْبَتِكَ عَنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ مَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ . فَإِنْ أَوْلَيْكَ أَنْ تَصِحَّ أَوْلِيَائِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ . وَانْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِينَ يَحْضُرُكَ وَكُتَابُكَ فَوْقَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ عَمَّا لَكَ وَأُمُورٍ كُورِكَ وَرَعِيَّتِكَ . ثُمَّ قَرِّعْ لِمَا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ وَعَقْلَكَ . وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ . فَمَا كَانَ مُوَافَقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمُضِهِ . وَمَا كَانَ مُخَالَفًا لَكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . وَلَا تَعَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِمَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي

أُمُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَلَا تَضْمَنَّ الْمُرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ. وَتَتَهَمُ كِتَابِي
إِلَيْكَ وَأَكْثَرَ النَّظَرِ فِيهِ وَالْعَمَلِ بِهِ. وَلَيْكُنْ أَعْظَمَ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلَ
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ رِضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَمْكِينًا وَلِلذِمَّةِ
وَالْعَمَلَةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا. وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ
وَرُشْدَكَ وَكَلَامَكَ. وَالسَّلَامُ

(لاين الاثير)

وصية محمد الدكدي لابنه

٩٨

زُرْ وَالِدَيْكَ وَهَفْ عَلَى قَبْرَيْهِمَا فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نَفَيْتَ إِلَيْهِمَا
لَوْ كُنْتُ حَيْثُ هُمَا وَكَأَنَا بِالْبَقَا زَارَاكَ حَبْوًا لَا عَلَى قَدَمَيْهِمَا
مَا كَانَ ذَنْبُهُمَا إِلَيْكَ قَطًّا لَمَّا مَنَّكَ نَفْسَ الْوَدِّ مِنْ نَفْسَيْهِمَا
كَأَنَا إِذَا مَا أَبْصَرَ بِكَ عِلَّةً جَزَعًا لِمَا تَشْكُو وَشُقَّ عَلَيْهِمَا
كَأَنَا إِذَا سَمِعَا أُنَيْنَكَ أَسْبَلَا دَمْعَيْهِمَا أَسْفَا عَلَى خَدَيْهِمَا
وَعَنِيَا لَوْ صَادَفَا بِكَ رَاحَةً بِجَمِيعِ مَا يَنْحَوِيهِ مُلْكُ يَدَيْهِمَا
فَلَسَيْتَ حَقَّهُمَا عَشِيَّةً أَسْكِنَا دَارَ الْبَقَا وَسَكَنْتَ فِي دَارَيْهِمَا
فَلَتَلَحُّقَهُمَا غَدًا أَوْ بَعْدَهُ حَتْمًا كَمَا لَحِقَا هُمَا أَبُوَيْهِمَا
وَلَتَنْدَمَنَّ عَلَى فِعَالِكَ مِثْلَ مَا نَدِمَا هُمَا قَدَمًا عَلَى فِعْلَيْهِمَا
بُشْرَاكَ لَوْ قَدِمْتَ فِعْلًا صَالِحًا وَقَضَيْتَ بَعْضَ الْحَقِّ مِنْ حَقَّيْهِمَا
فَأَحْفَظْ حِفْظَ وَصِيَّتِي وَأَعْمَلْ بِهَا فَعَسَى تَنَالُ الْقُوْزَ مِنْ رَيْبَيْهِمَا

٩٩ مِنْ شَعْرِ الْمُتَّقِبِ الْعَبْدِيِّ :

لَا تَقُولَنَّ إِذَا مَا لَمْ تَرِدْ أَنْ تُتِمَّ الْوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ

حَسَنُ قَوْلٍ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لَا وَقَبِيحُ قَوْلٍ لَا بَعْدَ نَعَمْ
 إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمْ فَاحِشَةٌ فَلِأَفْأَبْدَأَ إِذَا خِفْتَ الدَّمَ
 وَإِذَا قُلْتَ نَعَمْ فَأَصْبِرْ لَهَا نِجَازُ الْوَعْدِ إِنَّ الْخُلْفَ دَمٌ
 أَكْرَمُ الْجَارِ وَرَأْيِي حَقُّهُ إِنَّ عِرْقَانِ الْآتِيِ الْحَقُّ كَرَمٌ
 إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَمْدَحُنِي حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غِبْتُ شَتَمَ
 ١٠٠ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِيُّ يَعْظُمُ آثَرُهُ بَدْرًا :

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضُرُّهَا الَّذِي أَلَّبَ الْحَكِيمُ
 دُمُ الْخَلِيلِ بُوْدِهِ مَا خَيْرُ وَدٍّ لَا يَدُومُ
 وَاعْرِفْ لِحَارِكِ حَقُّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الضَّيْفَ يَوْمَ مَا سَوْفَ يَخْدُ أَوْ يَلُومُ
 وَالنَّاسُ مُبْتَلِيَانِ مَحْمُودُ النِّيَاةِ أَوْ ذَمِيمُ
 وَأَعْلَمُ بَنِي قَائِهِ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
 أَنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهْمُ لَهُ الْعَظِيمُ
 وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تَقْضَاهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ
 وَالْبَنِي يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
 وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
 وَالْمَرْءُ يُكْرِمُ لِلْفَنَى وَيَهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
 قَدْ يَفْتَرُ الْحَوْلُ الْآتِيَّ وَيَكْثُرُ الْحَقُّ الْأَثِيمُ
 يَمْلَأُ لِدَاكَ وَيُنْتَلِي هَذَا قَائِمًا الْمُضِيمُ

وَالْمَرْءُ يَبْجُلُ فِي الْحَمَوِ قِوَالِكَلَالَةِ مَا يُسِمُ
مَا يُجْلُ مَنْ هُوَ لَلْمَوِ نِوَرِيهَا غَرَضُ رَجِيمِ
وَرَى الْقُرُونِ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمِ
وَتَحَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمِ

١٠١

نخبة من حكم أبي عثمان بن ثون النخعي

زَاحِمُ أُولَى الْعِلْمِ حَتَّى تُعَدَّ مِنْهُمْ حَقِيقَةٌ
وَلَا يَزِدُّكَ عَجْزُ عَنْ أَخْذِ أَعْلَى طَرِيقَةٍ
فَإِنَّ مَنْ جَدَّ يُعْطَى فِيمَا يُحِبُّ لِحُوقَةٍ

الدَّرْسُ رَأْسُ الْعِلْمِ فَأَحْرِصْ عَلَيْهِ فَكُلُّ ذِي عِلْمٍ قَصِيرٌ إِلَيْهِ
مَنْ ضَيَّعَ الدَّرْسَ بَرَى هَازِيًا عِنْدَ أَعْتَابِ النَّاسِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَعِزَّةُ الْعَالَمِ مِنْ حِفْظِهِ كَعِزَّةُ الْمُتَّقِ فِي مَا عَلَيْهِ

ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ لَا مَحَالَةَ هَوَى نَفْسٍ يَقُودُ إِلَى الْبَطَالَةِ
وَشُحٌّ لَا يَزَالُ يُطَاعُ دَابًّا وَعُجْبٌ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ حَالَةٍ

لُخُوكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الْغَيْبِ جَاهِدًا وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالتَّهْمِ
وَيَنْشُرُ مَا يَرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعَلِّنًا وَيُعْضِي وَلَا يَأْلُو مِنَ الْبِرِّ وَالنَّصَحِ

حَبِيبُكَ مَنْ يَغَارُ إِذَا زَلَلَا وَيُعْلِظُ فِي الْكَلَامِ مَتَى أَسَآتَا
يُسْرُ إِنِ اتَّصَفَتْ بِكُلِّ فَضْلٍ وَيَحْزَنُ إِنْ نَقَصَتْ أَوْ اتَّقَصَصَا
وَمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِكَ لَا يُبَالِي أَحَدٌ عَنِ الصَّوَابِ أَمْ أَعْتَدَلَا

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ فَتَانَهُ وَأَبَانَ عَنْهُ الْوَلِيَّ الْحَمِيمَا
ذِكْرُكَ الذَّنْبَ نَفْرَةً عَنْهُ تَبْقَى لَكَ إِنكَارَ فِعْلِهِ مُسْتَدِيمَا

لَيْسَ التَّفَضُّلُ يَا أَخِي أَنْ تُحْسِنَا لِأَخٍ يُجَازِي بِالْجَمِيلِ مِنَ الشَّيْءَا
إِنَّ التَّفَضُّلَ أَنْ تُجَازِيَ مِنْ أَسَا لَكَ بِالْجَمِيلِ وَأَنْتَ عَنْهُ فِي غِنَى

مِنْ عَيْنِي الْمَرْءُ يَبْدُو مَا يَكْتُمُهُ حَتَّى يَكُونَ الَّذِي يَرَعَاهُ يَفْهَمُهُ
مَا يُضْمِرُ الْمَرْءُ يَبْدُو مِنْ شَمَالِهِ لِنَظِيرٍ فِيهِ يَهْدِيهِ تَوَسُّمُهُ

تَعْظِيمُكَ النَّاسَ تَعْظِيمُ انْفِسِكَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ طُرًّا وَالْأَوْدَاءِ
مَنْ عَظَّمَ النَّاسَ يَعْظُمُ فِي النَّفُوسِ بِالْأَمْوَالِ وَمَوْنَةٍ وَيَنْبُلُ عِزَّ الْأَعْزَاءِ

وَمُسْتَقْبَحٌ مِنْ أَخٍ خُلَّةٌ وَفِيهِ مَعَايِبُ تُسْتَرْدَلُ
كَأَعْمَى يُخَافُ عَلَى أَعْوَرٍ عِتَارًا وَعَنْ نَفْسِهِ يَقْفُلُ

خُذِ الْأُمُورَ بِرِفْقٍ وَاتَّبِعْ أَبَدًا إِيَّاكَ مِنْ عَجَلٍ يَدْعُو إِلَى وَصَبِ
الرِّقْقُ أَحْسَنُ مَا تَوَقَّى الْأُمُورُ بِهِ يُصِيبُ ذُو الرِّقْقِ أَوْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ

إِنَّ الْمُسِيءَ إِذَا جَارَيْتَهُ أَبَدًا يَفْعَلُهُ زِدْتُهُ فِي غَيْهِ شَطَطًا
الْعَفْوُ أَحْسَنُ مَا يُجْزَى الْمُسِيءَ بِهِ يَهِينُهُ أَوْ يُرِيهِ أَنَّهُ سَقَطًا

سَرِيرَةُ الْمَرْءِ تُبْلِيهَا شَمَالُهُ حَتَّى يَرَى النَّاسُ مَا يُخْتِمُهُ إِعْلَانًا
فَاجْعَلْ سَرِيرَتَكَ التَّقْوَى تَرَى أَمَلًا فِي كُلِّ مَا أَنْتَ تَنْفِيهِ وَزُهَانًا

تَبَّتْ بِالْأُمُورِ وَلَا تُبَادِرْ لِشَيْءٍ دُونَ مَا نَظَرِ وَفَكِّرْ
قَبِيحٌ أَنْ تُبَادِرَ ثُمَّ تُنْخَطِي وَتَرْجِعَ لِتَتَبَّتْ دُونَ عَذْرِ

نخبة من حكم اوردها البستي في ديوانه

١٠٢

يَا مَنْ يُسَامِي الْعُلَى عَفْوًا بِلا تَمَبِ هَيْهَاتَ نَيْلِ الْعُلَى عَفْوًا بِلا تَمَبِ
عَلَيْكَ بِالْجِدِّ إِنِّي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا حَوَى نَصِيبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ مَا نَصَبِ

الْحُرُّ فِي التَّحْقِيقِ مُنْقَى ذَاتِهِ مِنْ رِقِّ شَهْوَتِهِ وَمِنْ غَفَلَاتِهِ
وَمَنْ أَقْتَى مَا لَيْسَ يُمْكِنُ غَضَبُهُ مِنْهُ وَوَقَّرَ جَاهِدًا حَسَنَاتِهِ
فَأَصْحَ لَوْعَظِي وَأَتَمَّعْ نَصَائِحِي وَأَبْجَلْ بِبَاقِي الْعُمُرِ قَبْلَ قَوَاتِهِ
وَأَمِتْ بِجَهْدِكَ قُوَّةَ الْغَضَبِ الَّذِي تَحْيَا الْبَصِيرَةُ وَالَّتِي بِمِمَاتِهِ
وَعَلَيْكَ بِالْعَدْلِ الَّذِي هُوَ لَفْتِي إِنْ عُدَّتْ الْأَوْصَافُ خَيْرُ صِفَاتِهِ
وَأَعْلَمْ أَنَّ مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى فِي الْخَوْفِ مِنْ بَغَاتِهِ
وَالْمَرَّةُ لَيْسَ يَخَافُ مِنْ رَكْضَاتِهِ إِلَّا لَوْهَنَ دَبَّ فِي عَزَمَاتِهِ
أَنِّي يَخَافُ الْمَوْتَ حَيْ عَالَمُ يَمْتَدُّ فَضْلًا مُقَوِّمَ ذَاتِهِ
لَا سِيَّاءَ وَوَرَاءَ ذَلِكَ لِفَتَى عَيْشُ رَحَاءِ الْعَيْشِ فِي لَذَاتِهِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ فَنَاءَهُ مِنْ مَوْتِهِ فَأَعْلَمْ بِأَنَّ فَنَاءَهُ بِحَيَاتِهِ

قُلْ لِلْفَقِيهِ مَقَالًا لَيْسَ يَنْدُمُ مِنْ حُلُولِ الْعِتَابِ وَصُرِّ الْعُتْبِ تَمْزِيحًا
إِذَا قَطَمْتَ أَمْرًا عَنْ عَادَةٍ قَدِمْتَ فَاجْعَلْ لَهُ يَاعْقِدُ الْفَضْلُ تَذْرِيجًا
وَلَا تُعَيِّفْ إِذَا قَوِّمْتَ ذَا عِوَجٍ فَرُبَّمَا أَعْقَبَ التَّثْوِيمُ تَمْوِيحًا

تَكْثُرَتْ بِالْأَمْوَالِ جَمَلًا وَإِنَّمَا
فَأَنْتَ عَلَيْهَا خَافٍ غَضَبٍ غَاصِبٍ
إِذَا نَامَتْ الْأَجْزَانُ بِتِ مُكَابِدًا
فَهَلَّا أَقْبَيْتِ الْبَاقِيَاتِ الَّتِي لَهَا
فَضَائِلُ نَفْسَانِيَّةٍ أَيْسَ يَهْتَدِي
هِيَ أَلِيمٌ وَالتَّقْوَى هِيَ الْبَأْسُ وَالْحُجَى

وَالْمَرْءُ أَضْدَادُ يَوْمُونٍ قَسَرَدُ
فَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ جَفَاهُ شِرَارُهُمْ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْهُمْ عَلَى حَالِهِ بُدُ
وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَالْخِيَارُ لَهُ صُدُ

مَنْ صَادَمَ الدَّهْرَ مُغْتَرًّا بِقُوَّتِهِ
وَمَنْ يُبِخُ قُرْنَاءَ السُّوءِ عِشْرَتُهُ
فَاحْكُمْ عَلَيْهِ بِأَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَدَمَهُ
يَكُنْ قَصَارَاهُ مِنْ إِيْنَانِهِمْ نَدَمَهُ
رَأَيْتَ أَشْرَفَ مِنْ مَحْصُولِهِ عَدَمَهُ
وَكُلُّ ذِي شَرَفٍ لَوْ لَا خَصَائِصُهُ
مِنْ أَمْضَائِلِ سَاوَى رَأْسِهِ قَدَمَهُ

نخبة من اراجيز الشيخ السابري

١٠٣

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْقَاهِرِ
مُدِيرِ الْخَلْقِ وَمُنْشِي الرِّزْقِ
الْوَاحِدِ الْقَرْدِ الْمَلِكِ الْقَادِرِ
ذِي الْمَنِّ وَالطَّوْلِ إِلَهِ الْخَلْقِ
هَذَا كِتَابُ جَامِعِ الْأَدَابِ
مُفَصَّلٌ مُنْتَظَمٌ الْأَبْوَابِ
حَبْرَتُهُ بِمَنْطِقِي تَحْيِيرًا
لَمْ أَلْ فِيهِ أَنْصَحَ وَالتَّيْسِيرَا
أَوْدَعَتْهُ مَحَاسِنُ الْمَذَاهِبِ
فِي الرَّأْيِ وَالْمَقْلِ وَفِي اتِّجَارِبِ

وَكُلُّ قَوْلٍ حَسَنٍ مُتَّخَبٍ يُؤْتَرُ عَنْ أَهْلِ الْحِجَى وَالْأَدَبِ
وَمَا آتَى مِنْ مَثَلٍ مَضْرُوبٍ مُسْتَمَحٌّ مُسْتَطَرَفٍ غَرِيبٍ
يَزْدَادُ ذُو الْعِلْمِ إِذَا رَوَاهُ عِلْمًا إِلَى تَحْمُودٍ مَا أَنْشَاهُ
وَيُنْجِسُ الْمُنْقَلَبَ الْمُنُورَا حَتَّى تَرَاهُ أَرَبًا مُنْجَرِدًا
وَالْمَرْءَ لَنْ يَسْتَكْمِلَ الْأَدَابَا وَلَوْ يَعِيشُ سَالِمًا أَحْقَابَا
لَكِنَّهُ يَزْدَادُ فِي الْأَيَّامِ عِلْمًا بِتَضِيعِ الْأَمْرِ وَالْإِثْرَامِ
وَإِنَّهُ يَزْدَادُ يَوْمًا يَوْمًا فِي دَهْرِهِ تَجَرِبَةً وَعِلْمًا

التجارب

١٠٤

وَأَفْطَنَ لِصَرْفِ الدَّهْرِ وَالْعَجَابِ فَإِنَّهُ لَا عِلْمَ كَالْتَّجَارِبِ
كَفَاكَ مَنْ عَاشَرْتَ مِنْ إِخْوَانٍ مَعْرِفَةً بِصُورَةِ الزَّمَانِ
لَا تَحْمَدُنْ قَبْلَ اخْتِبَارِ أَحَدَا يُجْلِبُ مِنْ بَرْقِهِ إِذَا بَدَا
فَرُبَّمَا أَخْطَفَكَ الطَّرِيقُ بِلَامِعٍ أَنْتَ بِهِ غَرِيبُ
إِنْ خِفْتَ مِنْ عَاقِبَةِ النَّدَامَةِ فَارْضَ مِنَ النَّوَالِ بِالسَّلَامَةِ
نَدَامَةُ الْمَرْءِ عَلَى التَّصْصِيرِ أَيْسَرُ مِنْ نَدَامَةِ التَّعْزِيرِ
وَطَالِبُ الْفَضْلِ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَذِي غَلِيلٍ شَرِيقِ بِمَاءِ
وَأَتَهَزَّ الْقُرْصَةُ إِمَّا مَرَّتْ قَرُبًا طَلَبَتْهَا قَفَرَتْ
وَالْأَمْرُ إِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ مِنْ عَلٍ فَاطْلُبْهُ قَبْلَ قَوْتِهِ مِنْ أَسْفَلِ
مَنْ لَمْ يَعْظُهُ الدَّهْرُ بِالتَّجَارِبِ لَمْ يَعْظُ يَوْمًا بِقَوْلِ صَاحِبِ
رُبَّ رَحَا دَارَتْ بَيْنَ يَلِيهَا تَطْحَنُ فِي الْحُرُوبِ مُرْكَبِيهَا

مَنْ جَالَسَ الْأَعْدَاءَ وَالْحُسَادَا لَمْ يَعْدَمْ الْحَبَالَ وَالْقَسَادَا
 وَوَحْدَةُ الْمَرْءِ بِلَا أُنَيْسٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سِتِّي الْجَلِيسِ
 نَاصِحَ أَخَاكَ فِي الْمَلَمَاتِ الْخَيْرُ وَكُنْ إِذَا نَاصَحْتَهُ عَلَى حَذَرٍ
 إِذَا لَقِيتَ النَّاسَ بِالنَّصِيحَةِ فَوَظِنِ النَّفْسَ عَلَى الْقَضِيَّةِ
 مَنْ صَدَقَ الصَّاحِبَ وَالرَّفِيقَا لَمْ يَدَعْ الصَّدْقُ لَهُ صَدِيقَا
 مَنْ سَلَكَ الْقَصْدَ إِذَا مَا سَارَا فِي كُلِّ وَجْهِ أَمِنَ الْعَارَا

الصمت وحفظ اللسان

١٠٥

أَلَصَمْتُ لِلْمَرْءِ حَلِيفُ السَّلَامِ وَشَاهِدُ لَهُ بِفَضْلِ الْحُكْمِ
 وَحَارِسُ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ فِي الْقَوْلِ إِنْ عَمِيَ عَنِ الْبَيَانِ
 فَعُذِّ بِهِ مُعْتَصِمًا مِنَ الْخَطَا أَوْسَطُ يَفْرِطُ فِي مَا قَرَطَا
 إِنَّ السُّكُوتَ يُقَبُّ السَّلَامَةَ قُرْبَ قَوْلٍ يُورِثُ الثَّدَامَةَ
 إِسْتَبْدَلِ الْحَيْفَةَ مِنْ أَمَانِهِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَحْذَرُ مِنْ لِسَانِهِ
 يَظَلُّ مَكْرُوبًا طَوِيلًا سَقَمُهُ مِنْ لَا يَزُمُ قَوْلُهُ وَيَخْطُمُهُ
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ مِنْ هَمِّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَيَسْتَرَحُّ مِنْ عَمِّهِ
 مِنْ أَحْمَدِ الْأَشْيَاءِ فِي الْإِنْسَانِ زِيَادَةُ الْعَقْلِ عَلَى اللِّسَانِ
 إِسْرَافُ ذِي الْإِطْنَابِ فِي الْمَقَالِ أَضَرُّ مِنْ إِسْرَافِهِ فِي الْمَالِ
 لَا شَيْءَ مِنْ جَوَارِحِ الْإِنْسَانِ أَحَقُّ بِالتَّجَنُّهِ مِنَ اللِّسَانِ
 إِنَّ اللِّسَانَ سَبْعُ عُمُودٍ إِنْ لَمْ يَسْسَهُ الرَّأْيُ وَالتَّدْبِيرُ
 لَا تُطْلَقَنَّ الْقَوْلُ فِي غَيْرِ بَصَرٍ إِنَّ اللِّسَانَ غَيْرُ مَأْمُونٍ الضَّرَرُ

قَالُوا مَا أَرْسَلَهُ عَلَى عَجَلٍ مُّوَكَّلٌ بِهِ الْبَارُ وَالزَّلَّ
يَا رَبَّ مَحْضُورٍ مِنَ الْقَالِ يَهْجُ شَرًّا غَيْرَ مُسْتَقَالٍ
وَلَهْظَةٍ زَائِمَةٍ سَبِيلَهَا قَدْ سَلَبَتْ نِعْمَةً مَنْ يَقُولُهَا
لَا تَطْلُقَنَّ فِي مَجْلِسٍ مَقَالَةٌ إِذَا مَضَتْ لَيْسَ لَهَا إِقَالَةٌ

الصبر

١٠٦

وَالصَّبْرُ فَأَعْلَمَ مِنْ أَعْدِ الْعَدَدِ عَلَى صُرُوفِ النَّاتِبَاتِ الْوَدِ
فَأَجْعَلُهُ إِنْ هُمْ أَلَمْ مَعْقِلًا وَأَجْعَلُهُ عِنْدَ النَّاتِبَاتِ مَوْنًا
فَالْدَهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى مِضْمَارٍ تَخْتَلِفُ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْبَلَاءِ صَابِرًا سَلَاكًا يَسْلُو الْبَهِيمُ صَاغِرًا
فَأَصْبِرْ إِذَا مَا عَصَّكَ الزَّمَانُ فَكُلُّ يَوْمٍ لِلْمَلِكِ شَانُ
مَنْ يَتَعَصَّمُ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْحَادِثِ فَالْحَبْلُ فِي يَدَيْهِ غَيْرُ نَاكِثٍ
إِذَا أَتَى مَا لَا تَطِيقُ دَفْعَهُ فَالصَّبْرُ أَوْلَى مَا أَقْسَمْتَ نَفْعَهُ
حُلُولُ مَا حَلَّ مِنَ الْبَلَاءِ كَالضَّيْفِ يَوْمًا حَلَّ فِي الْفَنَاءِ
فَأَصْبِرْ لِضَيْفِ بَيْتِكَ يَوْمًا زَلَا لَا يَلْبَثُ النَّازِلُ أَنْ يَرْتَحِلَا

صدق النطق

١٠٧

وَأَكْرَمُ الْأَدَابِ صِدْقُ الْمَنْطِقِ أَكْرَمُ بِهِ الْكَرَمُ بِهِ مِنْ خُلُقِ
أَعْدَلُ شَاهِدٍ عَلَى الصَّلَاحِ أَقْرَبُ مِنْهَا جِ إِلَى الْفَلَاحِ
شَرَفٌ بِهِ أَخْلَاقُكَ الْكَرِيمَةِ أُسْتَرَّ بِهِ حَالَا تَكِ الذِّمَّةِ
مَنْ صَدَقَ الْحَدِيثَ فِي الْمَقَالِ شَارَكَهُ الْمُتْرُونَ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْكَذِبُ فَأَعْلَمُ أَفْطَحُ الْمَسَاوِي صَاحِبُهُ مُشْفٍ عَلَى الْمَلْهُوِي
 مَنْ يَشْتَهَرُ يَوْمًا بِكَذِبِ الْمُنْطِقِ ثُمَّ أَتَى بِالصِّدْقِ لَمْ يُصَدِّقْ
 مَنْ عَذَّبَ الْكَذِبُ عَلَى لِسَانِهِ فَالْصِّدْقُ لَيْسَ كَانِئًا مِنْ شَانِهِ
 وَأَكْنَعَةُ الْمُنْطِقِ بِالصُّوَابِ خَيْرٌ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالْكَذَّابِ
 لَا تَعْصِيَنَّ قَوْلَ ذَوِي التَّجَارِبِ لَا تَسْتَعِنْ فِي عَمَلٍ بِكَاذِبٍ

الكلام

١٠٨

وَأَرْعُ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
 تَحْمِيكَ مِنْ قَوَارِعِ الْمَلَامَةِ تَنْتَحِكُ الْإِعْزَازَ وَالْأَكْرَامَةَ
 أَزَيْنُ حِلْيَةً عَلَى الْإِنْسَانِ وَأَسْمِجُ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 فَارْحَلْ إِلَيْهَا طَالِبًا لِفَضْلِهَا وَأَسْمُ إِلَيْهَا رَاغِبًا فِي نَيْلِهَا
 فَإِنَّهَا تَحْكُمُ الْقَضَائِلَ حَمْدًا مِنَ النَّاسِ وَذُخْرًا آجِلًا
 عَلَيْكَ مَا يُحْمَدُ مِنْ مَقَالٍ قُرْضَ عَلَيْهِ النَّفْسُ فِي الْفَعَالِ
 فَكُلُّ مَا اسْتَحْيَيْتَ أَنْ يُقَالَ فِيكَ فَلَا تَحْتَجِّهِ فِعَالًا
 عَلَيْكَ حُسْنَ الْبَشْرِ فِي الْأَقَاءِ فَإِنَّهُ مِنْ سَبَبِ الْإِخَاءِ
 يُرِي عَلَى صَاحِبِهِ قَبُولًا مِنَ الْوَرَى وَمَنْظَرًا جَمِيلًا
 يَهْدِي لَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامَا يَذُودُ عَنْكَ أَلْهَمَ وَالْمَلَامَا

١٠٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس وقيل لعلي بن ابي طالب
 صرمت حبالك بعد وصلك زيتب (*) والدهر فيه تصرم وتقلب

(*) انما اراد الشاعر بزيتب هنا الدنيا وبالغائبات في البيت بعده ملأها

وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْغَايَاتِ فَإِنَّهُ
قَدَعَ الصَّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
وَأَزْهَدَ فَعَمْرُكَ مَرٍّ مِنْهُ الْأَطْيَبُ
وَأَتَى الشَّيْبُ فَأَتَى مِنْهُ الْمُهْرَبُ
وَأَذْكُرُ ذُنُوبَكَ وَأَبْكِيهَا يَا مُذْنِبُ
لَا بُدَّ يُخْصَى مَا جَنَيْتَ وَيَكْتَبُ
أَنْفَاسَنَا بِهَا تُعَدُّ وَتَحْسَبُ
بَلْ أَتَيْتَاهُ وَأَنْتَ لَا يَمُوتُ
سَرَدُهَا بِالرَّغَمِ مِنْكَ وَتُسَلَّبُ
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَجْرُبُ
رُ نَصُوحٌ لِلْأَنَامِ مُجْرِبُ
فَهُوَ الَّذِي الْوُدَّعِي الْأَذْرَبُ
مَا زَالَ قَدَمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
مَضْضُ يَذِلُّ لَهُ الْأَعْزُ الْأَنْجَبُ
قَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيَرْتَقِبُ
وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيَقْرَبُ
وَلَقَدْ كُتِبَ ثَوْبُ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيصَ وَيَتِمُّ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُحِبُّ
فَهْلِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمَهَا تَفَرُّ وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَمَلُّ مِنْهُ الرِّضَا
وَأَرِغِ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ وَأَحْذَرِ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَابِئًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْصَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَأَحْذَرِ مُوَلَّخَةَ الدَّيْنِ لِأَنَّهُ وَأَخْزَرِ صَدِيقَكَ وَأَعْطِفْهُ تَفَاحُراً
وَدَعْ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَأَحْضِظْ لِسَانَكَ وَأَحْزِرْ مِنْ لَفْظِهِ
وَزِنْ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ وَالسِّرَّ فَاعْتَمِمْهُ وَلَا تَطِقْ بِهِ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا
رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُحِبُّ إِنْ أَتَيْتَ هُوَ الْبُعْيُ الْأَهْبُ
إِنْ أَلْطَمَ لِرَبِّهِ لِمُقَرَّبٍ وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطْلُبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُحْجَبُ بِتَذَلُّلٍ وَأَسْمَعِ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُكَبُّ أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكَرِيهَ الْأَضَعُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحُ الْأَجْرُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ إِنْ الْكُذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَضْحَبُ
وَأَبْعَدُهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلُّ فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطِبُ ثَرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ مَخْطُبُ
فَهُوَ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذَا لَا يَنْشَبُ فَرُجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَضْمُ
شِبْهَ الزَّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُشْمَبُ

وَأَحْذَرُ عَدُوِّكَ إِذَا تَرَاهُ بِأَسْمَا
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً
يَلْفَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَاثِقٌ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِلَدَةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللَّهُ وَاسِمَةَ الْقَضَا
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قِيلَتْ نَصِيحَتِي
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً
حِكْمٌ وَآدَابٌ وَجُلُ مَوَاعِظٍ
فَأَصْنِعْ لَوْعَظٍ قَصِيدَةً أَوْ لَا كَهَا
فَاللِّثُ يَبْدُو نَابَهُ إِذَا يَنْضَبُ
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُجَبُّ
حُلُوُ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَقَلَّبُ
وَيَرْوَعُ مِنْكَ كَمَا يَرْوَعُ الثَّلَابُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْقَرِيبُ
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
طُولًا وَعَرَضًا شَرَفًا وَالْمَرْبُ
فَالْتَصِقْ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
جَاءَتْ كَنْظَمُ الدَّرَبِ لَهَا هِيَ أَعْجَبُ
أَمْثَالُهَا لِلذَّوِي الْبَصَائِرِ تُكْتَبُ
طَوْدُ الْعُلُومِ الشَّاعِغَاتِ الْأَهْيَبُ

لامية ابن الوردي

١١٠

إِعْتَرَلَ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالنَزَلِ
وَدَعَ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصَّبَا
وَأَثْرُكَ الْغَادَةِ لَا تَحْفِلُ بِهَا
وَأَفْتَكِرُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي
وَأَهْجُرُ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتُ فَتَى
وَأَتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طَرَقًا بَطَلًا
وَقُلُ الْفَضْلِ وَجَانِبٍ مِنْ هَزَلٍ
فَلَا يَأْمِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْلُ
تُسِرُ فِي عِزِّ رَفِيعٍ وَتَجَلُّ
أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَلُ
كَيْفَ يَسْمَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلُ
جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلُ
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطْلُ

كُتِبَ الْوَيْدُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ
أَيُّ تَمَرُودٍ وَكُفْرَانٍ وَمَنْ
أَيُّ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا
أَيُّ أَرْبَابٍ الْحُجَّى أَهْلُ النَّهْيِ
سَمِيعُ اللَّهِ كُلًّا مِنْهُمْ
أَيُّ بَنِي آتَمَعَ وَصَايَا جَمَعَتْ
أَطْلَبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْثُلْ فَا
وَاحْظِلْ بِأَلْفِهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَأَهْجُرِ النَّوْمَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ
لَا تَعْمَلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ
فِي أَزْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى
جَمَلِ الْمُنْطِقِ بِالْخَوْفِ فَمَنْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَا زِمِ مَذْهَبِي
فَهُوَ غَوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا
مُلْكُ كِسْرَى عَنْهُ تُبْنِي كِسْرَةَ
إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمَنْ عَادَاتِهَا
عَيْشَةُ الرَّائِبِ فِي تَحْصِيلِهَا
كَمْ جَهْلٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا
كَمْ مُجَاعٍ لَمْ يَلِ فِيهَا الْمُنَى
فَلَمْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُنْجِ أَهْلُ
أَيُّ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلِ
وَسَيَجْزِي قَاعِلًا مَا قَدْ قَعَلَ
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ بِحَقِّ مَا بَدَلَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ
وَجَمَالَ الْعِلْمُ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
يُحْرِمُ الْإِعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلَ
فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ التَّحَلُّ
أَحْسَنَ الشَّعْرِ إِذَا لَمْ يُبْتَدَلْ
وَعَنِ الْبَحْرِ أَجْرَاءُ بِالْوَشَلِ
تُخَفِّضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقَلَّ
وَعَلِيمٍ مَاتَ مِنْهَا بِعِلَلٍ
وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

فَاتْرُكِ الْحِيلَةَ فِيهَا وَاتَّكِلِ إِنَّمَا الْحِيلَةُ فِي تَرْكِ الْحِيلِ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَضْلِي أَبَدًا إِنَّمَا أَصْلُ الْقَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِ أَبِي وَبِحَسَنِ السَّبَكِ قَدْ يُنْقَى الزَّغَلُ
إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشَّوْكِ وَمَا يَنْبُتُ التَّرْجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلٍ
قِيمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمْ أَقَلُ
بَيْنَ تَبْدِيرٍ وَبُخْلِ رُتْبَةٍ وَكَلَامٍ هَذِينَ إِنْ زَادَ قَتْلُ
لَيْسَ يَخْلُو أَلَمًا مِنْ ضِدِّهِ وَلَوْ حَاوَلَ الْعُزْلَةَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ
دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَحْجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ
جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَوْلَ فَعَلَ
لَا تَلِ الْأَحْكَامَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالِفَ مَنْ عَدَلَ
إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ وَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
قَصِيرُ الْأَمْوَالِ فِي الدُّنْيَا تَفَرُّ قَدِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
غَبٌ وَزُرْ غِبًّا تَرَدُّ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرَدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالُ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسَ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ
خُذْ بِصَلِّ السَّيْفِ وَاتْرُكْ غِمْدَهُ وَاعْتَبِرْ فَضْلَ الْقَتَى دُونَ الْحُلِّ
حُبُّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزُ ظَاهِرُ قَاعْتَرَبَ تَلَقَّيْنِ الْأَهْلِ بَدَلُ
فِيمَنْكَتِ الْمَاءِ يَبْقَى آسِنَا وَسَرَى الْبَدْرُ بِهِ الْبَدْرُ اكْتَمَلَ

نونية الى القم البستي

١١١

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانُ وَرَبُّهُ غَيْرُ تَخْصِ الْخَيْرِ خُسْرَانُ

وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ فَإِنَّ مَمْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ قِشْدَانُ
يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّهْرِ مُجْتَهِدًا يَا اللَّهُ هَلْ لِحِرَابِ الْعَمْرِ عُمَرَانُ
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجَمُّعًا أَنَسَيْتَ أَنَّ سُرُورَ الْمَالِ أَخْرَانُ
زِعَ الْفَوَادِ عَنِ الدُّنْيَا وَزَخْرِفِهَا فَصَفَوْهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَزِعَ سَمَمَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلَهَا كَمَا يُفْصَلُ يَأْقُوتُ وَمَرْجَانُ
أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعِيدُ قُلُوبَهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحَدَمَتِهِ أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِي مَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقِيلَ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَالِهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مَعْوَا نَالِدِي أَمَلٍ يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَرْمَ مِعْوَانُ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُخَمِّدْ فِي عَوَاقِبِهِ وَيَكْفِهِ شَرٌّ مِنْ عَزَا وَمَنْ هَانُوا
مَنْ أَسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبِ فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْغَيْرِ مَنَاعًا فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالُ النَّاسِ قَاطِبَةً إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
مَنْ سَلَّمَ النَّاسَ يَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ جَذْلَانُ
مَنْ كَانَ لِلْعَمَلِ سُلْطَانٌ عَلَيْهِ عَدَا وَمَا عَلَى نَفْسِهِ لِلْحَرَصِ سُلْطَانُ
مَنْ مَدَّ طَرَفًا بِرُطْبِ الْجَهْلِ مُخَوِّمَى أَنْغَضَى عَلَى الْحَقِّ يَوْمًا وَهُوَ خِرْيَانُ
مَنْ اسْتَشَارَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَامَ لَهُ عَلَى حَقِيقَةِ طَبْعِ الدَّهْرِ بُرْهَانُ
مَنْ بَرَزَ الشَّرَّ يَخْصُدُ فِي عَوَاقِبِهِ نَدَامَةٌ وَلِحَصْدِ الزَّرْعِ إِبَانُ

مَنْ اسْتَتَمَ إِلَى الْأَشْرَارِ نَامَ وَفِي
 كُنْ رَيْقُ الْبَشَرِ إِنَّ الْحَرَمَةَ
 وَرَافِقُ الرِّفْقِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ فَلَمْ
 وَلَا يَغْرُكْ حَظُّ جَرِّهِ خَرَقُ
 أَحْسَنَ إِذَا كَانَ إِمْكَانٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَالْرَوْضُ يَزْدَانُ بِالْأَنْوَارِ فَاعْمَةٍ
 صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ لَا تَهْتِكْ غِلَالَتَهُ
 دَعِ التَّكَاثُلَ فِي الْخَيْرَاتِ تَطْلُبُهَا
 لَا ظِلَّ لِلْمَرْءِ يَغْرَى مِنْ نَهْيٍ وَتَقَى
 وَالنَّاسُ أَعْوَانُ مَنْ وَآلَتُهُ دَوْلَتُهُ
 سَخْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصِيرُ
 لَا تُودِعِ السِّرَّ وَشَاءَ بِهِ مَذَلًا
 لَا تَحْسَبِ النَّاسَ طَبْعًا وَاحِدًا فَلَهُمْ
 مَا كُلُّ مَاءٍ كَصَدَّاءَ لِيُؤَادِهِ
 لَا تَخْدِشَنَّ بِمُطْلٍ وَجْهَ عَارِفَةٍ
 لَا تَسْتَشِيرْ غَيْرَ نَذْبٍ حَازِمٍ يَقْظِي
 فَلْتَدَايِرِ فُرْسَانَ إِذَا رَكَّضُوا
 وَالْأُمُورِ مَوَاقِيتُ مُقَدَّرَةٌ
 فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ
 قَيْصُهُ مِنْهُمْ صِلْ وَتُعْبَانُ
 صَحِيفَةٌ وَعَلَيْهَا الْبَشَرُ غُنْوَانُ
 يَنْدَمُ رَفِيقٌ وَلَمْ يَذُمَّهُ إِنْسَانُ
 فَالْحَرْقُ هَذَا وَرَفِيقُ الْمَرْءِ بُنْيَانُ
 فَلَنْ يَدُومَ عَلَى الْإِحْسَانِ إِمْكَانُ
 وَالْحَرْقُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَزْدَانُ
 فَكُلُّ حَرٍّ لِحَرِّ الْوَجْهِ صَوَانُ
 فَلَيْسَ يَسْعَدُ بِالْخَيْرَاتِ كَسَلَانُ
 وَإِنْ أَظْلَمَتْهُ أَوْرَاقُ وَأَفْكَانُ
 وَهُمْ عَلَيْهِ إِذَا عَادَتْهُ أَعْوَانُ
 وَبَاقِلُ فِي ثَرَاءِ أُمَالٍ سَخْبَانُ
 فَمَارِعَى غَنَمًا فِي الدَّوْرِ سِرْحَانُ
 غَرَارُ لَسْتَ تُخَصِّصِينَ أَلْوَانُ
 نَعَمْ وَلَا كُلُّ نَبْتٍ فَهُوَ سَعْدَانُ
 فَالْبِرُّ يُجَدِّدُهُ مَطْلُ وَلِيَانُ
 قَدْ اسْتَوَى مِنْهُ إِسْرَارُ وَإِعْلَانُ
 فِيهَا أَبْرَأُوا كَمَا لِلْعَرَبِ فُرْسَانُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانُ
 فَلَيْسَ يُحْمَدُ قَبْلَ التَّضَجِّ بِخُرْآنُ

كُنِّي مِنَ الْعَيْشِ مَا قَدَسَ مِنْ عَوِزٍ قَبِيهِ لِلْحَرِّ قُبَانٌ وَغُبَانُ
وَذُو الْقَنَاعَةِ رَاضٍ مِنْ مَعِيشَتِهِ وَصَاحِبُ الْحِرْصِ إِنْ أَثَرَى فَقَضْبَانُ
إِذَا جَفَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأَلَّفُهُ فَاطْلُبْ سِوَاهُ فَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانُ
حَسْبُ أَلْفَتِي عَمَلُهُ خِلَا يُعَاشِرُهُ إِذَا تَحَامَاهُ إِخْوَانُ وَخِلَانُ
هَمَا رَضِيْعَا لِبَابِ حِكْمَةٍ وَتَقَى وَسَاكِتَا وَطَنِ مَالٍ وَطُفْيَانُ
إِذَا نَبَا بِكَرِيمٍ مَوْطِنُ فَلَهُ وَرَأَاهُ فِي بَسِيطِ الْأَرْضِ أَوْطَانُ
يَا ظَالِمًا فَرِحَا بِالْعِزِّ سَاعِدُهُ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالْدَهْرِ يَهْطَانُ
مَا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ لَوْ أَنْصَفَ آكِلُهُ وَهَلْ يَلِدُ مَذَاقَ الْمَرْءِ خُطْبَانُ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمُرْضِيُّ سِيرَتُهُ أَبْشِرْ وَأَنْتَ بِنَعْرِ الْمَاءِ رِيَانُ
وَيَا أَخَا الْجَهْلِ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي الْحُجِّ وَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لَا شَكَّ ظَمَانُ
لَا تَحْسَبَنَّ سُرُورًا دَائِمًا أَبَدًا مَنْ سَرَهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَمَانُ
يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِرًا مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرَّشْدَ نَشْوَانُ
لَا تَغْتَرَّزْ بِشَبَابٍ رَائِقٍ خَضِلٍ فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَانُ
وَيَا أَخَا الشَّيْبِ لَوْ نَاصَحْتَ نَفْسَكَ لَمْ يَكُنْ لِمِثْلِكَ فِي الْإِسْرَافِ إِمْعَانُ
هَبِ الشَّيْبَةَ تَبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا مَا عُذِرَ أَشْيَبُ بِسَهْوِهِ شَيْطَانُ
كُلُّ الذُّؤُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا إِنْ شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصُ وَإِيمَانُ
وَكُلُّ كَثْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يُجِيرُهُ وَمَا لِكَثْرٍ قِتَاةِ الدِّينِ جِيرَانُ
خُذْهَا سَوَاطِرَ أَمْثَالٍ هُذَيَّةٍ فِيهَا لِمَنْ يَبْتَغِي التَّيَّانَ تَيَّانُ
مَا ضَرَّ حَسَانَهَا وَالطَّبْعُ صَاحِبُهَا أَنْ لَمْ يَصْنَعْهَا قَرِيعُ الدَّهْرِ حَسَانُ

أَلْبَابُ الْخَامِسُ فِي الْأَمْثَالِ

مثال في معاني مختلفة جمعها ابن عبد ربّه في العقد الفريد (*)

١١٢ (فِي الصَّمْتِ) * الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ * عَيَّ صَامِتٌ
خَيْرٌ مِنْ عَيَّ نَاطِقٌ * الصَّمْتُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ الْحُبَّةَ * إِسْتَكْتَرَ مِنْ
الْهَيْبَةِ الصَّمُوتُ * النَّدَمُ عَلَى السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ عَلَى الْكَلَامِ *
(مَنْ أَصَابَ مَرَّةً وَأَخْطَأَ مَرَّةً) * شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي
الْأَرْضِ ١ * يُشْجُ مَرَّةً وَيَأْسُو أُخْرَى * سَهْمٌ لَكَ وَسَهْمٌ عَلَيْكَ *
أَطْرُقِي وَمِيشِي ٢ * (إِنْ كُشِفَ الْأَمْرُ بَعْدَ اكْتِمَائِهِ) * حَضَخَ الْحَقُّ *
أَبْدَى الصَّرِيحُ عَنِ الرُّغْوَةِ * صَرَحَ الْخُصُّ عَنِ الرُّبْدَةِ * أَفْرَخَ الْقَوْمُ
بَيْنَهُمْ ٣ * بَرَحَ الْخَفَاءُ وَكُشِفَ الْغَطَاءُ * (الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ) لِلْقَادِمِ
مِنْ سَفَرِهِ : خَيْرٌ جَاءَ وَرُدَّ فِي أَهْلِ وَمَالٍ ٤ * بَلَغَ اللَّهُ بِكَ أَكْثَرَ
الْأَمْرِ ٥ * نِعِمَّ عَوْفُكَ ٦ * فِي الزَّوْاجِ : عَلَى يَدِ الْخَيْرِ وَالْيَمِينِ *
بِالرِّفَاءِ وَالْيَمِينِ ٧ * هُنْتُ وَلَا تَتَكَدَّرُ ٨ * هَوَتْ أُمُّهُ وَهَبَتْ

(٥) اعلم أن ما في الحاشية من الشروح كان متصلاً بالأمثال ففصلناه عنها لالتحام السياق

١ شُبّه بالخالب الجاهل الذي يجلب شخباً في الإناء وشخباً في الأرض

٢ أصله أن يخلط الوبر بالصوف . والمطراق المود الذي يضرب به بين ما خلط

٣ أي أخرجوا فرخها . يريدون أن تظهر واسمهم

٤ أي جملك الله كذلك

٥ أي أقصاه

٦ أي نعم بالاك

٧ أي أقصاه

٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر

٧ يريد بالرفاء الكثرة (كذا

في الأصل) . يقال رفاؤه إذا دعوت له بالكثرة

٨ أي أصابك خير ولا أصابك ضرر

أُمُّهُ ١ * (الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ) * خَوَى نَجْمَهُ وَرَكَدَتْ رِيحُهُ * بَاخَ مَيْسَمَهُ
وَكَبَا جَوَادُهُ * خَمَدَ ضَرَامُهُ وَتَضَبَ مَاوُهُ * إِنْتَلَمَ رُكْنَهُ وَأَنْهَارَ جِرْفَهُ *
نَقَبَ خِفَّهُ وَدَمِنَ ظِلْفُهُ * رَغِمَ أَنْفُهُ وَخَرَّ سَقْفُهُ * غَارَ مَاوُهُ وَسَقَطَ
بَهَاوُهُ * قَرَعَ فَنَآؤُهُ وَصَفَرَ إِيَاؤُهُ * (رَمَى الرَّجُلُ غَيْرَهُ بِالْمَعْضَلَاتِ) *
رَمَاهُ بِأَفْحَافِ رَأْسِهِ * وَرَمَاهُ بِثَالِثَةِ الْآثَانِي ٢ * أَلْعَصِيَّةُ وَالْأَفِيكَةُ ٣ *
كَأَنَّمَا أَفْرَعَ عَلَيْهِ ذُنُوبَاءُ * (الْمَكْرُ وَالْخِلَابَةُ) * قَتَلَ فِي ذِرْوَتِهِ ٥ *
ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ ٦ * وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : الذَّبُّ يَأْدُو لِلْفَزَالِ ٧ *
(فِي الرَّجُلِ الْمُبِيرِ فِي الْفَضْلِ) * مَا يُشَقُّ غِبَارُهُ ٨ * إِذَا جَرَى الْمَذْكِي
حَسَرَتْ عَنْهُ الْحُمُرُ ٩ * جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَاةٌ أَوْ غِلَابٌ * لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ
دُونَ الْغَايَةِ الْفُصُوصِ * (الرَّجُلُ النَّبِيْهِ الذِّكْرِ) * مَا يُنْجَرُ فَلَانٌ فِي
أَلْعِمِكُمْ ١٠ * مَا يَوْمُ حَلِيمَةٍ بِسِرٍّ ١١ * أَشْهَرُ مِنَ الْإِبْلَاقِ * وَهَلْ

١ يدعون عليه وهم يريدون الحمد له . ونحوه إذا أحسن : قاتله الله وأخزاه الله . ومنه
قول امرئ القيس : ما لذل لا عُدَّ من نفره ٢ يريد قطعة من الحبل يُجْعَلُ إلى جنبها
للثنان وتكون هي الثالثة ٣ إذا رماه بالبهتان ٤ إذا كلَّسه كلمةً بكنهه جا
٥ أي خادعه حتى أزاله عن رأيه . ويروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج إلى
البصرة فأبت عليه : فما زال يقتل في الذروة والغارب حتى أجابت
٦ يريدون المتأخرة . وقال آخر :

إذا أراد امرؤ مكرًا جنى غِلَاةً وظلَّ يضرب أخماسًا لأسداس
٧ أي يبتلهُ ليوقمه ٨ أصله السابق من الحبل ٩ أي كما سبق القوس
القارح الحُسْرُ ١٠ ألعكم الجوالق يريد أنه لا يخفى مكانه
١١ يضرب لكل أمرٍ مشهورٍ وكانت فيه وقعة مشهورة قُتِلَ فيها المنذر بن ماء السماء
فصُرِّبَتْ مثلاً

يَخْفَى عَلَى النَّاسِ الْيَوْمَ. وَمِثْلُهُ: وَهَلْ يَخْفَى عَلَى النَّاطِرِ الصُّبْحُ *
 وَهَلْ يَجْهَلُ فَلَانًا إِلَّا مَنْ يَجْهَلُ الْقَمَرُ * (الرَّجُلُ الْعَزِيزُ يَغْزِي بِهِ
 الدَّلِيلُ) * إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ١ * لِأَحْرِ بَوَادِي عَوْفٍ ٢ *
 تَمَرَّدَ مَا رَدُّ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ ٣ * مَنْ عَزَّ بَزَّ * مَنْ قَلَّ ذَلَّ * مَنْ أَمِرَ قَلَّ الْأَمْرُ
 أَي كَثُرَ * (الرَّجُلُ الصَّغْبُ) * فَلَانُ أَلْوَى بَعِيدُ الْمُسْتَمَرِّ * مَا
 بَلَّتْ مِنْهُ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٌ ٤ * مَا يَقْعَقُ لِي بِالسَّيْنَانِ * مَا يُصْطَلَى بِنَارِهِ *
 مَا تُقَرَّنُ بِهِ الصَّغْبَةُ * (الرَّجُلُ الْعَالِمُ التَّخْرِيبُ) * إِنَّهُ لَيَقَابُ وَإِنَّهُ
 لَعَضُّ ٥ * أَنَا جَذِلْتُهَا الْحَكَّكَ وَعَذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ ٦ * وَمِثْلُهُ: إِنَّهُ
 لَجَذَلُ حِكَاكَ * عَنِتُّ تَشْفِي الْجَرْبَ ٧ * لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقَرِّعُ
 الْعَصَا ٨ * إِنَّهُ لَا أَمِي ٩ * مَا حَكَّكَتُ قَرْحَةً إِلَّا أَدْمَيْتُهَا * الْأُمُورُ
 تَشَابَهُ مُثْبَلَةٌ وَتَظْهَرُ مُذْهِبَةٌ . وَلَا يَعْرِفُهَا مُثْبَلَةٌ إِلَّا الْعَالِمُ التَّخْرِيبُ .
 فَإِذَا أَدْبَرَتْ عَرَفَهَا الْجَاهِلُ وَالْعَالِمُ * (الرَّجُلُ الْعَجْرَبُ) * إِنَّهُ لَشَرَابٌ

١ الْبُغَاثُ صَغَارُ الطَّيْرِ تَسْتَنْسِرُ تَصِيرُ نَسْرًا ٢ يُرِيدُونَ عَوْفَ بَنِ نَحْلَمَ الشَّيْبَانِي وَكَانَ
 نَيْمًا ٣ مَارِدٌ حَصْنٌ بِدُومَةٍ وَالْأَبْلَقُ حَصْنُ السُّمُوعِ ٤ وَأَصْلُهُ السَّهْمُ الْمَكْسُورُ الْفُوقُ
 السَّاقِطُ النَّصْلُ . يَقُولُ : فِهَذَا لَيْسَ كَذَلِكَ ٥ الْقَابُ الذِّكْرُ وَالْبَعْضُ الْعَالِمُ التَّخْرِيبُ
 ٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجَذَلُ تَصْنِيرُ الْجَذَلِ . وَهُوَ عَوْدُ يُنْصَبُ لِلدَّلِيلِ الْجَرْبَاءُ لَتَحْتَكُ بِهِ مِنْ
 الْجَرْبِ فَأَرَادَ أَنْ رَأَيْهِ يَشْفِي بِهِ . وَالْمُذْيِقُ تَصْنِيرُ طَذِقَ . وَالْمُذْيِقُ بِالْفَتْحِ الْخَلَّةُ نَفْسُهَا . فَإِذَا مَالَتْ
 الْخَلَّةُ الْكَرِيمَةَ بَنُوا مِنْ جَانِبِهَا الْمَائِلَ بِنَاءً مُرْتَفَعًا يَدْعَاهَا لِكَيْ لَا تَسْقُطَ فَذَلِكَ التَّرْجِيحُ . وَصَفَرُهَا لِلدَّحِ
 ٧ وَالْعَنِتَّةُ شَيْءٌ تُمَالَجُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا جَرِبَتْ ٨ وَأَوَّلُ مَنْ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا
 سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الْكَلْبَتَانِي . ثُمَّ قُرِعَتْ لَهُامِنْ الطَّرَبِ الْعِدْوَانِي . وَكَانَ حَكَمٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبَّرَ
 حَتَّى أَتَكَرَّعَ . فَقَالَ لِابْنِهِ : إِذَا أَنَا زَعْتُ فَقَوِّبُونِي . وَكَانَ إِذَا زَاغَ قُرِعَتْ لَهُ الْعَصَا فَيَقْرَعُ
 عَنْ ذَلِكَ ٩ وَهُوَ الَّذِي يُصِيبُ بِالظَّنِّ

بَانْفَعُ ١ * إِنَّهُ لِحَرَّاجُ وَلَا ج * حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَشَرِبَ أَفَاوِيْقُهُ ٢ *
 رَجُلٌ مُنْجَذُ ٣ * أَوَّلُ لُغْزٍ وَأَخْرَقَ * لَا تَنْزُرُ إِلَّا بِسَلَامٍ قَدْ غَزَا *
 زَا حِمٌ يُوَدُّ أَوْدَعَ * أَلْعَوَانُ لَا تَعْلَمُ الْحِنْرَةَ . وَقَالَتِ الْعَامَّةُ : الشَّارِبُ
 لَا يُصْفَرُ لَهُ * (أَلَا نَقَالُ مِنْ ذُلِّ إِلَى عِزٍّ) * كُنْتُ كُرَاعًا فَصِيرْتُ
 ذِرَاعًا * كُنْتُ عِزًّا فَاسْتَيْسَتْ * كُنْتُ بُعَاثًا فَاسْتَسْرَتْ * (إِعْجَابُ
 الرَّجُلِ بِأَهْلِهِ) * كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبْنَاهَا مُعْجَبَةٌ * الْقُرْتَبِيُّ فِي عَيْنِ أُمِّهَا حَسَنَةٌ *
 زَيْنٌ فِي عَيْنِ وَالِدِهِ وَلَدُهُ * حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ * (تَشْبِيهُ الرَّجُلِ
 بِأَبِيهِ) * مَنْ أَشَبَّ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ * أَلْعَصِيَّةُ مِنَ الْعَصَا * مَا أَشَبَّ حَجَلَ
 الْجِبَالِ بِالْوَانِ صَخْرَهَا * مَا أَشَبَّ الْحَوْلَ بِأَقْلَبِ . وَمَا أَشَبَّ اللَّيْلَةَ
 بِالْبَارِحَةِ * شَيْئَتُهُ أَعْرَضًا مِنْ أَخْزَمَ ٤ * قَالَ زُهَيْرٌ :

وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِيحُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
 وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَامَّةِ : لَا تَلِدُ الذِّبَّةُ إِلَّا ذِئْبًا * حَذُّو النَّعْلَ بِالنَّعْلِ
 وَحَذُّو الْقَذَّةَ بِالْقَذَّةِ ٥ * (الْحِلْمُ) * إِذَا رَأَى الشَّرُّ فَاغْضُ ٦ * وَمِنْهُ .
 الْحَلِيمُ مَطِيَّةُ الْجَهْلُولِ * لَا يَنْتَصِفُ حَلِيمٌ مِنْ جَاهِلٍ * آخِرُ الشَّرِّ فَإِنْ
 شِئْتَ تَعْلَمُهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي الْحَلِيمِ : إِنَّهُ كَكَوَاقِعِ الطَّيْرِ وَكَسَاكِنِ

١ أي مُأَوِّدٍ لِلْغَيْرِ وَالشَّرُّ أي اخْتَبَرْتُ مِنَ الدَّهْرِ خَيْرَهُ وَشَرُّهُ . فَالْأَشْطَرُ هُوَ شَطْرُ الْحَلِيبَةِ
 وَالنَّبِيقَةُ اسْمُ اللَّبَنِ حِينَ يَجْتَمِعُ فِي الضَّرْعِ مَا بَيْنَ الْحَلِيبَتَيْنِ ٣ وَهُوَ الْحَرْبُ . وَأَصْلُهُ مِنَ
 التَّوَاجُدِ يُقَالُ : قَدْ عَضَّ عَلَى نَاجِذِهِ إِذَا اسْتَحْكَمَ ٤ يُقَالُ هَذَا فِي الْوَلَدِ إِذَا كَانَتْ
 فِيهِ طَبِيعَةٌ مِنْ أَبِيهِ • وَالْقَذَّةُ الرِّيشَةُ مِنْ رِيشِ السَّهْمِ تَحْدَى عَلَى صَاحِبَتِهَا
 ٦ أي فَاحْلُمْ وَلَا تَسَارِعْ إِلَيْهِ

الرَّيْحَ * كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ * رَبَّمَا أَسَمِعُ فَأَذَرُ * حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي
 غَيْرُ صَمَاءَ * (مُدَارَاةُ النَّاسِ) * إِذَا لَمْ تَتَلَبَّ فَأَخْلَبْ ١ * وَقَوْلُهُمْ :
 إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا إِلَهَ ٢ * سَوْءُ الْإِسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصَّرْعَةِ *
 وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنَّا لَنَبْشُ فِي وُجُوهِ قَوْمٍ وَإِنْ قُلُوبُنَا لَتَنْفَرُ عَنْهُمْ *
 وَمِنْهُ قَوْلُهُ يُشِيرُ إِلَى النَّاسِ مَنْ دَارَاهُ النَّاسُ لِسَرِّهِ * وَمِنْهُ قَوْلُ شَيْبِ بْنِ
 شَيْبَةَ فِي خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : لَيْسَ لَهُ صَدِيقٌ فِي السَّرِّ وَلَا عَدُوٌّ فِي
 الْعَلَانِيَةِ . يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يُدَارُونَهُ لِسَرِّهِ وَقُلُوبُ النَّاسِ تُغِيضُهُ *
 (الِاسْتِعْدَادُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ زُورِهِ) * قَبْلَ الرُّجِيِّ يَرَأِشُ السَّهْمُ * قَبْلَ
 الرَّمَايَةِ تَمْلَأُ الْكَدَائِنُ * خُذِ الْأَمْرَ بِقَوَائِلِهِ ٣ * شَرُّ الرَّأْيِ الدَّيْرِيُّ *
 الْحَاجِزَةُ قَبْلَ الْمُنَاجِزَةِ * التَّمَدُّمُ قَبْلَ التَّزْوِيلِ * يَا عَاقِدُ أَذْكَرُ حَلَا *
 خَيْرُ الْأُمُورِ أَحْمَدُهَا مَغِيبَةٌ * لَيْسَ الدَّهْرُ بِصَاحِبٍ مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي
 الْعَوَاقِبِ * (حُسْنُ التَّذْيِيرِ وَالْتِهَانُ عَنِ الْحَرْقِ) * الرِّقْقُ يَمِنُ
 وَالْحَرْقُ سُوءٌ * رَبُّ أَكَلَةٍ تَحْرِمُ أَكَلَاتِ * قَلْبُ الْأَمْرِ ظَهْرًا
 لِيَطْنُ * وَجْهُهُ الْحَجَرُ وَجْهَةٌ مَا * وَلِ حَارَهَا مِنْ تَوَلَّى قَارَهَا * (الْأَمْرُ
 الشَّدِيدُ الْمُغْضِلُ) * أَظْلَمَ عَلَيْهِ يَوْمُهُ * وَأَيْنَ يَضَعُ الْمُخْنُوقُ يَدَهُ * لَوْ
 كَانَ ذَا حِيلَةٍ تَحْوَلُ * رَأَى الْكُوكَبَ ظَهْرًا . قَالَ طَرَفَةُ : وَتَرِيهِ
 النَّجْمَ يَجْرِي بِالْظُّهْرِ * (هَلَاكُ الْقَوْمِ) * طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ . وَطَارَتْ

٢ معناه : إن لم يكن حظوة فلا
 ٣ أي باستقباله قبل أن يُدبر

١ يقول : إذا لم تتلعب فدار والطف
 تفصير . وألا يالو ويأتلي وهو التفصير

بِهِمْ عِقَابٌ مَّلَاعٌ ١ * وَالْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا ٢ * أَتَتْهُمْ الدَّهْمُ تَرْمِي
بِالرَّصْفِ ٣ * وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَنَادِي وَلِيدُهُ ٤ * اِنْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبَطَانِ *
وَبَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ وَجَاوَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ * وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : بَلَغَ السَّكِينُ
الْعَظْمَ * (الْيَاسُ وَالْحَبِيبَةُ) * مَنْ لِي بِالسَّانِحِ بَعْدَ الْبَارِحِ ٥ * جَاءَ
بِجَفِّي حَتِينٌ * أَطَالَ الْغَيْبَةَ وَجَاءَ بِالْحَبِيبَةِ * وَنَظِيرُهُ : سَكَتَ أَلْفَا وَنَطَقَ
خَلْقًا ٧ * (أَلْظَلُمُ تَرَجُّعُ عَاقِبَتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ) * مَنْ حَفَرَ مَقَوَاةً وَقَعَ
فِيهَا ٨ * يَدْعُو عَلَى كُلِّ أَمْرٍ مَا يَأْتِرُ * عَادَ الرُّمِّيُّ عَلَى التَّرْعَةِ ٩ *
وَتَقُولُ الْعَامَّةُ : كَأَلْبَاحٍ عَنْ مُدَيَّةٍ * رُمِّيَ بِجُجْرِهِ وَقُتِلَ بِسِلَاحِهِ *
(نَفَى الْمَالِ عَنِ الرَّجُلِ) * مَا لَهُ سَعَةٌ وَلَا مَعْنَةٌ ١٠ * مَا لَهُ هَلَعٌ وَلَا
هَلْمَةٌ ١١ * مَا لَهُ هَارِبٌ وَلَا قَائِرٌ ١٢ * مَا لَهُ عَافِطَةٌ وَلَا نَافِطَةٌ ١٣ *

١ يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ . وَأَحْسِبُهَا مَعْدُولَةً عَنْ مَلِيعٍ ٢ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : الْحَوَايَا فِي
هَذَا الْمَوْضِعِ مَرْكَبٌ مِنْ مَرَائِبِ النِّسَاءِ وَاحِدُهَا حَوِيَّةٌ . وَأَحْسِبُ أَصْلَهَا أَنْ قَوْمًا قَتَلُوا فَعَمَلُوا
عَلَى الْحَوَايَا فَصَارَتْ مَثَلًا ٣ مَعْنَاهُ الدَّاهِيَةُ الْعَظِيمَةُ ٤ مَعْنَاهُ أَنْ الْأَمْرَ اشْتَدَّ حَتَّى
ذَهَلَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَدْعُو وَلِيدَهَا • أَيُّ مَنْ لِي بِالْيُسْنِ بَعْدَ الشُّومِ

٦ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زِلْتُ أَقْطَعُ عَرْضَ الْبِلَادِ مِنْ الْمَشْرِقَيْنِ إِلَى الْمَغْرِبَيْنِ
وَأَدْرُعُ الْخَوَافِ تَحْتَ الدُّجَى وَأَسْتَصِيبُ النَّسْرَ وَالْفَرَاقِدَيْنِ
وَأَطْوِي وَأَنْشُرُ ثَوْبَ الْعُمُومِ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ بِجَفِّي حَتِينِ

٧ أَيُّ اطَّالَ السَّكُوتُ وَتَكَلَّمَ بِالْقَبِيحِ . وَهَذَا التَّلُّ يَقَعُ فِي بَابِ الْيَاسِ وَلَهُ هَهُنَا وَجْهٌ أَيْضًا

٨ وَالْمَنَارَةُ الْبَيْرُ يُحْفَرُ لِلذَّنَابِ وَيُحْمَلُ فِيهَا جَبِيٌّ لِيَسْقُطَ الذَّنْبُ فِيهَا لِيَصِيدَهُ فَيُصْطَادُ

٩ وَهِيَ الرُّمَّةُ يَرْجِعُ عَلَيْهِمْ رَمِيمٌ ١٠ مَعْنَاهُ لَا شَيْءَ لَهُ

١١ وَهِيَ الْجَدْيُ وَالْمَنَاقُ ١٢ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَهُ أَحَدٌ يَجْرِبُ مِنْهُ وَلَا أَحَدٌ يَقْرُبُ إِلَيْهِ قَلِيلٌ لَهُ

١٣ وَهِيَ الْفَائِزَةُ وَالْمَاعِزَةُ

شَيْءٌ

مَا بِهِ نَبَضٌ وَلَا حَبْضٌ ١ * مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا لَبْدٌ ٢ * (إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي
 الدَّارِ أَحَدٌ) * مَا بِالدَّارِ دُعْوِيٌّ وَلَا يَهَا دُعِيٌّ ٣ * وَمَا يَهَا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا يَهَا دُورِيٌّ وَلَا طُورِيٌّ . وَمَا يَهَا وَارٍ وَمَا يَهَا صَافِرٌ . وَمَا يَهَا دِيَّارٌ وَمَا
 يَهَا نَافِخٌ ضَرَمَةٌ . وَمَا يَهَا إِرْمٌ ٤ * (إِسْتِجْمَالُ الرَّجُلِ وَنَفْيُ الْعِلْمِ) *
 مَا يَعْرِفُ الْحَوِّمِينَ اللَّوْ . وَمَا يَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ اللَّيِّ . وَلَا هَرِيدًا مِنْ غَرِيبٍ .
 وَلَا قَبِيلًا مِنْ دَبِيرِهِ * وَمَا يَعْرِفُ أَيُّ طَرَفِهِ أَطْوَلُ وَأَكْبَرُ * وَمَا يَعْرِفُ
 مَنْ يَهْرُهُ مِمَّنْ يَهْرُهُ * وَأَيُّ طَرَفِهِ أَطْوَلُ أَنْسَبُ أَيُّهُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ

١١٣ هذه آياتٌ ذهبت مذهب الامثال وأكثرها للمتنبّي والحجري

إِنَّمِ وَلَدٌ فَلِلْمُورِ أَوَاخِرُ أَبَدًا كَمَا كَانَتْ لَهْنٍ أَوَائِلُ
 إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعُ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
 إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَابَا فَاهْوَنُ مَا يَمِرُّ بِهِ الْوُحُولُ
 إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْخَبَابِ السَّعِ
 أَلْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرْ صَالِحٍ بَاخٌ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَزِّ مَوْلُودُ
 إِذَا اشْتَبَهَكَ دُمُوعٌ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مِنْ بَغْيٍ مِمَّنْ تَبَاكَى
 إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحُسْنِ

١ قال الأصمعي: النبض والجبض في الوتر. والنبض تحرك الوتر والجبض صوته وقال:
 والتبل جوي نبضاً وجبضاً ٢ الشعر والصوف ٣ معناه ما جاء من يدعو ومن
 يدب ٤ معنى هذا كله ما جاء أحد. ولا يقال منها شيء في الإثبات
 والإيجاب وإنما يقولونها في التني والحمد
 قبل الجبل والديبر ما أدبرت به منه • والقيسل ما أقبلت به من

إِنَّ الزَّرَارِيَّ لَمَّا قَامَ قَائِمَهَا
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ عِزًّا فَادْرِعْ تَعْبًا
 أَيَا حَجَرَ الشَّخْذِ حَتَّى مَتَى
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ النَّصِيحِ قَبُولُ
 إِذَا مَا أَلْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادِ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَخْرُسْكَ مِمَّا تَخَافُهُ
 إِذَا نُدِبُوا لِلْقَوْلِ قَالُوا فَاحْسِنُوا
 إِنْ السَّمَاءُ إِذَا لَمْ تَبْكِ مُقْلَمَهَا
 بِذَا قَضَتْ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا
 تَرِيدِينَ إِذْ رَأَاكَ الْعَالِي رَخِيصَةً
 صَدِيقُ عَدُوِّي دَاخِلٌ فِي عَدَاوَتِي
 فَلَا حَدِيقَتَهُمْ يُجَنِّي لَهَا ثَمْرُ
 قَدْ تَكْرَأُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدِ
 كَرِيشَةٍ بِمَجَبِ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ
 كَبُرَ بِلَا سَبِيئَةٍ بِلَا حَسَبِ
 لَمْ أَرَدْ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِ
 لَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَطُولِهَا
 لَا تَقْطَعْنَ ذَنْبَ الْأَفْقَى وَتُرْسِلَهَا
 لَهُ خَلَائِقُ بَيْضُ لَا يُغَيِّرُهَا
 تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
 أَوْ قَارِضَ بِالذَّلِّ وَاخْتَرَارَةَ الْبَدَنِ
 تَسْنُ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ
 فَكُلْ مَعَارِيضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
 فَلَا السَّيْفُ قَطَّاعٌ وَلَا الدَّرْعُ مَانِعٌ
 وَلَكِنَّ حُسْنَ الْقَوْلِ خَالَقُهُ الْفِعْلُ
 لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
 مَصَابِ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ
 وَلَا بُدُّونَ الشَّهِيدِينَ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
 وَإِنِّي لِمَنْ وَدَّ الصَّدِيقَ وَدُودُ
 وَلَا سَمَاوَهُمْ تَهْلُ بِالْدِيمِ
 وَيُنْكِرُ الْقَهْمَ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
 لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْفَلَقِ
 فُخْرٌ بِالْآدَبِ هَذَا مِنَ الْعَجَبِ
 قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنَ ثَمَرِهِ
 إِنْ لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُقُولُ
 إِنْ كُنْتَ شَهْمًا فَاتَّبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا
 صَرَفَ الزَّمَانَ كَلَّا يَصْدَأُ النَّهْبُ

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذًا مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَآيَا
 مَا أَنتَ أَوَّلُ سَارِ غَرَّةٍ قَمَرُ وَرَأَيْدُ أُعْجَبَتُهُ خُضْرَةُ الدِّمَنِ
 مَا إِنْ يَضُرُّ الْمَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ خَلَقًا وَلَا الْبَازِي حَقَّارَةُ عُشِّهِ
 وَكَيْفَ بَيْتُ مُضْطَجِعًا جَبَانُ فَرَشْتَ لِحْنِهِ شَوْكُ الْقَتَادِ
 وَمَا الْحَسَنُ فِي وَجْهِهِ أَتَى شَرَفُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَالْخَلَائِقِ
 وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبُ وَلَا فِي زَلَّةِ الْعُبْدَانِ عَارُ
 وَمَا الْحَدَاثَةُ عَنْ حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ
 وَمَا مَثَرُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنْزِلِ إِذَا لَمْ أَجْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمِ
 وَمَا كُلُّ نَازِلٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلِ وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ يُتِمُّ
 وَمَا الْحَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يَجْرِبُ
 وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحِبُّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ
 وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمُطَيَّ بِلَا سَنَامِ
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا اتَّقَيْنَا صَغَرَ الْخُبْرُ الْخُبْرُ
 وَمِنْ نَكِدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحِرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُ
 وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ
 وَمِنْ الْعِدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنْ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
 وَكُلُّ رَدَى طَرَقَ الشَّجَاعَةَ وَالنَّدَى وَلَكِنْ طَبَعَ النَّفْسَ لِلنَّفْسِ قَائِدُ
 وَرُبَّ كَنِيبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَنِيبِ

وَفِي تَعْبِ مَنْ يَجْعِدُ الشَّمْسَ صَوْنَهَا
وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ
وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا سَيَعْرِفُ سَعْيَهُ
وَقَدْ نَجَّ الْكَلْبُ السَّحَابَ وَدُونَهَا
وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَائِضٍ
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى
وَمَا أَنْفَعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ
وَهَلْ يَدْعِي اللَّيْلُ الدَّجُوجِيَّ أَنَّهُ
وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَاحِ بَارِقُهُ
وَالنَّارُ فِي أَخْجَارِهَا مَخْبُوءَةٌ
وَالْهَمُّ يَحْتَرِمُ الْجَسِيمَ خَافَةً
وَمَنْ يَنْشُدِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَالِبٍ
وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ شِبْلًا
وَالنَّجْمُ تَسْتَصْفِرُ الْأَبْصَارَ صُورَتَهُ
وَكَمْ مُضْمِرٍ بِنُضَا يُرِيكَ حَبَّةَ
وَمَا كُلُّ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ أَرِيحَةُ
وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحَسَامَ بِضَارِبٍ
وَمَا كُلُّ وَخْشٍ تَرَى ضَيْفًا

وَيَجْعِدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ
عَمَّا الذَّنْبُ كُلُّ الْخَوْ مِنْ جَاءٍ تَائِبًا
إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمَطْرُقٍ
إِذَا حَصَّاتُ عِنْدَ الْأَلَةِ الْحَصَائِلُ
مَهَامُهُ تَغْشَى نَظَرَةَ الْمَسَامِلِ
عَلَى الْمَاءِ خَائِنَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ
مُضْرُ كَوْضَعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظَّلَامُ
تَضِيءُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ شَهْبُ ظَلَامِهِ
وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ نَجْمًا جَا
لَا تَلْطِئِي إِنْ لَمْ تُثْرِهَا الْأَزْنُدُ
وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيَهْرِمُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يُنْفِي بَشِيرًا وَنَاعِيًا
وَمَبْدَأُ طَالِمَةِ الْقَمَرِ الْهَلَالُ
وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ
وَفِي الْأَزْنُدِ نَارٌ وَهِيَ فِي النَّاسِ بَارِدُ
وَلَا كُلُّ أَطْيَارٍ أَهْلًا تَقَرَّمُ
وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْبِرَاعِ يَكْتَابُ
وَلَا كُلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

يُخَيِّبُ الْمَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَسْرَّ يَبُوحُ
بِأَجَلٍ مَا بَعُدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا وَطَلَابُنَا فَارْعُدْ بِأَرْبَعِكَ وَأَبْرُقْ
بِعَمْرٍ وَعِيدُ الظَّالِمِينَ بِسَمِّهِ كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ الْجَنِينَ ذُبَابُ
يَلْقَاكَ وَالْعَسَلُ الْمَصْفَى يُجْتَنَى مِنْ قَوْلِهِ وَمِنْ الْقِمَالِ الْعَلَمُ

نخبة من تغريد الصالح لابن حجة الحموي

١١٤

مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَزَالَ أَثَمَهُ وَقَالَ كُلُّ فِعْلِهِ لِلْحِكْمَةِ
وَمَنْ أَتَاكَ الْبَاسُ الْمُلُوفَا أَغَاثَهُ اللَّهُ إِذَا أَخِيفَا
فَإِنَّ مِنْ خَلَائِقِ الْكِرَامِ رَحْمَةً ذِي الْبَلَاءِ وَالْأَسْقَامِ
وَإِنَّ مِنْ شَرَائِطِ الْعُلُوِّ الْعَطْفَ فِي الْبُؤْسِ عَلَى الْعَدُوِّ
لَا تَعْتَرِزْ بِالْحِفْظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاةُ كَمَا لَدَامَةِ
وَالْعُمْرُ مِثْلُ الْكَاسِ وَالْدَّهْرُ الْقَدَرُ وَالصَّفْوَلَا بُدْلُهُ مِنَ الْكَدَرِ
فَإِنَّمَا الرِّجَالُ بِالْإِخْوَانِ وَالْيَدُ بِالسَّاعِدِ وَالْبَنَانُ
وَمَوْجِبُ الصَّدَاقَةِ الْمُسَاعَدَةُ وَمُقْتَضَى الْمَوَدَّةِ الْمُعَاوَدَةُ
وَإِنْ رَأَيْتَ النَّصْرَ قَدْ لَاحَ لَكَ فَلا تُقْصِرْ وَاحْتَرِزْ أَنْ تَهْلِكَ
وَأَضْعَفُ الْمُلُوكِ طَرًّا عَدَا مَنْ غَرَّهُ السَّلَامُ فَأَقْصَى الْجُنْدَا
لَا تَيَاسَنْ مِنْ فَرَجٍ وَلُطْفٍ وَقُوَّةٍ تَظْهَرُ بَعْدَ ضَعْفٍ
تَسَالُ بِالرَّفَقِ وَبِالتَّائِي مَا لَمْ تَنْلِ بِالْجُرْصِ وَالتَّمْنَى
لَا خَيْرَ فِي جَسَامَةِ الْأَجْسَامِ بَلْ هُوَ فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْهَامِ
لَا تَحْتَقِرْ شَيْئًا صَغِيرًا مُحْتَقِرًا قَرِيبًا أَسَالَتْ الدَّمَّ الْإِبْرَ

كَمْ حَسَنَ ظَاهِرُهُ قَبِيحٌ وَسَمِعَ عُسْوَانُهُ مَلِيحٌ
 قَالَمَاقِلُ الْكَامِلِ فِي الرِّجَالِ لَا يَنْثَنِي لِزُخْرُفِ الْمَقَالِ
 مَا ظَلَبَ قَرَعُ أَصْلُهُ خَيْثُ وَلَا زَكَا مِنْ تَجْدُهُ حَدِيثُ
 وَالْبَنِي فَأَحْذَرُهُ وَخَيْمُ الْمَرْعِ وَالْقَبْ فَأَتْرُكُهُ شَدِيدُ الْمَرْعِ
 وَالْعَذْرُ بِالْمَهْدِ قَبِيحٌ جِدًّا شَرُّ الْوَرَى مَنْ لَيْسَ يَدْعَى الْمَهْدَا

من قصيدة الي العاتية المثلية

١١٥

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ
 يُنْبِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرَكُهُ يَتَمَنُّ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ
 مَا عَيْشُ مَنْ آفَتُهُ بَقَاؤُهُ تَقْصُ عَيْنَا كُلَّهُ فَنَاؤُهُ
 يَا رَبِّ مَنْ أَسْتَخْطَنَّا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيْبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنُهُ عَجِبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرٌ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
 وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَحِقُّ بِجَوْهَرِهِ أَصْفَرُهُ مُتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْخُضِّ وَكُلُّ مُتَمَرِّجٍ وَسَاوِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَخْتَلِجُ
 الْحَيْرُ وَالشَّرُّ هُمَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْخُضِّ وَلَيْسَ تَحْضُ يَحْبُتُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 وَالْحَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جِدًّا
 عَجِبْتُ حَتَّى عَمِنِي السُّكُوتُ صَرْتُ كَأَنِّي حَارٌّ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ أَلْصَقْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

الْبَابُ السَّادِسُ فِي الْأَمْثَالِ وَالْإِشَارَاتِ

الملك المتري

١١٦ ذَكَرَ الْحُكَمَاءُ . وَذَوُوا الْفَضْلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ . أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَمْصَارِ . تَاجِرٌ مِنْ أَعْيَانِ التُّجَّارِ . وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ تُحَايِلُ السَّعَادَةَ
مِنْ جَنِينِهِ لِأَمْحَةٍ . وَرَوَاتُجُ النَّجَابَةِ مِنْ أَذْيَالِ شِمَالِهِ فَأَمْحَتْهُ . فَأَوْسَقَ
لَهُ أَبُوهُ مَرْكَبًا مِنَ الْمَتَاجِرِ وَالْمَنَافِعِ . وَأَخَذَ فِي تَعْيَةِ الْبَضَائِعِ . وَسَلَّمَهُ
إِلَى الْهَوَاءِ وَالْمَاءِ . بَعْدَ أَنْ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ . فَسَارَ بَقْضَ أَيَّامٍ .
وَهُوَ فِي أَهْنَاءِ مَرَامٍ . وَأَغْلِبَ عَيْشٍ وَمَقَامٍ . أَلْمَاءُ رَاقٍ . وَالْهَوَاءُ
مُؤَافِقٌ . وَالنَّكَدُ مُفَارِقٌ . وَالسُّرُورُ مُرَافِقٌ . وَبَيْنَمَا السَّفِينَةُ مِنْ
نَسْفِ الْعَوَاصِفِ أَمِينَةٌ . تُجَارِي السَّهْمَ وَالطَّيْرَ . وَتُبَارِي الدَّهْمَ فِي
السَّيْرِ . وَإِذَا بِالرِّيَّاحِ هَاجَتْ . وَالْأَمْوَاجِ مَا جَتْ . وَأَنْبَاجُ الْبَحْرِ
تَصَادَمَتْ . وَأَطْوَادُ الْأَمْوَاجِ عَلَى الْعُرْقَاءِ تَلَاطَمَتْ . فَجَزَّ ذَلِكَ الْمَلَّاحُ
وَتَرَكَ شِمَةَ الْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ . وَرَقِمَ نَشْنُ الْحُرُوفِ فِي أَلْوَابِ
السَّفِينَةِ . فَشَاهَدُوا مِنْ الْهَوَاءِ الْأَهْوَالَ . وَغَدَا قَاعُ الْبَحْرِ كَالْجِبَالِ .
وَصَارَ طَائِرُ ذَلِكَ الْغُرَابِ يَمْنُ فِيهِ مِنَ الْأَنْحَابِ . كَأَحْوَالِ
الدُّنْيَا بَيْنَ صُعُودٍ وَهَبُوطٍ . وَقِيَامٍ وَسُقُوطٍ . طَوْرًا يُسَامُونَ الْأَفْلاكَ
وَيُنَاجُونَ الْأَمْلَاقَ . وَطَوْرًا يَهْطُونَ الْغُورَ . وَيَنْظُرُونَ قَرْنَ الثَّوْرِ .

وَرَبَّمَا مَرْقُومًا مِنْ تَحْتِ الزُّورِ . فَلَمْ يَزَالُوا عَاجِزِينَ حَيَارَى سُكَارَى
وَمَا هُمْ بِسُكَارَى يَتَنَاشِدُونَ :

وَفَلَكَ رَكْبَنَاهُ وَالْبَحْرُ ذُو هَوَاءٍ فَسَارَ وَحَارَ وَمَارَا
فَطُورًا عَلَوْنَا السَّمَاءَ وَطُورًا رُبِينَا إِلَى الْأَرْضِ مِنْهَا نُجَادِرَا
وَأَخِرَ الْأَمْرِ نَسَفَتِ السَّفِينَةُ الرِّيحَ وَأَوْعَرَ اللَّهُ سَهْلَهَا . وَخَرَقَهَا
فَأَغْرَقَهَا وَأَهْلَهَا . وَذَهَبَ الْبَحْرُ بِأَمْوَالِهَا وَأَرْوَاحِهَا . وَتَلَقَّى الْفُلَامُ
بَلُوحٍ مِنَ الْوَاكِحِ . وَاسْتَمَرَ تَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ . وَتَضَطُّدٌ بِهِ أَثْبَاجُ
الْبَحْرِ الْهَيَّاجِ . إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى سَاحِلٍ . فَخَرَجَ وَهُوَ كَيْبُ نَاحِلٍ .
وَصَعِدَ إِلَى حَزِيرَةٍ . فَوَاقِيهَا غَزِيرَةٌ . وَوَضَعَهَا عَجِبٌ . لَيْسَ بِهَا دَاعٍ
وَلَا مُجِيبٌ . فَعَمَلُ يَمِينِي فِي جَنَاتِهَا إِلَى أَنْ آدَاهُ التَّوْفِيقُ . إِلَى قَمٍ
طَرِيقٍ . فَسَارَ فِي تِلْكَ الْجَادَةِ . وَهَدَايَهُ اللَّهُ لَهُ مَادَّةٌ . فَأَتَتْهُ بِه
الْمَسِيرُ . إِلَى أَنْ تَرَاءَى لَهُ سَوَادٌ كَبِيرٌ . وَبَلَغَ مَمْلَكَةً عَظِيمَةً . وَوِلَايَةً
جَسِيمَةً . وَرَأَى عَلَى بُعْدِ مَدِينَةٍ . مُسَوَّرَةً حَصِينَةً . فَعَمِدَ إِلَى ذَلِكَ
الْبَلَدِ . وَتَوَجَّهَ نَحْوَهُ وَقَصَدَ . فَأَسْتَقْبَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الرِّعَالِ . نِسَاءً
وَرِجَالًا . يَتَّبِعُهُمْ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ . وَطَوَائِفُ مُحَشَّدَةٌ . مِنْ طُغُولٍ تُضْرَبُ .
وَفَوَارِسَ تَلْعَبُ . وَزُمُورٍ تَرَعُقُ . وَالسَّيْفُ بِالنَّشَاءِ تَنْطِقُ . حَتَّى إِذَا
وَصَلُوا إِلَيْهِ . تَرَامَوْا عَلَيْهِ . وَأَكْبُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . يُقَالُونَ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ .
مُسْتَبْشِرِينَ بِرُؤْيَيْهِ . مُتَبَرِّكِينَ بِطَلْعَتِهِ . ثُمَّ الْبُسُوفُ الْخَلْعُ السَّنِيَّةُ .
وَقَدَّمُوا لَهُ فَرَسًا عَلَيْهِ . يَكْنُبُوشُ ذَهَبٍ . وَسَرَجٌ مُغْرَقٍ . وَوَضَعُوا

لَهُ التَّلَاجُ عَلَى الْفَرَقِ . وَمَشَوْا فِي الْخِدْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَالْجَنَابُ فِي
 الْمَوَاكِبِ تَجَرُّ لَدَيْهِ . يُتَادُونَ : حَاشَاكَ وَإِلَيْكَ . سُلْطَانُ النَّاسِ قَادِمٌ
 عَلَيْكَ . حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ . وَدَخَلُوا قَلْعَتَهَا الْحَصِينَةَ . فَفَرَشُوا
 شُقُقَ الْحَرِيرِ . وَنَثَرُوا النِّثَارَ الْكَثِيرَ . وَأَجْلَسُوهُ عَلَى السَّرِيرِ . وَأَطْلَقُوا
 مَجَامِرَ النَّدِّ وَالْعَبِيرِ . وَوَقَفَ فِي خِدْمَتِهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ . وَالْمَأْمُورُ
 وَالْأَمِيرُ وَالِدُسْتُورُ وَالْوَزِيرُ . وَأَنشَدُوهُ :

قَدِمْتَ قَدُومَ الْبَذْرِ بَيْتَ سُعُودِهِ وَأَمْرُكَ فِينَا صَاعِدٌ كَسُعُودِهِ
 (قَالُوا) : إِنْ عَلِمَ يَا مَوْلَانَا أَنَّكَ صِرْتَ لَنَا سُلْطَانًا وَنَحْنُ كُلُّنَا

عَبِيدُكَ . وَتَابِعُ مُرَادِكَ وَمُرِيدِكَ . فَافْعَلْ مَا تَخْتَارُ . وَتَحْكَمْ فِي الْكِبَارِ
 مِنَّا وَالصَّغَارِ . وَأَمْرٌ فَا مِثَالُ أَمْرِكَ عَلَيْنَا نَحْتُمُ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ فِي خِدْمَتِكَ
 مَقَامٌ مَعْلُومٌ . فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِي أَمْرِهِ وَمَبْدَاهُ . وَيَتَأَمَّلُ مَا صَارَ إِلَيْهِ
 وَيَتَدَبَّرُ فِي مُنْتَهَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبٍ . وَلَا بُدَّ
 لَهُ مِنْ آخِرٍ وَمُنْقَلَبٍ . فَإِنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ فِي عَالَمِ الْكَوْنِ سُدى . وَإِنْ
 لِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ غَدًا . وَإِنَّ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ الْقَادِرَ الْحَكِيمَ .
 السَّمِيعَ الْعَلِيمَ الْبَصِيرَ الْحَيَّ الْمُدِيرَ الْكَرِيمَ لَمْ يُقَدِّرْ هَذِهِ الْأَفْعَالَ . عَلَى
 سَبِيلِ الْإِهْمَالِ . وَلَمْ يُخْدِثْ حَدَثًا . أَعْبَاءَ وَلَا عِبَاءَ . وَجَعَلَ يُلَازِمُ هَذِهِ
 الْأَفْكَارَ . آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قَائِمٌ بِشُكْرِ
 النِّعْمَةِ . مُلَازِمٌ بَابِ مَوْلَاهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ . وَاضِعٌ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَلِّهَا .
 وَالْمَنَاصِبَ فِي يَدِ أَهْلِهَا . مُلْتَمِثٌ إِلَى أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ عَامِلٌ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ

وَالسَّوِيَّةُ . مُتَمِّدُ أُمُورِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ . بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَأَصْنَافِ الْمُبَارَ . مُؤَيِّسُ قَوَاعِدِ الْمُلْكَةِ وَالسَّاطِنَةِ عَلَى أَرْكَانِ الْعَقْلِ وَالْعَدْلِ هُمَا أَمْكَنُهُ . مُتَخَصُّصٌ عَنْ مَصَالِحِ الْمُلْكَةِ . سَالِكٌ مَعَ كُلِّ مِنْ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ مَا يَقْتَضِي مَسْلَكُهُ . ثُمَّ وَقَعَ اخْتِيَارُهُ مِنْ بَيْنِ أَوْلَئِكَ الْجَمَاعَةِ عَلَى شَابٍ جَلِيلٍ الْبَرَاةِ . لَهُ فِي سَوْقِ الْفَضْلِ وَالْوَفَاءِ أَوْفَرُ بَضَاعَةٍ . مُتَّصِفٌ بِأَنْوَاعِ الْكَمَالِ مُتَحَلٍّ بِزِينَةِ الْأَدَبِ وَالْجَمَالِ . فَأَتَّخَذَهُ وَزِيرًا . وَفِي أُمُورِهِ نَاصِحًا وَمُشِيرًا . فَعَمِلَ بِإِلَاطِفِهِ وَبِرِضِيهِ . وَبِكَرَمِهِ وَبِدَنِيهِ . وَيُفِيضُ عَلَيْهِ مِنْ مَلَابِسِ الْإِنْعَامِ . وَخِلَعِ الْإِفْضَالِ وَالْإِكْرَامِ . مَا مَلَكَ بِهِ حَبَّةٌ قَلْبِهِ . وَاسْتَصْنَى خَالِصَ وَدِّهِ وَلَبَّهِ . وَسَكَنَ فِي سُودَانِهِ . وَتَمَكَّنَ بِهِ مِنْ صَمِيرِ أَحْسَانِهِ . إِلَى أَنْ اخْتَلَى بِهِ وَتَلَطَّفَ فِي خِطَابِهِ . وَاسْتَنْصَحَهُ فِي جَوَابِهِ . وَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِ إِمْرَتِهِ وَمُوجِبِ رِفْعَتِهِ وَسُلْطَنَتِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةِ الرِّفَاقِ . وَلَا أَهْلِيَّةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ . وَلَا هُوَ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ . وَلَا فِي بَحْرِ السُّلْطَانَةِ لَهُ فُلُكٌ . وَلَا مَعَهُ مَالٌ وَلَا خَيْلٌ يَهْدِيهَا . وَلَا رَجَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يُدْلِي بِهَا . وَلَا شَجَاعَةٌ وَفْصِيلَةٌ يَهْتَدِي بِتَهْدِيهَا . فَقَالَ ذَلِكَ الشَّابُّ فِي الْجَوَابِ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ أَنَّ هَذِهِ الْبَلَدَ وَعَسَاكِرَ إِقْلِيمِهَا وَجُنْدَهُ قَدْ اخْتَرَعُوا أَمْرًا . وَأَضْطَلَحُوا عَلَى عَادَةِ تَجَرِّي . سَأَلُوا الرَّحْمَانَ أَنْ يَقْبِضَ لَهُمْ فِي أَوَانٍ . شَخْصًا مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ . يَكُونُ عَلَيْهِمْ ذَا سُلْطَانٍ . فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فَسَلَكُوا فِي أَمْرِهِ هَذِهِ الْمَسَالِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ . يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى

رَجُلًا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَيْهِمْ . فَيَسْتَقْبِلُونَهُ كَمَا اسْتَقْبَلُوكَ . وَيَسْلُكُونَ مَعَهُ
طَرِيقَةَ الْمُلُوكِ . مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ وَلَا زِيَادَةٍ . وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ لَهُمْ عَادَةً .
فَيَسْتَمِرُّ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ . فِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الْحَسَنَةِ . فَإِذَا انْقَضَى الْأَجَلُ
الْمُدَوَّدُ . وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ . عَمَدُوا إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقَدْ
صَارَ فِيهِمْ ذَا إِمْكَانٍ وَمَكَانٍ وَعُلُقَةٍ وَلَشَبٍ . وَإِخَاءٍ وَلَنْسَبٍ . وَثَبَّتَ
لَهُ أَوْتَادُ . وَصَارَ لَهُ أَهْلٌ وَأَوْلَادُ . جَرَّوْهُ بِرَحْلِهِ مِنَ التَّخْتِ . وَسَلَبُوهُ
ثَوْبَ الْعِزَّةِ وَالرَّخْتِ . وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الذَّلِّ وَالنَّكَالِ . وَأَوْتَقَوْهُ
بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ . وَحَمَلَهُ الْأَهْلُ وَالْأَقَارِبُ . وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بَحْرِ
قَرِيبٍ فَوَضَعُوهُ فِي قَارِبٍ . وَسَلَّمُوهُ إِلَى مُوَكَّلِينَ لِيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ
الْجَانِبِ . فَيُوصِلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ . وَهُوَ قَفْرٌ أَغْبَرُ . لَيْسَ بِهِ أُنَيْسٌ وَلَا
رَفِيقٌ . وَلَا حَلِيسٌ وَلَا صَدِيقٌ . وَلَا زَادٌ وَلَا مَاءٌ . وَلَا نَشْوٌ وَلَا نَمَاءٌ .
وَلَا مَغِيثٌ وَلَا مَعِينٌ . وَلَا قَرِيبٌ وَلَا قَرِينٌ . وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا إِمْكَانٌ .
عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْعُرَّانِ . وَلَا ظِلٌّ وَلَا ظَلِيلٌ . وَلَا إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلٌ . وَلَا إِلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ دَلِيلٌ . فَيَسْتَمِرُّ هُنَاكَ فَرِيدًا طَرِيدًا إِلَى
أَنْ يَهْلِكَ عَطْشًا وَجُوعًا . لَا يَمْلِكُ إِقَامَةً وَلَا يَسْتَطِيعُ رُجُوعًا . ثُمَّ
يَسْتَأْنِفُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ . مَا لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مُعْتَادٍ . فَيَجْرُجُونَ بِالْأَهْبَةِ
الْكَامِلَةِ . إِلَى تِلْكَ الطَّرِيقِ السَّالِيَةِ . فَيَقِضُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ رَجُلًا .
فَيَفْعَلُونَ مَعَهُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا مَعَ غَيْرِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا . وَهَذَا دَائِبُهُمْ وَدَائِبُهُمْ .
وَقَدْ ظَهَرَ لَكَ ظَاهِرُهُمْ وَبَاطِنُهُمْ . فَقَالَ ذَلِكَ الْغُلَامُ الْفَلَّاحُ . لِذَلِكَ

أَوْزِيرُ الْمُصْلِحِ : فَهَلْ أَطْلَعَ أَحَدٌ مِّنْ تَقَدَّمَ عَلَى عَاقِبَةِ هَذَا الْمَأْتَمِ .
 قَالَ كُلُّ عَرَفٍ ذَلِكَ . وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ عَنْ قَرِيبِ هَالِكٍ . وَلَكِنْ غُرُورُ
 السُّلْطَنَةِ يُلْهِمُهُ . وَسُرُورُ التَّحْكُمِ وَالسُّلْطَانِ يُطْعِمُهُ . وَحُضُورُ اللَّذَّةِ الْخَاصَّةِ
 لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ يُنْسِيهِ . وَلَا يُفِيقُ مِنْ غَفْلَتِهِ . وَيَسْتَقِظُ مِنْ رَفَدَتِهِ . إِلَّا
 وَعَاقِبَةُ قَدْ مَضَى . وَالْأَجَلُ الْمَضْرُوبُ قَدْ انْقَضَى . وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ
 نَوَازِلُ الْبَلَاءِ . وَهَجَمَ عَلَيْهِ بَوَازِلُ الْقَضَاءِ . فَيَسْتَنْثِي . وَلَا مُنِثُ .
 وَيُنَادِي الْخَلَاصَ . وَلَا تَحِينَ مَنَاصِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْغَلَامُ هَذَا الْكَلَامَ .
 أَطْرَقَ مُفَكِّرًا . وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . وَعِلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكَ أَمْرَهُ وَيَتَلَفَّ
 خَيْرَهُ وَشَرَّهُ وَيَتَدَبَّرَ حَالَهُ وَمَصِيرَهُ وَمَالَهُ . هَلَاكَ هَلَاكَ الْأَبَدُ . وَلَمْ يَشْعُرْ
 بِهِ أَحَدٌ . فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي وَجْهِ الْخَلَاصِ . وَالتَّفَصِّيِّ مِنْ شَرِّكَ الْإِقْتِنَاصِ .
 ثُمَّ قَالَ لِلْوَزِيرِ النَّاصِحِ الْخَبِيرِ : أَيُّهَا الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ . وَالنُّصُوحُ الصَّدِيقُ .
 جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَكَفَاكَ ضَمِيمًا وَضَرًّا . إِنِّي قَدْ فَكَّرْتُ فِي شَيْءٍ يَنْقُضُ
 نَفْسِي وَيُخْجِئُهَا . وَيَدْفَعُ شَرَّ هَذِهِ الْبَالِيَةِ الَّتِي وَقَعْتُ فِيهَا . وَلَمْ يَبْقَ جِهَةٌ
 مُخْلَصٌ . مِنْ هَذَا الْمُقْصَصِ . إِلَّا طَرِيقُ وَاحِدٍ . وَسَبِيلُ غَيْرِ مُتَعَاهِدٍ . وَهُوَ
 أَنْ تَأْخُذَ طَائِفَةٌ مِنَ الْبَنَاتِينَ . وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْتَّجَارِينَ .
 قَتْلَهُمْ أَنْ يَبْنُوا لَنَا هُنَاكَ مَدِينَةً . وَنُشِيدُوا لَنَا فِيهَا أَمَا كُنْ مَكِينَةً .
 وَتَحَازَنَ وَحَوَاصِلُ . وَتَعْلَاهَا مِنْ الزَّادِ الْمُتَوَاصِلِ . مِنَ الْمَأْكَلِ الطَّيِّبَةِ .
 وَالْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِيَةِ اللَّذِيذَةِ الْمُسْتَعْدَةِ . وَلَا تَقُلْ عَنِ الْإِرْسَالِ . وَلَا
 تُجَيِّزَنَّ لِإِهْمَالٍ وَإِلْهَمَالٍ . فِي الظَّهِيرَةِ وَالْأَنْشَارِ وَالنُّدُودِ وَالْأَصَالِ . إِذْ

أَوْقَاتًا مَحْدُودَةً. وَأَنْفَاسًا مَعْدُودَةً. وَسَاعَةً تُخْضِي مِنْهَا غَيْرَ مَرْدُودَةٍ.
بِحَثِّ إِذَا نُقِلْنَا مِنْ هَذِهِ الدِّيَارِ. وَطَرَحْنَا فِي تِلْكَ الْمَهَامَةِ وَالْقَفَارِ. وَجَفَانَا
الْأَصْحَابُ. وَنَحَلْنَا الْأَخْلَاءَ عَنَّا وَالْأَحْبَابُ. وَأَنْكَرْنَا الْمَعَارِفُ وَالْأَوْدَاءُ.
وَأَحْتَوَشْنَا فِي تِلْكَ الْبَيْدَاءِ. فَتُونُ الدَّاءِ. نَحْدُ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ
الْأَوْدِ. مُدَّةَ إِقَامَتِنَا فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ. فَأَجَابَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. وَاخْتَارَ
مِنَ الْبَنَانِينَ جَمَاعَةً. وَأَحْضَرَ الْمَرَآكِبَ. وَقَطَعَ الْبَحْرَ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ.
وَجَعَلَ الْمَلِكُ يُعِدُّهُمْ بِالْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ. عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَمَدَى
السَّاعَاتِ. إِلَى أَنْ أَنْهَى الْبَنَاءُونَ الْعِمَارَةَ. وَاكْتَمَلُوا حَوَاصِلَ الْمَلِكِ
وَدَارَهُ. وَأَجْرُوا فِيهَا الْأَنْهَارَ. وَغَرَسُوا فِيهَا الْأَشْجَارَ. فَصَارَتْ تَأْوِي
إِلَيْهَا الْأَطْيَارَ. وَيَتَرَنَّمُ فِيهَا الْبُلْبُلُ وَالْهَزَارُ. وَغَدَّتْ مِنْ أَحْسَنِ
الْأَمْصَارِ. وَبَنَوْا حَوَالِيهَا الضِّيَاعَ وَالْقُرَى. وَزَرَعُوا مِنْهَا الْوِهَادَ
وَالثَّرَى. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْخَزَائِنِ. وَنَفَاسِ الْجَوَاهِرِ
وَالْمَعَادِنِ. وَجَهَرَ الْخُدَمَ وَالْحَشَمَ. وَصُنُوفَ الْأَسْتِعْدَادَاتِ مِنَ النِّعَمِ.
فَمَا انْقَضَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ. وَدَنَتْ أَوْقَاتُ هُلُكِهِ. إِلَّا وَنَفْسُهُ إِلَى مَدِينَتِهِ
نَاقَتْ. وَرُوحُهُ إِلَى مُشَاهَدَتِهَا أَشْتَاقَتْ. وَهُوَ مُسْتَوْفِرٌ لِلرَّحِيلِ. وَرَايَضُ
لِلنُّهْوضِ وَالتَّخْوِيلِ. فَلَمَّا تَكَامَلَ لَهُ فِي الْمَلِكِ الْعَامُ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ
أَحَاطَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُ. يَمُنُّ كَأَن يَفْدِيهِ بِرُوحِهِ. مِنْ خَادِمِهِ وَنَصُوحِهِ.
وَمَنْ كَانَ سَائِمًا لِكَلِمَتِهِ. مِنْ أَعْيَانِ خَدَمِهِ وَحَشَمِهِ. وَقَدْ تَجَرَّدُوا لِجَذْبِهِ
مِنَ السَّرِيرِ. وَتَزَعَّ مَا عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِ الْحَرِيرِ. وَمَشَوْا عَلَى عَادَتِهِمِ الْقَدِيمَةِ.

وَسَلَبُوهُ تَمَلُّكَتَهُ الْعَظِيمَةَ . وَزَالَتِ الْجَشَمَةُ وَالْحَرَمَةُ . وَشَدُّوا
وِنَاقَهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى الْحَرَّاقَةِ وَوَضَعُوهُ . وَقَدْ رَبَطُوهُ فِي الْمَرْكَبِ
الَّذِي هَيَّأُوهُ . وَأَوْصَلُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ مِنَ الْبَحْرِ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ إِلَّا
وَقَدْ أَقْبَلَتْ خَدْمُهُ عَلَيْهِ . وَتَمَثَّلَتْ طَوَافُ الْحَشَمِ وَالنَّاسِ لَدَيْهِ . وَدَقَّتْ
الْبَشَائِرُ لِقَدَمِهِ . وَحَلَّ فِي سُرُورِهِ الْمُقِيمِ وَنِعْمِهِ . وَاسْتَمَرَّ فِي أَمْرِ سُرُورِهِ .
وَاسْتَقَرَّ فِي أَوْقَرِ حُبُورِهِ (ملخص عن فاكهة الخلق لابن عربشاه)

نخبة

من كنف الامرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي

المقدمة

١١٧ لَقَدْ أَخْرَجَنِي الْفَكْرُ يَوْمًا لَا أَنْظُرَ مَا أَحْدَثَتْهُ أَيْدِي الْقَدَمِ فِي
الْحَدَثِ . وَأَوْجَدْتُهُ الْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ لَا لِلْعَبَثِ . فَأَتَيْتُ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ
رَقَّ أَدِيمُهَا . وَرَاقَ نَسِيمُهَا . وَنَمَّ طَيْبُهَا . وَغَنَّى عُنْدَ لَيْبِهَا . وَتَحَرَّكَتْ عِيدَانُهَا .
وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُهَا . وَتَبَلَّلَتْ بِلَالِهَا . وَتَسَلَّسَلَتْ جَدَاوِلُهَا . وَتَسَرَّحَتْ
أَنْهَارُهَا . وَتَضَوَّعَتْ أَقْطَارُهَا . وَتَمَثَّلَتْ أَزْهَارُهَا . وَصَوَّتَ هَزَارُهَا .
فَقُلْتُ : يَا لَهَا مِنْ رَوْضَةٍ مَا أَهْنَاهَا . وَخَلْوَةٍ مَا أَصْفَاهَا . فَيَا لَيْتَنِي
اسْتَضَخْتُ صَدِيقًا حَمِيمًا . يَكُونُ لِطَيْبِ حَضْرَتِي نَدِيمًا . فَكَادَانِي لِسَانُ
الْحَالِ . فِي الْحَالِ . أَتُرِيدُ نَدِيمًا أَحْسَنَ مِنِّي . أَوْ حُجْبًا أَقْصَحَ مِنِّي .
وَلَيْسَ فِي حَضْرَتِكَ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ نَاطِقٌ بِلِسَانِ حَالِهِ . مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ
بِدُنُو أَرْحَامِهِ . فَاسْتَمِعْ لَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ رِجَالِهِ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا لَهُ نَفْسٌ تَشْرُهُ صَاعِدُ
 قَطُورًا يَنُوحُ وَطُورًا يَفُوحُ كَمَا يَفْعَلُ الْفَاعِدُ الْوَاحِدُ
 وَسَكَبُ النِّعَامِ وَنَدْبُ الْحَمَامِ إِذَا مَا شَكَ غُصْنُهُ الْمَانِدُ
 وَنُورُ الصَّبَاحِ وَنُورُ الْآفَاحِ وَقَدْ هَزَّهَ الْبَارِقُ الرَّاعِدُ
 وَوَأَفَى الرَّبِيعُ بِمَعْنَى بَدِيعٍ يُتَرَجِّمُهُ وَرَدُّهُ الْوَارِدُ
 وَكُلُّ لَاجِلِكَ مُسْتَنْبِطٌ لِمَا فِيهِ نَفْعُكَ يَا جَاوِدُ
 وَكُلُّ لَوْلَايَةٍ ذَاكِرٌ مُفَرِّقٌ لَهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

إشارة النسيم

١١٨ قَاوُلٌ مَا سَمِعْتُ هُمَمَةً النَّسِيمِ . يَتَرَمَّ بِصَوْتِهِ الرَّخِيمِ . يَقُولُ
 بِلِسَانِ حَالِهِ . مُفْصِحًا عَنْ سَقَمِهِ وَاتِّحَالِهِ : أَنَا لَيْزُ الْأَعْطَافِ . هَبْنِ
 الْأَنْعَاطِ . سَرِيعُ الْإِثْلَافِ . يَمْتَرِفُ بِلُطْفِي ذَوُو الْأَلْطَافِ . وَلَوْلَا
 وَجُودِي فِي الْجَوِّ لَجَافَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ اخْتِلَافَ أَهْوَايَ . سَبَبُ
 إِغْوَايَ . بَلْ اخْتَلَفَ فِي الْأَصُولِ الْأَرْبَعِ . لِمَا هُوَ أَضْلَحُ إِلَيْكَ وَأَنْفَعُ .
 فَاهْبُ فِي الرَّبِيعِ شِمَا لَا فَاتَحُ الْأَشْجَارَ . وَأَعْدِلْ فَضْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
 وَاهْبُ فِي الصَّيْفِ صَبَا فَاثْمِي الثَّمَارَ . وَأَصْنِي الْأَشْجَارَ . وَاهْبُ فِي
 الْحَرِيفِ جَنُوبًا فَتَاخُذْ كُلَّ ثَمَرَةٍ حَدَّ طَيْبِهَا . وَتَسْتَوِي حَقَّ تَرْكِيبِهَا .
 وَاهْبُ فِي الشِّتَاءِ دُبُورًا لِيَنْفَ عَنْ كُلِّ شَجَرَةٍ حَمَلُهَا . وَيَجِفَّ وَرْدُهَا
 وَيَبْقَى أَصْلُهَا . فَأَنَا الَّذِي تَنْمُو بِي الْيَمَارُ . وَتَرْهُو بِي الْأَزْهَارُ .

وَسَلَسَلُ بِي الْأَنْهَارُ . وَتَلَحُّ الْأَشْجَارُ

إشارة الورد

١١٩ ثُمَّ سَمِعْتُ إِشَارَةَ الشَّجَارِ بِأَفْئَانِهَا . وَالْأَزْهَابِ فِي تَلَوْنِ أَلْوَانِهَا .
 إِذْ قَامَ الْوَرْدُ يُخْبِرُ عَنْ طِيبِ وَرْدِهِ . وَيَعْرِفُ بِعَرَفِهِ عَنْ شُهُودِهِ .
 وَيَقُولُ أَنَا الضَّيْفُ الْوَارِدُ بَيْنَ الشَّاءِ وَالضَّيْفِ . أَزُورُ زِيَارَةَ الطَّيْفِ .
 فَأَغْتَمُوا وَقْتِي فَأَلَوْقْتُ سَيْفُ . . . فَأَنَا الزَّارُ وَأَنْتَ الْمَزُورُ . وَالطَّمْعُ
 فِي بَقَاءِ زُورُ . ثُمَّ مِنْ عِلَامَةِ الدَّهْرِ الْمَكْشُورِ . وَالْعَيْشِ الْمَعْرُورِ .
 أَنِّي حَيْثُ مَا نَبْتُ دَارَ الْأَشْوَالِ تَرَاهِنِي . وَتَجَاوِرُنِي . فَأَنَا بَيْنَ
 الْأَدْعَالِ مَطْرُوحُ . وَبَيْنَ الشُّوكِ مَجْرُوحُ . وَهَذَا دَمِي عَلَى مَا عِنْدِي
 يُلُوحُ . فَهَذَا حَالِي وَأَنَا أَشْرَفُ الْوَرَادِ . وَالطَّفُ الْأَوْرَادِ . فَمَنْ ذَا الَّذِي
 سَلِمَ مِنَ الْأَنْبَاكِ . وَمَنْ صَبَرَ عَلَى مَرَارَةِ الدُّنْيَا فَهَذَا بَلْعُ الْمَرَادِ . فَيَنِمَّا
 أَنَا أَرْفُلُ فِي حُلِّ النَّصَارَةِ . إِذْ أَقْطَقْتَنِي أَيْدِي النَّظَارَةِ . فَأَسَلَمْتَنِي
 مِنْ بَيْنِ الْأَزْهَابِ . إِلَى ضَيْقِ الْقَوَارِيرِ . فَيَذَابُ جَسَدِي . وَتُحْرَقُ
 كِبْدِي . وَيَزِقُّ جُلْدِي . وَيَقْطُرُ دَمْعِي النَّدِي . فَلَا يُقَامُ بِأَوْدِي :
 فَإِنْ غَبْتُ جِسْمًا كُنْتُ بِأَرْحِ حَاضِرًا . فَهَرَبِي سَوَاءٌ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَالْبَعْدُ
 وَبِاللَّهِ مَنْ أَصْحَى مِنَ النَّاسِ قَائِلًا . كَأَنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِذْ ذَهَبَ الْوَرْدُ

إشارة المرسين

١٢٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَرْسِينَ كَلَامَ الْوَرْدِ . قَالَ قَدْ بَاحَ النَّسِيمُ بِسِرِّهِ .
 وَنَشَرَ السَّحَابَ عَمُودَ دُرِّهِ . وَنَضَّوعَ الْبَهْلَاءِ بِذَخَرِهِ . وَتَبَهَّرَجَ الرِّبْعُ

بَقْلَانِدٍ فَخَرِهِ . وَخَلَعَ الْوَرْدُ عِذَارَهُ . وَتَحَبَّ عَنْ الرُّوضِ الْأَنِيقِ
 أَزْهَارَهُ . فَهُمْ بَنَاتُ نَفْرَجٍ . وَنَتِيجَةُ بَحْسِنَا وَتَنْبَهْرَجٍ . فَأَيَّامُ السُّرُورِ تَخْتَلِسُ .
 وَأَوْقَاتُهُ بِأَسْرِهَا تَحْتَسِسُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْوَرْدُ كَلَامَ الرِّسِينِ . قَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الرِّيَاحِينَ . بَشْ مَا قُلْتَ . وَلَوْ جُمِعَ بِكَ الْغَضَبُ مَا صُلْتَ . فَقَدْ
 تَرَلْتَ عَنْ شَيْمِ الْأَمْرَاءِ . بَعْدَ مَا مَلَكَ الصَّوَابُ مِنَ الْآرَاءِ . فَمَنْ
 الْمُصِيبُ إِذَا زَلَّتْ . وَمَنْ الْهَادِي إِذَا ضَلَّتْ . تَأْمُرُ بِاللَّهِوَ عِنْدَكَ .
 وَتُحَرِّضُ عَلَى التَّزِهِ جُنْدَكَ . وَأَمِيرُ الرِّعْيَةِ . صَاحِبُ الْفِكْرَةِ الرَّدِيَّةِ .
 فَلَا يُعْجِبُكَ حُسْنُكَ . إِذَا تَمَایَلَ غَضُّكَ . وَأَخْضَرَ أَوْرَاقَكَ . وَأَكْرَمَ
 أَعْرَاقَكَ . فَأَيَّامُ الشَّبَابِ سَرِيعةُ الزَّوَالِ . دَارِسةُ الطَّلَالِ . كَالطَّيْفِ
 الطَّارِقِ . وَالْحَيَالِ الْمَارِقِ . وَكَذَلِكَ الشَّبَابُ . لَخَضِرُ الْجِلْبَابِ وَالثِّيَابِ .
 مُخْتَلَفُ الْأَجْنَاسِ . كَاخْتِلَافِ الْحَيَوَانِ بَيْنَ النَّاسِ . فَمِنْهَا مَا يُشَمُّ
 وَيَذَبُّ . وَيُحَوَّلُ خِطَابُهُ وَيُنْقَلُ . وَتَطْرُقُهُ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ . وَيَعُودُ
 مَطْرُوحًا عَلَى الْأَكْنَوَامِ . وَمِنْهَا مَا يُؤْكَلُ ثِمَارُهُ . وَتُجَدُّ فِي النَّاسِ
 آثَارُهُ . وَالسَّالِمُ مِنَ النَّارِ أَقْلُهُ . وَإِيَّاكَ وَالْإِعْتِرَارَ . فِي هَذِهِ الدَّارِ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ فَرِيسةٌ لِأَسَدِ الْحِمَامِ . وَبَعْدُ فَقَدْ تَصَحَّحْتَ وَالسَّلَامُ

إشارة الترجس

١٢١ فَأَجَابَهُ التَّرْجِسُ مِنْ خَاطِرِهِ . وَهُوَ نَاطِرٌ لِمَنَاطِرِهِ فَقَالَ : أَنَا
 رَقِيبُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ . وَسَمِيرُهُمْ وَمُنَادِيهِمْ . وَسَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
 أَعْلِمُ مِنْ لَهُ هِمَّةٌ . كَيْفَ تَكُونُ شُرُوطُ الْحِنْدَةِ . أَشَدُّ لِلْحِنْدَةِ وَسْطِي .

وَأَوْتَقُ بِالْمَرْيَمَةِ شُرْطِي . وَلَا أَزَالُ وَإِقَاعًا عَلَى قَدَمٍ . وَكَذَلِكَ وَظِيفَةٌ
 مِنْ خَدَمٍ . لَا أَجْلِسُ بَيْنَ جُلَاسِي . وَلَا أَرْفَعُ إِلَى التَّدِيمِ رَأْسِي . وَلَا
 أَمْنَعُ الطَّالِبَ طِيبَ أَنْفَاسِي . وَلَسْتُ لِمَهْدٍ مِنْ وَصَلَنِي بِرَأْسِي . وَلَا
 عَلَى مَنْ قَطَعَنِي قَائِمِي . وَكَأْسِي بِصَفْوِهِ لِي كَأْسِي . بُنِيَ عَلَى قَضْبِ
 الزُّمُرْدِ أَسَاسِي . وَجُعِلَ مِنَ اللَّحْيَيْنِ وَاعْتَجِدَ لِبَاسِي . أَلْتَلَحُّ تَقْصِيرِي
 فَاطْرُقُ إِطْرَاقَ التَّحَلُّ . وَأَفَكُرُ فِي مَصِيرِي فَاحْدِقُ لِعُجُومِ الْأَجَلِ .
 فَاطْرَاقِي أَعْتَارِفُ بِتَقْصِيرِي . وَإِطْلَاقِي نَظْرًا إِلَى مَا فِيهِ مَصِيرِي :

قَتُّ مِنْ ذَلٍّ عَلَى قَدَمِي مُطَرِّقًا بِالرَّاسِ مِنْ زَلَلِي
 لَمْ يَكُنْ فِي الْمَادِمِينَ غَدًا نَافِعِي عَلَيَّ وَلَا عَمَلِي
 مُقْلَتِي إِنْسَانَهَا أَبَدًا قَطُّ لَا يَرْتَدُّ مِنْ وَجَلِي
 عَجَلًا فِي خِيفَةٍ وَكَذًا خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

إشارة البان

١٢٢ فَلَمَّا نَظَرَ الْأَشْجَارُ إِلَى طَرَبِ الْبَانِ بَيْنَهُمْ . وَتَمَائِلِهِ دُونَهُمْ . لَا مَوْهَ
 عَلَى كَثْرَةِ تَمَائِلِهِ . وَعَنْقَوْهُ عَلَى إِنْجَابِهِ بِشَمَائِلِهِ . فَتَمَائِلُ هُنَالِكَ الْبَانُ .
 وَقَالَ : قَدْ ظَهَرَ عُذْرِي وَبَانَ . فَمَنْ ذَا يُلَوِّنِي عَلَى تَمَائِلِ أَغْصَانِي .
 وَاهْتَرَأَزَ أَزْكَائِي . وَأَنَا الَّذِي بَسَطْتُ لِي الْأَرْضَ مَطَارِفَهَا . وَأَضْهَرْتُ
 لِي الرِّيَاضَ زَخَارِفَهَا . وَأَهْدَتْ لِي نَسَمَاتُ الْأَشْجَارِ لَطَائِفَهَا وَظَرَائِفَهَا .
 فَإِذَا رَأَيْتُ سَاعَةَ نُشُورِ أَمْوَاتِ النَّبَاتِ قَدْ اقْتَرَبَتْ . وَرَأَيْتُ الْأَرْضَ
 قَدْ اهْتَرَتْ وَرَبَّتْ . وَحَانَ وَرُودُ وَرَدِي . فَأَنْظُرُ إِلَى الْوَرْدِ وَقَدْ وَرَدَ .

وَالِى الْبَرِّ وَقَدْ شَرَدَ . وَالِى الزَّهْرِ وَقَدْ اَتَقَدَ . وَالِى الْحَبِّ وَقَدْ اَتَقَدَ .
 وَالِى الْفَضْلِ الْيَاسِ وَقَدْ كَسَى بَعْدَ مَا اُنْجَرَدَ . وَالِى اخْتِلَافِ
 الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَقَدْ اَتَحَّدَ . فَاعْلَمْ أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ .
 وَصَاحِبُهَا صَمَدٌ . وَمُوجِدُهَا بِالْقُدْرَةِ قَدْ اَنْفَرَدَ . فَلَا يَشْتَرُ إِلَى أَحَدٍ . وَلَا
 يَسْتَعْنِي عَنْهُ أَحَدٌ . وَلَا يَشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ . هَذَا لَكَ تَمَازُجٌ قُدُودِي .
 طَرَبًا بِطِيبِ شُهُودِي . وَتَبَلَّتْ بِلَايِلِ سُعُودِي . عَلَى تَحْرِيكِ عُودِي .
 ثُمَّ تَذَرِكُنِي عِنَايَةً مَعْبُودِي . فَافْكُرْ فِي عَدَمِ وُجُودِي . وَفَوَاتِ
 مَقْصُودِي . فَانْعَطِفْ عَلَى الْوَرْدِ فَأَخْبِرْهُ بِوُرُودِي . وَأَخْلَعْ عَلَيْهِ مِنْ
 رُودِي . وَاسْتَخْبِرْهُ أَيْنَ مَقْصِدِي وَوُرُودِي . فَقَالَ لِي : وَجُودُكَ
 كَوُجُودِي . وَرُكُوعُكَ كَسُجُودِي . أَنْتَ بِخُضْرَةِ قُدُودِكَ . وَأَنَا بِجُمُورَةِ
 خُدُودِي . فَهَلُمَّ نَجْعَلْ فِي النَّارِ وَقُودَكَ وَوَقُودِي . قَبْلَ نَارِ خُلُودِكَ
 وَخُلُودِي . فَقُلْتُ لَهُ : إِذَا صَحَّ الْإِتِّلَافُ . وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ بِالْإِتِّلَافِ .
 فَلَيْسَ لِلْإِتِّلَافِ خِلَافٌ . فَتَقَطَّفْ عَلَى حُكْمِ الْوُفَاقِ . وَتَحْتَطَفْ مِنْ بَيْنِ
 الرِّفَاقِ . فَتَصْعَدْ أَنْفَاسُنَا بِالْإِحْتِرَاقِ . وَتَقَطَّرْ دُمُوعُنَا بِالْإِشْفَاقِ . فَإِذَا
 فِينَا عَلَى صُورِ أَشْبَاحِنَا . بَقِينَا بِمَعَانِي أَرْوَاحِنَا . فَشَتَّانَ بَيْنَ غُدُونا وَوَرَوَانَا

إشارة النفس

١٢٣ فَتَنْفَسَ الْبِنَفْسِجِ تَنْفَسَ السُّعْدَاءِ . وَتَأَوَّهَ تَأَوَّهَ الْبُعْدَاءِ .
 وَقَالَ : طُوبَى لِمَنْ عَاشَ عَيْنِ السُّعْدَاءِ . وَمَاتَ مَوْتِ الشُّهْدَاءِ . إِلَى
 كَمْ أَذُوبُ بِالذُّبُولِ كَمَدًا . وَأَكْتَسِي بِالْخَوْلِ أَثَوَابًا جَدْدًا . أَفَنَتِي

الْأَيَّامُ فَمَا أَطَالَتْ لِي أَمَدًا . وَغَيَّرْتَنِي الْأَحْكَامُ فَمَا أَبَقَتْ لِي جِلْدًا
وَلَا جِلْدًا . فَمَا أَقْصَرَ مَا قَضَيْتُ عَيْشًا رَعْدًا . وَمَا أَطْوَلَ مَا بَقِيتُ يَا إِيسَا
مُجَرَّدًا . وَجَمَلَةُ خُصُولِي . أَتَنِي أَوْخَذُ أَيَّامُ خُصُولِي . فَأَقْطَعُ مِنْ أُصُولِي .
وَأَمْنَعُ مِنْ وَصُولِي . وَكَمْ مِمَّنْ يَتَمَوَّى عَلَى ضُعْفِي . وَيَعْسَفُ بِي مَعَ تَرْفِي
وَأُطْفِي وَظَرْفِي . فَيَتَنَعَّمُ بِي مَنْ حَضَرَنِي . وَيَسْتَخْلِينِي مَنْ نَظَرَ بِي .
ثُمَّ لَا أَلْبَثُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ . حَتَّى أَسَامَ بِالنَّجَسِ سَوْمٍ . وَيُعَادُ
عَلَيَّ بَعْدَ النَّشَاءِ بِاللُّؤْمِ . فَأَمْسِي مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكًا . وَبِأَيْدِي الْحَوَادِثِ
مَعْرُوكًا . فَإِذَا أَصْبَحْتُ يَا إِيسَا . وَمِنَ النَّصَارَةِ آيسَا . أَخَذَنِي أَهْلُ الْمَعَانِي .
مَنْ هُوَ لِلْحُكْمِ يُعَانِي . فَتَقَشَّشُ بِي الْأَوْرَامُ الْقَاسِيَةَ . وَتُلَيْنَ الْأَلَامُ
الْقَاسِيَةَ . وَتَلَطَّفُ بِي الطَّبَائِعُ الْعَاسِيَةَ . وَتُدْفَعُ بِدَوَائِي الْأَدْوَاءُ
الْعَادِيَةَ . فَالنَّاسُ مُمْتَعُونَ بِيَاسِي وَرَطْبِي . جَاهِلُونَ بِعَظَمِ خَطْبِي .
غَافِلُونَ عَمَّا أُوْدِعَ بِي مِنْ حِكْمِ رَبِّي . وَإِنِّي لَمَنْ يَتَدَبَّرُنِي عِبْرَةٌ لِمَنْ
أَعْتَبَرَ . وَتَذَكُّرَةٌ لِمَنْ أذْكَرَ . وَفِي مُزْدَجَرٍ لِمَنْ أَزْدَجَرَ :

وَلَقَدْ عَجِيتُ مِنْ أَلْبَسْتِجِ إِذْ غَدَا بِحُكْمِي بِأَوْرَاقٍ عَلَى أَنْعَاصِهِ
جَيْشًا طَوَارِفُهُ الزَّرَجْدُ رُصِمَتْ أَحْجَارُ يَاقُوتٍ عَلَى خُرْصَانِهِ
فَكَأَنَّمَا أَعْدَاؤُهُ بِجِلَادَةٍ شِلَتْ رُؤُوسَهُمْ عَلَى عِيدَانِهِ

إشارة للحزام

١٢٤ فَلَمَّا رَأَى الْحِزَامُ . مَا يُكَابِدُهُ الزَّهْرُ مِنْ الْقَيْدِ وَالْإِلْتِرَامِ .
فِيهَا مَا يُضَامُ . وَيُنْتَرُ بَعْدَ النِّظَامِ . وَبِالْثَمَنِ النَّجَسِ يُسَامُ . قَالَ : مَا

لِي وَالزَّحَامَ . لَا أَعَايِرُ اللَّئَامَ . وَلَا أَسْمَعُ قَوْلَ اللُّؤَامِ . وَأَلْزِمْتُ مِنْ
 بَيْنِ الْأَزْهَارِ . أَنْ لَا أَجَاوِرَ الْأَنْهَارَ . وَلَا أَقِفَ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ .
 أَرَأَيْتُ الْوَحْشَ فِي النَّقَارِ . وَأَسْكُنُ الْبَرَارِيَّ وَالْقَقَارَ . أُجِبُ الْحُلُوتِ .
 وَأَسْتَوِطِنُ الْقُلُوتِ . فَلَا أَزَاحِمُ فِي الْحَاكِلِ . وَلَا تَقْطِئُنِي أَيْدِي
 الْأَسَافِلِ . وَلَا أَهْمِلُ إِلَى اللَّاعِبِ وَالْهَازِلِ . لَكِنِّي بَعِيدٌ عَنِ الْمَنَازِلِ .
 تَجِدُنِي فِي أَرْضٍ تَجِدُ نَازِلَ . رَضِيتُ بِالْبَرِّ أَنْفَسِجَ . وَقِفْتُ بِمَجَاوِرَةِ
 النَّقَارِ وَالشَّجِ . تَعْبُقُ بِشَرِي الرِّيحُ . فَتَحْمِلُنِي إِلَى ذَوِي الْقُدُسِ
 وَالنَّسِجِ . لَا يَنْشَفِينِي إِلَّا مَنْ لَهُ ذَوْقُ صَحِجٍ . وَشَوْقُ صَرِجٍ . وَهُوَ
 عَلَى زَهْدِ السَّجِ . وَصَبْرِ الذَّبِجِ . فَأَنَا رَفِيقُ السَّيَّاحِ فِي الْغُدُوِّ
 وَالرَّوَّاحِ . فَلَا أَحْضَرُ عَلَى مُنْكَرٍ . وَلَا أَجْلِسُ عِنْدَ مَنْ يَشْرَبُ وَيَسْكُرُ .
 فَأَنَا الْحُرُّ الَّذِي لَا يَبَاعُ فِي الْأَسْوَاقِ . وَلَا يُنَادَى عَلَيَّ بِالنَّفَاقِ فِي
 سُوقِ النِّفَاقِ . وَلَا يَنْظُرُنِي إِلَّا مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقٍ . وَرَكِبَ جَوَادَ
 الْعَزِيمَةِ وَسَاقٍ . فَلَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْبَوَادِي . وَالنَّسِيمِ يَهيمُ بِي فِي كُلِّ
 وَادِي . أَعْطَرُ الْبَادِي . بِعِطْرِي الْبَادِي . وَأَرْوِحُ النَّادِي . بِشَرِي
 النَّادِي . إِنْ عَرَضَ بِذِكْرِي الْحَادِي . حَنَّ إِلَيَّ كُلُّ رَائِحٍ وَغَادِي

اشارة الشقيق

١٢٥ قَتَفَسَ الشَّقِيقُ بَيْنَ نُدْمَانِهِ . وَهُوَ مُضَرَّجٌ بِدِمَائِهِ . وَأَسْتَوَى
 عَلَى سَاقِهِ وَوَتَبَ . وَقَالَ : يَا لِلَّهِ الْعَجَبُ . مَا بَالُ لَوْنِي بِأَهْيَ . وَحُسْنِي
 زَاهِي . وَقَدْرِي بَيْنَ الرِّيَاحِينَ وَاهِي . فَلَا أَحَدٌ بِي يَا هِي . وَلَا نَاطِرٌ

إِلَيَّ شَاهِي . فَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَسْقَطَ جَاهِي . أَرْفُلُ فِي تَوْبِي
 أَلْقَانِي . وَأَنَا مَذْهُوضٌ عِنْدَ مَنْ يَلْقَانِي . فَلَا أَنَا فِي الْحُضْرَةِ حَاضِرٌ .
 وَلَا يُشَارُ إِلَيَّ بِالتَّوَاطُرِ . وَلَا أَصَاحُ بِالنَّاسِخِ . وَمَا بَرَحْتُ فِي عَدَدِ
 الرِّيَاحِينَ آخِرَ . فَأَنَا طَرِيدٌ عَنْ صَحْبِي . بَعِيدٌ عَنْ قُرْبِي . وَمَا أَظُنُّ
 ذَلِكَ إِلَّا مِنْ سَوَادِ قَلْبِي . فَلَمَّا رَأَيْتُ بَاطِنِي تَحْشُوهُ بِالذُّنُوبِ . وَقَالِي
 مُسَوِّدًا بِالْعُيُوبِ . عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّورِ وَلَكِنْ
 يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ . فَكَانَ عِجَابِي بِأَثْوَابِي سَبَبًا لِحِجَابِي عَنْ ثَوَابِي .
 فَكُنْتُ كَالرَّجُلِ الْمُنَافِقِ الَّذِي حَسَنَتْ سِيرَتُهُ . وَقَبِضَتْ سِرِّيَّتُهُ .
 وَرَاقَ فِي الْمُنْظَرِ سَيِّئُهُ . وَقَلَّ فِي الْخَبَرِ قِيَمَتُهُ . وَلَوْ صَلَحَ قَلْبِي لَصَلَحَ
 أَمْرِي . وَلَوْ شَاءَ رَبِّي لَطَابَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ ذِكْرِي . وَفَاحَ بَيْنَ
 الْأَزْهَارِ نَشْرِي . لَكِنَّ الطِّيبُ لَا يَفُوحُ إِلَّا مِنْ يَطِيبُ . وَعَلَامَاتُ
 الْقَبُولِ لَا تَلُوحُ إِلَّا عَلَى مَنْ رَضِيَ عَنْهُ الْحَبِيبُ :

أَنَا قَلْبِي قَدْ سَوَّدْتُهُ ذُنُوبِي وَقَضَى لِي مُعَذِّبِي بِشَقَايِ
 مَنْ رَأَى يَظُنُّ خَيْرًا وَلَكِنْ خَالِقِي عَالِمٌ بِأَتِي مُرَايِ
 قَدْ تَحَسَّنَتْ مَنَظَرًا وَلِبَاسًا وَرَزَايَا تَحْشُوهُ بِحَشَايِ
 وَاحْيَايِ إِذَا سُئِلْتُ وَمَا لِي مِنْ جَوَابٍ وَاجْتَلَيْتِي وَاجْبَايِ
 لَوْ كَشَفْتَ السُّتُورَ عَنْ سُوءِ حَالِي لَرَأَيْتَ السُّرُورَ لِلْأَعْدَاءِ

إشارة السحاب

فَأَنْبَسَ وَسَاحَ فِي فَسِجِ الرِّحَابِ . وَقَالَ : سُجَّانَ اللَّهِ أَتُنْكِرُ فَضْلِي
عَلَيْكُمْ . وَأَنَا الْبَاعِثُ طَلِي وَوَبِلِي إِلَيْكُمْ . وَهَلْ أَنْتُمْ إِلَّا أَطْفَالُ
جُودِي . وَتَسْلُ وَجُودِي . كَمْ مَلَأْتُ الْبَرَّ بِرَأْيِي . وَالتَّجَرَ دُرًّا
بِدُرِّي . فَلَمْ يَزَلْ تَذِي دُرِّي عَلَيْهِ دَرَارًا . وَمَزِيدُ بَرِّي إِلَيْهِ مِذْرَارًا .
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ الرِّضَاعِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْفِطَامُ . أَقْطَعُ تَذِي عَنْهُ
فَيْضُجُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حُطَامُ . فَكَأَنَّ بَعْثَهُ فِي النِّسَابِ عِبْرَاتِي .
وَأُشُورُهُ فِي بَعْثِ قَطْرَاتِي . قَالَ كُلُّ فِي الْحَقِيقَةِ أَطْفَالِي . وَلَوْ اعْتَرَفُوا
بِحَقِّي لَكَانُوا مِنْ الْجَوِّ أَطْفَالِي

إشارة الهزار

١٣٧ (قَالَ) : فَيَتِمُّ أَنَا مُضْغٌ لِمُنَادِمَةِ أَزْهَارِهَا . عَلَى حَافَاتِ أَنْهَارِهَا .
إِذَا صَاحَتْ فَصَاحَةُ أَطْيَارِهَا مِنْ أَوْكَارِهَا . فَأَوَّلَ مَا صَوَّتَ الْهَزَارُ .
وَنَادَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَلْعِ الْعِذَارِ . وَبَاحَ بِمَا يَكَاثُهُ مِنَ الْأَسْرَارِ . وَقَالَ
بِلِسَانِ حَالِهِ : أَنَا الْهَائِمُ اللَّهُمَّ . الصَّادِي الظَّمَانُ . إِذَا رَأَيْتُ فَضْلَ
الرَّبِّ قَدْ حَانَ . وَمَنْظَرُهُ الْبَدِيعُ قَدْ آنَ . تَجِدُنِي فِي الرِّيَاضِ قَرْحَانَ .
وَفِي النِّبَاضِ أَرْدَدُ الْأَلْحَانَ . أَغْنِي وَأَطْرِبُ فَأَنَا بِنِعْمَتِي طَرْبَانُ .
وَمِنْ نَشْوَتِي سَكْرَانُ . فَإِذَا زَمَزَمَ النَّسِيمُ وَصَفَّتْ أَوْرَاقُ الْأَغْصَانِ .
أَرْقُصُ عَلَى الْعِيدَانِ . فَكَأَنَّمَا الزَّهْرُ وَالنَّهْرُ لِي عِيدَانُ . وَأَنْتَ
تَحْبِسُنِي فِي ذَلِكَ عَابِثًا . لَا وَاللَّهِ وَلَسْتُ بِالْيَمِينِ حَانِثًا . وَإِنَّمَا
أُنُوحُ حَرْبًا لَا طَرْبًا . وَأَبُوحُ رَحًا لَا قَرْحًا . لِأَنِّي مَا وَجَدْتُ رَوْضَةً

إِلَّا تَبْلَبْتُ عَلَى بَلْبَالِهَا . وَلَا تَزْهَى إِلَّا نَحْتُ عَلَى أَضْحَى لَالِهَا . وَلَا
خُضْرَةَ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى زَوَالِهَا . لَا تَنِي مَا رَأَيْتُ صَفْوَةً إِلَّا تَكْدَرْتُ .
وَلَا عَيْشَةَ حُلْوَةً إِلَّا تَمَرْتُ . فَحَرَّاتُ فِي مِثَالِ الْعِرْقَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَان . فَكَيْفَ لَا أَنْوَحُ . عَلَى حَالِ يُحُولُ . وَوَقْتُ يَدُولُ . وَعَيْشُ
يَزُولُ . وَوَصْلُ عَنْ قَرِيبِ مَفْصُولِ . وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ شَرْحِ حَالِي
تُغْنِي عَنِ الْفُصُولِ :

حَدِيثُ ذَاكَ الْحَمَى رَوْحِي وَرَيْحَانِي فَلَا تَلْنِي إِذَا كَرَّرْتُ أَلْحَانِي
رَوْضُ بِهِ الرَّاحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا وَخُضْرَةٌ مَا لَهَا فِي حُسْنِهَا ثَانِي
مِنْ أَيْضٍ يَبْقَى أَوْ أَصْفَرٍ يَقَعُ أَوْ أَخْضَرٍ رَقِيَ أَوْ أَحْمَرٍ قَانِي
وَالْأَنْسُ دَانٍ وَتَمَلُّ الْوَصْلُ تَجْتَمِعُ هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ قَانِي

إشارة البار

١٢٨ فَتَادَى الْبَارُ . وَهُوَ فِي مِيدَانِ الْبِرَارِ . وَيُحَكُّ لَقَدْ صَغُرَ جِرْمُكَ .
وَكَبُرَ جِرْمُكَ . وَقَدْ أَقْلَقْتُ بِتَغْرِيدِكَ الطَّيْرَ . وَإِطْلَاقُ لِسَانِكَ
يُجْلِبُ إِلَيْكَ الضَّيْرَ . وَمَا يُفْضِي بِكَ إِلَى خَيْرٍ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مَا
يَهْلِكُ الْإِنْسَانَ إِلَّا عَثَرَاتُ الْلِسَانِ . فَلَوْلَا لَقَلَقَةُ لِسَانِكَ . مَا أَخَذَتْ
مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِكَ . وَحُبَسَتْ فِي ضَيْقِ الْأَقْقَاصِ . وَسُدَّ عَلَيْكَ بَابُ
الْخُلَاصِ . وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مَا جَاءَهُ عَلَيْكَ لِسَانُكَ . فَأَقْصَحَ بِهِ يَأْنُكَ .
فَلَوْ أَهْتَدَيْتَ بِعَيْتِي . وَأَقْتَدَيْتَ بِصِنْتِي . لَبَرْتُ مِنَ الْمَلَامَةِ . وَعَلِمْتَ
أَنَّ الْعَيْتَ رَفِيقُ السَّلَامَةِ . أَلَمْ تَرِنِي لَزِمْتُ الصُّمُوتَ . وَأَلْقَتْ

السُّكُوتَ . فَكَانَ الصَّمْتُ جَمَالِي . وَلَزُومُ الْأَدَبِ كَمَالِي . أَفْتَضْتُ
 مِنَ الْبَرِّيَّةِ حَبِيرًا . وَجَلَيْتُ إِلَى بِلَادِ الثَّرِيَّةِ قَهْرًا . فَلَا بِالسَّرِيَّةِ نَجَتْ .
 وَلَا عَلَى الْأَطْلَالِ نَحْتُ . بَلْ أَدَبْتُ حِينَ غَرَبْتُ . وَقُرْبْتُ حِينَ
 جُرَبْتُ . وَامْتَحَنْتُ حِينَ امْتَحَنْتُ . وَعِنْدَ الْإِمْتِحَانِ . يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ
 يَهَانُ . فَلَمَّا رَأَى مُوَدِّي تَخْلِيطَ الْوَقْتِ . خَافَ عَلَيَّ مِنَ الْمَقْتِ . فَكَمَّ
 بَصْرِي بِكُمَّةٍ : لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ . وَعَقْدَ لِسَانِي بِعُقْدَةٍ : لَا تَحْرَكْ بِهِ
 لِسَانُكَ . وَقَيَّدَنِي بِقَيْدٍ : لَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا . فَأَنَانِي وَإِنَانِي
 لَا أَنَا لَمْ . وَمِمَّا الْإِنَانِي لَا أَتَكَلَّمُ . فَلَمَّا كُنِمْتُ وَأَدَبْتُ . وَجُرَبْتُ
 وَهَذَبْتُ . اسْتَصْلَحَنِي مُوَدِّي لِإِرْسَالِي إِلَى الصَّيْدِ . وَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ
 الْقَيْدُ . فَأُطْلِفْتُ وَأُرْسِلْتُ . فَأَرُفِعْتَ الْكُمَّةَ عَنْ عَيْنِي . حَتَّى أَصْلَحْتُ
 مَا بَيْنَهُ وَبَيْنِي . فَوَجَدْتُ الْمُلُوكَ خُدَّائِي . وَأَكْفَهُمْ نَحْتُ أَقْدَائِي :

أَمَسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الْكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ الدُّنَا إِنْسَانِي
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قُرْبَ مَنِي لِي خَارِفِ اللَّذَاتِ قَدْ أَنَسَانِي
 أَدَبْتُ آدَابَ الْمُلُوكِ وَعُلِمْتُ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعِ الْإِحْسَانِ
 أُرْسِلْتُ مِنْ كَفِّ الْمُلُوكِ مُجَرَّدًا وَجَعَلْتُ مَا أُنْبِغِي نُسَبَ عِيَانِي
 حَتَّى ظَهَرْتُ وَنَلْتُ مَا أَمَلْتُ ثُمَّ اسْتَجِيتُ إِلَيْهِ حِينَ دَعَانِي
 هَذَا لَعَنِي رَسْمُ كُلِّ مُكَافٍ بِوُطَاقِ التَّسْلِيمِ لِلْإِيمَانِ

إشارة للحمام

١٣٩ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا مُسْتَرْقٌ فِي لَذَّةِ كَلَامِهِ . مُعْتَبِرٌ بِحِكْمِهِ

وَأَحْكَامِهِ . إِذْ رَأَيْتُ أَمَامَهُ حَمَامَةً . قَدْ جَعَلَتْ طَوْقَ الْعُبُودِيَّةِ فِي عُنُقِهَا
 عَلَامَةً . فَقُلْتُ لَهَا : حَدِّثِي عَن ذَوْقِكَ وَشَوْقِكَ . وَأَوْضِحِي لِي مَا
 الْحِكْمَةُ فِي تَطْوِيسِ طَوْقِكَ . فَقَالَتْ : أَنَا الْمَطْوُوقَةُ بِطَوْقِ الْأَمَانَةِ .
 الْمَقْلَدَةُ بِتَمْلِيدِ الصَّيَانَةِ . نُذِبْتُ لِحِمْلِ الرِّسَالَةِ . وَتَبْلِغُ الرِّسَالِ
 لِلسَّائِلِ . وَلَكِنِّي أَخْبِرُكَ عَنِ الْقِصَّةِ الصَّحِيحَةِ . فَإِنَّ الدِّينَ الصَّحِيحَ .
 مَا كُلُّ طَائِرٍ أَمِينٌ . وَلَا كُلُّ حَافٍ يَصْدُقُ فِي الْيَمِينِ . وَلَا كُلُّ
 سَالِكٍ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . وَإِنَّمَا الْمُخْصُوصُ بِحِمْلِ الْأَمَانَةِ جُنْسِي .
 فَيَشْتَرِي بِالتَّخَرُّجِ . وَيَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِالتَّدْرِيجِ . فَأَقُولُ : حَمَلُونِي
 فَأَحْمِلْ كُتُبَ الْأَسْرَارِ . وَلَطَائِفَ الرِّسَالِ وَالْأَخْبَارِ . فَأُطِيرُ وَعَلَيَّ
 مُسْتَطِيرٌ . خَائِفًا مِنْ جَارِحِ جَارِحٍ . حَازِرًا مِنْ سَائِحِ سَائِحٍ . جَارِعًا
 مِنْ صَائِدٍ ذَائِحٍ . فَأَهَاجِرُ . وَأَكْبِدُ الظَّمَا فِي الْهَوَاجِرِ . وَأَطْوِي
 عَلَى الطَّوَى فِي الْحَاجِرِ . فَلَوْ رَأَيْتُ حَبَّةَ قَمْحٍ مَعَ شِدَّةِ جُوعِي رَجَعْتُ
 عَنْهَا . فَأَرْتَفِعُ خَشْيَةً مِنْ كَيْفِ مَدْفُونٍ . أَوْ شَرِكٍ يُعْطِي عَن
 تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ . فَأَنْقَلِبُ بِصَفْقَةِ الْمَغْبُونِ . فَإِذَا وَصَلْتُ . وَفِي مَأْمَنِي
 حَصَلْتُ . أَذِيتُ مَا حَمَلْتُ . وَعَمِلْتُ مَا عَلِمْتُ . فَهَذَا لَكَ طَوْقُ .
 وَبِالْبَشَارَةِ خُلِفْتُ . وَأَنْقَلِبُ إِلَى شُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا وَفَّقْتُ :

أَيَا رَبِّي وَصَلْتُ أَوْ هَجَرْتُمْ فَعَبْدُكُمْ عَلَى حِفْظِ الْأَمَانَةِ
 مُقِيمٌ لَا يُزْجِرُهُ عَذُولٌ وَلَا يَتْنِي مُعْنَاهُ عِنَانَةٌ
 حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيْسَ تَقْوَى إِلَّا جِبَالُ الشَّمِّ تُحْمِلُهُ رِزَانَةٌ

وَحِظْتُ أَلْهَدِ مَا وَفَاهُ حُرٌّ وَطَوْقُهُ فَتَى إِلَّا وَرَآنَهُ

إشارة لخطاف

١٣٠ (قَالَ): فَيَيْنَا نَحْنُ تَتَذَاكِرُ أَوْصَافَ الْأَشْرَافِ، وَأَشْرَافِ
الْأَوْصَافِ. إِذْ نَظَرْتُ إِلَى خُطَافٍ. وَهُوَ بِأَلَيْتٍ قَدْ طَافَ. فَقُلْتُ:
مَا لِي أَرَاكَ لَلَيْتِ لَا زِمًا. وَعَلَى مُوَانَسَةِ الْإِنْسِ عَازِمًا. فَلَوْ كُنْتُ فِي
أَمْرِكَ حَازِمًا. لَمَا فَارَقْتُ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ. وَرَضِيتُ فِي الْبُيُوتِ بِجَنْسِكَ.
ثُمَّ إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ إِلَّا فِي الْمَنَازِلِ الْعَامِرَةِ. وَالْمَسَاكِينِ الَّتِي هِيَ بِأَهْلِهَا
عَامِرَةٌ. فَقَالَ: يَا كَيْفَ الطَّيْعُ يَا ثَقِيلُ السَّمْعِ. اِسْمِعْ رَجْمَةَ حَالِي.
وَكَيْفَ عَنِ الطَّيْرِ أَرْحَاجِي. إِنَّمَا فَارَقْتُ أَمْثَالِي. وَعَاشَرْتُ غَيْرَ أَشْكَالِي.
وَأَسْتَوَطَنْتُ السُّقُوفَ. دُونَ السَّعَابِ وَالْكُفُوفِ. لِفَضِيلَةِ الْغُرَبَةِ.
وَلَزُومًا لِآدَابِ الصُّحْبَةِ. صَحِبْتُ مَنْ لَيْسَ مِنِّي لِأَكُونَ غَرِيبًا.
وَجَاوَرْتُ خَيْرَ أَمْنِي لِأَحْرَزَ بَيْنَهُمْ نَصِيبًا. فَأَعِيشْ عِيشَ الْغُرَبَاءِ. وَأَفُوزَ
بِصُحْبَةِ الْأَدْبَاءِ. وَالْغَرِيبُ مَرْحُومٌ فِي غُرَبَتِهِ. مَلْطُوفٌ بِهِ فِي صُحْبَتِهِ.
فَقَصِدْتُ الْمَنَازِلَ. غَيْرَ مُضِرٍّ بِالنَّازِلِ. أَبْتَنِي بَيْتِي مِنْ حَافَاتِ الْأَنْهَارِ.
وَأَكْتَسِبُ قُوِي مِنْ سَاحَاتِ الْقَهَارِ. فَلَسْتُ لِلجَّارِ كَمَنْ جَارَ. وَلَا لِأَهْلِ
الدَّارِ كَأَنْتَدَارِ. بَلْ أَحْسَنُ جَوَارِي مَعَ جَارِي. وَلَيْسَ مِنْهُمْ رَسْمُ
جَارِي. أَكْثَرُ سَوَادِهِمْ. وَلَا أَسْتَطِيعُ زَادَهُمْ. فَرُهِدِي فِيمَا فِي أَيْدِيهِمْ.
هُوَ الَّذِي حَيَّنِي إِلَيْهِمْ. فَلَوْ شَارَكْتُهُمْ فِي قُوَّتِهِمْ. لَمَا بَقِيَتْ مَعَهُمْ فِي
يُوتِهِمْ. فَأَنَا شَرِيكُهُمْ فِي أُنْدِيَتِهِمْ. لَا فِي أَعْدِيَتِهِمْ. مُرَاجِعُهُمْ فِي

أَوْقَاتِهِمْ . لَا فِي أَقْوَاتِهِمْ . مُكْتَسِبٌ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ . لَا مِنْ أَرْزَاقِهِمْ .
 مُتَّهَبٌ مِنْ حَالِهِمْ . لَا مِنْ مَالِهِمْ . مُقْتَسِمْ مِنْ بَرِّهِمْ . لَا مِنْ بَرِّهِمْ .
 رَاغِبٌ فِي حَبِّهِمْ . لَا فِي حَبِّهِمْ . مُقْتَدِيًا بِقَوْلِهِ : إِرْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُجِبْكَ
 اللَّهُ . وَأَرْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُجِبْكَ النَّاسُ . قَالَ فَقُلْتُ : لِلَّهِ دَرْكٌ
 لَقَدْ عِشْتَ سَعِيدًا . وَبِئْرْتَ سَيِّئًا حَمِيدًا . وَوَقَّعْتَ أَمْرًا رَشِيدًا .
 وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيدًا . فَلَا أَطْلُبُ عَلَى مَوْعِظَتِكَ مَزِيدًا

إشارة اليوم

١٣١ (قَالَ) : فَتَادَانِي الْيَوْمُ . وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْخَرَابِ مَهْمُومٌ . أَيُّهَا
 الصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالْحِلُّ الْمُرَاقِقُ . لَا تَكُنْ بِمَقَالَةِ الْخُطَّافِ وَائْتِقًا . وَلَا
 لِقِصْلِهِ مُوَافِقًا . فَإِنَّهُ إِنْ سَلِمَ مِنْ شَيْءٍ زَادَهُمْ . فَمَا سَلِمَ مِنْ زَوْجِهِمْ
 وَأَعْيَادِهِمْ . وَتَكْثِيرِ سَوَادِهِمْ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ كَثَرِ سَوَادِ قَوْمٍ فَهُوَ
 مِنْهُمْ . وَلَوْ صَحِبَهُمْ سَاعَةً كَانَ مَسْئُولًا عَنْهُمْ . وَقَدْ فَهِمْتَ أَنَّ مُبْتَدَأَ
 التَّفْرِيطِ مِنْ آفَاتِ التَّخْلِيطِ . وَالْخُلْطَةُ غُلْطَةٌ . وَأَوَّلُ السَّيْلِ نُقْطَةٌ .
 وَاعْلَمْ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي الْعَزَلَةِ . فَمَنْ وَلِيَهَا فَلَا يَخَافُ عَزْلَةَ . فَهَلَا اسْتَسَنَّ
 بِسُنَّتِي . وَتَأَسَّى بِوَحْدَتِي . وَاعْتَزَلَ الْمَنَازِلَ وَالنَّازِلَ . وَزَهَدَ فِي الْمَأْكَلِ
 وَالْأَكْلِ . أَلَا تَرَانِي لَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ . وَلَا أَجَالِسُهُمْ فِي
 مَجَالِسِهِمْ . وَلَا أَسَاكِنُهُمْ فِي مَسَاكِنِهِمْ . وَلَا أَزَاجُهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . بَلْ
 اخْتَرْتُ الدَّائِرَ مِنَ الْجُدْرَانِ . وَرَضِيتُ بِالْخَرَابِ عَنِ الْعُرَانِ . فَسَلِمْتُ
 مِنَ الْأَنْكَادِ . وَأَمِنْتُ شَرَّ الْحُسَادِ . وَلَمْ أَزَلْ عَنِ الْأَحْبَابِ وَحِيدًا .

وَمِنَ الْقُرْنَاءِ قَرِيدًا . وَعَنِ الْأَثْرَابِ بَعِيدًا شَرِيدًا . فَمَنْ كَانَ مَسْكِنُهُ
 الْأَثْرَابَ . كَيْفَ يَسَاكِنُ الْأَثْرَابَ . مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْعُمَرَ وَإِنْ طَالَ قَصِيرٌ .
 وَأَنَّ كُلًّا إِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ . بَاتَ عَلَى خَشْنِ الْحَصِيرِ . وَأَفْطَرَ عَلَى قُرْصِ
 السَّعِيرِ . وَرَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَعَلِمَ أَنَّ قَرِيبًا فِي الْجَنَّةِ وَقَرِيبًا فِي
 السَّعِيرِ . أَنَا نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَخَرَابِهَا . وَإِلَى الْآخِرَةِ وَأَقْرَابِهَا .
 وَإِلَى الْقِيَامَةِ وَحَسَابِهَا . وَإِلَى النَّفْسِ وَانْتِسَابِهَا . فَشَغَانِي التَّنَكُّرُ فِي
 حَالِي . عَنْ مَتَرِي الْحَالِي . وَأَذْهَلَنِي مَا عَلَيَّ وَمَالِي . وَأَذْهَبَنِي عَنْ أَهْلِي
 وَمَالِي . وَأَهْمَنِي صِحَّتِي وَاعْتِلَالِي . عَنِ الْقُصُورِ الْعَوَالِي . فَجَلَا الْيَقِينَ
 عَنْ بَصَرِ بَصِيرَتِي كُلِّ شُبْهَةٍ . فَعَلِمْتُ أَنَّ لَا فُرْصَةَ تَدْوَمُ وَلَا زُرْهَةً .
 وَأَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . فَعَرَفْتُ مَنْ هُوَ . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ .
 وَحَيْثُ كُنْتُ فَلَا أَرَى إِلَّا هُوَ . فَإِذَا نَطَقْتُ فَلَا أَقُولُ إِلَّا هُوَ . (قَالَ :)
 فَأَخَذَتْ مَوْعِظَتُهُ يَجَامِعُ قَلْبِي . وَخَلَفَتْ عَنِّي مَلَإِسُ عَجْبِي

إشارة الدُّرَّة

١٣٢ (قَالَ) وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ إِذْ صَاحَتِ الدُّرَّةُ مِنْ عَمَلِ عَمَلِي
 فَهُوَ مَسْعُودٌ . وَمَنْ حَذَا حَذَوِي فَهُوَ مَوْعُودٌ بِدَارِ الْخُلُودِ . أَلَا تَرَانِي لَمَّا عَلَتْ
 هِمَّتِي وَتَمَّتْ غَزِيَّتِي . كَيْفَ عَلَتْ قِيَمَتِي . فَلَمْ أَرْضَ لِنَفْسِي . مَا يَرْضَاهُ
 أَبْنَاءُ جَنَسِي . لَكِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْوُجُودِ . وَمَا فِيهِ مَوْجُودٌ قَرَأْتُ آدَمَ
 وَبَيْنَهُ مِنْ دُونِ الْكُلِّ هُوَ الْمَقْصُودُ . خَلَقَ اللَّهُ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَجْلِهِمْ
 وَخَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ . فَوَصَلَ حَبْلَهُمْ بِحَبْلِهِ . وَفَعَلَ مَعَهُمْ مَا هُوَ مِنْ أَهْلِهِ .

فَلَذِكْ زَاكَمَتُهُمْ فِي كَلَامِهِمْ . وَشَارَكْتُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ . فَأَلْتَشَبَّهُ بِهِمْ .
وَأِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ . وَأَتَخَلَّقُ بِهِمْ وَأَخَاطِبُهُمْ وَلَا أَرْغَبُ عَنْهُمْ . فَقُلْتُ
قَبِيَّتِي . إِذْ عَلَتْ هِمَّتِي . فَأَحْلَوْنِي مَحَلَّ الْأَدِيمِ . وَأَلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
السَّيِّعُ الْعَلِيمُ . فَأَذْكُرُ كَمَا يَذْكُرُونَ . وَأَشْكُرُ كَمَا يَشْكُرُونَ :

إِخْتَبَرْتُ حَالِي تَجِدُنِي مِنْ أَصْعَدِ النَّاسِ تَحْزَنُ
أَنَا قَدْ أَحْيَيْتُ قَوْمًا شَرَفُوا مَعْنَى وَمَنْظَرَ
كَبُرُوا قَدْرًا وَذِكْرًا فَهُمْ أَزْكَى وَأَطْهَرُ

(قَالَ) فَلَمَّا سَامَ نَفْسَهُ بِهَذَا السَّوْمِ . وَجَلَسَ فِي صَدْرِ عَجَاسِ الْقَوْمِ .
قُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ . أَلْبَهَائِمُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَنَا فِي النَّوْمِ . فَالِي لَا
أَزَاجِمُ عَلَى أَبْوَابِ ذِي الْمَرَاكِمْ . لَعَلَّهُ يُوهَبُ مَرْحُومٌ لِرَاحِمٍ . وَيُقَالُ :
مَرْحَبًا بِالْقَادِمِ . مَا قَدْ وَهَبْنَا الْجَنَابَةَ لِلنَّادِمِ

إشارة اليك

١٣٣ (قَالَ) فَقُلْتُ : تَأَلَّهَ لَقَدْ فَازَ أَهْلُ الْخُلُوتِ . وَأَمْتَارَ أَهْلُ
الصَّلَوَاتِ . وَمُنِعَ مِنَ الْجَوَارِ أَهْلُ الْفَلَاتِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ نَادَى الدِّيكُ .
كَمْ أَنَادَيْكَ . وَأَنْتَ فِي تَعَامِيكَ وَتَعَاشِيكَ . جَعَلْتُ الْأَذَانَ لِي
وَضِيفَةً . أَوْقِظْ بِهِ مَنْ كَانَ نَائِمًا كَالْحَيْفَةِ . وَأَبْشُرُ الدِّينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً . وَفِي إِشَارَةِ لَطِيفَةٍ . أَصْفَقُ بِجَنَاحِي بَشْرًا لِلْقِيَامِ .
وَأَعْلَنُ بِالصَّبَاحِ تَنْبِيهَا لِلنِّيَامِ . فَتَضْفِيقُ الْجَنَاحِ . بَشْرًا بِالنَّجَاحِ . وَتَرْيِدُ
الصَّبَاحِ . دُعَاءُ لِلْفَلَاحِ . لَا أُحِلُّ بِوَضِيعَتِي لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَلَا أَغْلُ عَنْ

وَرَدِي سِرًّا وَلَا إِنْجَارًا . قَسَمْتُ وَظَائِفَ الطَّلَاعَاتِ . عَلَى جَمِيعِ السَّلَاطِ .
 فَأَمَرْتُ سَاعَةً . إِلَّا وَلِيَّ فِيهَا وَظِيفَةُ طَاعَةٍ . فِي تَرْفِ الْمَوَاقِيتِ . وَلَا
 تَغْلُوقِيَّتِي وَلَوْ أَشْرَيْتُ بِالْمَوَاقِيتِ . فَهَذَا حَالِي . مَعَ قِيَامِي عَلَى عِيَالِي .
 وَإِشْقَاقِي عَلَى أَطْفَالِي . فَأَنَا بَيْنَ الدَّجَاجِ . أَقْعُ بِالْأَجَاجِ . وَلَا أَخْتَصُّ
 دُونَهُمْ بِحَبَّةٍ . وَلَا أَتَجَرَّعُ دُونَهُمْ بِشَرْبَةٍ . وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْحَبَّةِ . إِنْ
 رَأَيْتُ حَبَّةً دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهَا . وَدَلَلْتُهُمْ عَلَيْهَا . فَمِنْ شَأْنِي الْإِيثَارُ . إِذَا
 حَصَلَ الْقِتَارُ . ثُمَّ إِنِّي طَوَّعُ لِأَهْلِ الدَّارِ . أَصْبِرُ لَهُمْ عَلَى سُوءِ الْجَوَارِ .
 يَذْبَحُونَ أَفْرَاحِي . وَأَنَا لَهُمْ كَالْحِلِّ الْمَوَاحِي . وَيَتَهَبُونَ أَتْبَاعِي . وَأَنَا فِي
 نَعْمِهِمْ - أَعْي . فَهَذِهِ شِمَّةُ أَوْصَافِي . وَنَجْمَةُ إِنْصَافِي . وَاللَّهُ لِي كَافِي :
 يَذْكُرُ اللَّهُ يُدْفَعُ كُلُّ خَوْفٍ وَيَدْنُو الْحَيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيهِ
 وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يُضْنِي وَيَذْرِي مَعَايِي مَا أَقُولُ وَمَنْ يَمِيعُ

إشارة البط

١٣٤ (قَالَ) فَنَادَى الْبَطُّ . وَهُوَ فِي الْمَاءِ يَنْغَطُّ . وَقَالَ : يَأْمَنُ بِدِينِي
 هِمَّتِهِ انْحَطَّ . لَا أَنْتَ مَعَ الطَّيْرِ فَتَرَقِي . وَلَا تَسْلَمُ مِنَ الضَّيْرِ فَتَبْقِي .
 فَأَنْتَ كَأَمَلْتِ لَا أَرْضًا تَقْطَعُ . وَلَا لَزُومَكَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَنْفَعُ .
 سَقُوطُ نَفْسِكَ أَفْكَالٌ عَلَى الْمَزَالِ . وَوُقُوفُكَ عِنْدَ الطَّلِّ حَجَبٌ عَنْ
 الْوَابِلِ . وَمَارِجٌ فِي التَّلَاجِرِ مَنْ لَمْ يَقْطَعْ الْمَرَاجِلَ . وَلَا يَقْطُرُ بِالْجَوَاهِرِ
 مَنْ هُوَ وَاقِفٌ بِالسَّاحِلِ . فَلَوْ ثَبَتَ تَمَكُّنُكَ . وَقَوِيَ يَقِينُكَ . لَطَرْتُ فِي
 الْهَوَاءِ . وَمَشَيْتَ عَلَى الْمَاءِ . أَلَمْ تَرِنِي كَيْفَ مَلَكَتُ هَوَايَ . فَمَا لَكَ

عَالِي الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ . فَأَنَا فِي الْبَرِّ سَاحِجٌ . وَفِي الْبَحْرِ سَاحِجٌ . وَفِي الْهَوَاءِ
 سَاحِجٌ . وَقَدْ جَعَلْتُ الْبَحْرَ مَرْكَزَ عِزِّي . وَمَعْدِنَ كَثْرِي . فَأَعُوصُ فِي
 صَفَاءِ تَالِيهِ . فَأَجْتَلِي جَوَاهِرَ لَالِيهِ . وَأَطْلُعُ فِيهِ عَلَى حِكْمِهِ
 وَمَعَانِيهِ . وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهِ . فَمَنْ وَقَفَ عَلَى سَاحِلِهِ . لَمْ
 يَظْفَرْ إِلَّا بِزَبَدِهِ وَأَجَاغِهِ . وَمَنْ لَمْ يَخْذَرْ مِنْ دَوَاحِلِهِ وَلَجَاجِهِ . غَرِقَ
 فِي مُتَلَاظِمِ لَحْجِهِ وَأَمْوَاجِهِ . فَالْسَّعِيدُ مَنْ رَكِبَ قَارِبَ قُرْبَاتِهِ . وَرَفَعَ
 قُلُوعَ تَضَرُّعَاتِهِ . مُتَعَرِّضًا لِلْسَّمَاتِ تَحَاتِيهِ . مَاذَا لَبَانَ رَجَائِهِ بِجَذْبَاتِهِ .
 ثُمَّ قَطَعَ كَنَافَ ظُلُمَاتِهِ . فَوَصَلَ إِلَى تَجْمَعِ بَحْرِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ .
 فَهَذَا لَكَ يَتَمُّعُ عَلَى عَيْنِ حَيَاتِهِ . فَيَرُدُّ مِنْ عَذْبِهِ وَفَرَاتِهِ :

يَا طَالِبَا لِمَعَالِي مَهْرُ الْمَعَالِي عَالِي
 قَدَمٍ قَاوُلُ نَقْدٍ مُجَلُّ أَلْجَالِ
 مَا اسْتَعَذَّبَ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرِّجَالِ
 حِمَاهُ دُونَ الْوَصَالِ حِمَاهُ حَدِّ النَّصَالِ
 كَذَا الْقُصُورُ الْعَوَالِي خُفَّتْ بِسْمْرِ الْعَوَالِي
 وَالشَّهْدُ دُونَ جَنَاهُ لَدَغُ كَحْدِ النَّبَالِ
 قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذَوُ الْجُدُودِ الْعَوَالِي
 وَصَابَرُوا فِي هَوَاهُ عَلَيْهِ مَرُّ النَّكَالِ
 صَامُوا وَبِالذِّكْرِ قَامُوا فِي مُظْلِمَاتِ اللَّيَالِي
 إِنْ كُنْتَ بَطَالًا فَاتْرُكْ مَسَاوِلَ الْأَبْطَالِ

١٣٥ (قَالَ): فَتَادَتِ النَّحْلَةُ: يَا لَهَا مِنْ نَحْلَةٍ. مَا صَحَّ فِي رِوَايَتِهَا رَحْلَةٌ.
فَالْعَارِفُ مَنْ ظَهَرَ مَعْنَاهُ. وَقِيلَ دَعَوَاهُ. وَعِلْمٌ صَفَاءٌ بِرِهِ مِنْ تَجَوَّاهُ.
وَمَنْ مَحَاقِقَةً دَعَوَاهُ. ثَبَّتَ حَقِيقَةَ مَعْنَاهُ. فَلَا تَقُلْ قَوْلًا يُبْطِلُهُ فِعْلُكَ.
وَلَا تُزِبْ فِرْعَا يُنْقِضُهُ أَصْلُكَ. أَلَا تَرَانِي لِمَا طَابَ مَطْعَمِي وَصَفَا مَشْرَبِي.
كَيْفَ رُفِعَتْ رُتَبَتِي. وَعَلَا مَنْصِبِي. وَكُلَّ أَدْبِي. لَوْلَا أَنِّي أَكَلْتُ
الْحَلَالَ. وَلَزِمْتُ أَشْرَفَ الْحِلَالِ. حَتَّى صِرْتُ كَالْحِلَالِ. أَسْلُكُ سُبُلَ
رَبِّي ذُلًّا. وَأَشْكُرُ مِنْ نِعَمِهِ فُضُولًا وَجَمَلًا. أَبْتَنِي الْمُبَاحَ. الَّذِي لَيْسَ
عَلَى أَكْلِهِ مِنْ جُنَاحٍ. فَأَجْعَلُ فِي الْجِبَالِ بُيُوتِي. وَمِنْ مَبَاحِ الْأَشْجَارِ
قُوتِي. أَبْتَنِي بُيُوتًا يَجْزِي كُلَّ صَانِعٍ عَنْ تَأْسِيسِهَا. وَيُخَيِّرُ أَقْلِيدُسُ فِي
حَلِّ شَكْلِ تَسْدِيسِهَا. ثُمَّ أَسْقِطُ عَلَى الزَّهْرِ وَالثَّمَرِ. فَلَا أَكُلُ ثَمَرَةً.
وَلَا أَهْشِمُ زَهْرَةً. بَلْ أَتَنَاولُ مِنْهَا شَيْئًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّلِّ. فَأَتَغَدَّى بِهِ
قَانِعَةً وَإِنْ قَلَّ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى عُشِّي. وَقَدْ صَفَا كَدْرُ عَيْشِي. فَأَسْتَعْمِلُ
فِي وَكْرِي بِفِكْرِي وَذِكْرِي. وَأَخْلِصُ لِمَوْلَايَ شُكْرِي. وَلَا أَفْتُرُ عَنْ
الذِّكْرِ. وَلَا أَغْفُلُ عَنِ الشُّكْرِ. قَدْ أَتَّبَعَ عَلَمِي وَعَمَلِي. سَمِعِي وَعَسَلِي.
فَالْتَمَعْتُ ثَمَرَةَ الْعِلْمِ الْمَقْبُولِ. وَالْعَسَلُ ثَمَرَةُ الْعَمَلِ الْمَقْبُولِ. فَالْتَمَعْتُ لِلضِّيَاءِ.
وَالْعَسَلُ لِلشِّفَاءِ. فَإِذَا أَتَانِي قَاصِدٌ يَسْتَضِي بِضِيَائِي. وَإِنْ أَتَانِي
عَلِيلٌ يَسْتَشْفِي بِشِفَائِي. فَلَا أَذِيقُهُ حَلَاوَةَ نَفْعِي. حَتَّى أُجْرِعَهُ مَرَادَةً
لِسَمِي. وَلَا أَزِيلُهُ شَهْدِي. إِلَّا بَعْدَ مُكَابَدَةِ جَهْدِي. فَإِنْ أَقْتَصَهُ

مِنِّي قَهْرًا . لِحَايِي عَنْهُ جَهْرًا . وَأَدَافِعُ عَنْهُ بِرُوحِي . وَأَقُولُ يَا رُوحُ رُوحِي .
 ثُمَّ أَقُولُ لِمَنْ جَنَانِي . وَأَسْتَخْرِجُنِي مِنْ جِنَانِي . أَنْتَ يَا جَانِي . عَلَيَّ
 جَانِي . فَإِنْ كُنْتَ لِلرُّمُوزِ تَعَانِي . فَقَدْ رُمِزْتَ لَكَ فِي مَعَانِي . إِنْكَ لَا
 تَصِلُ إِلَى وَصَالِي . حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى حَدِّ نَصَالِي :

إَصْبِرْ عَلَى مِرِّ هَجْرِي إِنْ رُمْتَ مِنِّي وَصَالَا
 وَأَتْرُكْ لِأَجْلِ هَوَايَ مَنْ صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
 وَمَتَّ إِذَا شِئْتَ تَحِيًّا وَأَسْتَحْجِلُ الْآجَالَا
 إِنْ كُنْتَ مَعْنَى تَعْنَى فَقَدْ ضَرَبْتُ مِثَالَا
 فَإِنْ قَهَمْتَ رُمُوزِي إِقْدَمْ وَإِلَّا فَالَا

إشارة الشمع

١٣٦ (قَالَ) : فَسَمِعَ النَّحْلُ اسْتِمَاءَهُ سَمْعَهُ . فَأَصْنَى إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ . فَإِذَا هُوَ
 يَحْتَرِقُ بِالنَّارِ . وَيَبْكِي بِأَذْمَعِ غَزَارٍ . وَيَقُولُ : أَيُّهَا النَّحْلُ أَمَا يَكْفِينِي . أَنْ
 رُمِيتَ مِنْكَ بِيَنِّي . وَفَرَّقَ النَّهْرُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَأَنْتَ فِي الْوُجُودِ
 أَبِي . وَفِي الْإِبْجَادِ سَبَبِي . فَأَفْرَدْتُ عَنْكَ بَعْرِي بِي . أَنَا وَالْعَسَلُ
 شَقِيقِي . وَهُوَ أَخِي وَرَفِيقِي . فَبَيْنَا نَحْنُ مُجْتَمِعَانِ . وَفِي قَرَارِنَا مُلْتَمِسَانِ .
 إِذَا فَرَّقَتْ بَيْنَنَا يَدُ النَّارِ وَرَمَتْهَا بَعْدَ الدَّارِ . وَشَطَبَ مَا بَيْنَنَا الْمَزَارُ .
 فَأَفْرَدَتْ عَنْهُ وَأَفْرَدَتْ عَنِّي . وَبَنَتْ مِنْهُ وَبَانَ مِنِّي . ثُمَّ سَلَطَتْ عَلَى النَّارِ
 وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْأَوْزَارِ . فَكَيْدِي تَحْتَرِقُ . وَجَسَدِي تَحْتَ رِقِ .
 وَأَهْلُ الْحَرْفَةِ يَسْتَضِيُونَ بِنُورِ إِشْرَاقِي . فَأَنَا فِي إِشْرَاقٍ وَإِحْرَاقٍ :

وَدَمَعُ مَهْرَاقٍ . قَاتِمٌ فِي الْحِدْمَةِ عَلَى سَاقٍ . أَجْمَلُ ضَرَرِي وَضَرِي .
وَأَحْرَقُ نَفْسِي لِأَشْرَقَ عَلَى غَيْرِي . فَأَنَا مُعَذَّبٌ بِشَرِي . وَغَيْرِي مُسْتَمْتَعٌ
بِمَخْبِرِي . فَكَيْفَ أَلَامٌ عَلَى أَصْفَرَارِي . وَدُمُوعِي الْجَوَارِي . ثُمَّ تَقْصِدُنِي
الْأَوْبَاشُ . مِنْ أَهْرَاشٍ . يُرِيدُونَ إِطْفَاءِي . وَإِذَا هَبَ أَضْوَاءِي . فَأُحْرِقُهُ
مُكَافَأَةً لِعَمَلِي . وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . فَلَوْ مَلَأْتُ الْأَرْضُ
فَرَّاشًا لَكُنْتُ مِنْهُمْ بِأَمَانٍ . وَلَوْ مَلَأْتُ أَوْبَاشًا لَمَّا أَطْفَعُوا نُورَ الْإِيمَانِ .
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى الرَّحْمَنُ . وَهَذَا مَرْثِي
تَمَنَاهُ بَيَانٌ :

قَدْ أَتَى يَا نُورَ عَيْنِي مِنْكَ نُورٌ أَيْ نُورِ
فَهْدَايَ وَضَالِلِي بِكَ يَا كُلَّ سُرُورِي
لَمْ يُطِقْ كُلُّ عَذُولٍ فِيكَ يَمِينِي يَزُورِي
وَكَذَا كُلُّ هَوَاءٍ لَمْ يُطِقْ إِطْفَاءَ نُورِي

إشارة الغراب

١٣٧ (قَالَ) : فَيَنِمَّا أَنَا فِي نَشْوَةِ هَذَا الْعَتَابِ . وَلَذَّةِ هَذَا الشَّرَابِ .
إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ غُرَابٍ . يَتَقَى بِفَرِيقِ الْأَتْرَابِ . وَيُؤْوِجُ نُوحَ الْمُصَافِ .
وَيُبَوِّحُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْإِلِيمِ الْعَذَابِ . وَقَدْ لَيْسَ مِنَ الْحِدَادِ حِلَابِ .
وَرَضِي مِنْ بَيْنِ الْعِبَادِ بِتَسْوِيدِ الْقِيَابِ . فَقُلْتُ : أَيُّهَا النَّادِبُ لَهَذَا
كَدَرْتُ مَا كَانَ صَافِيًا . وَمَرَرْتُ مَا كَانَ حُلُوءًا شَافِيًا . فَمَا لَكَ لَمْ تَزَلْ فِي
الْبُكُورِ سَاعِيًا . وَعَلَى الرُّبُوعِ نَاعِيًا . وَإِلَى الْبَلِينِ دَاعِيًا . إِنْ رَأَيْتَ تَمَلًّا

مُجْتَمِعًا أَنْذَرْتَ بِشَتَائِهِ . وَإِنْ شَهِدْتَ قَصْرًا عَالِيًا بَشَرْتَ بِدُرُوسِ
عَرَصَاتِهِ . فَأَنْتَ لَدَى الْخَلِيطِ الْمَعَاثِرِ أَشْأَمُ مِنْ قَاسِرٍ . وَعِنْدَ الْاَلِيبِ
الْحَازِرِ . الْأَمُّ مِنْ جَاذِرٍ . فَتَادَانِي بِلِسَانِ زَجَرِهِ الْقَصِيجُ . وَأَشَارَ بِنَوَانِ
حَالِهِ الصَّرِيحِ . وَيَحْكُ أَنْتَ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَصِيجِ . وَقَدْ
تَسَاوَى لَدَيْكَ الْعَدُوُّ وَالنَّصِيجُ . لَا بِالْكِنَايَةِ نَفَهُمْ وَلَا بِالضَّرِيحِ .
كَأَنَّ الْمَوَاعِظَ فِي أذُنِكَ رِيحٌ . وَكَلَامَ الْمَوَاعِظِ فِي سَمْعِ هَوَاكَ كَالنَّيْجِ .
أَمَا تَذْكُرُ رَحِيلَكَ مِنْ هَذَا الْقَفْجِ الْقَصِيجِ . إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِ
الضَّرِيحِ . أَمَا بَلَغَكَ مَا جَرَى عَلَى أَيْكَ آدَمَ وَهُوَ يُنَادِي عَلَى نَفْسِهِ
وَيَصْخَرُ . أَمَا تَتَبَّرُ بَنُوْحُ نُوحٍ . وَهُوَ يَبْكِي وَيَنُوحُ . عَلَى دَارِ لَيْسَ بِهَا
أَحَدٌ مُسْتَرِيحٌ . أَمَا تَقْتَدِي بِصَبْرِ الذَّبِيجِ . أَمَا يَكْفِيكَ مَا تَمَّ عَلَى دَاوُدَ حَتَّى
بَكَى بِقَلْبِهِ الْقَرِيحُ . أَمَا تَهْتَدِي بِزُهْدِ الْمَسِيحِ . أَيْ جَمْعٌ لَمْ يَفَرِّقْ . أَيْ
مَثَلٌ لَمْ يَتَمَرَّقْ . أَيْ صَفْوَةٌ لَمْ يَتَكَدَّرْ . أَيْ حُلُوٌّ لَمْ يَتَرَزَّ . أَيْ أَمَلٌ لَمْ
يَقْطَعْهُ الْأَجَلُ . أَيْ تَذْيِيرٌ لَمْ يُبْطِلْهُ التَّقْدِيرُ . أَيْ بَشِيرٌ لَمْ يَقْبَهُ
تَذْيِيرُ . أَيْ يَسِيرٌ . مَا عَادَ عَسِيرٌ . أَيْ حَالٌ . مَا حَالٌ . أَيْ مُقِيمٌ مَا
زَالَ . أَيْ مَالٌ . عَنْ صَاحِبِهِ مَا مَالٌ . أَيْنَ ذَوُو الْعُمُرِ الطَّوِيلِ . أَيْنَ
ذَوُو الْمَالِ الْجَزِيلِ . أَيْنَ ذَوُو الْوَجْهِ الْجَمِيلِ . أَمَا قَرَضَهُمُ الْمَوْتُ جِيلًا
بَعْدَ جِيلٍ . أَمَا سَوَى فِي الْأَثَرِ بَيْنَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ . وَالْمَوْلَى الْجَلِيلِ .
أَمَا هَتَفَ بِالْمَتَمِّعِ بِدُنْيَاهُ قُلُ : مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ . فَكَيْفَ تُلَوِّنِي عَلَى
نَوَاحِي . وَتَسْتَنِمُّ بِصِيَاحِي . فِي مَسَادِي وَصَبَاحِي . وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّهَا

الْأَحْي . بِمَا فِيهِ صَلَاحُكَ وَصَلَاحِي لَا تُشْفَعُ بِوِشَاحِي . وَوَأَقْتَنِي فِي
 سَوَادِ جَنَاحِي . وَأَجْبِتْنِي بِالنُّوَح . مِنْ سَارِ النُّوَاحِي . لَكِنْ أَلْهَاكَ لَهْوُكَ .
 وَحَجَبَكَ عَجَبَكَ وَزَهْوُكَ . وَهَا أَنَا أَعْرِفُ النَّازِل . بِخَرَابِ الْمُنَازِل .
 وَأَحْذَرُ الْأَكِل . غَصَّةَ الْمَأْكُل . وَأُبَشِّرُ الرَّاحِل . بِقُرْبِ الْمَرَّاحِل .
 وَصَدِيقُكَ مَنْ صَدَقَكَ . لَا مَنْ صَدَّقَكَ . وَمَنْ عَذَلَكَ . لَا مَنْ
 عَذَرَكَ . وَمَنْ بَصَرَكَ . لَا مَنْ نَصَرَكَ . وَمَنْ وَعَظَكَ . فَقَدْ أَقْبَضَكَ .
 وَمَنْ أَنْذَرَكَ . فَقَدْ حَذَرَكَ . وَلَقَدْ أَنْذَرْتُكَ بِسَوَادِي . وَحَذَرْتُكَ
 بِتَرْدَادِي . وَأَسْمَعُكَ نِدَائِي فِي النَّادِي . وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي :
 أَنْوَحُ عَلَى ذَهَابِ الْعَمْرِ مِنِّي وَحَيَّ أَنْ أَنْوَحَ وَأَنْ أَنَادِي
 وَأَنْدُبُ كُلَّمَا عَايَنْتُ رَكْبًا حَدَا بِهِمْ لَوْشَكَ الْبَيْنِ حَادِي
 يُعْنِفُنِي الْجُحُولُ إِذَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَلَيْتُ أَثَوَابَ الْحِدَادِ
 قُلْتُ لَهُ أَتَعِظُ بِلِسَانِ حَالِي فَإِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَ بِاجْتِهَادِي
 وَهَا أَنَا كَالْخَطِيبِ وَلَيْسَ بِنَدَا عَلَى الْخُطْبَاءِ أَثَوَابُ السَّوَادِ
 أَلَمْ تَرَنِي إِذَا عَايَنْتُ رَبَّمَا أَنَادِي بِالنُّوَى فِي كُلِّ وَادِي
 أَنْوَحُ عَلَى الطُّلُولِ فَلَمْ يُجِبْنِي بِسَاحَتِهَا سِوَى خُرْسِ الْجَمَادِ
 وَأَكْثَرُ فِي تَوَاجِيحِهَا نَوَاحِي مِنَ الْبَيْنِ الْمُقْبِتِ لِلنُّوَادِ
 تَبْقُظُ يَا ثَقِيلَ السَّمْعِ وَأَهْمُ إِشَارَةً مَا تُشِيرُ بِهِ الْقَوَادِي
 فَمَا مِنْ شَاهِدٍ فِي الْكُونِ إِلَّا عَلَيْهِ مِنْ شُهُودِ الْغَيْبِ بَادِي
 فَكَمْ مِنْ رَاحِلٍ فِيهَا وَعَادِ يُنَادِي مِنْ دُنُوٍّ أَوْ يَمَادِ

لَقَدْ أَتَمَمْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ أَنَادِي

اشارة المهدد

١٣٨ (قَالَ) فَلَمَّا كَدَّرَ عَلَيَّ الْغُرَابُ وَقَتِي . وَحَذَّرَنِي مَقَتِي .
 إِنصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِي . إِلَى خَلْوَةٍ فَكَّرَتِي . فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ مِنْ
 سَمَاءٍ فَطَرَّتِي . أَيُّهَا السَّامِعُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ . الْمُنَاسِفُ عَلَى قَوَاتِ الْحَيْرِ .
 تَأَلَّاهُ لَوْ صَفَتِ الضَّمَارُ . لَنَفَذَتِ الْبَصَارُ . وَاهْتَدَى السَّارُ . وَمَا صَلَّ
 الْحَارُ . وَلَوْ طَابَتِ الْحَوَاطِرُ . لَبَاتِ الْأَمَارُ . وَلَوْ شَرِحَتِ السَّرَارُ
 لَظَهَرَتِ الْبَشَارُ . وَلَوْ انْشَرَحَتِ الصُّدُورُ . لَظَهَرَ لَكَ النُّسُورُ . وَلَوْ
 أَرْتَفَعَتِ السُّتُورُ . لَأُنْكَشَفَ الْمُسْتُورُ . وَلَوْ طَهَّرَتِ الْقُلُوبُ . لَظَهَرَتِ
 سَرَائِرُ الْغُيُوبِ . وَلَوْ خَلَّتْ ثِيَابُ الْإِعْجَابِ . لَرُفِعَ لَكَ الْحِجَابُ . وَلَوْ
 غِيبَتْ عَنْ عَالَمِ الْغَيْبِ . لَشَهِدَتْ عَالَمُ الْغَيْبِ . وَلَوْ قَطَعْتَ الْعَلَائِقَ .
 لَأُنْكَشَفَتْ لَكَ الْحَقَائِقُ . وَلَوْ خَالَفَتْ الْعَادَةَ . لَمَا أَنْقَطَعَتْ عَنْكَ الْمَادَّةُ .
 وَلَوْ تَجَرَّدَتْ عَنْ الْإِرَادَةِ . لَوَصَلَتْ إِلَى رُتَبَةِ السِّيَادَةِ . وَلَوْ مِلْتَ عَنْ
 هَوَاكَ لَمَالَ بِكَ إِلَهِهِ . وَلَوْ فَارَقْتَ أَبَاكَ لَجَمَعَكَ عَلَيْهِ . وَلَوْ بَعُدَ عَنْكَ
 لَوَجَدْتَ الرَّزْأَى لَدَيْهِ . وَلَكِنَّكَ مُسْجُونٌ فِي سِجْنِ طَبْعِكَ . مُقَيَّدٌ بِقَيْدِ
 مَا أَلَوْفِكَ . مُتَشَاغِلٌ بِشَوَاعِلِ نَفْسِكَ . مُتَعَلِّقٌ بِجِبَالِ خَيَالِ حِسِّكَ . قَدْ
 أَرَمْتَكَ بِرُودَةِ عَزَمِكَ وَأَحْرَقَكَ حَرَارَةُ حَرِصِكَ . وَأَثْقَلْتَكَ ثِقْمَةُ
 بَطْرِكَ . وَأَسْتَعْمَكَ عُقُوبَةَ رَعُونِكَ . وَبَرَّيْتَمَكَ وَسَاوِسُ شَهْوَتِكَ .
 فَأَنْتَ بَارِدُ الْهَمَةِ . مُقَمَّدُ الزَّمَةِ . جَامِدُ الْفِكْرَةِ . فَاسِدُ الْفِطْرَةِ . كَثِيرُ

الْحَيَرَةُ. قَدْ أَنْعَسَ ذَوْقُ فَهْمِكَ. فَرَأَيْتَ الْحَسَنَ قَبِيحًا. وَالْقَبِيحَ حَسَنًا.
 أَلَا تَرَى إِلَى الْمُهْذَبِ حِينَ حَسَلَتْ سِيرَتُهُ. وَصَفَتْ سَرِيرَتُهُ. كَيْفَ
 نَفَذَتْ بَصِيرَتُهُ. فَتَرَاهُ يُشَاهِدُ بِالنَّظَرِ. مَا تَحْجُبُهُ الْأَرْضُ عَنْ سَائِرِ
 الْبَشَرِ. فَيَرَى فِي بَطْنِهَا الْمَاءَ الْغَجَّاجَ. كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ فِي الرُّجَاجِ. وَيَقُولُ
 بِصِحَّةِ ذَوْقِهِ وَصِدْقِهِ: هَذَا عَذْبُ فِرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٍ. وَيَقُولُ: أَنَا
 الَّذِي أُوتِيتُ مَعَ صَغَرِ الْجَفَّانِ. مَا لَمْ يُؤْتَهُ سُلَيْمَانُ. فَإِنْ كُنْتَ تَمَنَّي
 يَقْبَلُ نَهْجِي. فَحَسِّنْ سِيرَتَكَ. وَأَصْفِ سَرِيرَتَكَ. وَطَيِّبْ أَخْلَاقَكَ.
 وَرَاقِبْ خَلَاقَكَ. وَتَادِبْ بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ. وَلَوْ أَنَّهَا مِنَ الدُّوَابِّ.
 فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَأْخُذْ إِشَارَتَهُ مِنْ صَرِيرِ أَلْبَابٍ وَطَلِينِ الدُّبَابِ. وَنَبِيحِ
 الْكَلَابِ. وَحَشَرَاتِ التُّرَابِ. وَيَفْهَمَ مَا يُشِيرُ بِهِ مَسِيرُ السَّحَابِ.
 وَلَمْعُ السَّرَابِ. وَضِيَاءُ الضَّبَابِ. فَلَيْسَ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ

إشارة الكلاب

١٣٩ (قَالَ) فَيَنِمَّا أَنَا مُسْتَرْقٍ فِي لَذَّةِ الْخُطَابِ. مُنْصِتٌ لِلْجَوَابِ.
 إِذْ نَادَانِي كَلْبٌ عَلَى أَلْبَابِ. يَلْقُطُ مِنَ الْمَزَابِلِ مَا يَسْقُطُ مِنَ أَلْبَابِ.
 فَقَالَ: يَا مَنْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ. يَا مُعْجُوبًا عَنِ الْمُسْتَبِ بِالْأَسْبَابِ.
 يَا مُسْلَا ثِيَابِ الْإِعْجَابِ. تَادِبْ بِأَدَابِي. فَإِنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ دَائِي.
 وَسُسْ نَفْسَكَ بِسِيَاسَتِي. وَاسْمَعْ مَا أَقُولُ لَكَ مِنْ فِرَاسَتِي. وَمَا عَلَيْكَ
 مِنْ خَسَاسَتِي. فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ فِي الصُّورَةِ حَقِيرًا. تُجِدُنِي فِي الْمَعْنَى
 قَبِيرًا. لَا أَزَالُ وَاقِعًا عَلَى أَبْوَابِ سَادَتِي. غَيْرَ رَاغِبٍ فِي سِيَادَتِي. فَلَا

أَتَقِيرُ عَنْ عَادَتِي . وَلَا أَقْطَعُ عَنْهُمْ مَادَّتِي . أَطْرُدُ قَاعُودُ . وَأَضْرِبُ
وَلَسْتُ بِالْحَقُودِ . وَأَنَا حَافِظٌ لِلْوَدِّ بَاقٍ عَلَى الْهُودِ . أَقُومُ إِذَا كَانَ
الْأَنَامُ رُقُودُ . وَأَصُومُ وَالْحَيَوَانُ مَمْدُودُ . وَلَيْسَ لِي مَالٌ مَمْدُودُ . وَلَا
سِمَاطٌ مَمْدُودُ . وَلَا رِبَاطٌ مَمْعُودُ . وَلَا مَقَامٌ مَحْمُودُ . إِنْ أُعْطِيتُ شُكْرْتُ .
وَإِنْ مُنِعْتُ صَبِرْتُ . لَا أَرَى فِي الْآفَاقِ شَاكِيًا . وَلَا عَلَى مَاقَاتِ
بَاكِيًا . إِنْ مَرَضْتُ فَلَا أَعَادُ . وَإِنْ مِتُّ فَلَا أَهْمُ عَلَى أَعْوَادِ . وَإِنْ غِبْتُ
فَلَا يُقَالُ لِيْهِ عَادَ . وَإِنْ فُقِدْتُ فَلَا تَبْكِيْنِي الْأَوْلَادُ . وَإِنْ سَافَرْتُ
فَلَا أَسْتَضِيحُ الزَّادَ . لَا مَالٌ لِي يُورَثُ . وَلَا عَقَارٌ يُفْتَرَثُ . إِنْ فُقِدْتُ
فَلَا يُبْكِي عَلَيَّ . وَإِنْ وَجِدْتُ فَلَا يُنْظَرُ إِلَيَّ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أَحُومُ حَوْلَ
جَاهِهِمْ . وَأَدُومُ عَلَى وَفَائِهِمْ . عَاكِفٌ عَلَى مَزَائِلِهِمْ . قَانِعٌ بِطَلَبِهِمْ دُونَ وَابِلِهِمْ .
فَإِنْ أَعْجَبَكَ خِلَالِي فَمَسِّكْ بِأَذْيَالِي . وَتَمَلَّقْ بِجِبَالِي . وَإِنْ أَرَدْتَ
وَفَاقِي . فَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي :

وَتَمَلَّمْ حِفْظَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي	وَتَمَسَّكَ إِلَى الْعُلَى بِجِبَالِي
أَنَا كَلْبٌ حَقِيرٌ قَدِرٌ وَلَكِنَّ	لِي قَلْبٌ خَالٍ مِنَ الْإِدْغَالِ
أَحْظُ الْجَارِ فِي الْجَوَارِ وَدَائِي	أَنْ أَحَابِي عَلَيْهِمْ فِي اللَّيَالِي
وَتَرَانِي فِي كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ	صَابِرًا شَاكِرًا عَلَى كُلِّ حَالِ
لَا يُبَالِي عَلَيَّ إِنْ مِتُّ جُوعًا	أَوْ سَقَمْتُ الْأَيَّامُ مَرُّ النِّكَالِ
لَا يَرَانِي إِلَّا إِلَهٌ أَشْكُو لِحَلْقِي	إِذْ عَلَى اللَّهِ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالِي
أَهْمِلُ الضِّيمَ فِيهِ صَوْنًا لِرِضَى	وَفِرَارًا مِنْ مُرْذَلِ السُّؤَالِ

فِيخْلَالِي عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِي فِي الْمَعَالِي يَفْقَنُ كُلَّ خِلَالِي

اشارة للجميل

١٤٠. فَقَالَ الْجَمَلُ: أَيُّهَا الرَّائِبُ فِي السُّلُوكِ. إِلَى مَنَازِلِ الْمُلُوكِ. إِنْ
 كُنْتُ تَعَلَّمْتُ مِنَ الْكَلْبِ زُهْدًا وَفَقْرًا. فَتَعَلَّمْتُ مِنِّي جَلْدًا وَصَبْرًا.
 فَإِنْ مِنْ تَوَسَّدَ الْفَقْرَ. وَجَبَ عَلَيْهِ مُعَانَقَةُ الصَّبْرِ. فَإِنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ.
 مَعْدُودٌ مِنَ الْأَكْبَارِ. هَا أَنَا أَجْمَلُ الْأَحْمَالِ الثَّقَالِ. وَأَقْطَعُ الْمَرَاحِلَ
 الطُّوَالَ. وَأُكَابِدُ الْأَهْوَالَ. وَأَصْبِرُ عَلَى مُرِّ النَّكَالِ. وَلَا يَتَرَبَّيُنِي
 فِي ذَلِكَ مَلَالٌ. وَلَا أَصُولُ صَوْلَةَ الْأَرْدَالِ. بَلْ أَنْقَادُ لِلطُّفْلِ الصَّغِيرِ.
 وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْتَضَعْتُ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ. فَأَنَا الدَّلُولُ. الَّذِي
 لِلْأَثْقَالِ حَوْلٌ. وَفِي الْأَحْمَالِ ذُمُولٌ. وَلَسْتُ بِالْحَائِثِ وَلَا بِالْمُلُولِ. وَلَا
 بِالصَّائِلِ عَنِ الْمَصُولِ. وَلَا بِالْمَائِلِ عَنِ الْقُفُولِ. أَقْطَعُ فِي الْوُحُولِ.
 مَا تَفْجِرُ عَنْهُ الصَّنَادِيدُ الْفُحُولِ. وَأَصَابِرُ فِي ظُلُمِ الْهَوَاجِرِ وَفِي الْحَاجِرِ لَا
 أَحُولُ. فَإِذَا قَضَيْتُ حَقَّ صَاحِبِي. وَبَلَغْتُ مَآرِبِي. أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى
 غَارِبِي. وَذَهَبْتُ فِي الْبَوَادِي. أَسْتَسْبُ مِنْ الْمَبَاحِ زَادِي. وَإِنْ
 سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَادِي. سَلَّمْتُ إِلَيْهِ قِيَادِي. وَأَوْصَلْتُ فِيهِ سُهَادِي.
 وَمَدَدْتُ عُنِّي لِبُلُوغِ مُرَادِي. فَإِنْ ضَلَّاتُ فَالِدَلِيلُ هَادِي. وَإِنْ
 زَلَلْتُ أَخَذَ بِيَدِي مِنْ إِلَيْهِ أَنْقِيَادِي. فَأَنَا الْمُسَخَّرُ لَكُمْ بِإِشَارَةِ
 وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ. فَلَا أَرَاكَ بَيْنَ رِحْلَةٍ وَمُقَامٍ. حَتَّى أَصِلَ إِلَى
 ذَلِكَ الْمَقَامِ

اشارة الفرس

١٤١ قَالَ الْفَرَسُ أَيُّهَا الْفَقِيرُ الصَّابِرُ . الطَّالِبُ سُبُلَ السَّائِرِ . تَعْلَمُ
مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ . وَصِدْقِ الطَّلَبِ . لِبُلُوغِ الْأَرْبِ . هَا أَنَا أَجِلُ
مُبَاهِلِي . عَلَى كَاهِلِي . فَاجْتَهِدْ فِي السَّيْرِ . وَأَنْطَلِقْ بِهِ كَالطَّيْرِ . أَهْجُمُ
هُجُومَ اللَّيْلِ . وَأَفْتَحِمُ أَفْتِحَامَ السَّيْلِ . فَإِنْ كَانَ طَالِبًا أَدْرَكَ بِي طَلَبَهُ .
وَبَلَغَ بِي أَرْبَهُ . وَإِنْ كَانَ مَطْلُوبًا قَطَعْتَ عَنْ طَالِيهِ سَبَبَهُ . وَجَعَلْتُ
أَسْبَابَ الرَّدَى عَنْهُ مُحْجَبَةً . فَلَا يُدْرِكُنِي إِلَّا الْغَبَارُ . وَلَا يَسْمَعُنِي
إِلَّا الْأَخْبَارُ . فَإِنْ كَانَ الْجَبَلُ هُوَ الصَّابِرُ أَلْجَرَبُ . فَأَنَا الشَّاكِرُ
الْمُقَرَّبُ . وَإِنْ كَانَ هُوَ الْمُقْتَصِدُ اللَّاحِقُ . فَأَنَا الْمُجْتَهِدُ السَّابِقُ .
فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقَلَا . وَأَوَانُ الْمُلتَقَى . أَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْوَالِهِ . وَسَبَقْتُ
ضَرْبَ نِبَالِهِ . وَذَلِكَ مُتَخَلِّفُ لِفَعْلِ أَعْمَالِهِ . مُعَاقُ لِفَتْشِ مَا فِي رِحَالِهِ .
وَرَأَيْتُ ثُمَّ حُوقًا لَا يَسْتَوْفِيهَا إِلَّا كُلُّ مُؤَفٍّ . وَطَرِيقًا لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا
كُلُّ مُخَفٍّ . فَلِذَلِكَ شَمَرْتُ عَنْ سَاقٍ . وَتَضَرَّعْتُ لِيَوْمِ السِّبَاقِ .
وَقُلْتُ لِمَنْ أَسْكَرَهُ الطَّيْشُ فَمَا أَفَاقَ . وَغَرَّهُ الْعَيْشُ الَّذِي قَدْ رَاقَ : مَا
عِنْدَكُمْ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ يَبَاقُ . فَيَا مَنْ هُوَ عَنِ الْمُرَادِ مُرْدُودٌ . وَفِي الطَّرَادِ
مَطْرُودٌ . هَلَّا نَظَرْتَ إِلَى الْوُجُودِ . وَهَضِمْتَ الْمُقْصُودَ . وَأَقْتَتَ عَلَى
نَفْسِكَ الْحُدُودَ . وَأَوْتَقْتَ جَوَارِحَكَ بِالْقُيُودِ . وَذَكَّرْتَ الْأَجَلَ
الْمَحْدُودَ . وَالنَّفْسَ الْمَعْدُودَ . وَخَشِيتَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ . هَا أَنَا نَأْمًا أَوْثَقَ
سَائِسِي قَيْدِي . أَمِنْ قَائِدِي كَيْدِي . فَكَمْ أَكَلُ سَائِقِي مِنْ صَيْدِي .

وَكَمْ لِي عَلَى مُسَابِقِي مِنْ أَيْدِي . أُوثِقْتُ بِشَكَا لِي . كَيْلَا أَصُولَ عَلَى
 أَشْكَالِي . وَأَخَذْتُ بِعَنَانِي . كَيْلَا أَذْهَبَ إِلَى غَيْرِ مَا عَنَانِي . وَأَلْجَيْتُ
 بِالْجَانِي . لِئَلَّا يَفْسُدَ عَلَيَّ نَظَايِي . وَأَلْزَمْتُ بِحِزَامِي . خَشْيَةً مِنْ
 غَفْلَتِي عَنْ قِيَامِي . وَنُتِلْتُ بِالْحَدِيدِ أَقْدَامِي . كَيْلَا أَكِلَ عِنْدَ أَقْدَامِي .
 فَأَنَا الْمَوْعُودُ بِالنَّجَاةِ . الْمُنْدُودُ لِلْجَاهِ . الْمَشْدُودُ لِلْسَّلَامَةِ . الْمَقْصُودُ
 بِالْكَرَامَةِ . وَالْخَيْرُ مَقْشُودُ بِنَوَاصِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . خَلِطْتُ مِنْ
 الرِّيحِ . وَأَلْهَمْتُ الْقُدْسَ وَالتَّسْبِيحَ . وَمَا بَرِحَ ظَهْرِي عِزًّا . وَبَطْنِي
 كَنْزًا . وَصَحْبَتِي حِرْزًا . فَكَمْ رَكَنْتُ فِي مِيدَانٍ وَمَا أَبْدَيْتُ عَجْزًا .
 فَكَمْ كُسَيْتُ فِي السَّبَاقِ خِزًّا . وَكَمْ حَزَنْتُ أَهْلَ التَّفَاقِ خِزًّا . فَكَمْ
 أَخْلَيْتُ مِنْهُمْ أَلْفَاقَ فَهْلٍ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا .
 (فَجَاوَبْتُهُ) تَاللهِ لَهَذَا حَوَيْتَ مِنَ الْخِلَالِ أَجْمَلَهَا . وَمِنْ أَعْمَالِ أَكْمَلَهَا

إشارة دود القر

١٤٢ فَقَالَتْ دُودَةُ الْقَرَى : تَاللهِ لَيْسَتْ أَلْفَحُولِيَّةُ بِالصُّورِ وَالْهَيَاكِلِ .
 وَلَا أَلَرْجُولِيَّةُ بِتَرْكِ الْمَشَارِبِ وَالْمَأْكِلِ . وَلَا أَلِإِيَارُ . يَبْدُلِ
 أَلِنَّارِ . إِنَّمَا أَلْجُودُ لِمَنْ جَادَ بِمَوْجُودِهِ . وَآثَرَ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ . فَإِنْ
 كَانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ مَعْدُودَةً . فَأَجْلَهَا مَعَ دُودَةٍ . أَنَا فِي الدُّودِ
 كَدُودَةٌ . وَلِأَهْلِ الْوَدِّ وَدُودَةٌ . أَنَا أَلْمَتَوَالِدَةُ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ وَلَا
 مَوْلُودَةٍ . أَوْخِذْ فِي الْبِدَايَةِ بِزَّرَا . كَمَا يَأْخُذُ الزَّارِعُ بِذَرَا . فَأَذَانَتْ
 أَيَّامُ حَمَلِي . وَأَذَنْتِ الْهُدْرَةُ بِجَمْعِ شَمْلِي . وَانْفَصَلَ عَنْ ذَلِكَ الْحَمْلِ

نَسِي . وَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ وَصَلِي . فَأَنْظُرْ فِي يَوْمِ مِيلَادِي .
 فَلَا أَرَى لِي أَبَا وَلَا أُمًّا . وَلَا خَالًا وَلَا عَمًّا . فَكَتَفَنِي أَيْدِي الرِّجَالِ
 وَالنِّسَاءِ . بِالرَّبِّيَّةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ . وَأَمَحَى عَنْ تَحَالِيطِ الْأَغْذِيَةِ
 حَائِدًا . وَلَا أَطْعَمُ إِلَّا غِذَاءً وَاحِدًا . فَإِذَا تَمَّ حَوْلِي . وَبَدَتْ قُوَّتِي
 وَحَوْلِي . بَادَرْتُ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيَّ . وَمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ .
 فَأَسْرَعُ فِي عَمَلٍ مَا يَصْلُحُ لِلْإِنْسَانِ . قِيَامًا بِمَا مَوْجِبُ . هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
 إِلَّا الْإِحْسَانُ . فَأَتَبَدَّرُ مِنْ غَيْرِ دَعْوَى . وَلَا إِظْهَارِ شُكْوَى . فَأَنْسُجُ
 بِالْهَامِ التَّقْدِيرَ . مَا يَجْزِي عَنْهُ أَهْلُ التَّدْبِيرِ . فَأَسِيلُ مِنْ لُمَائِي . مَا
 أَشْكُرُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَهَابِي . وَأَسْتَخْرِجُ مِنْ صَنْعَةِ صَانِعِي مَلَأْسَ . رَبِّ
 الْأَلْبَاسِ . فَأَلْمُلُوكَ تَفْتِيحُ بَحْرِي . وَالسَّلَاطِينُ تَتَأَفَّسُ فِي أُرْدِيَةِ
 قَرِي . فَأَنَا أَجْمَلُ الْمَطَارِفِ . وَأَرْهَجُ الزَّخَارِفِ . فَإِذَا كَافَيْتُ مَنْ
 أَحْسَنَ إِلَيَّ . وَأَدَيْتُ شُكْرَ مَا وَجَبَ لَهُ عَلَيَّ . جَعَلْتُ بَيْتِي الْمُسُوجَ
 قَبْرِي . وَفِي طَيْهِ نَشْرِي . فَأَضِيقُ عَلَيَّ حَبْسِي . وَأَهْلِكُ نَفْسِي بِنَفْسِي .
 وَأَمْضِي إِلَى رَمْسِي . كَمْضِي أَمْسِي . فَأَنَا الَّذِي أَجُودُ بِمُخِيرِي . وَأَبَالُغُ
 فِي نَفْعِ غَيْرِي . وَأَنَا الْمُعَذَّبَةُ بِضَيْرِي . ثُمَّ مِنْ نَكْدِ هَذِهِ الدَّارِ .
 الْحَبُولَةُ عَلَى الْأَكْدَارِ . أَنِّي أَتَلَيْتُ بِمَحْرِيقِ النَّارِ . وَحَسَدِ الْحَارِ .
 وَقَدْ أَعْتَدَى عَلَى ظُلْمًا وَجَارَ . وَهُوَ هَذِهِ الْعَنْكَبُوتُ . الْخُصُوصَةُ بِأَوْهِنِ
 الْيُوتِ . تُجَاوِرُنِي وَتُجَاوِزُنِي . وَتَقُولُ : لِي نَسِجٌ وَلَكَ نَسِجٌ . وَأَمْرِي
 وَأَمْرُكَ مَرِيجٌ . فَهَلْ لَهَا : وَنَحْكُ أَنْتِ تَنْجُكِ شَبَكَةُ الدُّبَابِ . وَتَجْمَعُ

لَلْأَرْبَابِ . وَأَنَا نَسْجِي زِينَةَ الْكَوَاعِبِ الْأَرْبَابِ . أَمَا قَدْ ضَرَبَ بِضُنْفِكَ
الْمَثَلَ . وَأَيْنَ الْكُحْلُ مِنْ الْكُحْلِ . وَأَيْنَ الْبَذَرُ مِنَ النَّجْمِ إِذَا أَقْلَ

إشارة العنكبوت

١٤٣ قَالَتِ الْعَنْكَبُوتُ . إِنْ كَانَ بَيْنِي أَوْهَنَ الْيُسُوتِ . وَحَبْلِي
مَبْتُوتٌ . فَإِنَّ فَضْلِي عَلَيْكَ فِي سَبْعِ الدِّمَكْرِ مَبْتُوتٌ . أَمَا أَنَا فَمَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ
مِنَّةٌ . وَلَا لِأَمٍّ عَلَيَّ حَسَّةٌ . مِنْ حِينَ أُولَدُ أَتَسْجُ لِنَفْسِي أَنْبَاتٌ . فِي
جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ . فَأَقُولُ مَا أَقْصِدُ زَاوِيَةَ أَلَيْتِ . وَإِنْ كَانَ خَرَابًا فَهُوَ
أَحْسَنُ مَا أَوَيْتُ . فَأَقْصِدُ الزَّوَايَا . لِمَا فِيهَا مِنَ الْحَيَايَا . وَلِمَا فِي سِرِّهَا مِنْ
النُّكْتِ الْحَيَايَا . فَأَلْقِ لِمَا بِي عَلَى حَافَتِهَا . حَذَرًا مِنَ الْخُطْطَةِ وَأَقْلَتِهَا . ثُمَّ
أَفْرِدْ مِنْ طَافَاتِ غَزْلِي خِطًّا دَقِيقًا . مُنْكَسًا فِي الْهُوَاءِ رَقِيقًا . فَأَتَعَلَّقُ
بِهِ مُسْبَلَةً يَدَيَّ . ثُمَّسَكَةً بِرِجْلَيَّ . فَيَظُنُّ الْغَيْرُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ . أَنَّي
مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ . فَتُفَرُّ الدُّبَابَةُ فَأَخْطِفُهَا بِحَبَائِلِ كَيْدِي . وَأَوْدِعُهَا فِي
شَبَكَةِ صَيْدِي . وَأَنْتِ أَيُّهَا الْغَدَارَةُ . الَّتِي بَرَّخْرِفُهَا غَرَارَةً . إِنَّمَا جُعِلَتْ
زِينَةٌ لِلنَّاقِصَاتِ الْمُقُولِ . وَلَهُوَ لِلصَّبِيَّانِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْقُولٌ . وَقَدْ
حُرِّمَتْ عَلَى الرِّجَالِ الْفُحُولِ . لِأَنَّ حُسْنَكَ عَنْ قَرِيبٍ يَحُولُ . وَمَا لَكَ
فِي الْحَقِيقَةِ مُحْصُولٌ . وَلَا إِلَى الطَّرِيقَةِ وَصُولٌ . فَيَا وَجْجَ حُرُومٍ حُرِّمَ السُّوْلُ :

أَيُّهَا النَّعْجُ فَخْرًا بِمَقَاصِيرِ الْيُسُوتِ
فَارْضَ فِي الدُّنْيَا بِثَوْبٍ وَمِنْ الْعَيْشِ بِقُوتِ
وَاتَّخِذْ يَتًا ضَعِيفًا مِثْلَ يَتِ الْعَنْكَبُوتِ

ثُمَّ قُلْ يَا نَفْسِ هَذَا يَتُ مَثَوَاكِ قَمُوتِي

اشارة النملة

١٤٤ قَالَتِ النَّمْلَةُ: إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ بِرَمَى فَنَمَ لَهُ . وَتَعَلَّمَ مِنِّي
قُوَّةَ الْإِسْتِمْدَادِ . وَتَحْصِيلَ الزَّادِ . لِيَوْمَ الْمَعَادِ . وَأَنْظُرْ إِلَى غُرَّةِ عَزَمِي .
وَصِحَّةِ حَزَمِي . وَتَأَمَّلْ كَيْفَ شَدَّتْ يَدَ الْقُدْرَةِ لِلْخِدْمَةِ وَسَطِي . قَاوَلْ
مَا فَتَحَتْ عَيْنِي مِنَ الْبَدَمِ . رَأَيْتُنِي وَاقِفَةً عَلَى الْبَدَمِ . لِأَكُونَ مِنْ
جَمَلَةِ الْخَدَمِ . ثُمَّ كَلِمَتُ بِجَمْعِ الْمَوْنَةِ . بِتَيْسِيرِ الْمَوْنَةِ . ثُمَّ أُعْطِيتُ
قُوَّةَ الشَّمِّ مِنْ بَعْدِ الْفَرَاخِ . مَا لَا يُذَرِّكُهُ الْعَالَمُ الرَّاسِخَ . فَأَذِيرُ مَا
أَذَرَهُ مِنَ الْحَبِّ لِقُوتِي . فِي يُوْتِي . فَلِيْمُنِي قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى .
أَنْ أَقْسِمَ الْحَبَّةَ نِصْفَيْنِ بِالسَّوَى . فَإِنْ كَانَتْ الْحَبَّةُ كَرْبَرَةً . فَلَهَا حِكْمَةٌ
مُدْبِرَةٌ . وَهُوَ أَنْ أَفْلَحَهَا أَرْبَعُ فَلَقٍ فَإِنَّمَا إِذَا انْفَلَقَتْ نِصْفَيْنِ نَبَتَتْ . وَإِنْ
قَطَعَتْ أَرْبَعًا انْقَطَعَتْ . وَإِنْ خِفْتُ عَلَيْهَا فِي الشِّتَاءِ عَفْوَتَهُ الْأَرْضِ
أَنْ تَضُرَّهَا . أَخْرَجْتُهَا فِي يَوْمِ شَامِسٍ فَتَجَفَّفَهُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا . فَلَا يَزَالُ
ذَلِكَ دَائِي . وَأَنْتَ تَظُنُّ أَنَّهُ أَرْدَى بِي . وَتَعْتَقِدُهُ فِي نَقْصَا .
وَأَنَّهُمَا كَا عَلَى الدُّنْيَا وَحَرَصَا . كَلَّا كَلَّا لَوْ عَلِمْتَ حَقِيقَةَ أَمْرِي .
لَأَقَمْتُ فِي ذَلِكَ عُذْرِي . وَلَا رَتَقَ عِنْدَكَ قَدْرِي . فَكُلْ نَمْلَةً تَجْتَهِدُ فِي
سَيْرِهَا . وَتَحْصِيلِ خَيْرِهَا . لِنَفْعِ غَيْرِهَا . مُتَعَرِّضَةً لِلْهَلَاكِ . وَمَصَابِدِ
الْأَشْرَاكِ . فَاِمَّا أَنْ تَهْلِكَ عَطْشًا أَوْ جُوعًا . أَوْ تَقَعَ فِي مَفَازَةٍ فَلَا تَجِدُ
رُجُوعًا . تُحْتَطِّعُهَا ذُبَابَةٌ . أَوْ تَطَّأُهَا دَابَّةٌ . فَلْيُقِ مَآ فِي أَيْدِيهَا بَيْنَ

أَيْدِيَهُنَّ . فَتَقْسِمُهُ بِالسُّوِيَّةِ عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ . وَلَا حَظٍّ مَنْقُوصٍ

إشارة العنقا .

١٤٥ (قَالَ الشَّيْخُ) : لَكُمْ الْإِشَارَةُ . يَا أَهْلَ الْإِشَارَةِ . إِنْ قِيَمْتُمْ دَمَرُ
هَذِهِ الْعِبَارَةِ . فَأَنْصِتُوا بِضَرْبِ هَذِهِ الْأَمْثَالِ الْمُسْتَعَارَةِ . (قِيلَ) أَجْتَمَعَ
الطُّيُورُ وَقَالُوا : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَلِكٍ نَعْتَرِفُ لَهُ وَنُعْرِفُ بِهِ . فَهَلُمُّوا نَنْطَلِقْ فِي
طَلَبِهِ . وَتَسْتَمِثَّ بِسَبِيهِ . وَنَعِشْ فِي ظِلِّهِ . وَنَقْتَصِمَ بِحَبْلِهِ . وَقَدْ بَلَّغْنَا
أَنْ يَجْزِيَ أَرْبَ الْبَحْرِ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ عُنْقَاهُ مُغْرِبٍ . قَدْ نَفَذَ حُكْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . فَهَلُمُّوا بِنَا إِلَيْهِ . مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُمْ إِنْ أَلْبَجَرَ عَمِيقُ
وَالطَّرِيقُ مَضِيقُ . وَالسَّبِيلُ سَحِيقُ . وَبَيْنَ أَيْدِيكُمْ جِبَالٌ شَاهِقَةٌ .
وَبَحَارٌ مُغْرَقَةٌ . وَبِرَّانٌ مُحْرَقَةٌ . وَلَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْإِتِّصَالِ . وَلَوْ
تَقَطَّعَتِ الْأَوْصَالُ . فَدُونَ وَصَالِهِ حَدُّ النَّصَالِ . فَأَقْنِ فِي أَوْكَارِكُنَّ .
فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ شَانِكُنَّ . وَالْمَلِكَ غَنِيٌّ عَنْكُنَّ . وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ . قَالُوا : صَدَقْتَ وَلَكِنْ مُنَادِي الطَّلَبِ يُنَادِي : فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ .
فَطَارُوا بِأَجْنِحَتِهِ وَيُغْكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . صَائِرِينَ عَلَى
ظِلِّهِ الْهَوَاجِرِ . بِإِشَارَةِ : وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . فَسَلْكَ سَبِيلًا عَدَلًا .
إِنْ أَخَذَنَ ذَاتَ الْيَمِينِ أَرَمَتْنَهُ بِرُودَةِ الرَّجَاءِ . وَإِنْ عَدَلَنَ ذَاتَ
الشِّمَالِ أَحْرَقَتْنَهُ حَرَارَةُ الْخَوْفِ . فَهُمْ بَيْنَ سَبَاقٍ . وَلِحَاقٍ وَحِقَاقٍ .
وَتَلَاسٍ وَأَحْتِرَاقٍ . وَتَمَاشٍ وَاسْتِغْرَاقٍ . وَبُعْدٍ وَافْتِرَاقٍ . حَتَّى وَصَلَ
كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَزْمَةِ الْمَلِكِ وَقَدْ سَقَطَ رِيشُهُ . وَتَكَدَّرَ عَيْشُهُ .

وَتَضَاعَفْ نُحُولُهُ. وَرَّايِدُ ذُبُولُهُ. فَوَصَلُوا إِلَيْهِ حِمَاصًا. بَعْدَ مَا كُنْ بِطَانًا.
وَجِئْتُهُ فُرَادَى بَعْدَ أَنْ فَارَقْنِ أَوْطَانًا. فَلَمَّا أَنْ وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ الْمَلِكِ
وَجَدُوا فِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ. ثُمَّ قَالُوا: نَحْنُ لَا نُزِيدُ إِلَّا
الْمَلِكَ الَّذِي خَرَجْنَا مِنْ أَجْلِهِ عَلَى الْحَاجِرِ. وَقَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ حَاجِرٍ.
وَصَبَرْنَا عَلَى ظُلْمِ الْهَوَاجِرِ. ثُمَّ لَا نَسْتَعِلُّ بِالْمَلَأْسِ وَالْمَقَاخِرِ. قُوا الَّذِي لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ. لَا نُزِيدُ إِلَّا هُوَ. ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَنَحْكُمُ لِأَيِّ شَيْءٍ
جِئْتُمْ. وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَتَيْتُمْ. قَالُوا: أَتَيْنَاكَ بِنِذَارٍ الْعَمِيدِ. وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ
مَا نُزِيدُ. فَقَالَ لَهُمُ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ. فَإِنَّا الْمَلِكُ شِئْتُمْ أَوْ أَيْبَيْتُمْ.
وَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْكُمْ. قَالُوا: سَيِّدِي أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ.
وَأَنْتَ الْغَزِيرُ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ. وَأَنْتَ الْقَوِيُّ وَنَحْنُ الضُّعَفَاءُ. فَبِأَيِّ قُوَّةٍ
تَرْجِعُ وَقَدْ نَهَبَ قُورَانَا. وَنَحِلَ عَرَانَا. وَأَضْحَلَّ وَجُودُنَا مِمَّا أَعْتَرَانَا.
فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي إِذَا صَحَّ أَفْعَادُكُمْ. وَثَبْتَ أَنْكَسَارُكُمْ.
فَعَلَى أَنْجَارِكُمْ. انْظَلُّوا قَدَاوُوا الْعَلِيلَ. فِي ظِلِّ الظَّلِيلِ. وَقِيلُوا فِي خَيْرِ
مَقِيلٍ. فَحَصَلُوا حَيْثُ وَصَلُوا. فَلَمَّا حَضَرُوا نَظَرُوا. فَإِذَا الْحُجُبُ قَدْ رُفِعَتْ.
وَالْأَحَابِ قَدْ جُمِعَتْ. وَشَاهَدُوا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ:

مَا قَلْبُ بُشْرَاكَ أَيَّامَ الرِّضَا رَجَعَتْ وَهَذِهِ الدَّارُ لِلْأَحَابِ قَدْ جُمِعَتْ
أَمَا تَرَى نَفَحَاتِ الْحَيِّ قَدْ عَبَّتْ أَنْفَاسُهَا وَرُوقِ الْقُرْبِ قَدْ لَمَعَتْ
فَمَنْ هُنَا بَوَصِلَ غَيْرَ مُتَفَصِّلٍ مَعَ مَنْ تَحِبُّ وَحُجُبُ الْعَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وَأَنْظُرْ جَمَالَ الَّذِي مِنْ أَجْلِ رُؤْيَيْهِ قُلُوبُ عِبَادِهِ فِي حَيْهَ أَنْصَدَتْ

أَلْبَابُ السَّائِعِ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

مدح مختلف العلوم

١٤٦ قَدْ مَدَحَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ أَنْوَاعَ الْعُلُومِ وَذَمَّهَا بِأَعْيَانِهَا مُغْرِبًا
عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى الْكَلَامِ وَبُعْدِ شَأْوِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَجِنِّ سُلِّ عَنْ الْأَثَرِ
قَالَ: هُوَ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ وَأَنْبَاءُ الْغَائِبِينَ وَفَقْصُ الْمُرْسَلِينَ وَأَدَابُ
الدُّنْيَا وَالْدِّينِ وَمَعْرِفَةُ الْقَرَضِ وَالنَّافِلَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالسُّنَّةِ وَالْمُصَلِّحَةِ
وَالْمُفْسِدَةِ وَالنَّارِ وَالْجَنَّةِ إِلَى صَاحِبِهِ تُشَدُّ الرَّحَالُ وَحَوْلَهُ يَمْتَكِفُ
الرِّجَالُ وَيَسِيرُ بِهِ ذِكْرُهُ فِي الْبُلْدَانِ وَيَبْقَى اسْمُهُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
قِيلَ: فَالْفَقْهُ قَالَ: فِيهِ عِلْمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبِهِ تُعْرَفُ الشَّرَائِعُ
وَتُقَامُ الْحُدُودُ وَالْأَحْكَامُ وَهُوَ عِصْمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَزِينَةٌ فِي الْآخِرَةِ
يَخْطُبُ لِصَاحِبِهِ فَضْلَ الْأَعْمَالِ وَيَجْلَعُ عَلَيْهِ ثَوْبَ الْجَمَالِ وَيَلْبِسُهُ
الْفَنَى وَيُلْفِيهِ مَرْتَبَةَ الْقَضَا قِيلَ: فَالْكَلَامُ قَالَ: عِيَارُ كُلِّ صِنَاعَةٍ
وَزِمَامُ كُلِّ عِبَارَةٍ وَقِسْطُاسُ يُعْرَفُ بِهِ الْفَضْلُ وَالرُّجْحَانُ وَمِيزَانُ
يُعْلَمُ بِهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَكَبِيرُ مِمِّيزٍ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَالْخَالِصُ
وَالشُّوبُ وَيُعْرَفُ بِهِ الْإِبْرِزُ وَالسُّتُوقُ وَيُنْظَرُ بِهِ الصَّفْوُ وَالْكَدَرُ
وَسُلِّمَ لِمَنْ تَقَى بِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَيُوصَلُ بِهِ إِلَى الْخَفِيرِ
وَالْخَطِيرِ وَأَدَلَّةٌ لِلتَّفْصِيلِ وَالْتَحْصِيلِ وَإِذْرَاكُ الدَّقِيقِ وَالْجَلِيلِ وَآلَةٌ

لإظهار الغامض المستبهم. وأداة لكشف الحقي المتيسر. وبه تعرف
 ربوبية الرب وحجة الرسل. ويحترز به من شبهات المقالات. وفساد
 التأويلات. وبه تدفع مضلات الأهواء والتخل وتبطل تأويلات
 الأديان والميل. ويتره عن غباوة التقليد وعمه التردد. قيل :
 فالفلسفة. قال : أداة الصماير وآلة الخواطر. ونتائج العقل وأدلة
 لمعرفة الأجناس والعناصر. وعلم الأغراض والجواهر. وعمل
 الأشخاص والصور. واختلاف الأخلاق والطباع والسجاياء والفرائز.
 قيل : فالتجوم. قال : معرفة الأهلّة ومقادير الأظلة. وموت البلدان.
 وإقدام الزوال في كل وقت وزمان. وعلم ساعات الليل والنهار في
 الزيادة والنقصان. وأمارات الفيوت والأمطار. وأوقات سلامة
 الزرع والثمار. قيل : فالتب. قال : سانس الأبدان. والمنة على
 طباع الحيوان. وبه يكون حفظ الصحة. ومرة العلة. والوقوف على
 المنافع والمضار. والإبانة عن خبايا الأسرار. وعلم يضطر إليه الخاص
 والعام. ويفتقر إليه الناس والأنعام. ولا يستغني عنه الصغير والكبير.
 ويحتاج إليه الحخير والخطير. قيل : فالتجو. قال : ينسط من العمي
 اللسان. ويخرج من الحصر البيان. وبه يسلم من هجته اللحن وتحريف
 القول. وهو آلة لصواب المنطق وتسيديد كلام العرب. قيل :
 فالحساب. قال : علم طبيعي لا خلاف عليه. واضطراري لا مطعن
 فيه. ثابت الدلالة صائب المقالة. واضح البرهان شديد البنيان.

سَالِمٌ مِنَ الْمُنَاقِضَةِ خَالٍ مِنَ الْمَعَارِضَةِ . حَاكِمٌ يَقْطَعُ الْخِلَافَ . مُؤَدٍّ إِلَى
 الْإِنْصَافِ وَالْإِتِّصَافِ . وَبِهِ حِفْظُ الْأَعْمَالِ . وَنِظَامُ الْأَمْوَالِ . وَقِيَامُ
 أُمُورِ الْمُلُوكِ وَالتِّجَارِ . وَتَبَاتُ قَوَانِينِ الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ . قِيلَ :
 فَأَلْعَرُوضُ . قَالَ : مِيزَانُ الشَّعْرِ وَعِيَارُ النَّظْمِ . وَرَأْنِضُ الطَّعْمِ وَسَانِسُ
 الْقَهْمِ . وَبِهِ يُعْرَفُ الصَّحِيحُ مِنَ الْمَرِيضِ . وَفَلَكَ عَلَيْهِ مَدَارُ الْقَرِيضِ .
 قِيلَ : فَأَلْحُطُّ . قَالَ : لِسَانُ الْيَدِ وَلَهْجَةُ الصَّيْمِرِ . وَوَحْيُ الْفِكْرِ وَنَاقِلُ
 الْحَبْرِ . وَحَافِظُ الْأَثَرِ . وَعُمْدَةُ الدِّينِ وَالْذَنْبَا . وَلِقَاحُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى . فَهَذَا
 آخِرُ مَا حَكِيَ عَنِ الْجَالِحِظِ فِي مَدَحِ الْعُلُومِ (طراف اللطاف)

ابو تمام والمتنبي وابو عبادة البحتري

١٤٧ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : لَقَدْ وَقَفْتُ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى كُلِّ دِيْوَانٍ وَمَجْمُوعٍ .
 وَأَنْفَدْتُ شَطْرًا مِنَ الْعَمْرِ فِي الْخُفُوضِ مِنْهُ وَالسُّمُوعِ . فَأَلْقَيْتُهُ بِحَرِّ الْأَيُوقِفِ
 عَلَى سَاحِلِهِ . وَكَيْفَ يَنْتَهِي إِحْصَاءُ قَوْلٍ لَمْ تَحْصِ أَسْمَاءُ قَائِلِهِ . فَعِنْدَ
 ذَلِكَ أَقْصَرْتُ مِنْهُ عَلَى مَا تَكْتَفُرُ قَوَائِدُهُ . وَتَتَشَبَّهُ مَقَاصِدُهُ . وَلَمْ أَكُنْ يَمُنْ
 أَخَذَ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّسْلِيمِ . فِي اتِّبَاعِ مَنْ قَصَرَ نَظْرُهُ عَلَى الشَّعْرِ الْقَدِيمِ . إِذِ
 الْمُرَادُ مِنَ الشَّعْرِ إِنَّمَا هُوَ إِيدَاعُ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ . فِي اللَّفْظِ الْجَبَزِلِ
 اللَّطِيفِ . فَتَمَّتْ وَجَدْتُ ذَلِكَ فَكُلُّ مَكَانٍ خَبِثَ فَهُوَ بَائِلٌ . وَقَدْ
 اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ وَأَبِي عِبَادَةَ الْوَلِيدِ
 وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ . وَهُوَ لَادُ الثَّلَاثَةِ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاتُهُ .
 الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَتُسَمَّحَنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشْيَابَهُمْ

غَرَابَةُ الْمُحَدِّثِينَ وَفَصَاحَةُ الْقَدَمَاءِ وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ
 وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ . أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبُّ مَعَانٍ . وَصَقِيلُ أَلْبَابٍ وَأَذْهَانٍ .
 قَدْ شُهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَكِرٍ . لَمْ يَمِشْ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ . هُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ
 عَنْ مَقَامِ الْإِعْرَابِ . الَّذِي يَرَّزُ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسَتْ مِنْ
 الشَّعْرِ كُلِّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ . وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُهُ إِلَّا بِتَقْيِيرٍ . فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ
 الرَّجُلِ وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ . وَرَاضَ فِي كَرِهِ بِرَاضِهِ . أَطَاعَتْهُ أَعْنَةُ
 الْكَلَامِ . وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْهُ حَذَامٌ . فَتُحَذِّمُنِي فِي ذَلِكَ
 قَوْلَ حَكِيمٍ . وَتَعْلَمُ فَتَوَقُّ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ . وَأَمَّا أَبُو عِبَادَةَ الْبُخَيْرِيُّ
 فَإِنَّهُ أَحْسَنُ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى . وَارَادَ أَنْ يَشْرَعَ فَنَعَى . وَلَقَدْ
 حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجُرْأَلَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ . فَيَنِينَا يَكُونُ فِي شَطَفٍ مُجْدٍ
 حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ . وَسُئِلَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ عَنْهُ وَعَنْ أَبِي تَمَّامٍ
 وَعَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ : أَنَا وَأَبُو تَمَّامٍ حَكِيمَانِ . وَالشَّاعِرُ الْبُخَيْرِيُّ . وَلَعَنِي إِنْهُ
 أَنْصَفَ فِي حُكْمِهِ . وَأَعْرَبَ فِي قَوْلِهِ هَذَا عَنْ مَتَانَةِ عِلْمِهِ . فَإِنْ أَبَا
 عِبَادَةَ أَتَى فِي شِعْرِهِ بِالْمَعْنَى الْمَقْدُودِ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ . فِي اللَّفْظِ
 الْمَصُوغِ مِنْ سَلَاسَةِ الْمَاءِ . فَادْرَكَ بِذَلِكَ بَعْدَ الْإِرَامِ . مَعَ قُرْبِهِ إِلَى
 الْأَفْهَامِ . وَمَا أَقُولُ إِلَّا أَنَّهُ أَتَى فِي مَعَانِيهِ بِأَخْلَاطِ الْعَالِيَةِ . وَرَقِيَ فِي
 دِيبَاجَةِ لَفْظِهِ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعَالِيَةِ . وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ فَإِنَّهُ أَرَادَ
 أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ أَبِي تَمَّامٍ فَصَصَّرَتْ عَنْهُ خَطَاهُ . وَلَمْ يَنْطِبْهُ الشَّعْرُ مِنْ
 قِيَادِهِ مَا أَعْطَاهُ . وَلَكِنَّهُ حَظِيَ فِي شِعْرِهِ بِالْحُكْمِ وَالْأَمْثَالِ . وَاخْتَصَّ

بِالْإِبْدَاعِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْقِتَالِ . وَأَنَا أَقُولُ قَوْلًا لَسْتُ فِيهِ
 مُتَأَنِّيًا . وَلَا مِنْهُ مُتَتَنِّيًا . وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَاضَ فِي وَصْفِ مَعْرَكَةٍ كَانَ
 لِسَانُهُ أَمْضَى مِنْ نَصَالِهَا . وَأَشَجَّعَ مِنْ أَبْطَالِهَا . وَقَلَمَتْ أَقْوَالُهُ لِلْسَّامِعِ
 مَقَامَ أَفْعَالِهَا . حَتَّى تَنْظُنَّ الْقَرِيقَيْنِ قَدْ تَقَابَلَا . وَالسَّلَاحَيْنِ قَدْ قَوَّصَلَا .
 وَطَرِيقُهُ فِي ذَلِكَ تَصِلُ بِسَالِكِهِ . وَتَقُومُ بِعُذْرِ تَارِكِهِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ
 كَانَ يَشْهَدُ الْحُرُوبَ مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فَيَصِفُ لِسَانُهُ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ
 عِيَانُهُ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ عَادِلِينَ فِيهِ عَنِ السَّنَنِ الْمُتَوَسِّطِ .
 فَإِمَّا مُفْرِطٌ فِي وَصْفِهِ وَإِمَّا مُفْرِطٌ . وَهُوَ وَإِنْ أَنْفَرَدَ بِطَرِيقٍ صَارَ أَبَا
 عُذْرِهِ . فَإِنْ سَعَادَةُ الرَّجُلِ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ شِعْرِهِ . وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّهُ
 خَاتِمُ الشُّعْرَاءِ . وَمَهْمَا وَصَفَ بِهِ فَهُوَ فَوْقَ الْوَصْفِ وَفَوْقَ الْإِطْرَاءِ . وَلَقَدْ
 صَدَقَ فِي قَوْلِهِ مِنْ آيَاتٍ يَمْدَحُ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ . إِنَّ الْكَرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَا خُتْمُوا
 وَلَا تُبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ . قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمَدُ الْقَتَمِ
 وَلَمَّا تَأَمَّلْتُ شِعْرَهُ بَعَيْنِ الْمَعْدَلَةِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْهَوَى . وَعَيْنِ
 الْمَعْرِفَةِ الَّتِي مَا ضَلَّ صَاحِبُهَا وَمَا غَوَى . وَجَدْتُهُ أَقْسَامًا خَمْسَةً . خَمْسُ
 مِنْهَا فِي الْغَايَةِ الَّتِي أَنْفَرَدَ بِهَا . وَخَمْسُ مِنْ جَيْدِ الشَّعْرِ الَّذِي يُشَارِكُهُ
 فِيهِ غَيْرُهُ . وَخَمْسُ مِنْهُ مِنْ مُتَوَسِّطِ الشَّعْرِ . وَخَمْسُ دُونَ ذَلِكَ .
 وَخَمْسُ فِي الْغَايَةِ الْمُتَهَيِّجَةِ الَّتِي لَا يُعْبَأُ بِهَا . وَعَدَهَا خَيْرٌ مِنْ وُجُودِهَا .
 وَلَوْ لَمْ يَقُلْهَا أَبُو الطَّيِّبِ لَوْفَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا . فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي أَلْبَسَتْهُ لِبَاسَ

الَمَلَامِ . وَجَعَلَتْ عِرْضَهُ شَارَةً لِّسَهَامِ الْأَقْوَامِ . وَلِسَائِلِ هُنَا أَنْ يَسْأَلَ
وَيَقُولَ : لَمْ عَدَلْتُ إِلَى شِعْرِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ دُونَ غَيْرِهِمْ . فَأَقُولُ : إِنِّي
لَمْ أَعْدِلْ إِلَيْهِمْ اتِّفَاقًا وَإِنَّمَا عَدَلْتُ نَظْرًا وَاجْتِهَادًا . وَذَلِكَ أَنِّي وَقَفْتُ
عَلَى أَشْعَارِ الشُّعْرَاءِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ دِيْوَانُ شَاعِرٍ مُقْلَقٍ يَثْبُتُ
شِعْرُهُ عَلَى الْحِكْمِ إِلَّا وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ عَلَى نَظَرِي . فَلَمْ أَجِدْ أَجْمَعَ مِنْ دِيْوَانِ
أَبِي نَمَّامٍ وَأَبِي الطَّبِّ لِلْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ وَلَا أَكْثَرَ اسْتِخْرَاجًا مِنْهَا لِطَيفِ
الْأَغْرَاضِ وَالْمُقَاصِدِ . وَلَمْ أَجِدْ أَحْسَنَ تَهْدِيًّا لِلْأَلْفَافِ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ
وَلَا أَنْفَسَ دِيْبَاجَةً وَلَا أَبْجَعَ سَبْكًا . فَأَخَّرْتُ دَوَائِنَهُمْ لِأَشْتِمَالِهَا
عَلَى مَحَاسِنِ الطَّرَفَيْنِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ . وَلَمَّا حَفِظْتُهَا أَقْبَيْتُ مَا
سِوَاهَا مَعَ مَا بَقِيَ عَلَى خَاطِرِي مِنْ غَيْرِهَا (المثل السائر لابن الاثير)

وصف القلم

١٤٨ قَالُوا : الْقَلَمُ أَحَدُ الْأَسَانِينِ وَهُوَ الْخَطَّابُ لِلْقُلُوبِ . بِسَرَارِ
الْقُلُوبِ . عَلَى لُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ مَعَانٍ مَعْقُولَةٍ . بِحُرُوفٍ مَعْلُولَةٍ . مُتَبَايِنَاتِ
الْصُورِ مُخْتَلِفَاتِ الْجِهَاتِ . لِقَاحِهَا الْفَكِيرُ وَنَتَاجِهَا التَّدْبِيرُ . تَحْرُسُ
مُنْفَرِدَاتٍ . وَتَنْطِقُ مُزْدَوِجَاتٍ . بِأَلْصَوَاتٍ مَسْمُوعَةٍ وَلَا أَلْسُنٍ مُخَدَّوْدَةٍ
وَلَا حَرَكَاتٍ ظَاهِرَةٍ . خَلَقَ قَلَمٌ حَرْفَ بَارِيهِ . قَطَعَهُ لِيَتَمَلَّقَ الْمِدَادُ فِيهِ
وَأَرْهَفَ جَانِبِيهِ لِيَرُدَّ مَا أَنْشَرَتْ عَنْهُ إِلَيْهِ وَشَقَّ رَأْسَهُ لِيَحْتَسِبَ الْمِدَادُ
عَلَيْهِ . فَهَذَا لَكَ اسْتِغْدَ الْقَلَمُ بِشِقِّهِ وَنَثَرَ فِي الْقُرْطَاسِ بِحِطِّهِ حُرُوفًا
أَحْكَمَهَا التَّفَكُّرُ وَأَوَّلَى الْأَسْمَاعِ بِهَا الْكَلَامُ الَّذِي سَدَّاهُ الْعَقْلُ وَالْحَمَةُ

اللسان ونهسته اللهوات وقطعته الأسنان ولقطته الشفاه ووعته
الاسماع عن انحاء شئ من صفات واسماء . قال البحرى :
طمان باطراف القوافي كانه طمان باطراف القنا المتكبر
١٤٩ قال بعض الكتاب يصف بحيرة :

ولقد مضيت الى النحدث اينفا وإذا بمحضرة طباء رنع
وإذا طباء الانس نكب كل ما يلى ومخفظ ما يقول وتسمع
يتجادبون الحير من مملومة يضاء تحملها علائق أربع
من خالص البلور غير لونها فكانها سحج يلوح ويلمع
إن نكسوها لم تسل ومليكما فيما حوته عاجلا لا يطمع
ومتى أمالوها لرشف رضاها آذاه فوها وهي لا تنزع
وكانها قلبي يرض بسيره أبدا ويكتم كل ما يستودع

وصف الخط

١٥٠ سئل بعض الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصف بالجودة .
قال : إذا اعتدلت أقسامه . وطالت ألفه ولأمه . واستقامت سطوره .
وضاهى صعوده حدوره . وتفتحت عيونه . ولم تشبه راؤه ونونه .
وأشرق قرطاسه . وأظلمت أنفاسه . ولم تختلف أجناسه . وأمرع إلى
العيون تصوره . وإلى العقول ثمره . وقدرت فصوله . وأندجت
أصوله . وتناسب دقيقه وجليله . وخرج من نمط الوراقين . وبعد عن
تصنع المحبرين . وقام لصاحبه مقام النسبة والحلية (للقيرواني)

قصيدة ابن البواب في وصف صناعة الخط

يَا مَنْ يُرِيدُ إِجَادَةَ التَّخْرِيرِ وَرَوْحَ حُسْنِ الْخَطِّ وَالتَّصْوِيرِ
 إِنْ كَانَ عَزَمَكَ فِي الْكِتَابَةِ صَادِقًا فَأَرْغَبْ إِلَى مَوْلَاكَ فِي التَّسْيِيرِ
 أَعِدْ مِنْ الْأَقْلَامِ كُلِّ مُتَقَيٍّ صُلْبٍ يَصُوغُ صِيَاعَةَ التَّخْيِيرِ
 وَإِذَا عَمِدْتَ لِزَيِّهِ فَسَوِّحْهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ بِأَوْسَطِ التَّقْدِيرِ
 أَنْظِرْ إِلَى طَرَفِهِ فَأَجْعَلْ زِيَّهِ مِنْ جَانِبِ التَّدْقِيقِ وَالتَّخْصِيرِ
 وَأَجْعَلْ لِحْفَتِهِ قَوَامًا عَادِلًا يَخْلُو عَنْ التَّطْوِيلِ وَالتَّقْصِيرِ
 وَالشَّقَّ وَسَطَهُ لِيَتَّقَى زِيَّهِ مِنْ جَانِبِهِ مُشَاكِلَ التَّقْدِيرِ
 حَتَّى إِذَا أَنْقَضْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِثْقَانًا طَبَّ بِالْمُرَادِ خَيْرِ
 فَأَصْرِفْ لِرَأْيِ الْقَطْعِ عَزَمَكَ كُلَّهُ قَالِقُ فِيهِ جَمَلَةُ التَّدْبِيرِ
 لَا تَطْمَعَنَّ فِي أَنْ أَبُوحَ بِسِرِّهِ إِنِّي أَضُنُّ بِسِرِّهِ الْمُسْتَوْرِ
 لَكِنَّ جَمَلَةً مَا أَقُولُ بِأَنَّهُ مَا بَيْنَ تَمْحِيفٍ إِلَى تَذْوِيرِ
 وَإِنِّي دَوَاتِكَ بِالْذُّخَانِ مُدَبِّرًا بِالْحَلِّ أَوْ بِالْحَضْمِ الْمَقْصُورِ
 وَأَضِفْ إِلَيْهِ مُغَرَّةً قَدْ صُوِلَتْ مَعَ أَصْفَرِ الزَّرْنِجِ وَالْكَافُورِ
 حَتَّى إِذَا مَا خَمَرْتَ فَأَعْمِدْ إِلَى الْوَرَقِ النَّقِيِّ النَّاعِمِ الْخَبُورِ
 فَانْكُسْهُ بَعْدَ الْقَطْعِ بِالْمِصْرَاكِ نَبَأَى عَنِ التَّشْيِيطِ وَالتَّنْبِيرِ
 ثُمَّ أَجْعَلِ التَّمِيلَ دَا بَكَ صَابِرًا مَا أَدْرَكَ الْمَأْمُولُ مِثْلَ صُورِ
 ابْدَأْ بِهِ فِي اللَّوْحِ مُتَضَيًّا لَهُ عَزَمًا تُجَرِّدُهُ عَنِ التَّشْيِيرِ
 لَا تُحْجَلَنَّ مِنَ الرَّدِيِّ نَحْطُهُ فِي أَوَّلِ التَّمِيلِ وَالتَّطْيِيرِ

فَالْأَمْرُ يَضْبُ ثُمَّ يَرْجِعُ هُنَا وَلَرَّبَّ سَهْلٍ جَاءَ بَعْدَ عَسِيرٍ
 حَتَّى إِذَا أَذْرَكْتَ مَا أَمَلْتَهُ أَصْحَيْتَ رَبَّ مَسْرَةً وَجُورٍ
 فَاشْكُرْ إلهَكَ وَاتَّبِعْ رُضْوَانَهُ إِنَّ إِلَهَهُ يُحِبُّ كُلَّ شَكُورٍ
 وَأَرْغَبُ لِكُفِّكَ أَنْ تَحْطَ بِنَانِهَا خَيْرًا تَحْلِفُهُ بِدَارِ غُرُورٍ
 فَجَمِّعْ فِعْلَ الْمَرْءِ يَلْقَاهُ غَدًا عِنْدَ الْتِقَاءِ كِتَابِهِ الْمُنْشُورِ

في الادب وتربية الصغار

١٥٢ كَبَّ أَبُو الْفَضْلِ هَبَّةً لِلَّهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُدْرَسٍ أَنَّهُ :

أَبَا عَلِيٍّ هُوَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ وَمَا يَحْطَى بِجِدْوَاهُ إِلَّا الْجَاهِلُ الْعَمْرُ
 إِنِّي لَا شُكْرَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ حَتَّى أَرَى وَبِهِ أَسْمُو وَأَفْتَحُرُ
 وَلَوْ أَرَدْتُ مُكَافَأَةً عَلَى مَنِّ أَسْدَيْتَهَا لَتَقَضَى دُونَهَا الْعَمْرُ
 عَمِدْتُ فَضْلَكَ لَا يَحْتَاجُ تَذْكَرَةً وَحَسَنَ رَأْيِكَ مَا فِي نَفْعِهِ ضَرَرُ
 رَاجِعُ سَدَادِكَ فِيهِ فَهُوَ إِنْ سَمَحْتَ بِهِ اللَّيَالِي عَلَى أَحْدَانِهَا وَزُرُ
 وَأَحْفَظْ لَهُ حَقَّ آبَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ مَضَتْ بِتَاكِدِهَا الْأَيَّامُ وَالْعَصْرُ
 وَأَوَّلِهِ مِنْكَ قَسْطًا مِنْ مُلَاحَظَةٍ فَأَبْرَى لَكَ فِي إِهْمَالِهِ عُذْرُ
 فَإِنَّهُ نَبْعَةٌ طَابَتْ مَنَابِتُهُ صَبُّ عَلَى النِّجْمِ مَا فِي عُودِهِ خَوْرُ
 مُغْرَى بِمَا زَادَ فِي قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ وَمَا تَبَدَّى لَهُ فِي خَدِّهِ شَمْرُ
 دَلَائِلُ تُخْبِرَاتٍ عَنْ مُجَابَتِهِ كَالنَّارِ تُخْبِرُ عَنْ ضَوْضَانِهَا الشَّرَرُ
 مِنْ مَعَشَرٍ حَلَّتِ الْعُلْيَا بَيْنَهُمْ يُعَدُّ شُكْرُهُمْ فَخْرًا إِذَا شُكِرُوا
 ١٥٣ قَالَ لِسَانَ الدِّينِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ : أَحْسِنِ آدَابَهُمْ . وَأَجْمَلِ

الْحَيَرِ دَائِبِهِمْ . وَخَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِشْفَاقِكَ وَحَنَانِكَ . أَكْثَرَ مِنْ غِلَظَةِ
 جَنَابِكَ . وَأَكْثَمَ عَنْهُمْ مَيْلَكَ . وَأَفْضَلَ فِيهِمْ جُودَكَ وَنَيْلَكَ . وَأَثْبَتَهُمْ عَلَى
 حُسْنِ الْجَوَابِ . وَسَبَقَ لَهُمْ خَوْفُ الْجَزَاءِ عَلَى رَجَاءِ الثَّوَابِ . وَعَلِمَهُمْ
 الصَّبْرَ عَلَى الصَّرَارِ . وَالْمَهَلَةَ عِنْدَ اسْتِحْقَافِ الْجَرَازِ . وَخَذَهُمْ بِحُسْنِ
 السَّرَارِ . وَحَبَّبَ إِلَيْهِمْ مِرَاسَ الْأُمُورِ الصَّغْبَةِ الْمِرَاسِ . وَحُسْنَ
 الْأَصْطِنَاعِ وَالْإِحْتِرَاسِ . وَالْإِسْتِكْثَارَ مِنْ أُولَى الْمَرَاتِبِ وَالْأَعْلَامِ .
 وَالسِّيَاسَاتِ وَالْحُلُومِ وَالْأَقْلَامِ الْمَعْلُومِ . وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ مَجَاسَةَ الْمَلَكِينَ .
 وَمُصَاحَبَةَ السَّاهِينَ . جَاهِدَ أَهْوَاءَهُمْ عَنْ عُثُولِهِمْ . وَحَذَرَ الْكُذِبِ
 عَلَى مَقُولِهِمْ . وَرَشَّحَهُمْ إِذَا آتَتْ مِنْهُمْ رُشْدًا أَوْ هَدْيًا . وَأَرْضَعَهُمْ
 مِنَ الْمَوَارِدِ وَالْمُشَاوَرَةِ تَدْيًا . لِيُتَرَّنَّهُمْ عَلَى الْإِعْتِيَادِ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى
 الْإِزْدِيَادِ . وَرَضَّعَهُمْ رِيَاضَةَ الْجِيَادِ . وَاحْذَرَ عَلَيْهِمُ الشَّهَوَاتِ فَهِيَ
 دَاوُهُمْ . وَأَعْدَاؤُكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَأَعْدَاؤُهُمْ . وَتَدَارَكَ الْخَلْقَ الذَّمِيمَةَ كُلَّ
 مَا نَجَمَتْ وَأَقْدَعَهَا إِذَا هَجَمَتْ . قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ تَضَعُّعُهَا . وَيَثْوَى ضَعْفُهَا :
 إِنْ الْغُصُونُ إِذَا قَوْمَتَهَا أَعْتَدَلَتْ . وَلَنْ تَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهَا الْحَشَبُ
 وَإِذَا قَدَرُوا عَلَى التَّدْيِيرِ . وَتَشَوُّفُوا لِلْعَلَلِ الْكَبِيرِ . فَإِيَّاكَ أَنْ
 تُوْطِنَهُمْ فِي مَكَانِكَ جُهْدَ امْكَانِكَ . وَفَرِّقَهُمْ فِي بُلْدَانِكَ تَفْرِيقَ
 عَبْدَانِكَ . وَأَسْتَعْمِلَهُمْ فِي بُعُوثِ جِهَادِكَ . وَالنِّيَابَةِ عَنْكَ فِي سَبِيلِ
 اجْتِهَادِكَ . وَانْظُرْ إِلَيْهِمْ بِأَعْيُنِ الْإِثْنِ . فَإِنَّ عَيْنَ اللَّهِ . تُبْصِرُ مَا لَا
 تُبْصِرُ عَيْنُ الْحَبَّةِ وَالْمَلَقَةِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ

١٥٤ فَأَخْرَجَ صَاحِبُ سَيْفٍ صَاحِبَ قَلَمٍ فَقَالَ صَاحِبُ الْقَلَمِ : أَتَا
أَقْتُلُ بِالْأَعْرَارِ . وَأَنْتَ تَقْتُلُ عَلَى خَطَرٍ . وَصَرِيحُ الْأَقْلَامِ . أَشَدُّ مِنْ صَلِيلِ
الْحُسَامِ . فَقَالَ صَاحِبُ السَّيْفِ : الْقَلَمُ خَادِمُ السَّيْفِ إِنْ تَمَّ مُرَادُهُ وَإِلَّا
فَالِى السَّيْفِ مَعَادُهُ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّيْلِ
يُبِضُ الصَّفَاحُ لِأَسْوَدِ الصَّخَافِ فِي مُتَوْنِينَ جَلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيُّ :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلْسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ
الْكُتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ فَإِنَّا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي تَفْضِيلِ الْقَلَمِ عَلَى السَّيْفِ :

لَمَعْرُكَ مَا السَّيْفُ سَيْفُ الْكَمِيِّ بِأَخَوْفٍ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ
لَهُ شَاهِدٌ إِنْ تَأَمَّلْتَهُ ظَهَرَتْ عَلَى سِرِّهِ الْغَائِبِ
أَدَاةُ النُّيَّةِ فِي جَانِبِهِ فَمِنْ مِثْلِهِ رَهْبَةُ الرَّاهِبِ
سِنَانُ النُّيَّةِ فِي جَانِبِ وَحْدُ النُّيَّةِ فِي جَانِبِ
أَلَمْ تَرَى فِي صَدْرِهِ كَالسِّنَانِ وَفِي الرِّدْفِ كَالْمَرْهَفِ الْقَاضِ
١٥٥ قَالَ الصَّوَلِيُّ أَنَشَدَنِي طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ :

وَإِذَا أَمَرَ عَلَى الْمَهَارِقِ كَفَّهُ بِأَتَائِلٍ يَحْمِلْنَ شِخْتًا مُرْهَفًا
 مُتْقَاصِرًا مُتَطَاوِلًا وَمُفَصِّلًا وَمَوْصِلًا وَمُشْتَكًا وَمَوْثِقًا
 تَرَكَ الْمُدَّةَ رَوَاجِفًا أَحْشَاوُهَا وَقَالَعَهَا قَلَمًا هُنَالِكَ رُجْفًا
 كَالْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَنْزِلُ الْأَرْوَى إِلَيْهِ تَلَطُّفًا
 يَدْرِي بِهِ قَلَمًا نَجَّحَ لِمَا بِهِ فَعَبُودُ سَيْفًا صَارِمًا وَمُثَقَّفًا
 وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَصْبَهَانِي :

أَخْرَسُ نَبِيكَ بِإِطْرَاقِهِ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنَ الْأَمْرِ
 يَذْرِي عَلَى قِرْطَابِهِ دَمْعَةً يُبْدِي بِهَا السِّرَّ وَمَا يَذْرِي
 يُرَى أَسِيرًا فِي دَوَاوٍ وَقَدْ أَطْلَقَ أَقْوَامًا مِنَ الْأَسْرِ
 أَخْرَقُ لَوْ لَمْ تَبْرِهِ لَمْ يَكُنْ يَشُقُّ أَقْوَامًا وَلَمْ يُبْرِ
 كَأَلْبَجَرٍ إِذَا يَجْرِي وَكَالْذَلِيلِ إِذَا يَفْسَى وَكَالْصَّارِمِ إِذَا يَفْسِرِي
 وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَرَّارٍ :

أَهْفُ مُثْشَوْقٌ بِتَحْرِيكِهِ يَحُلُّ عَقْدَ السِّرِّ إِعْلَانُ
 لَهُ لِسَانٌ مُرْهَفٌ حَدُّهُ مِنْ رِيْقَةِ الْكُرْسُفِ رِيَّانُ
 تَرَى بَسِطَ الْفَكْرِ فِي نَظْمِهِ شَخْصًا لَهُ حَدٌّ وَجْهَانُ
 كَأَنَّمَا يَسْتَحِبُّ فِي إِثْرِهِ ذِيْلًا مِنَ الْحِكْمَةِ سَحْبَانُ
 لَوْلَاهُ مَا قَامَ مَنَارُ الْهُدَى وَلَا سَمَا لِلْمَلِكِ دِيْوَانُ

فصل في التناوب بين مراتب السيف والقلم في الدول

١٥٦ إَعْلَمُ أَنَّ السِّيفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا آلَةٌ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ

بِهَا عَلَى أَمْرِهِ . إِلَّا أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَى السَّيْفِ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ مَا دَامَ أَهْلُهَا
فِي تَحْيِيدِ أَمْرِهِمْ أَثْبَدُ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْقَلَمِ إِذِ الْقَلَمُ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ
فَقَطُّ مُنْفَذٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ . وَالسَّيْفُ شَرِيكٌ فِي الْمُعَاوَنَةِ . وَكَذَلِكَ
فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصِيَّتُهَا وَيَقِلُّ أَهْلُهَا بِمَا يَأْتِيهِمْ مِنَ الْهَرَمِ .
فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى الْحَاجَةُ إِلَيْهِمْ
فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا . كَمَا كَانَ الشَّأْنُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَحْيِيدِهَا .
فَتَكُونُ لِلْسَّيْفِ مَزِيَّةٌ فِي الْحَالَتَيْنِ عَلَى الْقَلَمِ . وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ
حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا وَكَثْرَ نِعْمَةٍ وَأَسْنَى إِقْطَاعًا . وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ
فَيَسْتَعْنِي صَاحِبُهَا بِبَعْضِ الشَّيْءِ عَنِ السَّيْفِ . لِأَنَّهُ قَدْ تَهَدَّدَ أَمْرُهُ وَلَمْ
يَبْقَ لَهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْجَبَايَةِ وَالضَّبْطِ وَمُبَاهَاةِ
الدُّوَلِ وَتَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ . وَالْقَلَمُ هُوَ الْمَعِينُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَنْظُمُ الْحَاجَةُ
إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مُهْمَةً فِي مَضَاجِعِ عُيُودِهَا . إِلَّا إِذَا نَابَتْ
نَائِبَةٌ أَوْ دَعَتْ إِلَى سِدِّ فُرْجَةٍ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا .
فَيَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتْبَةً وَأَعْظَمَ
نِعْمَةً وَثَرَةً . وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلَسًا وَكَثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا . وَفِي
خُلُوتِهِ مَحَبَّةً . لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ آتَى إِلَيْهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ مَلِكِهِ
وَالنَّظَرِ فِي أَعْطَافِهِ وَتَتَمِيفِ أَطْرَافِهِ وَالْمُبَاهَاةِ بِأَحْوَالِهِ . وَيَكُونُ الْوُزَرَاءُ
حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُمْ مُبْعِدِينَ عَنْ نَازِلِ السُّلْطَانِ حَذَرِينَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ . وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ .

لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا خَفَضْنَاهُ مِنْ وَصَايَا
الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتِ الدَّهْمَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي
عِبَادِهِ وَالسَّلَامُ

(مقدمة ابن خلدون)

١٥٧ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :

إِنْ تَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفُ الَّذِي خَضَّتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمُ
فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُقَالُهُ مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
يَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُوتٌ أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مَذْأَرْهَفَتْ خَدَمُ
١٥٨ قَالَ حَبِيبٌ فِي قَلَمِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَأَحْسَنَ :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَسَّنَاهُ نَصَابٌ مِنَ الْمَرْءِ الْكَلْبِيِّ وَالْمُقَاصِلُ
لَهُ الْجُلُوتُ الْأَلَاءُ لَوْلَا نُجَيْهَا لَمَّا أَحْضَلْتَ لِمَلِكٍ تِلْكَ الْحَافِلُ
لَعَابُ الْأَقَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى أَشَارَتُهُ أَيْدِ عَوَاسِلُ
لَهُ دِيمَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا بِأَثَرِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْعَرَبِ وَابِلُ
فَصِيحٌ إِنْ أَسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلُ
إِذَا مَا أَمْتَلَى الْحَسَنَ الْإِطَافَ وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَتَا وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْحِيَامِ الْجَحَافِلُ
إِذَا اسْتَمَدَرَ الدِّهْنَ الدِّكْيُ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ آسَافِلُ
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخَنَصِرَانِ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاجِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
رَأَيْتُ جَلِيلًا شَانَهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى وَتَمِيمًا خَطْبَهُ وَهُوَ نَاجِلُ
١٥٩ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُسْتِيُّ :

إِذَا انْفَحَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَفِينِهِمْ وَعَدُوهُ مِمَّا يُكْسِبُ الْحَمْدَ وَالْكَرَمَ
كَتَبَ قَلَمُ الْكُتَّابِ فَخَرًا وَرَفْعَةً مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ
لِأَيِّ الْفَرْجِ بْنِ الدَّهَانِ

قَوْمٌ إِذَا أَخَذُوا الْأَقْلَامَ مِنْ قَصَبٍ ثُمَّ اسْتَمَدُوا بِهَا مَاءَ الْمُنْيَاتِ
نَالُوا بِهَا مِنْ أَعَادِيهِمْ وَإِنْ بَعْدُوا مَا لَا يُسَالُ بِحَدِّ الْمَشْرِفِيَّاتِ
فِي شَرَفِ الْكُتَّابِ

١٦٠ الْكُتَّابُ عِمَادُ الْمُلْكِ وَأَرْكَانُهُ. وَعِيُونُهُ الْمُبْصِرَةُ وَأَعْوَانُهُ. وَبِهَاءُ
الدُّوَلِ وَنِظَامُهَا. وَرُؤُوسُ الرِّئَاسَةِ وَقَوَائِمُهَا. مَلَابِسُهُمْ فَاخِرَةٌ. وَحَاسِنُهُمْ
بَاهِرَةٌ. وَشَمَائِلُهُمْ لَطِيفَةٌ. وَنُفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ. مَدَارُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
عَلَيْهِمْ. وَمَرْجِعُ التَّصَرُّفِ وَالتَّذْيِيرِ إِلَيْهِمْ. بِهِمْ تُحْلَى الْعَوَاطِلُ. وَتَبْسِمُ
تُغُورُ الْمَعَاقِلُ. مَجَالِسُهُمْ بِالْقَضَائِلِ مَعْمُورَةٌ. وَبِنْدَاهُمْ أُنْدِيَةُ الْقُصَادِ
مَعْمُورَةٌ. يَهْدُونَ إِلَى الْأَسْمَاعِ أَنْوَاعَ الْبَدِيعِ. وَيَتَزَهْوُونَ الْأَحْدَاقَ فِي
حَدَائِقِ التَّوَشُّيعِ وَالتَّوَشُّيعِ. هُمْ أَهْلُ الْبَرَاعَةِ وَاللَّسَنِ. وَشَيْئُهُمْ لَفٌ
أَقْبَحُ وَلَشْرُ الْحَسَنِ. يَمِيلُونَ إِلَى الْقَوْلِ بِمُوجِبِ الْمَدْحِ. وَلَا يَمْلِكُونَ
مِنْ مُرَاجَعَةِ الرَّائِعِينَ فِي الْمُنْعِ. دَائِمُهُمْ اسْتِخْدَامُ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ.
وَعَدَمُ التَّوَرِيَةِ عَنِ الْعَالِي وَالْمُهَوِّفِ. يُجَلُّونَ الْكَبِيرَ. وَيُجَلُّونَ الصَّغِيرَ.
وَلَا يُجَلُّونَ بِمُرَاعَاةِ النَّظِيرِ. لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ رُجُوعٌ وَالتَّغَاتُ. وَبِالْجَمَلَةِ
هَدَّحَازُوا جَمِيعَ جَمِيلِ الصِّفَاتِ :

كَتَبَتْ فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا مُحَلَّلٌ وَذَلِكَ حَرَامٌ قَسَتْ خَطَّكَ بِالسَّخْرِ

فَإِنْ كَانَ زَهْرًا فَهُوَ صُنْعُ سَحَابَةٍ وَإِنْ كَانَ دُرًّا فَهُوَ مِنْ لُجَةِ الْبَحْرِ
 بِأَيْدِيهِمْ أَقْلَامٌ . تُخْلَسُ بِطُفْعِهَا الْأَحْلَامُ . صَافِيَةُ الْجَوَاهِرِ . زَاهِيَةُ
 الْأَزَاهِرِ . لَيْتُهُ الْأَعْطَافُ . نَاعِمَةُ الْأَطْرَافِ . تُبْكِي وَهِيَ مُبْتَسِيَةٌ .
 وَتَسْكُتُ وَهِيَ بِمَا يُطْرِبُ السَّمْعَ مُتَكَلِّمَةٌ . قَدْ أَعْتَدَتْ قُدُودَهَا .
 وَأَشْرَقَتْ فِي سَمَاءِ الْبَرَاءَةِ سُعُودَهَا . أَسْتَهْأُرُ هَفَةً . وَمَطَارِضُهَا مُفَوِّقَةٌ .
 تُجْتَهِدُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي . وَتُبْدِي مِنْ دُرِّهَا مَا يَقْضِيهِ الدَّرَارِي .
 تَمِيسُ فِي وَشِي أَرْوَاحِهَا . وَتُشْرِخُ الصُّدُورَ بِمُذَوِّبَةِ إِرَادِهَا . نَشَأَتْ
 عَلَى شُطُوطِ الْأَنْهَارِ . وَتَعَلَّمَتِ الْآخَنَ مِنْ إِعْرَابِ الْأَطْيَارِ . طَوِيلَةٌ
 الْأَنَابِيِبُ . تَسْلُبُ الْقُلُوبَ بِحُسْنِ الْأَسَالِيِبِ . تَذْهَبُ النَّاطِرُ وَتُحْجِلُ
 الْعَامِلَ . وَلَا تَرْضَى بِأَمْتَاءٍ غَيْرِ الْأَنَابِلِ . الشَّجَاعَةُ كَامِنَةٌ فِي مُهْجَتِهَا .
 وَالْفَصَاحَةُ جَارِيَةٌ عَلَى لَهْجَتِهَا . تَبْهَرُ بِالنُّصَادَةِ نَوَاطِرُ الْبَهَارِ . وَتُطَرِّزُ
 بِاللَّيْلِ أَرْدِيَةَ النَّهَارِ . إِنْ قَالَتْ لَمْ تَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلِ . وَإِنْ صَالَتْ
 رَجَعَتْ السُّيُوفُ مُسْتَرَّةً بِأَذْيَالِ الْحَمَائِلِ . تَسْجُدُ لِلطَّرْسِ فَرُفِعَتْ إِلَى
 أَعْلَى الرُّتَبِ . وَحَلَّتْ وَسَبَقَتْ فَسَمِيَتْ بِالْقَصَبِ (الكَمَالُ الدِّينُ الْحَاطِي)
 ١٦١ إِعْتَمَدْنَا وَهَبَ بِقَلَمٍ صُلْبٍ قَصَرَ الْقَلَمُ فِي يَدِهِ فَأَنْشَدَ :

إِذَا مَا أَلْتَقَيْنَا وَاتَّضَيْنَا صَوَارِمًا يَكَادُ يُصِيرُ السَّامِعِينَ صَرِيرَهَا
 تَسَاقَطَ فِي الْقِرَاطِ مِنْهَا بَدَائِعُ كَيْفَ الْإِلَهِ نَظْمُهَا وَتَشِيرَهَا
 تُقَوِّدُ آيَاتِ الْبَيَانِ بِفُطْنَةٍ وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْبَلَاغَةِ نُورَهَا
 تَقْلُ الثَّمَايَا وَالْمَطَايَا شَوَارِعًا تَدُورُ بِمَا شِئْنَا وَتُخْضِي أُمُورَهَا

الْبَابُ الثَّاسِعُ فِي اللَّطَافِ

وزير المأمون والشاعر

١٦٢ كَانَ أَبُو عَبَّادٍ الرَّازِيُّ وَزِيرُ الْمَأْمُونِ شَدِيدَ الْحِدَّةِ سَرِيعَ
الغَضَبِ . رُبَّمَا اغْتَاظَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَمَاهُ بِدَوَابِهِ
أَوْ شَتَمَهُ فَأَفْحَشَ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْغَالِي الشَّاعِرُ وَأَنشَدَهُ :

لَمَّا أَمْنَحْنَا بِالْوَزِيرِ رِكَابَنَا مُسْتَعْصِمِينَ بِجُودِهِ أَعْطَانَا
بُنْتَ رَحَا مُلْكِ الْإِمَامِ بِنَاتٍ وَأَفَاضَ فِينَا الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ
يَقْرِي أَلُوفَ دُطْلَاقَةٍ وَسَمَاحَةً وَالنَّاسِكِينَ هُنْدًا وَسِنَانَا
مَنْ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ غِيثًا مُزْمَرًا مُتَحَرِّقًا فِي جُودِهِ مِعْوَانَا
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِي جُودِهِ وَقَفَ وَارْتَجَعَ عَلَيْهِ . وَصَارَ يُكْرَرُ
فِي جُودِهِ مِرَارًا . حَتَّى صَجِرَ أَبُو عَبَّادٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَةُ فَقَالَ :
يَا شَيْخُ قُلْ : قَرَأْنَا أَوْ صَفَعْنَا وَخَلَصْنَا . فَصَحَّكَ جَمِيعُ مَنْ كَانَ بِالْمَجْلِسِ
وَذَهَبَ غَيْظُهُ هُوَ أَيْضًا فَصَحَّكَ مَعَ النَّاسِ . وَأَتَمَّ الْغَالِي قَافِيَتَهُ
بِقَوْلِهِ مِعْوَانَا . ثُمَّ وَصَلَ الْوَزِيرُ (لَا بِنَ الطَّقِطَقِي)

١٦٣ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ظُلْمِ الدُّنْيَا :
عَبْتُ عَلَى الدُّنْيَا بِتَقْدِيمِ جَاهِلٍ وَتَأْخِيرِ ذِي لُبٍ فَأَبَدَتْ لِي الْعُذْرَا
بُنُو الْجَهْلِ أَبْنَاءِي وَأَمَّا الْوَالِدُ النَّعَى فَلَهُمْ أَبْنَاءُ ضَرَّتْنِي الْأُخْرَى

قَالَ آخِرُ فِي الشُّكْرِ:

لَقَدْ أَصَحَّتْ جِلَالُ أَبِي حُصَيْنٍ حُصُونًا فِي الْمِلَمَاتِ الصَّعَابِ
كَسَانِي طَلٍّ وَابِلِهِ وَأَوَى غَرَابٍ مَنْطِقِي بَعْدَ اغْتِرَابِ
وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سَقِيَتْ سَحَابًا فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ
قَالَ أَبُو نَعْمَانَ:

إِذَا كُنْتُ مِنْ كُلِّ الطَّلَاعِ مُرَكَّبًا فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ الْغُلُوبِ حَيِّبُ
قَالَ آخِرُ فِي قَلَّةِ الْمَرْوَةِ:

مَرَرْتُ عَلَى الْمَرْوَةِ وَهِيَ تَبْكِي فَطَلْتُ لَهَا يَا تَبْكِي الْقَتَاةُ
فَقَالَتْ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَأَهْلِي جَمِيعًا دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَاؤَا
قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ فِي الْمَوَدَّةِ:

حَفِظْتُ لَكُمْ ذَاكَ الْوُدَّادَ وَصْنَتَهُ فَهَا هُوَ مَخْتَوْمٌ لَكُمْ بِخِتَامِ
فَلَا تُشْكِرُوا طِيبَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى إِلَيْكُمْ فَذَلِكَ الطِّيبُ فِيهِ سَلَامِي

مروان بن أبي حفصة وجعفر البرمكي

١٦٤ دَخَلَ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فَأَنْشَدَهُ:

أَيُّهَا تَرْجُو الْجِيَادُ حَلَاقَهُ أَبُو الْفَضْلِ سَبَاقُ الْأَصَامِيمِ جَعْفَرُ
وَزِيرُ إِذَا نَابَ الْحِلَافَةُ حَادِثُ أَشَارَ بِمَا عَنْهُ الْحَلَاقَةُ تَصَدَّرُ
قَالَ جَعْفَرُ: أَتَشْدِي مَرِيئَتِكَ فِي مَعْنَى زَائِدَةٍ فَأَنْشَدَهُ:

أَفْنَا بِالْيَمَامَةِ أَوْ نَسِينَا مُقَامًا لَا يُزِيدُ بِهِ زَوَالَا
وَقَلْنَا أَيْنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنَى وَقَدْ قَهَبَ التَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالًا
 حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَجَعَلَ يُرْسِلُ دُمُوعَهُ عَلَى خَدَّيْهِ . فَقَالَ :
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى هَذِهِ الْمَرْثِيَةِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوَلَدِهِ . قَالَ : لَا .
 قَالَ : فَلَوْ كَانَ مِنْ حَيَاتِمُ سَمِعَهَا مِنْكُمْ كَمَا كَانَ يُبْكِي عَلَيْهَا . قَالَ :
 أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ . قَالَ : فَإِنَّا كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْضَى لَكَ بِذَلِكَ وَقَدْ
 أَمَرْنَا لَكَ عَنْ مَعْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِالضَّعْفِ مِمَّا ظَنَنْتَهُ وَزِدْنَاكَ مِثْلَ
 ذَلِكَ . فَأَقْبِضْ مِنَ الْخَازِنِ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةَ دِينَارٍ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ . فَقَالَ
 مَرْوَانُ يَذْكُرُ جَعْفَرًا وَمَا سَمِعَ بِهِ عَنْ مَعْنٍ :

نَفَحَتْ مُكَافَأً عَنْ جُودِ مَعْنٍ لَنَا فِيمَا تَجَبَّدُ بِهِ سِجَالًا
 فَجَعَلَتْ الْمَطِيَّةَ يَا ابْنَ بَيْحَى لِنَادِيهِ وَلَمْ تُرِدِ الْمِطَالَا
 فَكَافَأَ عَنْ صَدَى مَعْنٍ جَوَادُ بِأَجُودِ رَاحَةٍ بَذَلَتْ نَوَالَا
 بَنَى لَكَ خَالِدٌ وَأَبُوكَ بَيْحَى بِنَاءً فِي الْمَكَارِمِ لَنْ يُنَالَا
 كَانَ الْبَرْمَكِيُّ لِكُلِّ مَالٍ تَجَبَّدُ بِهِ يَدَاهُ يُفَادُ مَالَا

الصلوات والصلاة

١٦٥ وَمِمَّا يُسْتَحْسَنُ مِنْ تَجْنِيسِ الصَّلَاتِ وَالصَّلَاةِ حِكَايَةُ أَحْمَدَ بْنِ
 الْمَدِيرِ . وَكَانَ إِذَا مَدَحَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَرْضَ شِعْرَهُ قَالَ لِغُلَامِهِ : أَمْضِ
 بِهِ إِلَى السُّجَيْدِ فَلَا تُفَارِقْهُ حَتَّى يُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ثُمَّ خَلِّهِ . فَتَحَامَاهُ
 الشُّعْرَاءُ إِلَّا الْأَفْرَادَ الْمُجِيدُونَ . فَجَاءَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَصْرِيُّ
 فَاسْتَأْذَنَهُ فِي النَّشِيدِ . فَقَالَ : أَعَرَفْتَ الشَّرْطَ . قَالَ : نَعَمْ وَأَنْشُدْ :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنٍ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تَتَّبَعُ الْوَلَاةُ
فَقُلْنَا أَكْثَرُ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا وَمَنْ كَفَاهُ دَجَلَةٌ وَأَقْرَبَاتُ
فَقَالُوا يُقْبَلُ الْمَدَحَاتُ لَكِنْ جَوَازُهُ عَلَى الْمَدْحِ الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَمَا تُغْنِي صَلَاتِي عِيَالِي إِنَّمَا تُغْنِي الزَّكَاةُ
فَأَمَّا إِذَا أَبِي إِلَّا صَلَاتِي وَعَاقِبَتِي الصُّومُ الشَّاعِلَاتُ
فَيَأْمُرُنِي بِكُسْرِ الصَّادِ مِنْهَا لَعَلِّي أَنْ تُنْشِطَنِي الصَّلَاتُ
فَقَضَعْتُ لِي عَلَى هَذَا حَيَاتِي وَيَصْلُحُ لِي عَلَى هَذَا الْمَنَاتُ

فَصَحَّحَكَ وَاسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ دِينَارٍ (للشريشي)

١٦٦ حَدَّثَ الصُّوْلِيُّ قَالَ: وَلِدَ لِلِهَادِي وَلَدٌ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
فَدَخَلَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَأَنشَدَهُ:

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الْأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ أَصِيدُ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
فَأَكْتَسَتِ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً وَاسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِلَادِهِ
وَأَبْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرْحَةٍ عَلَتْ بِهَا ذِرْوَةُ أَعْوَادِهِ
كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
فِي تَحْظِلٍ تَحْتَقُ رَايَاةُ قَدْ طَبَقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ

فَأَمَرَ لَهُ مُوسَى بِأَلْفِ دِينَارٍ وَكَانَ سَاطِطًا عَلَيْهِ فَرَضِي عَنْهُ (الاعاني)

معن بن زائدة والثلاث جوار

١٦٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فِي بَعْضِ صُيُودِهِ قَعَطَشَ فَلَمْ يَجِدْ مَعَ

غَلَمَانِهِ مَاءً ۖ فَيَنْمَاهُو كَذَلِكَ وَإِذَا بَلَاثُ جَوَارٍ قَدْ أَقْبَلْنَ حَامِلَاتِ
ثَلَاثَ قُرْبٍ فَسَقِيَتْهُ ۖ فَطَلَبَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ مَعَ غَلَمَانِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ ۖ فَدَفَعَ
لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشْرَةَ أَشْهُمٍ مِنْ كَيْمَاتِهِ نُصُولًا مِنْ ذَهَبٍ ۖ
فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ : وَيَلَكُنَّ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشَّمَائِلُ إِلَّا لِمَنْ بَنَى زَانِدَةً ۖ
فَلْتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ شَيْئًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ۖ فَقَالَتِ الْأُولَى :

يَرْكَبُ فِي السَّهَامِ نُصُولَ تَبِيرٍ وَرَمَى لِلْعَدَى كَرَمًا وَجُودًا
فَلِلْمَرْضَى عِلَاجٌ مِنْ جِرَاحٍ وَأَكْفَانٌ لِمَنْ سَكَنَ الْخُودَا
وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ :

وَحَارِبٍ مِنْ فَرَطِ جُودٍ بَنَانِهِ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ الْأَقَارِبَ وَالْعَدَى
صَيِفَتْ نُصُولُ سِهَامِهِ مِنْ عَسَجِيدٍ كَيْ لَا يُفَوِّتَهُ الْقَارِبُ وَالنَّدَى
وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ :

وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعُدَاةَ بِأَسْهُمٍ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ صَيِفَتْ نُصُولُهَا
لِيَنْفِقَهَا الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوَانِهِ وَيَشْتَرِي الْأَكْفَانَ مِنْهَا قَتِيلَهَا

الحسين بن الضحاك عند التوكل

١٦٨ حَدَّثَ الصَّوَلِيُّ قَالَ : كَانَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ابْنٌ يُسَمَّى مُحَمَّدًا
لَهُ أَرْزَاقُ فَمَاتَ فَقُطِعَتْ أَرْزَاقُهُ ۖ فَقَالَ يُخَاطَبُ التَّوَكُّلُ وَيَسْأَلُهُ أَنْ
يَجْعَلَ أَرْزَاقَ آئِنِهِ الْمُتَوَفَّى لِزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بِوَلِيِّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَهِيدًا لِمُعْتَرٍّ أَوْ جَهْ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ

يَا أَبْنَ الْخَلَافِ الْأَوَّلِينَ وَيَا أَبَا التَّأَخَّرِينَ
 إِنَّ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَنَا أَيُّمُ تَحْتَرِمُ أَهْرَبِنَا
 وَمَضَى وَخَلَفَ صِبْيَةً بِرَاصِهِ مُتَلَدِّينَا
 وَهَيَّرَ عَبْرَى خِلَافٍ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِنَا
 أَصْبَحَ فِي رَبِّبِ الْحَوَا دِثٍ يُحْسِنُونَ بِكَ الظَّنَّوْنَا
 قَطَعَ الْوَلَاةَ جِرَايَةَ كَانُوا بِهَا مُسْتَسْكِنَا
 فَأَمَّنْ بِرَدِّ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِنَا
 أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤْمَلُ أَفْضَلُ الْمُتَغَضِّلِنَا
 (قَالَ): فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ لَهُ بِمَا سَأَلَ فَقَالَ بِشْكْرِهِ:

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْلَمَ وَلَيْسَ عَلَيَّ الْآيَامُ مِنْ بَاسٍ
 أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَدَهُ تَعَاقَبُ الْيَاسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ

الباهلي والرشد

١٦٩ قَدِمَ عَلَى الرَّشِيدِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَاهِلَةَ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ حَبْرَةٌ وَرِدَاءٌ
 يَمَانٌ قَدْ شَدَّهُ عَلَى وَسْطِهِ ثُمَّ ثَنَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ . وَعِمَامَةٌ قَدْ عَصَبَهَا عَلَى
 قَوْذِيهِ . وَأَرْحَى لَهَا عَذَبَةً مِنْ خَلْفِهِ قَتَلَ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ . قَالَ :
 سَعِيدُ يَا أَعْرَابِيُّ خُذْ فِي شَرَفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَأَتَدَفَعُ فِي شِعْرِهِ .
 فَقَالَ الرَّشِيدُ : يَا أَعْرَابِيُّ أَتَمَلِكُ مُسْتَحْسِنًا وَأَنْكُرُكَ مُتَّهِمًا . فَقُلْنَا
 بَيْنَيْنِ فِي هَذَيْنِ يَعْني مُحَمَّدًا الْأَمِينَ وَعَبْدَ اللَّهِ الْأَمُونَ أَبْنَيْهِ وَهَمَا
 جِافَاهُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلْتَنِي عَلَى الْوَعْرِ الْهَرْدِدِ . وَأَرْجَعْتَنِي

عَلَى السَّهْلِ الْحَدَرِ رَوْعَةُ الْخِلَافَةِ وَبَهْرُ الدَّرَجَةِ وَنُفُورُ السَّوَابِ عَلَى
الْبَدِيَّةِ . فَأَرَادَنِي تَتَأَلَّفَ لِي نَوَافِرُهَا وَيَسْكُنَ رَوْعِي . قَالَ : قَدْ
فَعَلْتَ وَجَعَلْتَ أَعْتَزَّكَ بَدَلًا مِنْ أَمْتِحَانِكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
نَفَسْتُ الْحِنَاقَ . وَسَهَلْتُ مَيْدَانَ السَّابِقِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

بَنَيْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ذُرِّيَّةَ الْإِسْلَامِ فَأَخْضَرَ عَوْدُهَا
هَما طُنْبَاهَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمَا وَأَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمُودُهَا
فَقَالَ الرَّشِيدُ : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ فَسَلْ وَلَا تَكُنْ مَسْتَلَكٌ دُونَ إِحْسَانِكَ .
قَالَ : الْهَيْدَةَ . فَأَمَرَ لَهُ بِمَانَةِ نَاقَةٍ وَسَبْعِ خَلْعٍ (لابن عبد ربه)
١٧٠ قَالَ الْبُسْتِيُّ يَتَذَرُ :

أَسَأْتُ إِلَى نَفْسِي وَطَأَمْتُ مِنْ قَدْرِي فَحَكَّمْ غَنَى أَخْلَاقِكَ الْغَرِّي فِي قَهْرِي
فَمَا الْعَقْلُ إِلَّا خَاتَمٌ أَنْتَ قَصَصَهُ وَعَفْوُكَ تَهْشُ الْقَصْرَ فَأَخْتِمَ بِهِ عُذْرِي
١٧١ وَقَالَ أَيْضًا فِي رِسَالَةٍ أَتَتْهُ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

مَا إِنْ سَمِعْتُ بُوَارٍ لَهُ ثَمَرٌ فِي الْوَقْتِ يَتِمُّ سَمْعُ الْمَرْءِ وَالْبَصَرُ
حَتَّى أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ مُبْتَسِمًا عَنْ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَى أَشْبَهَ الدُّرَرَا
فَكَيْفَ كَانَ لَفْظُكَ فِي آيَاتِهِ زَهْرًا وَكَانَ مَعْنَاكَ فِي أَثْنَائِهِ ثَمَرًا
تَسَابَقًا فَأَصَابَا الْقَصْدَ فِي طَلْقِ اللَّهِ مِنْ ثَمَرٍ قَدْ سَابَقَ الزَّهْرَا
١٧٢ وَقَالَ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِي بَابِ الشُّكْرِ :

أَقُولُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ مَا لَا يَشُوبُهُ رَبَّنَا وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ هُوَ صَادِقُ
رُكْبٍ مِنْ شُكْرِي وَيَرْكَ صُورَةَ فَبِرُّكَ بِي حَيُّ وَشُكْرِي نَاطِقُ

١٧٣ وَقَالَ يَمْتَدِّرُ إِلَى ابْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُوصِلِيَّ وَقَدْ حُجِبَ عَنْ بَابِهِ :
قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا وَالْمَقُومُ مِنْ شَيْبِكَ فَأَهْدِ لِعُذْرِي مَقِيلًا فِي ذُرَى كَرَمِكَ
وَإِنْ أَرَدْتَ جَعَلْتُ الْحَدَّ وَاسِطَةً حَتَّى يَكُونَ شَفِيعًا لِي إِلَى قَدَمِكَ

علي بن الحليل وزيد بن يزيد

١٧٤ وَلِدَ لِيَزِيدَ بْنِ مَزِيدِ بْنِ أَبِي فَاتَاةَ عَلِيُّ بْنُ الْحَلِيلِ فَقَالَ : أَسْمِعْ أَهْلَ
الْأَمِيرِ نَهْنَةً بِالْقَارِسِ الْوَارِدِ . فَبَسَمَ وَقَالَ : هَاتِ . فَأَنشَدَهُ :

يَزِيدُ يَا ابْنَ الصَّيْدِ مِنْ وَائِلٍ أَهْلُ الرِّئَاسَاتِ وَأَهْلُ الْمَعَالِ
يَا خَيْرَ مَنْ أَنْجَبَهُ وَالِدٌ لَيْسَ لَكَ الْقَارِسُ لَيْثُ الْتَزَالِ
جَاءَتْ بِهِ غَرَاءُ مَيْمُونَةٍ وَالسَّعْدُ يَدُو فِي طُلُوعِ الْهَلَالِ
عَلَيْهِ مِنْ مَعْنٍ وَمِنْ وَائِلٍ سَيِّمَا تَبَاشِيرٍ وَسَيِّمَا جَلَالِ
وَاللَّهُ يُنْقِيهِ لَنَا سَيِّدًا مُدَافِعًا عَنَّا صُرُوفَ اللَّيَالِ
حَتَّى تَرَاهُ قَدْ عَلَا مِنْبَرًا وَقَاضٍ فِي سُؤَالِهِ بِالنَّوَالِ
وَسَدَّ ثَغْرًا فَكُنِيَ شَرُّهُ وَقَارَعَ الْأَبْطَالَ تَحْتَ الْعَوَالِ
كَمَا كُنَّا ذَاكَ آبَاؤُهُ فَيَحْتَذِي أَفْعَالَهُمْ عَنْ مِثَالِ

فَأَصْرَلَهُ عَنْ كُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِينَارٍ (الانغاني)

١٧٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ : خَرَجَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صُمَادِحٍ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ
يَوْمًا عَلَى بَعْضِ مَنَازِلِهِ . فَحَلَّ بِرَوْضَةٍ قَدْ سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا الْبَهْجُ .
وَتَنَقَّسَتْ عَنْ مِسْكِهَا الْأَرْبَجُ . وَمَاسَتْ مَعَاطِفُ أَغْصَانِهَا . وَتَكَلَّتْ
بِالْأَلْيَةِ الطَّلَّ أَجْيَادُ قُضْبَانِهَا . فَتَشَوَّقَ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي طَالِبِ بْنِ غَانِمٍ .

أَحَدُ وُزَرَاءِ دَوْلَتِهِ . وَسُيُوفِ صَوْلَتِهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَدِيهَا فِي وَرِيقَةٍ
كَرُّنْبٍ يُعَوِّدُ مِنْ شَجَرَةٍ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَاسْقُطْ سُقُوطَ الْوَدَى عَلَيْنَا
فَقَحْنُ عَمْدٍ بَغِيرِ وَسْطَى مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا
١٧٦ أَخْبَرَانِيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ بْنِ
بَادِسٍ بِالْمَهْدِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ وَقَدْ رَمَى بِالشَّابِّ فَصَنَعْتُ فِيهِ بَدِيهَا :
يَا مَلِكًا قَدْ خُلِقَتْ كَعَفْوِهِ لَمْ تَذَرِ إِلَّا الْجُودَ وَالْبَاسَا
إِنَّ التُّجُومَ الزَّهْرَ مَعَ بَدِيهَا قَدْ حَسَدَتْ فِي قُرْبِكَ النَّاسَا
كَمَا تَمْنَى الْبَدْرُ لَوْ أَنَّهُ أَضْعَى لِنَشَابِكَ بُرْجَاسَا
١٧٧ سَخِطَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ عَلَى ابْنِ سَيَّابَةَ فَأَسْتَرْضَاهُ فَأَمْتَمَعَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ سَيَّابَةَ بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ لَحَاطَ بِجُرْمَتِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ أَنَا وَمَوْلَا
فَكَمْ أَرْجَيْتُكَ فِي آتِي لَا يُرْتَجَى فِي مِثْلِهَا أَحَدٌ فَنَاتُ السُّوَلَا
وَضَلَلْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَذْهَبَا وَوَجَدْتُ حِلْمَكَ لِي عَلَيْنِكَ دَلِيلَا
هَبْنِي أَسَاتُ وَمَا أَسَاتُ أَقْرُبُكِ يَزْدَادُ عَفْوُكَ بَعْدَ طَوْلِكَ طَوْلَا
فَالْفَوْ أَجَلُ وَالْفَضْلُ بِأَمْرِي لَمْ يَظْهَرْ الرَّاجُونَ مِنْهُ جَمِيلَا
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَضْلُ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَرَضِيَ عَنْهُ (بَدَائِعُ الْبَدَائِعِ لِلزَّيْدِيِّ)

١٧٨ وَشِي يَابْنَ سَيِّدٍ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ فَجَاهَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

وَلَا عَرَوْنَا تَقْوَا أَنْتَ ابْنُ مَنْ عَدَا يُعَوِّدُ عَفْوًا عَنْ كِبَارِ الْجَرَائِمِ

لَكُمْ آلَ عَمَّارٍ يُوتُ رَفِيعَةً تُشِيدُ مِنْ كَسْبِ الشَّا بِنَعَامٍ
 إِذَا نَحْنُ أَذْنَبْنَا رَجَوْنَا نَوَابَكُمْ وَلَمْ نَقْتَعِ بِالْعَوْدُونَ الْكَلَامِ
 وَإِنَّكَ قَرَعُ مِنْ أَصُولِ كَرِيمَةٍ وَلَا تَلْدُ الْأَزْهَارُ غَيْرَ الْكَمَامِ
 وَإِنِّي مَظْلُومٌ لِزُورِ سَمِيعَتِهِ وَقَدْ جِئْتُ أَرْجُو الْعُفُوفِي زِي ظَالِمٍ
 فَمَقَاعَنَّهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَوَصَلَهُ (الذخيرة لابن بسام)

كَبَّ ابْنُ خُرُوفٍ لِبَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

يَا مَنْ حَوَى كُلَّ مَجْدٍ بِمَجْدِهِ وَبِحِدَّةِ
 أَمَّاكَ تَجَلُّ خُرُوفٍ فَأَمْنُنْ عَلَيْهِ بِجِدَّةِ

١٧٩ كَبَّ آخَرُ إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ :

تَبَسَّمَ الشَّرْعُ عَنْ أَوْصَافِكُمْ قَسْرِي مِنْ طِيبِ عَرَفِكُمْ رِيحٌ فَأَحْيَانَا
 فَمِنْ هُنَاكَ عَشَقْنَاكُمْ وَلَمْ نَزْكَمْ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
 ١٨٠ لِأَبِي الْوَلِيدِ مِمَّا يَكْتُبُ عَلَى قَوْسٍ :

إِنِّي إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءٌ عَجَّاجَتِي وَالْحَرْبُ تَقْعُدُ بِالرَّدَى وَتَقُومُ
 وَتَقْرُ وَالْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ فَوْقِ النَّفْسِ يَحُومُ
 مَرَقْتُ لَهُمْ مَنَا الْخُتُوفُ كَأَنَّمَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ وَالسِّهَامُ نَجُومُ
 ١٨١ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَرْقُونٍ :

يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ وَطُودَ الْحِجْيِ لَا زِلْتَ مِنْ بَحْرِ الطَّلَى تَعْتَرِفُ
 عَبْدُكَ بِالْبَابِ قُفْلُ مُنْعِمَا يَدْخُلُ أَوْ يَصِيرُ أَوْ يَنْصَرِفُ
 ١٨٢ كَبَّ ابْنُ هُذَيْلٍ الْقَزَارِيُّ لِلْغَنِيِّ يَا اللَّهُ سُلْطَانُ ابْنِ الْحَطِيبِ :

لَيْسَ يَا مَوْلَايَ لِي مِنْ جَاوِرٍ إِذْ غَدَا قَلْبِي مِنَ الْبَلَوَى جُذَاذَا
غَيْرُ صَاحِبِكَ أَحْمَرُ تَكْتُبُ لِي فِيهِ يَمْنَاكَ اُعْتَاةً صَحَّ هَذَا
١٨٣ سَلَّمَ عَلَى الْمُتَنَبِّ بِغَضِّ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرُدَّ. قَالَا مُعْتَدِرَا:

إِذْ كُنْتُ حِينَ لَقَيْتَنِي مُتَوَجِّعًا لِتَغْيِبِكَ
فَشَغَلْتُ عَنْ رَدِّ السَّلَامِ وَكَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ
١٨٤ سَأَلَ الْحُجَّاجُ ابْنَ الْقُرَيْبَةِ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ مَنْ نَطَقَ
بِالسُّمْرِ. فَقَالَ: آدَمُ وَهُوَ حِينَ قَتَلَ قَايِنَ أَخَاهُ هَابِيلَ فَأَنشَدَ:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَهُ الْأَرْضِ مُغَيَّرٌ قَبِيحٌ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَلَمْ يَرُ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَالِجٌ
بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا التَّوْبَاكِ وَجَفَنِي بَعْدَ أَحْبَابِي قَرِيحٌ
فَأَجَابَهُ إِبْلِيسُ عَلَى قَوْلِهِ:

تَوُحُّ عَلَى الْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَبِالْفَرْدَوْسِ صَاقَ بِكَ الْقَسِيحُ
وَكُنْتَ بِهِ وَعِزَّكَ فِي نَعِيمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَقَلْبُكَ مُسْتَرْمِجٌ
فَمَا زَالَتْ مُكَائِدَتِي وَمَكْرِي إِلَى أَنْ فَاتَكَ الثُّنُنُّ الرِّيحُ
١٨٥ لِلْأَمِيرِ أَبِي الْقَفْجِ بْنِ أَبِي الْقَفْجِ الْمَعْرِيِّ فِي الْمَرْقَصِ:

أَبَا صَالِحٍ أَشْكُو إِلَيْكَ نَوَابِنَا عَرَّتِنِي كَمَا يَشْكُو النَّبَاتُ إِلَى الْقَطْرِ
لِنَتَظَرَّ نَحْوِي نَفْزَةً لَوْ نَظَرْتَهَا إِلَى الصَّخْرِ فَجَرَّتْ أَلْمِیُونَ مِنَ الصَّخْرِ
وَفِي الدَّارِ حُلْنِي صَبِيهُ قَدْ رَكَّبْتُهُمْ يُطْلُونَ إِطْلَالَ الْفِرَاحِ إِلَى الْوَكْرِ
جَنَيْتُ عَلَى رُوحِي بِرُوحِي جَنَايَةً فَأَثَقْتُ ظَهْرِي بِالَّذِي خَفَّ مِنْ ظَهْرِي

١٨٦ لَتَأْجِ الدِّينَ بْنَ أَبِي الْخَوَارِ فِي الْمَرْقِصِ :

وَوَاللَّهِ مَا أَخْرْتُ عَنْكَ مَدَانِحِي لَا مَرَّ سِوَى أُنِي عَجَزْتُ عَنِ الشُّكْرِ
وَقَدْ رُضْتُ فِكْرِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ فَاسْأَلْ أَنْ أَهْدِيَ إِلَى مِثْلِكُمْ شِعْرِي
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دُرًّا فَتِلْكَ نَقِصَةٌ وَإِنْ كَانَ دُرًّا كَيْفَ هَدَى إِلَى التَّجَرُّ

١٨٧ كَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ الْمُرْسِيُّ لِرَبِّيسٍ قَطَعَ عَنْهُ إِحْسَانَهُ فَقَطَعَ مَدَحَهُ :

هَلْ كُنْتُ إِلَّا طَائِرًا بَشَانِكُمْ فِي دَوْحِ مُجْدِكُمْ أَقُومُ وَأَقْعُدُ
إِنْ تَسْلُبُونِي رِيشتَكُمْ وَتَقْلَبُوا عَنِّي ظِلَالَكُمْ فَكَيْفَ أَتَعْرُدُ

١٨٨ كَتَبَ الْحَمْدَانِي إِلَى الْقَاضِي أَبِي حَصِينٍ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الرَّقَّةِ :

يَا طُولَ شَوْقِي إِنْ كَانَ الرَّحِيلُ عَدَا لَا فَرَّقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبَدًا
يَا مَنْ أَصَافِيهِ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ وَمَنْ أَخَالَصُهُ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا
رَاعَ الْفِرَاقُ فَوَادَا كُنْتُ تَوْنُهُ وَزَادَ بَيْنَ الْجُفُونِ الدَّمْعُ وَالسَّهْدَا
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ شَخْصًا لَا أَرَى أَنَا وَلَا تَطِيبُ لِي الدُّنْيَا إِذَا بَعْدَا
أَضْحَى وَأَضْحَيْتُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ أَعْدَهُ وَالِدَا إِذْ عَدَّيْنِي وَلَدَا
مَا زَالَ يَنْظِمُ فِي الشِّعْرِ مُجْتَهِدَا فَضْلًا وَأَنْظِمُ فِيهِ الشِّعْرَ مُجْتَهِدَا
حَتَّى اعْتَرَفْتُ وَعَزَّيْتُ فَضَائِلَهُ وَقَاتَ سَبْقًا وَحَازَ الْفَضْلَ مُنْفَرِدَا
إِنْ قَصَرَ الْجُهْدُ عَنْ إِدْرَاكِ غَايَتِهِ فَأَعَذَرُ النَّاسَ مِنْ أَعْطَاكَ مَا وَجَدَا
لَا يَطْرُقُ النَّازِلُ الْخُذُورُ سَاحَتَهُ وَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ الْحَادِثَاتُ يَدَا
أَبَقَ لَنَا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا يَمْرَحَتْ أَيَّامُنَا أَبَدًا فِي ظِلِّهِ جُدَا

أَلْبَابُ الْعَاثِرِ فِي الْمَدِيحِ

بلعاء بن قيس وبنو هاشم

١٨٩ قَالَ بَلْعَاءُ بْنُ قَيْسٍ: أَلْعَرَبُ كَالْبَدَنِ وَقُرَيْشُ رُوحُهَا. وَقُرَيْشُ رُوحُ وَبَنُو هَاشِمٍ سِرُّهَا وَلِبْهَاءُ. وَمَوْضِعُ غَايَةِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا مِنْهَا. وَهَاشِمٌ مِلْحُ الْأَرْضِ وَزِينَةُ الدُّنْيَا. وَحَيُّ الْعَالَمِ وَالسَّامُ الْأَضْحَمُ. وَالْكَاهِلُ الْأَعْظَمُ. وَلُبَابُ كُلِّ جَوْهَرٍ كَرِيمٍ وَسِرُّ كُلِّ غُنْصُرٍ شَرِيفٍ. وَالطَّيْنَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْمَغْرَسُ الْمُبَارَكُ وَالنِّصَابُ الْوَلِيُّ وَمَعْدِنُ الْقَهْمِ وَيَتْبَعُ الْعِلْمُ. وَتَهْلَانُ ذُو الْهِضَابِ فِي الْحِلْمِ وَالسَّيْفِ. الْحَسَامُ فِي الْعَزْمِ مَعَ الْأَنَاءِ وَالْحَزْمِ وَالصَّفْحِ عَنِ الْجُرْمِ وَالْقَصْدُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَالصَّفْحُ بَعْدَ الْمَقْدَرَةِ. وَهُمْ الْأَنْفُ الْمَقْدَمُ. وَالسَّامُ الْأَكْرَمُ. وَكَأَلْمَاءِ الَّذِي لَا يُجْبَسُ شَيْءٌ. وَكَأَلشَّمْسِ الَّتِي لَا تَمُوتُ بِكُلِّ مَكَانٍ. وَكَأَلذَّهَبٍ لَا يُرْفُ بِالنَّقْصَانِ. وَكَأَلنَجْمٍ لِلْخَيْرَانِ وَالْبَارِدِ لِلظَّمَانِ (للقيرواني)

مدح المأمون

١٩٠ قَالَ ابْنُ أَبِي طَاهِرٍ: دَخَلَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ فَتَلَقَّاهُ وَجُوهُ أَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي مَقْدَمِكَ. وَزَادَ فِي نِعْمَتِكَ وَشُكْرِكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ. تَقَدَّمْتَ مِنْ قَبْلِكَ. وَأَتَيْتَ مَنْ بَعْدَكَ. وَأَيَسْتَ أَنْ يُبَايَنَ مِثْلَكَ. أَمَا فَيَا مَضَى فَلَا تَعْرِفُهُ. وَأَمَّا

فِيَا بَنِي فَلَا تَرْجُوهُ . فَتَحْنُ جَمِيعًا نَدْعُوكَ وَنُثْنِي عَلَيْكَ . خَصَبَ لَنَا
 جَنَابُكَ وَعَذَبَ ثَوَابُكَ . وَحَسُنَتْ نَظَرُتُكَ . وَكُرُمَتْ مَقْدَرُتُكَ .
 جَبَرْتَ الْفَقِيرَ . وَفَسَكَّتَ الْأَسِيرَ . وَالْخَيْرُ بِفَنَائِكَ . وَالشَّرُّ بِسَاحَةِ
 أَعْدَائِكَ . وَالنَّصْرُ مُنَوِّطٌ بِلِوَائِكَ . وَالْخِذْلَانُ مَعَ الْوِيَةِ حُسَادِكَ .
 وَالْيَرُّ فِعْلُكَ . قَدْ طَحَّطَ عَدُوُّكَ غَضَبُكَ . وَهَزَمَ مَقَانِيَهُمْ مَشْهَدُكَ .
 وَسَارَ فِي النَّاسِ عَدْلُكَ . وَشَسَعَ بِالنَّصْرِ ذِكْرُكَ . وَسَكَنَ قَوَارِعَ
 الْأَعْدَاءِ ظَهْرُكَ . أَلْذَّهَبُ عَطَاؤُكَ . وَالْذَّوَاهُ رَمْزُكَ . وَالْأَوْرَاقُ لِحْظُكَ
 وَأَطْرَافُكَ
 (لابن عبد ربه)

مدح مقامات الحريري

١٩١ إني لم أَرِ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْأَدَبِ . وَلَا فِي تَصَانِيفِ
 النُّجُومِ وَالْعَرَبِ . كِتَابًا أَحْسَنَ تَأْلِيفًا . وَأَعْجَبَ تَصْنِيفًا . وَأَعْرَبَ تَرْصِيفًا .
 وَأَشْمَلَ لِلْحَجَابِ الْعَرَبِيَّةِ . وَأَجْمَعَ لِلْغَرَائِبِ الْأَدَبِيَّةِ . وَأَكْثَرَ تَصْنِيفًا
 لِأَمْثَالِ الْعَرَبِ . وَنُكَّتِ الْأَدَبِ . مِنْ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَهَا الْإِمَامُ
 جَمَالُ النَّصْرِ . وَكَمَالُ الدَّهْرِ . أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيُّ
 الْبَصْرِيُّ بِرَدِّ اللَّهِ مُضْجِعُهُ . وَطَبِّ مَعْجَمُهُ . إِنْشَاءً فَآخِرًا . وَكِتَابًا
 بَاهِرًا . وَتَحْنِيفًا عَجِيبًا مُعْجِرًا . وَتَأْلِيفًا عَزِيزًا مُنَوِّرًا . نَعَمْ كِتَابٌ بَدِيعٌ .
 لَهُ قَدْرٌ رَفِيعٌ . قَدْ نَمَتْ حَسَنَاتُهُ . وَدَلَّتْ عَلَى الْإِنْجَازِ آيَاتُهُ . هَذَا
 وَأَخْرَجَ مَقْبُولَ النِّظَامِ . مُتَدَاوِلًا فِيهَا بَيْنَ الْأَنَامِ . أَكْبَأُ أَبْنَاءَ زَمَانِنَا
 عَلَى تَحْصِيلِهِ . وَوَاطِبُوا عَلَى تَعْمُّهِ جُلَّةِ وَتَفْصِيلِهِ . غَيْرَ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ زَمَانًا

خَبَطُوا فِيهِ خَبْطَ عَشَوَاءَ . إِذَا وَقُومَانِهِ فِي مُنْضَلَةٍ عَمَاءَ . وَلَا يَهْتَدُونَ
إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ . بَلْ يَتَرَدَّدُونَ فِي تِيهِ بِلَادَ لَدِيلٍ ... (المطرزي)

١٩٢ قَالَ الْبَرْعِيُّ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَكَمِيِّ :

إِلَى صَارِمِ الدِّينِ الْهَقِّيِّ ابْنِ مُحَمَّدٍ رَمَتْ بِي مَقَادِيرُ جَرَتْ وَخَطُوبُ
وَحَطَّتْ بِي الْأَمَالُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ لَدَى خَيْرِ مَنْ يُلَوِّي إِلَيْهِ أَدِيبُ
قَوَّافْتُ أَعْلَى النَّاسِ نَفْسًا وَمَنْصِبًا وَأَخْصَبَ رَبَّمَا وَالزَّمَانُ جَدِيبُ
هُوَ الْكُوْزُ الْفَيَاضُ فِي آلِ قَارِحٍ بِهِ الْعَيْشُ يَحْلُو وَالزَّمَانُ يَطِيبُ
عَمَامُ يَوْمُ الْخُلُقِ ظِلًّا فَسَانًا لِكُلِّ مِنَ الرَّاجِينَ فِيهِ نَصِيبُ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ جِئْتُكَ زَائِرًا وَشَأْنِي وَقِيتَ الشَّائِنِينَ عَجِيبُ
أَوَمِلَ مِنْكَ الْبَرُّ وَالْبَرُّ وَاسِعُ وَأَرْجُو نَدَاكَ الْجَمُّ وَهُوَ قَرِيبُ
فَقُمْ بِي وَعَامِلْنِي بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَإِنَّ رَجَائِي فِيكَ لَيْسَ يَحِيبُ
وَضُنُّ مَاءٍ وَجْهِي عَنْ زَمَانٍ مُعَانِدٍ وَصَلَّ حَلَّ أَنْبِيَاءَ الْقَرِيبِ غَرِيبُ
وَدُمْتَ مَنَارَ الدِّينِ مَا لَاحَ بَارِقُ وَمَا أَهْتَزَّ عُصْنُ فِي الْأَرَاكِ رَطِيبُ
وَلَا زِلْتَ مَأْمُولِي وَعَوْنِي وَنُصْرَتِي عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَتُوبُ
١٩٣ حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُدِيرِ قَالَ : مَرِضَ الْمُتَوَكِّلُ مَرَضَةً خَيفَ
عَلَيْهِ مِنْهَا . ثُمَّ عُوْفِي وَأُذِنَ لِلنَّاسِ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَدَخَلُوا عَلَى
طَبَقَاتِهِمْ كَافَّةً . وَدَخَلْتُ مَعَهُمْ فَلَمَّا رَأَيْتُ اسْتَدْنَانِي حَتَّى قُمْتُ وَرَاءَهُ
أَلْفَحْتُ وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ مُسْتَنْطِطًا فَأَنْشَدَنِي :

يَوْمَ أَنَا بِالرُّوْزِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ

أَخْلَصْتُ فِيهِ شُكْرَهُ وَوَقَّيْتُ فِيهِ بِالْأَنْدُوزِ
لَمَّا أَعْتَلَّتْ تَصَدَّعَتْ شُمَبُ الْقُلُوبِ مِنَ الصُّدُورِ
مِنْ بَيْنِ مُلْتَهَبِ الْفَوَا دِ وَبَيْنِ مُكْتَتِبِ الضَّمِيرِ
يَا عَدِّي لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَلِلْعَطَبِ الْخَطِيرِ
كَأَنْتَ جُفُونِي رَوَّةٌ أَوْ أَمَاقِي بِالْأَمْعِ الْغَزِيرِ
لَوْ لَمْ أُمْتَ جَزَعًا لَعَمَ رُكِّي إِنْنِي عَيْنُ الصُّبُورِ
يَوْمِي هُنَالِكَ كَالسَّيِّدِ نَ وَسَاعِي مِثْلُ الشُّهُورِ
يَا جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ أَوْ حَالِي عَلَى الْبَذْرِ الْمُنِيرِ
الْيَوْمَ عَادَ الدِّينُ غَضَمَ الْعُودِ ذَا وَرَقِي فَضِيرِ
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْتَ الْخِلَالَةَ وَهِيَ أَرْضِي مِنْ تَبِيرِ
قَدْ حَالَ قَشْكُ وَعَاقِدَةُ كُ عَلَى مُطَاوَلَةِ الدُّهُورِ

قَالَ الْمُتَوَكِّلُ لِلْفَتْحِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْطِقُ عَنْ نَبِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَوَدَّ تَخْصِيصَ
وَمَا قَضَيْتَا حَقَّهُ. فَقَدَّمَ بِأَن يُحْمَلَ إِلَيْهِ السَّاعَةُ خَمْسُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
١٩٤ مَدَحَ مُطِيعُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلُهَا:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِسَيِّدِ الْعَرَبِ ذِي الْغُرَرِ الْوَاضِحَاتِ وَالْثُّجَبِ
فَتَى يَزَارُ وَكَمَلَهَا وَأَخِي أَلْجُودِ حَوَى طَائِفُهُ مِنْ كَتَبِ
جَاءَ الَّذِي تُفْرَجُ الْهَمُومُ بِهِ حِينَ يُلْزُ الْوَضِيعُ بِالْحَبِ
شَهْمٌ إِذَا الْحَرْبُ شَبَّ دَارِهَا أَعَادَهُ عَوْدَةً عَلَى الْقُطْبِ
يُطْفِئُ نِيرَانَهَا وَيُوقِدُهَا إِذَا خَبَتْ نَارُهَا بِلا حَطَبِ

لَيْتُ بِمَحْتَنٍ قَدْ حَمَى أَجْمَا فَصَارَ مِنْهَا فِي مَنَزِلٍ أَشْبَهَ
شِبْلَاهُ قَدْ أَزْيَا بِهِ فَهَمَا شِبَاهُهُ فِي جَدِّهِ وَفِي لَبِ
قَدْ وَمَقَامًا شَكَلَهُ وَسِيرَتُهُ وَأَحْكَامُهُ أَكْرَمَ الْأَدَبِ
نِعَمَ الْفَتَى تُقَرَّنُ الصَّعَابُ بِهِ عِنْدَ تَجَاوِيِ الْخُصُومِ لِلرَّكَبِ
تَرَى لَهُ الْجِلْمَ وَالنَّهْيَ خُلُقًا فِي صَوْلَةٍ مِثْلِ جَا حِمِ اللَّهَبِ
سَيْفُ الْإِمَامَيْنِ ذَاكَ وَذَا إِذَا قُلَّ بِنَاةُ الْوَفَاءِ وَالْحَسَبِ
ذَا هَوَادَةٍ لَا يُخَافُ نَبَوْتَهَا وَدِينُهُ لَا يُشَابُ بِالرَّيْبِ
فَلَمَّا سَمِعَهَا مَعْنُ قَالَ لَهُ : إِنْ شِئْتَ مَدَخْنَا كَمَا مَدَخْتَنَا . وَإِنْ
شِئْتَ أَثْنَانَا . فَاسْتَحْيَا مُطِيعٌ مِنْ اخْتِيَارِ الثَّوَابِ عَلَى الدُّبُحِ وَهُوَ مُنْتَجِجٌ
إِلَى الثَّوَابِ فَأَنْشَأَ :

ثَنَا مِنْ أَمِيرٍ خَيْرٌ كَسِبَ لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ وَأَخِي ثَرَا
وَلَكِنَّ الزَّمَانَ بَرَى عِظَائِي وَمَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ
فَضَحَكَ مَعْنُ حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ : لَقَدْ لَطُفْتَ حَتَّى تَحْلُصْتَ مِنْهَا .
صَدَقْتَ لَعَمْرِي مَا مِثْلُ الدَّرَاهِمِ مِنْ دَوَاءِ . وَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
دِرْهَمٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَلَاهُ

(الآغا نِي)

١٩٥ قَالَ الْبُسْتِيُّ يُمْدَحُ آلُ فُرَيْعُونَ :

بَنُو فُرَيْعُونَ قَوْمٌ فِي وُجُوهِهِمْ نُورُ الْهُدَى وَضِيَاءُ السُّودِّ الْعَالِي
كَأَنَّمَا خُلِقُوا مِنْ سُودِّ وَعُلَا وَسَارُّ النَّاسِ مِنْ طِينٍ وَصَلَّالٍ
مَنْ تَقَى مِنْهُمْ تَقَلَّ هَذَا أَجْلُهُمْ شَأْنًا وَأَسْخَمَهُمْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

يَا سَائِلِي مَا الَّذِي حَصَلَتْ عِنْدَهُمْ دَعِ السُّؤَالَ وَقُمْ فَأَنْظُرِي إِلَى حَالِي
 أَقَادِنِي الْمَلِكُ الْيَمِينُ طَارِهُ عِزًّا وَالتَّبَسُّي سِرْبَالُ إِقْبَالِ
 وَأَشْتَقُّ مِنْ حَقِّهِ بَحْرَاطَنِي وَطَهَا حَبَابُهُ فَوْقَ أَفْكَارِي وَأَمَالِي
 فَإِنْ أَكُنْ سَاكِتًا عَنْ شُكْرِ أَنْعَمِهِ فَإِنَّ ذَاكَ لَيُعْجِزِي لَا لِإِغْثَالِي
 ١٩٦ وَقَالَ فِي أَبِي نَضْرٍ :

أَبَا نَضْرٍ نَصْرَتْ عَلَى الْأَعَادِي وَصِرَتْ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ إِمَامَا
 بِرَأْيٍ يَهْزِمُ الْجَيْشَ اللَّهُمَامَا وَعَزَمَ تَحْجِيلُ السِّيفِ الْحَمَامَا
 ١٩٧ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ :

إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
 مَا يُبَالُونَ إِذَا مَا أَفْضَلُوا مَا بَقِيَ مِنْ مَا لَهُمْ أَوْ مَا هَلَكَ
 عَقَلَتِ السُّنَنُ عَنْ قَوْلٍ لَا فَهِيَ لَا تَعْرِفُ إِلَّا هُوَ لَكَ
 مِنْهُمْ مُوسَى جَوَادٌ مَا جِدُّ لَا يَرَى مَا لَمْ يَهَبْ مِمَّا مَلَكَ
 زَيْنُوا الْأَرْضَ كَمَا قَدْ زَيْنَتْ بِجُيُومِ اللَّيْلِ آفَاقُ الْفَلَكَ
 ١٩٨ قَالَ خَالِدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَمْدَحُ أَبَا عَمْرٍو أَحِمَّةَ بْنَ الْجَلَّاحِ :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْعِزَّ مِنْ آلٍ يَثْرِبُ فَتَادِ أَبَا عَمْرٍو أَحِمَّةَ يَسْمَعُ
 بَنَى فِي الْعُلَى وَالْفَخْرِ وَالْمَجْدِ مَنْزِلًا لَهُ فَوْقَ أَكْثَافِ السَّمَاءِ كَيْنَ مَوْضِعُ
 وَإِنْ هَزَّ فِي يَوْمٍ الْكَرْبَةِ سَيْفُهُ رَأَيْتَ شُعَاعَ الْمَوْتِ فِي السِّيفِ يَلْمَعُ
 وَإِنْ وَهَبَتْ كَفَاهُ وَالنِّبْتُ هَاطِلٌ يَدُومُ عَطَاهُ وَالسَّحَابُ تَقْلَعُ
 وَيَأْمَنُ فِي أَيْسَارِهِ كُلُّ خَافٍ وَيَشْبَعُ مِنْ نِعْمَاهُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ

مَنَاقِبُ فِي الْجَلَّاحِ كَانَتْ قَدِيمَةً فَسَارَ عَلَيْهَا وَابْنُهُ يَتَبَعُ
 ١٩٩ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَمْدَحُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ:

تَرَكَ الْمَنَازِلَ وَالسَّرِيرَ قَوَاضِيًا وَلَهُ مَنَازِلٌ لَوْ يَشَاءُ وَسَرِيرٌ
 وَلِغَيْرِهِ يُجْبَى الْحَرَاجُ وَإِنَّمَا يُجْبَى إِلَيْهِ مَحَامِدُ وَأَجُورُ
 ٢٠٠ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَمْدَحُ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ:

إِنَّ الْأِمَامَ هُوَ الطَّيِّبُ وَقَدْ شَفَى عِلَلِ الْبَرَايَا ظَاهِرًا وَدَخِيلًا
 حَمَلَ الْبَسِيطَةَ وَهِيَ تَحْمِلُ شَخْصَهُ كَالرُّوحِ يُوجَدُ حَامِلًا مَحْمُولًا
 ٢٠١ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي الْمَدْحِ:

قَدْ هَزَرْنَاكَ فِي الْمَكَارِمِ غَضًا وَاسْتَلَمْنَاكَ فِي الثَّوَابِ رُكْنًا
 وَوَجَدْنَا الزَّمَانَ قَدْ لَانَ عِطْفًا وَتَأْتَى فِئَلًا وَأَشْرَقَ حُسْنًا
 فَإِذَا مَا سَأَلْتُهُ كَانَ سَحَا وَإِذَا مَا هَزَرْتُهُ كَانَ لَدْنَا
 أَنْتَ مَا هِ السَّمَاءُ أَخْصَبَ وَادِيهِ وَرَقَّتْ رِيَاضُهُ فَأَنْتَجِفْنَا
 رَزَعْنَا بِي إِلَى وَدَادِكَ نَفْسٌ قَلَمًا اسْتَضْجَبَتْ سِوَى الْفَضْلِ خِدْنَا
 ٢٠٢ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ يَمْدَحُ صَاحِبَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنَ أَيُّوبَ:

هُوَ الْعَادِلُ الظَّلَامُ لِلْمَالِ وَالْعَدَى خَزَائِنُهُ قَدْ أَقْفَرَتْ وَدِيَارُهَا
 كَرِيمٌ لَهُ نَفْسٌ تَجُودُ بِمَاحَوْتِ وَأَعْجَبُ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ اعْتَذَارُهَا
 حَسَامٌ لَهُ حَدٌّ يَرُوعُ مِثْلُ مِثْلِهِ وَصَفْحَةٌ صَفْحٌ لِلذُّنُوبِ اعْتِفَارُهَا
 لَهُ رَاحَةٌ فِي السَّلَامِ تَجْنِي جَنَانَهَا وَيَوْمَ هِيَاجِ الْحَرْبِ تَوْقُدُ نَارُهَا
 أَنَامِلُهُ طَوْرًا غُصُونُ نَوَاصِرُ وَطَوْرًا سِوْفُ دَامِيَاتٍ شِفَارُهَا

٢٠٣ قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدَحُ عَسَانَ حِينَ ارْتَحَلَ مِنْ عِنْدِهِمْ رَاجِعًا :
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حَيْرَانَا تَرَكْنَهُمْ مِثْلَ الْمَصَابِيحِ تَجْلُو لَيْلَةَ الظُّلُمِ
 هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْأَلْوَادِ وَالنِّعَمِ
 أَحْلَامُ عَادٍ وَأَجْسَادُ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الْمَقَةِ وَالْأَقَاتِ وَالْأَنَمِ
 ٢٠٤ دَخَلَ شَاعِرٌ عَلَى الْمَلِكِ الْوَاتِقِ وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي رَأَيْتُكَ سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ قَدْ دَخَلَ الْمُلُوكُ بِحَافَتِهِ وَقَامُوا
 فَكَانَتْكَ الدَّهْرُ الصَّوْلُ عَلَيْهِمْ وَكَانَهُمْ مِنْ حَوْلِكَ الْأَيَّامُ
 فَقَالَ : أَحَبَبْتُكُمْ أَهْلًا أَطْلُبُ مَا نَشَاءُ . قَالَ : يَا مَوْلَايَ
 يَدُكَ بِالْعَطِيَّةِ أَوْسَعُ مِنْ لِسَانِي بِالْمَسْئَلَةِ . فَوَهَبَهُ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِ
 ٢٠٥ قَالَ ابْنُ نُبَاتَةَ فِي الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ حِمَاةٍ :

لَنَا مَلِكٌ قَدْ قَامَتْنَا هِبَاتُهُ فَتَرَأَى الْعَطَامَتَهُ وَنَظُمُ الشَّامِتَانَا
 يُذَكِّرُنَا أَخْبَارَ مَنْ بَجُودِهِ وَنُشِي لَهُ لَفْظًا قَيْشِي لِنَامَتِي
 ٢٠٦ وَأَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي الْقَسَمِ عَلَى الْمَدْحِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ بِأَيْتِمَانِ
 وَمَنْ قَامَ فِي الْمَقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ بِأَثْبَتَ مِنْ إِدْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
 لَمَّا حُلِفَتْ كَفَّافُكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَابِلَ لَمْ تُثَقِّلْ لَهُنَّ ثَوَانِي
 لِثَقِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلِ وَتَقْلِبِ هِنْدِي وَحَسْرِ عَنَانِ
 ٢٠٧ قَالَ شَرْفُ الدِّينِ الْفَيْرَوَانِي :

جَاوَزَ عَلِيًّا وَلَا تَحْضِلْ بِحَادِثِهِ إِذَا أَدْرَعْتَ فَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْأَسْلِ

سَلَّ عَنْهُ وَأَنْطَقَ بِهِ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ مَجْدٌ مِلَّةَ الْمَسَامِيحِ وَالْأَقْوَاهِ وَالْمُقَلِّ
 ٢٠٨ قَالَتِ الْحَنَسَاءُ فِي أُخْيَاهَا وَقَدْ أَرَادَتْ مُسَاوَاتَهُ بِأَيِّهِ مَعَ بُرَاعَةِ
 حَقِّ الْوَالِدِ بِزِيَادَةِ مَذْحٍ لَا يَنْقُصُ بِهِ حَقُّ الْوَلَدِ :

جَادَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَّا يَتَعَاوَرَانِ مُلَامَةً الْفَخْرِ
 وَهَمَّا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا صَفْرَانٍ قَدْ حَطَّأَ عَلَى وَكْرٍ
 رَقَّتْ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوَانِهِ يَجْرِي
 أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

٢٠٩ قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى فِي بَنِي سَيَانَ :
 قَوْمٌ أَبُوهُمْ سَيَانُ حِينَ تَنْسِبُهُمْ طَابُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
 لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ يَا بَابِيهِمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعْدُوا
 وَقَالَ يَمْدَحُ هَرَمُ بْنُ سَيَانَ :

وَأَبْيَضَ قِيَاضُ يَدَاهُ عِمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تَقَبُّ قَوَاضِلُهُ
 تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
 أَخُو بَقِيَّةٍ لَا تُتْلَفُ الْخَمْرُ مَالُهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ الْمَالُ نَائِلُهُ
 ٢١٠ قَالَ أَغَشَى قَيْسُ يَمْدَحُ الْأَسْوَدَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَخَا الثُّعْمَانَ :

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَا كَبَتْ وَجُوهُ الرِّجَالِ
 فَرَعُ نَجْمٍ يَهْتَرُ فِي عُصْنِ التَّجْدِ غَزِيرُ اللَّهِ عَظِيمُ الْجَمَالِ
 فَإِذَا مِنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ تَحْزُو نَاوَكَبُ الَّذِي يُطِيعُكَ عَالِ
 ٢١١ قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ :

لَوْ كَانَتْ الرِّيحُ حَقًّا تَحْمِلُ الْخَبْرَا
إِلَى الشُّجَاعِ الَّذِي مَا سَلَ صَارِمُهُ
لَيْتُ يُلَاقِي رِجَالَ الْحَرْبِ مُقْتَدِرَا
يَا حَامِيَا عَنَسَ قَدْ بَنَيْنَا عَلَى وَجَلٍ
لَقَدْ رَجَوْنَاكَ عِنْدَ الْخُطْبِ تُدْرِكُنَا
قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ يَمْدَحُ أَبَا دُلْفٍ وَكَانَ قَتَلَ قَرْقُورَ فِي الْحَرْبِ:

إِمْتَدِخْ مِنْ وَائِلِ رَجُلَا
الْمَنَآيَا فِي مَنَاقِبِهِ
مَلِكٌ تَسْدَى أَنَامِلُهُ
مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ
يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ قَسَدَتْ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ
وَزُخُوفٌ فِي صَوَاهِلِهِ
قُدَّتْهُ وَالْمَوْتُ مُكْتَنٍ
زُرَّتْهُ وَالْخَيْلُ عَابِسَةٌ
خَارِجَاتٍ تَحْتَ رَايَاتِهَا

عَصَرَ الْأَفَاقَ فِي عُصْرِهِ
وَالْمَطَايَا فِي ذُرَا حُجْرِهِ
كَأَنِّي لَأَجِ النَّوْءَ عَنْ مَطَرِهِ
كَأَنِّي سَامِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ وَمُخْتَضِرِهِ
وَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى آثَرِهِ
وَمُدِيلَ الْيَسْرِ مِنْ عُسْرِهِ
بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرِهِ
يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَحِرِهِ
كَهَيْلِ الْخَشْرِ فِي آثَرِهِ
فِي مَذَاكِبِهِ وَمُسْتَجِرِهِ
تَحْمِلُ الْبُؤْسَ عَلَى غُرِّهِ
كَخُرُوجِ الطَّيْرِ مِنْ وَكْرِهِ

وَلَقَدْ قَوَّرَ أَدْرَتَ رَحًا لَمْ تَكُنْ تَرْتَدُّ فِي فِكْرَةٍ
 قَدْ تَأْتَيْتَ الْبَقَاءَ لَهُ فَأَبَى الْمُحْتَمُومُ مِنْ قَدْرِهِ .
 فَلَمَّا أُنْشِدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي جَبَلَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ اسْتَحْسَنَهَا أَبُو دُلْفٍ
 وَسُرَّ بِهَا وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .
 ٢١٣ أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْضَرَ قَالَ : بَيْنَا أَبُو دُلْفٍ يَسِيرُ مَعَ
 أَخِيهِ مَعْقِلَ وَهَمَا إِذْ ذَاكَ بِالْعِرَاقِ إِذْ مَرَّ بِأَمْرَائَيْنِ تَتَمَاشِيَانِ .
 فَقَالَتْ إِحْدَاهُمَا لِصَاحِبَتِهَا : هَذَا أَبُو دُلْفٍ . قَالَتْ : وَمَنْ أَبُو دُلْفٍ .
 قَالَتْ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّاعِرُ : (إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ) . (قَالَ) :
 فَاسْتَعْبِرْ أَبُو دُلْفٍ حَتَّى جَرَى دَمْعُهُ . قَالَ لَهُ مَعْقِلُ : مَا لَكَ يَا أَخِي
 تَبْكِي . قَالَ : لِأَنِّي لَمْ أَقْضِ حَقَّ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ (الْإِغَانِي)

٢١٤ قَالَ آخِرُ فِي الْمَذْحِ :
 أَهْلُ بَانَ يُسْعَى إِلَيْهِ وَيُرْتَجَى وَيُزَارَ مِنْ أَقْصَى الْبِلَادِ عَلَى الرُّجَا
 فَلَقَدْ غَدَا بِالْمَكْرُمَاتِ مُقَلِّدًا وَمُوشِحًا وَخُتَمًا وَمُتَوَجًّا
 ٢١٥ قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يُمْدَحُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ :

صَاقَ الزَّمَانَ وَوَجَّهَ الْأَرْضَ عَنْ مِلْكِهِ مِلَّ الزَّمَانِ وَمِلَّ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
 وَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْقُ فِي شُغْلٍ وَالْبَجَرُ فِي نَحْلٍ
 ٢١٦ وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ أَخْلَاقًا وَأَوْفَرَهُمْ عَمَلًا وَأَسْبَغَهُمْ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ
 أَصْبَحْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بِالرَّأْيِ وَالْعَمَلِ لَا بِالْبَطْشِ وَالْجَلَدِ

لَمَنْ ضَعُفَتْ وَأَضْنَاكَ السَّامُ فَلَمْ
 لَوْ كَانَ أَفْضَلُ مَا فِي الْخَلْقِ بَطْشُهُمْ
 يَضْعَفُ قُوَى عَقْلِكَ الصَّافِي وَلَمْ يَمِدْ
 دُونَ الْعُقُولِ لَكَ أَنْ تَحْضِلَ لِلْأَسَدِ
 ٢١٧ قَالَ عُمَارَةُ الْيَمِينِيُّ :

يَا لِسَانَ الزَّمَانِ لَفْظًا وَمَعْنَى
 تَعْتَلِي كَوْكَبًا وَتَشْرُقُ شَمْسًا
 وَرَبِيعَ الْأَنَامِ كَفَا وَمَعْنَى
 وَتَحَايَ لَنَا وَتَنْهَلُ زُرْنَا
 ٢١٨ قَالَ آخَرُ :

إِذَا حَلَّتْ بِأَرْضٍ وَهِيَ مُجْدِبَةٌ
 فَلَيْسَ تَزْحَلُ إِلَّا وَهِيَ مُعْشِبَةٌ
 قَلِيلَةَ الْغَيْثِ لَمْ يَخْطُرْ بِهَا السَّارِي
 كَأَنَّمَا أَنْتَ فِيهَا رَحْمَةُ الْبَارِي
 ٢١٩ قَالَ أَبُو الْقَرَجِ الْبَيْهَقِيُّ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ :

نَدَاكَ إِذَا ضَنَّ النِّعَامُ غَمَامُ
 فَهَذَا يُبْدِلُ الرِّزْقَ وَهُوَ مُنْعُ
 وَعَزْمُكَ إِنْ قُلَّ الْخُسَامُ حُسَامُ
 وَمَنْ طَلَبَ الْأَعْدَاءَ بِالْمَالِ وَالطَّبِي
 وَذَاكَ يَرُدُّ الْجَيْشَ وَهُوَ لِهَامُ
 وَبِالسَّعْدِ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ مَرَامُ
 ٢٢٠ قَالَ أَبُو الْقَتَحِ الْبُسْتِيُّ فِي تَجَلٍّ بَعْضُ الْأَمْرَاءِ :

فَتَى جَمَعَ الْعُلَمَاءَ عِلْمًا وَعَمَةً
 كَمَا جَمَعَ التُّفَاحُ شُكْلًا وَبَهْجَةً
 وَجُودًا وَبَأْسًا لَا يُفِيقُ قَوَاقَا
 وَرَائِحَةً مَحْبُوبَةً وَمَدَامَا
 ٢٢١ قَالَ عُمَارُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَمْدَحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ لُحَيْمَةَ :

إِذَا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مَرَوْ لَيْلَةً
 إِذَا ذُكِرَ الْأَخْبَارُ مِنْ كُلِّ بَلَدَةٍ
 فَقَدْ سَارَ مِنْهَا نُورُهَا وَجَمَالُهَا
 فَهُمْ أَنْجُمٌ فِيهَا وَأَنْتَ هِلَالُهَا
 ٢٢٢ أَشَدُّ مُحَمَّدُ بْنُ هَارِيٍّ فِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ :

لَوْ خَلَدَ الدَّهْرُ ذَا عِزِّ لِعِزَّتِهِ كُنْتَ الْأَحَقُّ بِتَعْمِيرِ وَتَحْلِيدِ
تَبْلَى الْكِرَامَ وَأَثَارُ الْكِرَامِ وَمَا تَرَدَّدُ فِي كُلِّ عَصْرِ غَيْرَ تَجْدِيدِ
٢٢٣ لَا بِي الشَّيْخِ الْخُرَاصِيِّ :

عَشِقَ الْمَكَارِمَ فَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِهَا وَالْمَكْرُمَاتُ قَلِيلَةٌ الْمَشَاقِ
وَأَقَامَ سُوقًا لِلشَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ سُوقُ الشَّاءِ تُعَدُّ فِي الْأَسْوَاقِ
بَثُّ الصَّنَائِعِ فِي الْبِلَادِ فَاصْبَحَتْ تُجْبَى إِلَيْهِ عَامِدُ الْأَفَاقِ
٢٢٤ قَالَ أَبُو حُوَّةَ :

قَوْمٌ إِذَا أَفْتَحُوا الْعِجَاجَ رَأَيْتَهُمْ أَسَدًا وَخِلَتْ وُجُوهُهُمْ أَقَارًا
لَا يَبْدُلُونَ يَرْفِدُهُمْ عَنْ سَائِلٍ عَدَلُ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ أَوْ جَارًا
وَإِذَا الصَّرِيحُ دَعَاهُمْ لِلْمَمَةِ بَذَلُوا النُّفُوسَ وَفَارَقُوا الْأَعْمَارَا
وَإِذَا زَنَاذُ الْحَرْبِ أَخَذَ نَارَهَا قَدَحُوا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَارَا
٢٢٥ قَالَ الْعَرَنْدَسُ يَمْدَحُ قَوْمًا :

هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذَوُو كَرَمٍ سُؤَسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ
فِيهِمْ وَمِنْهُمْ يَبْدُ الْحُجْدِ مُتَلَدًا وَلَا يُعَدُّ نَتَا خِزْيٍ وَلَا عَارِ
لَا يَنْطَفُونَ عَنْ الْقَهْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْتَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَا قَيْتَ سَيِّدُهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
٢٢٦ قَالَ الْحَزِينُ اللَّيْثِيُّ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ طَالِبٍ :
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِفَهُ وَالَّتِي يُعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمَ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ

الْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ

٢٢٧ قَالَ أَبُو بَكْرِ الْأَرَجَانِيُّ فِي بَابِ الْفَخْرِ :

أَنَا أَشْعَرُ الْقَهْمَاءِ غَيْرُ مُدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ أَوْ أَنَا أَفْهَمُ الشُّعْرَاءِ
شِعْرِي إِذَا مَا قُلْتُ دَوْنَهُ الْوَرَى بِالطَّعِ لَا يَكْفِي الْإِلْقَاءُ
كَالْصَوْتِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ إِذَا عَلَا لِلْسَّمْعِ هَاجَ تَجَاوُبِ الْأَصْدَاءِ
٢٢٨ قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْفَسَّائِيُّ الْأَسْوَانِيُّ :

جَلَّتْ لَدَيَّ الرَّزَايَا بَلْ جَلَّتْ هَمَّتِي وَهَلْ يَضُرُّ جَلَاءَ الصَّارِمِ الذِّكْرُ
غَيْرِي يُغَيِّرُهُ عَنْ حُسْنِ شَيْئِهِ صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا يَأْتِي مِنَ الْغَيْرِ
لَوْ كَانَتْ النَّارُ لِلْيَاقُوتِ مُحْرِقَةً لَكَانَ يَشْبَهُ الْيَاقُوتُ بِالْحَجَرِ
فَلَا تَغْرَنَكَ أَطْمَارِي وَفَيْتُهَا فَإِنَّمَا هِيَ أَصْدَافُ عَلَى دُرِّ
وَلَا تَظُنَّ خَفَاءَ النُّجْمِ عَنْ صِفْرِ فَالذَّنْبُ مِنْ ذَلِكَ تَحْمُولُ عَلَى الْبَصْرِ

٢٢٩ قَالَ عَنَّا يَهْدُ هَوَازِنَ وَجْهِهِ وَكَانَا قَدْ أَغَارَا عَلَى دِيَارِ عَبَسَ :
سَكَتُ فَعَرَّأْتُ أَعْدَائِي السُّكُوتُ وَظَنُّونِي لِأَهْلِي قَدْ نَسِيتُ
وَكَيفَ أَنَامُ عَنْ سَادَاتِ قَوْمِي أَنَا فِي فَضْلِ نِعْمَتِهِمْ رَيْتُ
وَإِنْ دَارَتْ بِهِمْ خَيْلُ الْأَعَادِي وَنَادَوْنِي أَجَبْتُ مَتَى دُعِيتُ
بِسَيْفِ حَدِّهِ مَوْجُ النَّبَايَا وَرَمَحَ صَدْرُهُ الْحَنْفُ الْمَيْتُ
خَلَقْتُ مِنَ الْحَدِيدِ أَشَدَّ قَلْبًا وَقَدْ بَلَى الْحَدِيدُ وَمَا بَلِيتُ

وَأَنِّي قَدْ شَرِبْتُ دَمَ الْأَعَادِي
 وَفِي الْحَرْبِ أَلْوَانٌ وُلِدْتُ طِفْلاً
 فَمَا لِلرَّمْحِ فِي جِسْمِي نَصِيبٌ
 وَلِي بَيْتٌ عَلا فَلَكَ الثَّرَيَا
 ٢٣٠ وَقَالَ أَيضاً يَفْتَحِرُ:

أَعَادِي صَرَفَ دَهْرِي لَا يُعَادِي
 وَأُظْهِرُ نَضْحَ قَوْمٍ ضَعُوفِي
 أَعْلَلُ بِأَلْمَنِي قَلْبًا عَلِيلاً
 تُعِيرُنِي أَلْعَدَى بِسَوَادِ جِلْدِي
 وَرَدْتُ الْحَرْبَ وَالْأَبْطَالَ حَوْلِي
 وَخُضْتُ بِمُفْجِئِي بَحْرَ الْمَنَايَا
 وَعُدْتُ مُحْضَبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
 وَسَيْفِي مُرْهَفُ الْحَدِيدِ مَاضٍ
 وَرُحْمِي مَا طَمَعْتُ بِهِ طَعِينًا
 وَلَوْلَا صَارِمِي وَسَيْكَانُ رُحْمِي
 ٢٣١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبُ:

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُنَزَّرٍ
 إِنَّ الْجَمَالَ مَعَادِنُ
 أَعَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا
 فَأَعْلَمُ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا
 وَمَنَاقِبُ أَوْرَشَ تَجْدَا
 يَغَةُ وَعَدَاءُ عَلَنَدَا

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَمُدُّ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانِ قَدًا
 وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مُنَازِلٌ كَعَمًا وَنَهْدًا
 قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَقُّوا حَقَامًا وَقَدًا
 كُلُّ أَمْرٍ يُجْرِي إِلَى يَوْمِ الْهِيَاجِ بَمَا اسْتَمَدًا
 نَازَلْتُ كَبَشَهُمْ وَلَمْ أَرِ مِنْ زَالِ الْكَبَشِ بَدًا
 هُمْ يَنْذِرُونَ دَيْمِي وَأَنَا ذُرٌّ إِنْ لَقِيتُ بَانَ أَشَدًا
 كَمَنْ مِنْ أَخٍ لِي صَالِحٍ بَوَّأَهُ يَدَيَّ لِحَدًا
 مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَهُ ت وَلَا يَدُّ بَكَايَ زَنْدًا
 أَلْبَسَهُ أَثْوَابَهُ وَخَلَقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جِلْدًا
 أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِ نَأَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدًا
 ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ وَبَقِيَ مِثْلُ السِّيفِ قَرْدًا

٢٣٢ قَالَ عَتَرٌ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى دِيَارِ بَنِي زَيْدٍ فِي طَلَبِ رَأْسِ ابْنِ مُحَارِبٍ:
 أَطْوِي فَيَايَ الْفَلَاوَالِيلِ مُعْتَكِرُ وَأَقْطَعُ الْيَدَ وَالرَّمْضَاءَ تَسْتَعِرُ
 وَلَا أَرَى مُؤَنَسًا غَيْرَ الْحَسَامِ وَإِنْ قَلَّ الْأَعَادِي غَدَاةُ الرُّوعِ أَوْ كَثُرُوا
 فَمَآذِرِي يَا سِبَاعَ الْبَرِّ مِنْ رَجُلٍ إِذَا اتَّعَضَى سَيْفُهُ لَا يَنْفَعُ الْحَذَرُ
 وَرَافِقِيَنِي تَرَى هَامًا مُثْلَقَةً وَالطَّيْرَ عَاكِفَةً تُسَيِّ وَتَبْتَكِرُ
 مَا خَالِدٌ بَعْدَ مَا قَدِ سَرَتْ طَالِبُهُ بِخَالِدٍ لَا وَلَا الْجَيْدَاءُ تَفْتَحِرُ
 وَلَا دِيَارَهُمْ بِالْأَهْلِ أَيْسَهُ يَأْوِي الْغُرَابُ بِهَا وَالذِّبُّ وَالنَّمِرُ
 ٢٣٣ وَقَالَ بَعْضُ بَنِي أَسَدٍ:

وَإِنِّي لَأَسْتَفْنِي فَمَا أَبْطَرَ النَّفْيَ
وَأَعِيرُ أَحْيَانًا فَقَشَدُ عُسْرَتِي
وَمَا نَالَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ وَأَسْفَرَتْ
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي وَتَصْفُو خَلِيقَتِي
وَأَسْتَفْذُ الْمُؤَلَّى مِنَ الْأَمْرِ بَعْدَ مَا
وَأَمْتَحُهُ مَا لِي وَوُدِّي وَنُصْرَتِي
وَيَعْمُرُهُ جِلْمِي وَلَوْ شِئْتُ نَالَهُ
وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي إِذَا الْأَمْرُ نَابَنِي
وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ
وَإِنِّي لَسَهْلٌ مَا تُعَبِّرُ شَيْئِي
٢٣٤ وَلِعَنَتُهُ فِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ :

وَمَدَّ إِلَيْكَ صَرْفُ الدَّهْرِ بَاعًا
وَدَافِعٌ مَا أُسْتَطَعَتْ لَهَا دِفَاعًا
وَلَا تَبْكُ الْمُنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَيَهْتَكُنَ الْبَرَاقِعَ وَالْأَلْقَاعَا
إِذَا مَا جَسَّ كَفْكَ وَالذِّرَاعَا
يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَالَى التَّرَاثَا
لَنَا يَفْعَالًا خَبْرًا مُشَاعَا
أَقْنَا بِالذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ وَصِيرْنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا

حِصَانِي كَانَ دَلَالُ الْمَنَآيَا
وَسَفِي كَانَ فِي الْهَيْجَا طَيْبًا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خَبِرْتَ عَنْهُ
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحْمِي مَعَ جَبَانٍ
مَلَأْتُ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي
٢٣٥ وَقَالَ مُصَرِّسُ بْنُ رِيعِي :

إِنَّا لَنُضْفِحُ عَنْ مَجَاهِلٍ قَوْمَنَا
وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ
وَإِذَا تَمَوَّصُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ
وَنُيْنُ فَاغْلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ
وَنَجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّاحِ بِثَابٍ
فَقَطْلُ شَوْكَتِهَا وَنَفْثُ حَمِيهَا
وَنَحْلُ فِي دَارِ الْخِطَافِ يُؤْتَانَا
٢٣٦ وَقَالَ عَتْرَةُ الْعَبْسِيِّ :

وَأَجْهَدِي فِي عِدَاوَتِي وَعِنَادِي
إِنَّ لِي هِمَّةً أَشَدَّ مِنْ الصُّنْدِ
وَحُسَامًا إِذَا ضَرَبْتُ بِهِ اللَّهُ
وَسِنَانًا إِذَا تَسَفَّتْ فِي اللَّهِ
أَنْتِ وَاللَّهِ لَمْ تَلْمِي بِبَالِي
رِوَأَقْوَى مِنْ رَأْسَاتِ الْجِبَالِ
رَحَلْتُ عَنْهُ الْقُرُونُ الْخَوَالِي
لِ هِدَايِي وَرَدَّنِي عَنْ ضَلَالِي

وَجَوَادًا مَسَارًا لِأَسْرَى الْبَرْقِ وَرَأَهُ مِنْ اقْتِدَاحِ النَّعَالِ
 أَذْهَمُ يَصْدَعُ الدُّجَى بِسَوَادٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ غُرَّةٌ كَالْهَلَالِ
 يَفْتَدِينِي بِنَفْسِهِ وَأَفْدِيهِ بِنَفْسِي يَوْمَ الْقِتَالِ وَمَالِي
 وَإِذَا قَامَ سَوْقُ حَرْبِ الْعَوَالِي وَتَلَطَّى بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّقَالِ
 كُنْتُ دَلَالًا وَكَانَ سِنَانِي تَلَجْرَأُ يَشْتَرِي النُّفُوسَ الْعَوَالِي
 يَا سِبَاعَ أَهْلًا إِذَا اشْتَلَّ الْحَرْبُ بُ أَتْبِعِنِي مِنَ الْقَقَارِ الْحَوَالِي
 إِتْبِعِنِي تَرَى دِمَاءَ الْأَعَادِي سَائِلَاتٍ بَيْنَ الرَّبِّي وَالرَّمَالِ
 ثُمَّ عُوْدِي مِنْ بَعْدِ ذَاوِ اشْكُرِّي وَأَذْكُرِّي مَا رَأَيْتَهُ مِنْ فِعَالِي
 وَخَذِي مِنْ جَاهِمِ الْقَوْمِ قُوْنَا لِيْلِكَ الصِّغَارِ وَالْأَنْبَالِ
 ٢٣٧ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الْأَنْصَارِيُّ:

مَتَى مَا تَأْتِ يَثْرَبُ أَوْ تُرْذَهَا تَحْدِنَا نَحْنُ أَكْرَمَهَا جُدُودَا
 وَأَعْلَاهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ رُكْنَا وَالْيَنَّا لِبَاغِي الْخَيْرِ عُودَا
 وَأَخْطَبَهَا إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَأَقْصَدَهَا وَأَوْفَاهَا عُمُودَا
 إِذَا نُدْعَى لِسَارٍ أَوْ لِحَارٍ فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ بِهَا عِيدَا
 مَتَى مَا نُدْعَى فِي جُشْمٍ وَعَوْفٍ تَحْدِنِي لَا أُنْعَمُ وَلَا وَحِيدَا
 وَحَوْلِي جَمْعُ سَاعِدَةِ بْنِ عَمْرِو وَتَمِ اللَّاتِ قَدْ لَبَسُوا الْحَدِيدَا
 دَعَمْتُمْ أَنْكُمُ نَلْتُمُ مُلُوكَنَا وَرَعْمُ أَنَا نَلْنَا عِيدَا
 وَمَا نَبْعِي مِنَ الْأَحْلَافِ وَرَا وَقَدْ نَلْنَا الْمُسَوْدَ وَالْمُسَوْدَا
 ٢٣٨ قَالَ أَبُو الْقَتْحِ الْبُسْتِيُّ:

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَذِلُّ لِحَافٍ عَلَيْنَا وَلَا نَرْضَى حُكُومَةَ حَافٍ
 مَلَكْنَا الْعَوَالِي بِالْعَالِي فَجَارَنَا عَزِيزٌ وَمَنْ نَكْفُلُ بِهِ غَيْرُ خَافٍ
 وَرِنَاعِنَ إِلَّا بَادِعِنْدَ اخْتِرَامِهَا صَفَاحٌ تَغْنِي عَنْ رُسُومِ الصِّمَافِ
 تَوَمَّرْنَا أَسَافِنَا وَرِمَاحُنَا إِذَا لَمْ يُؤَمِّرْنَا لَوَاهِ الْخِلَافِ
 بَنَيْنَا بِأَطْرَافِ الْأَيْسَةِ كَعْبَةً أَطَافَ بِهَا قَسْرًا مُلُوكُ الطَّوَافِ
 مَنْ شَاءَ فَلْيَخْشُ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَلِنْ قَمَا نَقْدُنَا إِنْ قَارَضُونَا بِزَائِفِ
 وَسَوْفَ نُجَازِي بِاللَّطَائِفِ أَهْلَهَا وَتَسْقِي زَعَافَ السَّمِ أَهْلَ الْكَتَافِ
 ٢٣٩ قَالَ الْفَرِيطُ بْنُ أَتَيْفٍ يَفْتَحِرُ بِقَوْمِهِ :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِدِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانَا
 لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَدْبُهُمْ فِي الثَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بَرَاهَانَا
 لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا
 يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَقَرَّةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانَا
 كَانَ رَبِّكَ لَمْ يَخْلُقْ لِحَشِيَّتِهِ سِوَاهُمْ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَانَا
 فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا شَنُوا الْإِغَارَةَ فَرَسَانَا وَرُكْبَانَا
 ٢٤٠ وَلِلَّهِ عَنَرٌ حَيْثُ يَقُولُ :

أَنَا فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ غَيْرُ مَجْهُولِ الْمَكَانِ
 وَحُسَامِي مَعَ قَتَايِ لِعِمَالِي شَاهِدَانِ
 إِنِّي أَطْمَنُ خَصْمِي وَهُوَ يَقْظَانُ الْجَنَانِ
 أَسْفَهُ كَسَاسِ الْمَنَآيَا وَقَرَاهَا مِنْهُ دَانِ

حُلِقَ الرِّمْحُ لِكُنِّي وَالْحُسَامُ الْهُدُوَانِي
 وَمَعِيَ فِي الْمَهْدِ كَأَنَا فَوْقَ صَدْرِي يُؤْنِسَانِي
 وَإِذَا مَا الْأَرْضُ صَارَتْ وَرْدَةً مِثْلَ الدِّهَانِ
 وَالْدِّمَا تَجْرِي عَلَيْهَا لَوْنُهَا أَحْمَرُ قَانِي
 فَاسْقِيَانِي وَأَسْقِيَانِي نَعْمَةً كَيْ تَطْرِبَانِي
 أَطِيبُ الْأَصْوَاتِ عِنْدِي حُسْنُ صَوْتِ الْهُدُوَانِي
 وَصَرِيحُ الرِّمْحِ جَهْرًا فِي الْوَعْيِ يَوْمَ الطِّمَّانِ
 وَصِيَاحُ الْقَوْمِ فِيهِ وَهُوَ لِلْأَبْطَالِ دَانِ

٢٤١ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَمْدَانٍ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَيْلَ تَقْرَعُ بِالْقَنَا
 قَوَارِسُهَا حُمُرُ الْعُيُونِ دَوَامُ
 وَأَقْبَلَ رَحْمٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ
 غَمَامَةٌ دَجَنٍ أَوْ عِرَاضُ قَتَامِ
 وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتْ عَصَابَةٌ
 ذَوُو تَجَدَّاتٍ فِي الْإِلْقَاءِ كِرَامِ
 وَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي
 قَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِزَلِ
 يَقُودُهُمْ حَامِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ
 غَدَاةُ الْوَعْيِ مِنْ شَائِكَ وَسَنَامِ
 جَزَى اللَّهُ هَمْدَانَ الْجَنَانِ فَإِنَّهُمْ
 سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَالْكَرِيمُ يُحَامِي
 مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ تَسْتَضِيئُهُمْ
 سِهَامُ الْأَعَادِي عِنْدَ كُلِّ حِمَامِ
 وَقَوْمٌ يُجِبُونَ الْإِمَامَ وَهَدْيُهُ
 تَبَتْ نَاعِمًا فِي غِبْطَةٍ وَطَعَامِ
 فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ
 سِرَاعٌ إِلَى الْغَنِيمَا بِكُلِّ حُسَامِ
 لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلُوا بِسَلَامِ

٢٤٢ وَمِنَ الْمُعْجَبِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ عَجْرِ الدِّينِ بْنِ عَمْرٍو :

لَوْ كُنْتُ تَشْهَدُنِي وَقَدْ حَمَى الْوَعَى فِي مَوْقِفِ مَا الْمَوْتُ فِيهِ بِمَنْزِلِ
تَرَى أَنَا بَيْبَ الْفَنَاءِ عَلَى يَدِي تَجْرِي دَمًا مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الْقَسْطَلِ
٢٤٣ قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ تَهْدَدُ تَيُّورُكَ عَلَى لِسَانِ الظَّاهِرِ فَوْقَ
السِّيفِ وَالرُّمْحِ وَالنَّشَابِ قَدْ عَلِمْتَ مِنَّا الْحُرُوبَ فَسَلْ مِنْهَا ثَلِيكََا
إِذَا التَّقِيْنَا نَحْنُ هَذَا مُشَاهِدَةً فِي الْحَرْبِ فَأَثْبِتْ فَأَمْرُ اللَّهِ آتِيكََا
بِخِدْمَةِ الْحَرَمَيْنِ اللَّهُ شَرَفَنَا فَضْلًا وَمَلَكْنَا الْأَمْصَارَ ثَلِيكََا
وَبِالْجَمِيلِ وَحُلُو النَّصْرِ عَوَدَنَا خُذِ التَّوَارِيخَ وَأَقْرَأْهَا فَتُبَيِّنَا
وَمَنْ يَكُنْ رَبُّهُ الْفَتْاحُ نَاصِرُهُ فَمَنْ يَخَافُ وَهَذَا الْقَوْلُ يَكْفِيكََا

قصيدة ابن سناء الملك في الفخر

٢٤٤

سِوَايَ بَابِ الْمَوْتِ أَوْ زَهَابِ الرَّدَى وَغَيْرِي يَهْوَى أَنْ يَمِيشَ خُلْدَا
وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا وَلَا أَخْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدِيثُ الدَّهْرِ كَهْمُهُ لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أُمِدَّ لَهُ يَدَا
وَقَدْ عَزَمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً وَحِيلَةَ حُلُمِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِبْرَدَا
وَقَرِطُ اخْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي أَرَى كُلَّ عَارِمٍ جَلِي سُوْدُودِي سُدَى
وَيَأْتِي بِإِنَانِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدَا
وَأُظَاهِمُ إِنْ أَبَدَى لِي الْمَاءُ مِئَةً وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْجَمْرَةِ مَوْرَدَا
وَلَوْ كَانَ إِذْ رَأَيْتُ الْهَدَى بِتَذَلُّ رَأَيْتُ الْهَدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهَدَى
وَقَدَمَا بِغَيْرِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَشْيَا وَيِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الدَّهْرُ أَمْرَدَا

وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَاطِئُ الثَّرَى
وَلَوْ عَلِمْتَ زَهْرُ الثُّجُومِ مَكَانِي
أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذَا أَرَانِي فَوْقَهُمْ
وَبَدَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
وَلِي قَلَمٌ فِي أُنْمُلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ
٢٤٥ لِأَيِّ الطَّحْمَانِ الْقَيْنِي :

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
تُجُومُ سَمَاءٌ كُلَّمَا غَابَ كَوُكُوبُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مَسُودٌ
٢٤٦ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ :

وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الشَّيْرةَ أَمْرَهَا
وَتَرَوْرَأُ أَبْوَابُ الْمُلُوكِ رِكَابَنَا
وَنَحَاوِلُ الْأَمْرِ أَلْهَمَ خُطَابُهُ
٢٤٧ قَالَ أَبُو الْجَرَّاحِ الْبَكْرِيُّ :

إِنَّا لَتَيْنِي عَلَى مَا شَيْدَتْهُ لَنَا
لَا يَرْفَعُ الضَّيْفُ عَيْنًا فِي مَنَازِلِنَا
آبَاؤُنَا النَّرُّ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
إِلَّا إِلَى صَاحِكٍ مِنَّا وَمُبْتَسِمٍ

إِنِّي إِذَا كَانَ قَوْمِي فِي الْوَرَى عَلَمًا فَإِنِّي عَلِمُ فِي ذَلِكَ الْعَلَمِ
٢٤٨ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ بَقِيٍّ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ :

هُوَ الشَّعْرُ أُجْرَى فِي مِبَادِينَ سِقِهِ وَأَفْرَجَ مِنْ أَبْوَابِهِ كُلِّ مَبْهَمٍ
وَسَلَ أَهْلُهُ عَنِّي هَلْ أَمْتَرْتُ مِنْهُمْ بِطَيْبِي وَهَلْ غَادَرْتُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ
سَلَكْتُ أَسَالِيبَ الْبَدِيعِ فَأَصْبَحْتُ بِأَقْوَالِي أَلْكَابُنَ فِي الْيَدِ تَرْتَمِي
وَرَبَّمَا غَنَى بِهِ كُلُّ سَاجِدٍ بِرَدِّهِ فِي شَجْوِهِ وَالْتَرَمِ
وَضِعَيْ قَوْمِي لِأَنِّي لِسَانُهُمْ إِذَا أَقِيمَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ التَّكَلُّمِ
وَطَالَبَنِي تَهْرِي لِأَنِّي زَيْتُهُ وَأَنِّي فِيهِ غُرَّةٌ فَوْقَ أَهْمِ
٢٤٩ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَوْلُهُ :

إِنَّ الدَّوَابَّ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتَهُمْ قَدْ يَنْسَوْنَ سُنَّا لِلنَّاسِ تَتَبِعْ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِّيَّتُهُ تَقْوَى إِلَهِهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَافِلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّاتٍ إِنْ الْخَلَّاتِقَ فَأَعْلَمَ شَرَّهَا الْبِدْعُ
لَوْ كَانَ فِي النَّاسِ سَابِقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعْ
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبَقُهُمْ أَوْ وَارَتْهُمُ أَهْلُ مَجْدٍ بِالْأَنْدَى مِنْهُمْ
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصِيدُوا فَلَا ضُورَ وَلَا هَالِمَ
وَلَا يَضُنُّونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ فِي مَطْمَعٍ طَمَعُ
كَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعَ

٢٥٠ وَمَا يُسْتَجَادُ لِعَبِيدِنِ الْأَرْضِ قَوْلُهُ :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ تَجْدِنَا إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ
 إِنْ كُنْتَ لَمْ تَسْمَعْ بِآبَائِنَا فَسَلْ نُبًّا أَيُّهَا السَّائِلُ
 سَائِلُ بِنَا حُجْرًا غَدَاةَ الْوَعَى يَوْمَ قَوْلِي جُمُعَهُ الْحَافِلُ
 قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ الْحَجَى يَوْمًا إِذَا أَتَيْتِ الْحَافِلُ
 كَمْ فِيهِمْ مِنْ آئِدِ سَيِّدِ ذِي نَفْحَاتٍ قَائِلُ قَاعِلُ
 مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ
 لَا يَحْرِمُ السَّائِلُ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُغْنِي سَيِّبُهُ الْعَادِلُ
 الْأَطَاعِنُ الطَّمَنَةُ يَوْمَ الْوَعَى يَذْهَلُ مِنْهُ الْبَطْلُ الْبَائِلُ

٢٥١ وَقَالَ كَتَبُ يَمْدَحُ الْأَنْصَارَ :

لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ إِنْ تَرَلَّتْ بِهِمْ شَهَابُهُ ذَاتُ مَعَاكِيرٍ وَأَوَارِ
 وَرَوْهُ السِّيَادَةُ كَارِءٌ عَنْ كَارِءٍ إِنْ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ
 ٢٥٢ قَالَ الْمُتَنَبِّي :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا بِأَنْبِي خَيْرٌ مَنْ تَسَمَّى بِهِ قَدَمُ
 أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
 الْحَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْبَيْدَاءِ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفِ وَالرَّمْحِ وَالْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ
 ٢٥٣ قَالَ جَعْفَرُ بْنُ تَمِيمٍ خِلَافَةً :

أَنَا النَّهْبُ الْإِبْرِيذُ مَالِي آفَةٌ سِوَى نَقْصِ تَمِيمِ الْمَعَانِدِ فِي تَقْدِي
 وَرُبَّ جَهْلٍ عَابَنِي بِمَحَاسِنِي وَيَقْبُحُ ضَوْءُ الشَّمْسِ فِي الْأَعْيُنِ الرَّمْدِ

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْعَجْوِ

٢٥٤ كَانَ الرَّبِيعُ أَحْمَدُ بْنُ الرَّبِيعِ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ صِفَاتُ وَأَخْلَاقُ
تَقْضِي أَنْ تُجَوِّدَ مَعَانِي الْهَجَاءِ فِيهِ . مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَسْوَدَ وَلَا
يَزَالُ يَدْعِي الذُّكَا وَأَنَّ خَاطِرَهُ مِنْ نَارِهِ . فَقَالَ فِيهِ ابْنُ قَادُوسٍ :

إِنْ قُلْتَ مِنْ نَارِ خُلِقْتُ وَقُتُّ كُلُّ النَّاسِ فَمَا
قُلْنَا صَدَقْتَ فَمَا الَّذِي أَطْعَمَكَ حَتَّى صِرْتَ فَمَا

٢٥٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي بَحْلِ :

بَرَاءَةٌ عَرَّيْتُ مِنْهَا وَمِضُّ سَنًا حَتَّى مَدَدْتُ إِلَيْهَا الْكَفَّ مُقْتَسِمًا
فَصَادَقْتُ حَجْرًا لَوْ كُنْتُ تَضْرِبُهُ مِنْ لَوْمَةٍ بِعَصَا مُوسَى لَمَا أُنْجِسًا
٢٥٦ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي آخِرِ :

أَبُو نُوحٍ دَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَدَانِي بِرَائِحَةِ الطَّعَامِ
وَقَدَّمَ بَيْنَنَا لَحْمًا سَمِينًا أَكَلْنَاهُ عَلَى طَبَقِ الْكَلَامِ
فَلَمَّا أَنْ رَفَعْتُ يَدَيَّ سَقَانِي كُؤُوسًا خَمْرُهَا رِيحُ الْمَدَامِ
فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمْآنَ آلا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغْدَى فِي الْمَنَامِ
وَقَالَ أَيْضًا فِي غَيْرِهِ :

رَأَيْتُ أَبَا زُرَّادَةَ قَالَ يَوْمًا لِحَاجِبِهِ وَفِي يَدِهِ الْحَسَامُ
لَنْ وَضِعَ الْجَوَانُ وَلَا حَافِظُ لَأَخْطِئَنَّ رَأْسَكَ وَالسَّلَامُ

فَإِنِّي الْأَرْضُ أَفْجُ مِنْ خَوَانٍ عَلَيْهِ الْخَبْرُ يَحْضُرُهُ الزَّحَامُ
٢٥٧ قَالَ آخِرُ:

لَقَدْ عَثَرْتُ بِمَجْعِ اللَّيْلِ رَجُلِي عَلَى شَخْصٍ وَلَمْ يَكْ فِي حِسَابِي
فَقَالَ مُجَابِبًا لِي أَنْتَ أَعْمَى فَكَلْتُ نَعَمْ وَدَوَّاسُ الْكِلَابِ
٢٥٨ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ فِي بَعْضِ مَنْ هَجَاهُ:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةُ الْأَعْمَارِ
٢٥٩ قَالَ جَرِيْدٌ يَهْجُو الْقِرَزْدَقَ:

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْقِرَزْدَقَ حَيٌّ وَمَا قَتَلَ الْحَيَّاتِ مِنْ أَحَدٍ قَلْبِي
٢٦٠ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي نَفْطَوِيهِ:

لَوْ أَوْحِيَ النَّحْوُ إِلَى نَفْطَوِيَةٍ مَا كَانَ هَذَا النَّحْوُ يُعْزَى إِلَيْهِ
أَحْرَقَهُ اللَّهُ بِنِصْفِ أَنْسَبِهِ وَصَيَّرَ الْبَاقِي صُرْخًا عَلَيْهِ
٢٦١ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوَلِيُّ فِي مَنْ هَجَرَهُ:

وَكُنْتُ أَخِي بِاللَّهْرِ حَتَّى إِذَا نَبَا نَبَوْتُ فَلَمَّا عَادَ عُدْتُ مَعَ اللَّهْرِ
فَلَا يَوْمَ إِقْبَالٍ عَدَدْتُكَ طَائِلًا وَلَا يَوْمَ إِذْبَارٍ عَدَدْتُكَ فِي وَثْرٍ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ أَحْلَامٍ نَائِمٍ كِلَا حَالَتِكَ مِنْ وَفَاءٍ وَمِنْ غَدْرِ
٢٦٢ هَجَا ابْنُ خُرُوفٍ مُهَذَّبَ الدِّينِ ابْنَ الطَّيِّبِ:

إِنَّ الْأَعْيُوجَ حَازَ الطِّبَّ أَجْمَعُ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَا
وَلَيْسَ يَجْمَلُ شَيْئًا مِنْ غَوَامِضِهِ إِلَّا الدَّلَائِلَ وَالْأَمْرَاضَ وَالْعِلَلَا
فِي حِيلَةِ الْبُرْءِ قُلْتُ عَنْدهُ حِيلٌ بَعْدَ اجْتِهَادٍ وَيَذِرِي لِرَدِّي حِيلَا

الرُّوحُ يَشْكُو لِحِمَانِ الْعَلِيلِ عَلَى عِلَاتِهِ فَإِذَا مَا طَبَهُ رَحَلَا
٢٦٣ مِنْ شِعْرِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَوْلُهُ فِي هَجْوِ قَاضٍ:

قَدْ يَفْتَحُ الْمَرْءُ حَانُوتًا لِعَتْمِرِهِ وَقَدْ فَتَحْتَ لَكَ الْحَانُوتَ بِالذِّينِ
بَيْنَ الْأَسَاطِينِ حَانُوتٌ بِلا غَلَقٍ تَبْتَاعُ بِالذِّينِ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
صَيَّرْتَ دِينَكَ شَاهِيئًا تَصِيدُ بِهِ وَلَيْسَ يَفْلَحُ أَصْحَابُ الشَّوَاهِينِ
٢٦٤ مِنْ شِعْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ يَهْجُو بَنِي الزُّبَيْرِ:

بَنِي أَسَدٍ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ إِنَّكُمْ مَتَى تَسْأَلُوا فَضْلًا تَضُنُّوا وَتَجْلُوا
مَتَى تَذْكُرُوهُ تَكْذِبُوا وَتُحْمَقُوا وَنِيرَانُكُمْ يُلْشَرُ فِيهَا تَحْرَقُ
إِذَا اسْتَبَقْتُ يَوْمًا قُرَيْشُ خَرَجْتُمْ بَنِي أَسَدٍ سَكَنَّا وَدُو الْخُجْدِ يَسْبِقُ
تَجِيئُونَ خَلْفَ الْقَوْمِ سُودًا وَجُوهُكُمْ إِذَا مَا قُرَيْشُ لِلْأَضَامِيمِ أَصْفَقُوا
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ لِلْوَمِ طَابَعًا يُلُوحُ عَلَيْكُمْ رَسْمُهُ لَيْسَ يَخْلُقُ
٢٦٥ قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْكُورَانِيُّ يَذُمُّ أَهْلَ مَدِينَةِ قَاسٍ:

مَشَى اللَّوْمُ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرَدًا يَجُوبُ بِأَلَدِ اللَّهِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَمَّا أَتَى قَاسًا تَلَقَّاهُ أَهْلُهَا وَقَالُوا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
٢٦٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمُرْجِ الْعَتَمِيُّ لَمَّا أَحْرَقَتْ دَارُ ابْنِ صُورَةَ بِمِصْرَ:

أَقُولُ وَقَدْ عَايَنْتُ دَارَ ابْنِ صُورَةَ وَلِلنَّارِ فِيهَا مَارِجٌ يَتَضَرَّمُ
كَذَا كُلِّ مَالٍ أَصْلُهُ مِنْ مَهَاوِشٍ فَعَمَّا قَلِيلٍ فِي نَهَارٍ يَنْفَرُمُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَافِرٌ طَالَ عَمْرُهُ فَجَاءَتْهُ لَمَّا اسْتَبْطَأَتْهُ جَهَنَّمُ
٢٦٧ قَالَ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرِ يَحْيَى بْنُ يُقَيْدٍ لَمَّا أَنْصَرَفَ عَنِ الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ ذَمَّ عِنْدَ أَهْلِهَا مَثْوَاهُ . وَصَفَرَتْ مِنْ نَائِلِهِمْ يَدَاهُ :

أَمْتُ فَيْكُمُ عَلَى الْإِفْكَارِ وَالْعَدَمِ لَوْ كُنْتُ حُرًّا أَيْ النَّفْسِ لَمْ أَقِمِ
وَذَلَّتْ أَبْيِي لَكُمْ عَذْرًا لَعَلَّكُمْ تَسْتَقِظُونَ وَقَدْ نَعِمْتُ عَنِ الْكُرَمِ
فَلَا حَديقَتُكُمْ يُجْنِي بِهَا ثَمْرُ وَلَا سَمَاوُكُمْ تَهْلُ بِالْذِّمِ
أَوْغَلْتُ فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي نِيلُ الرِّغَابِ حَتَّى أَبْتُ بِالْندَمِ
٢٦٨ قَالَ أَحْمَدُ الشَّاهِسِي يُعْجِبُوا أَبَا الْبَقَاءِ الصَّالِحِي السَّاحِرِ :

أَبَا الْبَقَاءِ خَلَاكَ اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ فَيْكَ الطَّيِّبَةُ قَدْ قَدَّتْ مِنَ الْحَجْرِ
كَمْ يَدْعِي بِمُؤْمَرٍ النِّجْمِ مَعْرِفَةً وَلَيْسَ تَفْرُقُ بَيْنَ النِّجْمِ وَالْهَرَمِ
٢٦٩ هَجَا بَعْضُ الْمَعْرِبَةِ قَبَائِلَ الْبَرِّ فَقَالَ :

رَأَيْتُ آدَمَ فِي تَوَمِي قُتِلَ لَهُ أَبَا الْبَرِّيَّةِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا
أَنَّ الْبَرَّاءَ نَسَلُ مِنْكَ إِذَا حَوَّاهُ طَالِمَهُ إِنَّ كَانَ مَارَعَمُوا

أَلْبَابُ الثَّلَاثِ عَشَرَ فِي الْأَلْفَاظِ

٢٧٠ لُنَزَّ فِي خَاتَمِ لِصَفْدِي :
وَمُسْتَدِيرُ رُوقِ الْعَيْنِ بِهَجْتِهِ كَأَنَّهُ مَلِكُ نَجْمِ الدَّجْمِ فِيهِ
حُرُوفُهُ أَرْبَعٌ قَدْ رُكِبَتْ فَإِذَا مَا قَالَتْ أَوَّلَ حَرْفٍ تَمَّ بَاقِيهِ
٢٧١ قَالَ بَعْضُهُمْ مُلْتَزِمًا فِي قَلَمٍ :

وَطَائِرٍ فِي وَصْرِهِ نَائِمٍ يَطِيرُ فِي الْأَرْضِ بِأَسْرَارِهِ
حَيَاتُهُ فِي قَطْعِ أَوْدَاجِهِ وَعَيْشُهُ فِي قَطْعِ مَنَاقِرِهِ
يَكْرَعُ مِنْ مُسْتَقْعِ الْقَارِ كِي يَأْخُذَ بِالْمِنْقَارِ مِنْ قَارِهِ
٢٧٢ قَالَ ابْنُ بُصَافَةَ مُلْغِزًا فِي الْبَيْضَةِ :

وَمَوْلُودَةٍ لَا رُوحَ فِيهَا وَإِنَّمَا لَتَقْبَلُ نَفْحَ الرُّوحِ بَعْدَ وِلَادِهَا
وَتَسْمُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى وَلَكِنْ سُمُوًا لَمْ يَكُنْ بِمُرَادِهَا
أَرَادَ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بَيْضَةَ الدَّجَاجَةِ وَفِي الثَّانِي بَيْضَةَ الْحَرْبِ
٢٧٣ أَتَشَدُّ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ رَجُلٌ لَغْزًا فِي شَبَابَةِ قَال :

وَنَاطِقَةٍ خَرَسَاءَ بَادٍ تُحِبُّهَا تَكْتَفِيهَا عَشْرُ وَعَنْهُنَّ مَخْبِرُ
يَلْذُ إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعُ حَدِيثِهَا إِذَا سُدَّ مِنْهَا مَخْرُجُ جَاشٍ مَخْرُ
٢٧٤ كَانَ ابْنُ شَيْبٍ مُقَدِّمًا فِي حَلِّ الْأَلْغَازِ لَا يَكَادُ يَتَوَقَّفُ عَمَّا يُسْأَلُ
عَنْهُ . فَتَقَاوَضَ أَبُو غَالِبٍ بْنُ الْحَصِينِ وَأَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ
فِي أَمْرِ ابْنِ شَيْبٍ هَذَا وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَلِّ اللَّغْزِ . قَال أَبُو مَنْصُورٍ :
تَمَالِ حَتَّى تَمَلَّ لَغْزًا مُحَالًا وَتَسْأَلَهُ عَنْهُ . فَظَمَ أَبُو الْمَنْصُورِ :

وَمَا شِيءٌ لَهُ فِي الرَّأْسِ رِجْلُ وَمَوْضِعُ وَجْهِهِ مِنْهُ قَفَاؤُهُ
إِذَا عَمَضَتْ عَيْنُكَ أَبْصَرْتَهُ وَإِنْ فَتَحْتَ عَيْنُكَ لَا تَرَاهُ
وَنَظَمَ أَيْضًا :

وَجَارٍ هُوَ تَبَارُ ضَعِيفُ الْعَقْلِ ضَوَّارُ
بِلَا لَحْمٍ وَلَا رِيشٍ وَهُوَ فِي الرَّنْزِ طَيَّارُ

بَطَّحَ بَارِدٍ جِدًّا وَلَكِنْ كُلُّهُ نَارُ
وَأَنْقَذَا الْفَرَزْنَ إِلَى إِلِهِ. فَكُتِبَ عَلَى الْأَوَّلِ: هُوَ طَيْفُ الْحَيَالِ. وَكُتِبَ
عَلَى الثَّانِي: هُوَ الزُّتْبِيُّ. فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: هَبِ الْفَرَزَ الْأَوَّلَ هُوَ طَيْفُ
الْحَيَالِ وَالَّتِي الثَّانِي يُسَاعِدُكَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِي الْيَتَامَى الْأَوَّلِ.
فَقَالَ: لِأَنَّ الْمَنَامَ يُفْسَرُ بِالْعَكْسِ لِأَنَّ مَنْ بَكَى يُفْسَرُ لَهُ بِالصَّحْبِ.
وَمَنْ مَاتَ يُفْسَرُ لَهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ. وَقَوْلُهُ فِي الثَّانِي هُوَ طَيَّارٌ أَنَّ أَرْبَابَ
صَنْعَةِ الْكَيْمِيَاءِ يَمْزُونُ لِلزُّتْبِيِّ بِالطَّيَّارِ وَأَقْرَارٍ وَالْآبِقِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُنَاسِبُ صِفَتَهُ. وَأَمَّا يَرْدُهُ فَظَاهِرٌ. وَلَا فِرَاطَ يَرْدِهِ ثَقُلَ
جِسْمُهُ وَجَرَمُهُ. وَكُلُّهُ نَارٌ لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَلَشَكْلِهِ فِي افْتِرَاقِهِ وَالْتِمَامِهِ.
فَأَعْجَبَا مِنْ ذِكْرِهِ وَتَوَقَّعَا عَمَلَهُ
(لَا بَنَ حُجَّةَ الْحَمَوِيِّ)

٢٧٥ قَالَ الصَّفْدِيُّ فِي الْمَدَامِ:

وَمَا شَيْءٌ حَشَاءُ فِيهِ دَاءٌ وَأَوَّلُهُ وَآخِرُهُ سَوَاءُ
إِذَا مَا زَالَ آخِرُهُ فَجَمْعُ يَكُونُ الْحَدُّ فِيهِ وَالْمَضَاءُ
وَإِنْ أَهْمَلْتَ أَوَّلَهُ فَفِعْلُ لَهُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ اُعْتِنَاءُ

٢٧٦ لِابْنِ الْمُعْتَرِي فِي شِعْمَةٍ:

صَفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ عِلَلٍ مَرْكُوزَةٌ مِثْلُ الْأَسَلِ
كَأَنَّهَا غَمْرُ الْقَتَى وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ

٢٧٧ لِلْحَلِيِّ فِي دُودِ الْقَرَى:

وَمَا حَيَوَانٌ عَكْسُهُ مِثْلُ طَرْدِهِ لَهُ جَسَدٌ سَبْطٌ وَلَيْسَ لَهُ قَلْبٌ

ضَعِيفٌ وَكَمْ أَغْنَتْ مُجَاجَةٌ رَتَمِهِ فَقِيرًا بِهِ أَمْسَى وَمَرْبَعُهُ خَصْبٌ
يُرَى مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَارَةً مِنَ الطَّيْرِ لَكِنْ دُونَهُ تُسَلُّ الْحُجُبُ
شَقِيٌّ لَنَفْعِ الْغَيْرِ يَسْتَجِنُّ نَفْسَهُ وَلَيْسَ لَهُ فِي السَّجْنِ أَكْلٌ وَلَا شَرْبٌ
٢٧٨ لِبَعْضِهِمْ فِي الْبَحْرِ :

وَحَالِ أَثْقَالِ الْبَرِّيَّةِ قَادِرٍ وَيَنْجِزُ إِنْ حَمَلَتْهُ نِصْفَ دِرْهَمٍ
يَسِيرُ بِأَيْدِي النَّاسِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَيَسْرِي بِلَا رَجُلٍ لَهُ سَيْرَ أَرْقَمٍ
٢٧٩ لِآخِرٍ فِي الْفَكْرِ :

وَمَا شَيْءٌ يُجُوبُ الْأَرْضَ سَبْقًا وَيُبْصِرُ مَا أَرَادَ يَغْيِرُ عَيْنَ
يُشَاهِدُ مَا يُرِيدُ بِلَا لُغُوبٍ وَلَا يَبْرَحُ بِلَا كَدَرٍ وَمَيْنَ
٢٨٠ لِلْمُتَتَّبِعِي فِي الْحَمَى :

وَرَايَةُ كَأَنَّ بِهَا حَيَاءٌ فَلَيْسَ تَرُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ
بَذَلَتْ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَمَاقَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ
٢٨١ وَمِنْ لَطَائِفِ مَا وَقَعَ فِي بَابِ الْأَلْفَاظِ أَنَّ شَيْخَ الشُّيُوخِ بِحَمَاءَ
كَتَبَ إِلَيَّ وَالِدِهِ مُلْفَرًا فِي بَابٍ بِقَوْلِهِ :

مَا وَاقَعْتُ بِالْمُخْرَجِ يَذْهَبُ طَوْرًا وَيَمُجِي
لَسْتُ أَخَافُ شَرَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يُمَرَّجُ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَالِدُهُ فِي الْجَوَابِ : ذَهَابَ وَتَمَجَّى وَخَوْفٌ وَشَرٌّ هَذَا
بَابُ خُصُومَةٍ . وَالسَّلَامُ

٢٨٢ قَالَ الْقَاضِي نُحْيِي الدِّينَ بْنَ عَبْدِ الظَّاهِرِ مُنْزِعًا فِي بَابٍ أَيْضًا:
 أَيُّ شَيْءٍ رَأَاهُ فِي الدَّوْرِ وَالْكَتَبِ حَجَازًا هَذَا وَذَلِكَ مُحَقَّقٌ
 هُوَ زَوْجٌ وَتَارَةٌ هُوَ فَرْدٌ وَهُوَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ يُطْرَقُ
 وَطَلِيقٌ فِي نَشَأَتِهِ وَلَكِنْ بِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُوثَقُ
 وَهُوَ فِي الْقَلْبِ يَسْتَوِي وَرَأَاهُ بَانَ تَضَوُّفُهُ لَمَنْ يَرْمَقُ
 فَاجْبِنِي عَنْهُ بَقِيَتْ مُطْلَعًا لَسْتُ فِي حَلَةِ الْأَضَائِلِ نُسَبُّ
 ٢٨٣ قَالَ صَاحِبُ دَوَائِنِ الْأَنْشَاءِ بِدِمَشْقَ الْخُرُوسَةَ مُنْزِعًا فِي فَاحِشَةٍ:
 وَمَا طَارَتْ يَهُوَى الرِّيَاضَ تَنْزَهَا وَيَسْرَحُ فِي أَفْئَانِهَا وَيَنْزِدُ
 وَفِيهِ أَخٌ إِنْ تَهَتَّ عَنْهُ فَاحِشَتُهُ تَدُلُّ عَلَى مَا قَدْ عَنَيْتُ وَتُرْشِدُ
 هَذَا الْفَرْزُ وَرَدَّ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَحَلَهُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْعَجَبِيِّ يَقُولُهُ:
 أَيَّامَنْ لَهُ مُجْدٌ أَثِيلٌ وَسُودٌ عَدَا دُونَ مَرْقَاهُ سِمَاكَ وَفَرْقَدُ
 تُقِيدُ يَسَارَ الْمُقْتَرِينَ يَمِينُهُ وَيُسْرَاهُ مِنْ يَمِينِ الْعِمَامَةِ أَجُودُ
 سَوَّالِكَ عَنْ أَنْتَى طُرُوبٍ وَلَمْ تَلْ عَلَى عُودِهَا فِي الرُّوضِ تَشْدُو وَتَنْشُدُ
 وَتَجْدُبُنِي بِالطُّوقِ عِنْدَ تَشِيدِهَا لِنَحْوِ اتِّصَابِي لَا أَطِيقُ أَفْدُ
 وَمُذْبَانَ مِنْهَا الطَّرْفُ أَمْسَتْ بِعَكْسِهَا تَخَافُ الرَّدَى يَمْنُ لَهَا يَتَرَصَّدُ
 وَإِنْ سَلَبْتَ ثَانِي الْأَخِيرِ فَإِنَّهُ عَلَى الْعَكْسِ خَافِ بَلْ يُلُوحُ وَيَشْهَدُ
 فَأُولَاهَا مَعَ مَا يَلِيهِ وَطَرَفُهَا لَنَا فَاهُ بِالْمَعْنَى الَّذِي فِيهِ يُقْصَدُ
 بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ عَزُّكَ بَادِخُ وَفِي مَفْرِقِ الْجُوزَا لَوَاؤُكَ يُعَقَّدُ
 فَخَذُهُ مُبِينًا مُنْضِيًا عَنْ إِسَاءَةٍ نِي فَإِنَّكَ لِلْإِحْسَانِ أَهْلٌ وَمُقْصَدُ

٢٨٤ وَقَالَ مُلَغَزًا فِي دُرَّةٍ :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادَاتِ يَلْقَى وَرَأَهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَاتٍ
وَرَى ذَلِكَ الْجَمَادَ عَزِيزًا غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا نِيَجَانَا
وَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانٍ ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا
وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا فَوْقَ دُفٍ يُحْرِكُ الْأَغْصَانَا
أَوْ بَدَأَ فِي مُقْصَصٍ فَأَبْنُ بُرْدٍ عِنْدَ أَسْبَاجِهِ يَصِيرُ مَهَانَا
كُهُ طَائِرٌ وَفِي ثُلْثِهِ لَكَ ذَوَارِجٌ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا
كُهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى كُلُّ خَوْدٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجَمَانَا
وَرَأَهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ عَظِيمًا وَبِضَحْفِهِ حَقِيرًا مَهَانَا
عَكْسُهُ فِي تَضْحِفِهِ زِدْ بَعْضُ فَلَمَعَى هُنَا فَكُنْ يَغْطَانَا
وَإِذَا لَمْ تَذَرِ التَّصَاحِفَ ذَرَهُ لِلَّذِي فِيهِ فَهُوَ يَذِرِي أَلْيَانَا
وَبِخَرِيفِهِ تَوَدُّبٌ مَنْ شِئْتَ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْقَانَا
ثُلَاثُهُ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِيهِ إِذَا جَاءَ يَضْحَبُ الْمَرْجَانَا
لَكِنَّ الثَّلَاثَ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَخَشٍ ذَبَّ عَنَّا تَحْفِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا
وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِذَا مَا حَضَرُوهُ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا
فَأَقْرِئْنَاهُ بِالْحَلِّ إِنْ كُنْتَ لَنَا فَهُوَ لَنْزُ عَنْ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا
٢٨٥ قَالَ الْحَمَوِيُّ فِي الْقَصَصِ :

أَيُّ مَعْنَى أَعْوَادُهُ يَتُّ شَدُوْ
وَلِجَمْعِهِ النَّبَاتِيُّ حُسْنُ مُرْقَصُ مُطَرَّبٌ وَبِالْقَلْبِ صَفَقُ
فُزْتُ مِنْ بَعْضِهِ بِسَجْمِ الْمَطْوِقِ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٨٦ (قَالَ أَغْرَابِي يُصِفُ قَوْمًا) : هُمْ لُيُوثُ عَابَاتٍ . وَغُيُوثُ
جَدَابَاتٍ . مَا فِي عُيُودِهِمْ خَوْرٌ . وَلَا فِي صَفْوِهِمْ كَدَرٌ . وَلَا فِي
خُدُودِهِمْ صَعْرٌ . وَلَا فِي عُيُونِهِمْ خَرَرٌ . وَلَا فِي صُدُورِهِمْ وَغَرٌ . وَلَا فِي
حَدِيثِهِمْ زَوْرٌ . وَلَا فِي قَوْلِهِمْ خَلْفٌ

وصف مصر

٢٨٧ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ
أَمِيرُ مِصْرَ : أَنَّ صِفَ لِي مِصْرَ . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . وَمِصْرُ
تُرْبَةٌ غَبْرَاءٌ . وَشَجَرَةٌ خَضْرَاءٌ . طُولُهَا شَهْرٌ . وَعَرْضُهَا عَشْرٌ . يَكْنُفُهَا جَبَلٌ
أَغْبَرُ . وَرَمْلٌ أَغْفَرُ . يَخْطُ وَسطُهَا نَهْرٌ مَيِّتٌ الْقَدَوَاتِ . مُبَارَكُ
الرُّوحَاتِ . يَجْرِي بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . كَجَرِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَهُ أَوَانٌ .
تَظْهَرُ بِهِ عُيُونُ الْأَرْضِ وَيَنَاسِيهَا . حَتَّى إِذَا أَصْلَحَ عِجَاجُهُ . وَنَعْظَمَتْ
أَمْوَاجُهُ لَمْ يَكُنْ وُصُولُ بَعْضِ أَهْلِ الثُّغْرِ إِلَى بَعْضٍ إِلَّا فِي خِفَافِ
الْقَوَارِبِ . وَصِفَارِ الْمَرَائِبِ . فَإِذَا تَكَامَلَتْ تِلْكَ كَذَلِكَ نَكَصَ عَلَى
عَقِبِهِ كَأَوَّلِ مَا بَدَأَ فِي شِدَّتِهِ وَطَمَأَنَّنَ فِي جِدَّتِهِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَهْلُ مِلَّةٍ
مُخْصَرَةٌ يُخْرِجُونَ مِنْ كُلِّ مَحَلَّةٍ أَدَلَّةً . يُخْرِثُونَ بَطُونَ أَوْدِيَّتِهِ وَرَوَافِيهِ .
يَبْذُرُونَ الْحَبَّ . يَرْجُونَ الثَّمَارَ مِنَ الرَّبِّ لِغَيْرِهِمْ مَا سَعَوْا مِنْ كَسْبِهِمْ .

وَيُنَالُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ حَدِّهِمْ حَتَّى إِذَا اشْرَقَ وَأَشْرَفَ سَفَاهُ مِنْ فَوْقِهِ
الْنَدَى . وَعَذَاهُ مِنْ تَحْتِهِ الثَّرَى . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَدْرُجُ حِلَابُهُ . وَيُغْنِي ذُبَابُهُ .
فَيَنْبَاهِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ دُرَّةَ بَيْضَاءَ . إِذَا هِيَ غَبَرَةُ سَوْدَاءَ . فَإِذَا هِيَ
زَرْجَدَةٌ خَضْرَاءَ . فَيَتَعَالَى اللَّهُ الْعَمَلُ لِمَا يَشَاءُ . فَلَمَّا وَقَفَ عُمَرُ عَلَى كَلَامِهِ
قَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ يَا ابْنَ الْعَاصِ لَهَذَا وَصَفَتْ لِي مِصْرَ حَتَّى كَأَنِّي شَهِدْتُهَا

وصف دابة

٢٨٨ قِيلَ اشْتَرَى رَجُلٌ دَابَّةً مِنْ دَمِيرَةٍ . فَوَجَدَ بِهَا عُيُوبًا كَثِيرَةً :
فَحَضَرَ إِلَى الْقَاضِي يَشْتَكِي حَالَهُ . وَمَا أَصَابَهُ مِنَ النِّعَمِ وَنَالَهُ . فَقَالَ لَهُ
الْقَاضِي : مَا قِصَّتُكَ وَشَكْوَاكَ . وَمَا الَّذِي مِنَ النِّعَمِ وَالنِّعَمِ دَهَاكَ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاضِي . إِنِّي بِحُكْمِكَ رَاضِي . إِنِّي تَرَيْتُ مِنْ هَذَا الْغَرِيمِ
دَابَّةً اشْتَرَطْتُ لِي فِيهَا الصِّحَّةَ وَالسَّلَامَةَ . فَوَجَدْتُ بِهَا عُيُوبًا أَعْقَبَتْنِي
نَدَامَةً . وَقَدْ سَأَلْتُهُ رَدَّهَا فَأَبَى . وَقَالَ عِنْدَ رُؤْيِيهِ إِنِّي أَيْ : لَا أَهْلًا بِكَ
وَلَا مَرْحَبًا . فَقَالَ الْقَاضِي : ابْنُ مَا بِهَا مِنَ الْعُيُوبِ . وَإِلَّا جَعَلْتُكَ عَلَى
هَذِهِ الْحَشَةِ مَصْلُوبٌ . فَقَالَ : كُلُّهَا عُيُوبٌ وَذُنُوبٌ . وَهِيَ أَيُّهَا الْقَاضِي
أَنْحَسُ مَرْكُوبٍ . وَأَخْسُ مَضْجُوبٍ . إِنْ رَكِبْتُهَا رَقَسَتْ . وَإِنْ نَحَسْتُهَا
تَحَسَّتْ . وَإِنْ هَمَزْتُهَا قَمَصَتْ . وَإِنْ لَكَزْتُهَا رَقَصَتْ . وَإِنْ سُنْتُهَا
رَقَلَتْ . وَإِنْ تَزَلْتُ عَنْهَا شَرَدَتْ . تَقْطَعُ فِي يَدَيْهَا . وَصُكُّ
يَرْجُلَيْهَا . حَدْبَاهُ جَرَبَاهُ كَبَاهُ . لَا تَقُومُ حَتَّى تَحْمَلَ عَلَى الْحَشَبِ .
وَلَا تَنَامُ حَتَّى تُكْبَلَ بِالسَّلَبِ . إِنْ قَرُبْتُ مِنَ الْجِرَارِ كَسَرَتْهَا .

وَأِنْ دَنَتْ مِنْ الصِّغَارِ رَفَسَتْهُمْ . وَإِنْ دَارَ حَوْلَهَا أَهْلُ الدَّارِ
كَدَمَتْهُمْ . تَكِشُ عَلَى أَسْنَانِهَا . وَتَقْرِضُ فِي عِثَانِهَا . وَتَمِشِي فِي سَنَةِ
أَقْلٍ مِنْ يَوْمٍ . الْوَيْلُ لِرَاكِبِهَا إِنْ وَثَبَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَإِنْ رُمَتْ
تَقْدِيمُهَا تَأَخَّرَتْ . وَإِنْ لَكَزَتْهَا شَخَرَتْ وَتَخَرَّتْ . مَنْ اسْتَصْرَبَهَا
خَذَلَتْهُ . وَمَنْ سَاقَهَا رَمَتْهُ . فَتَلَّتْهُ . وَمَتَى حَمَلَهَا فَلَا تَهْضُ . وَتَقْرِضُ
فِي حَبْلِهَا . وَتُجْهِلُ مِنْ ظِلِّهَا . وَلَا تَعْرِفُ مَنْزِلَ أَهْلِهَا . كِدَامَةٌ . هَجَامَةٌ .
نَوَامَةٌ . كَانَهَا هَامَةٌ . وَهِيَ فِي الدُّوَابِّ شَامَةٌ . حَرُونَةٌ . مَلْعُونَةٌ . مُجْنُونَةٌ .
تَقْلَعُ الْوَتِدَ وَتَقْرِضُ الْجَسَدَ . وَتَقْتِ الْكَيْدَ . وَلَا تَرُكُنُ إِلَى أَحَدٍ .
لُشْمٌ وَتَنْدُرٌ وَتَعْتُرُ . وَاقِفَةُ الصَّدْرِ . مَحَاوِلَةُ الظَّهْرِ . بَدَاءَةُ الْأَذْنَيْنِ .
عَمَاءُ الْعَيْنَيْنِ . طَوِيلَةُ الْأَصْبَعَيْنِ . قَصِيرَةُ الرَّجْلَيْنِ ضَيْقَةُ الْأَنْفَاسِ .
مُقَامَةُ الْأَضْرَاسِ . صَغِيرَةُ الرَّأْسِ . كَثِيرَةُ النَّعَاسِ . مَشِيهَا قَلِيلٌ . وَجَسْمُهَا
مُجِيلٌ . وَرَاكِبُهَا عَلِيلٌ . وَهُوَ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ ذَلِيلٌ . تُجْهِلُ مِنَ الْهَوَا . وَتَعْتُرُ
بِالنَّوَى . وَتُجْهِلُ بِشَعْرَةٍ . نَهَاقَةٌ شَهَاقَةٌ غَيْرُ مِطْرَاقَةٍ . وَتُخْشَرُ صَاحِبَهَا
فِي كُلِّ ضَيْقٍ . وَتَهْوِسُ عَلَيْهِ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيقِ . وَتَقْطَعُ بِهِ فِي
الطَّرِيقِ عَنِ الصَّدِيقِ . وَتَعَضُّ رُكْبَةَ الرَّفِيقِ . وَهِيَ عَدِيمَةُ التَّوْفِيقِ .
عَلَى التَّحْقِيقِ . فَإِنْ رَدَّهَا فَارَكِمَ جَانِبَهُ . وَإِنْ لَمْ يَرُدَّهَا فَاصْفَعْ غَارِبَهُ . وَفَكَ
مَضَارِبَهُ . وَلَا تَحْجُجْنِي أَنْ أَضَارِبَهُ . وَالسَّلَامُ (الْكُزْ الْمَدْفُونُ لِلْسَيُوطِيِّ)

وصف ابليس لنفسه

٢٨٩ قَالَ شَيْخُ الْعَفَارِيَةِ الطُّغَاةِ الْمُصَالِيَةِ: إِنِّي مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ

وَبَعِيدِ الْحِدَتَانِ . أَضَلَّتْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ . بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالنَّوَسَاسِ .
وَكَانَ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ كَذَا وَكَذَا أَلْفَ عَالَمٍ خُدَّائِي وَمَعِي .
وَجُنْدِي وَتَبَعِي . مِنْهُمْ رُؤُوسُ الرُّهَادِ . وَعُلَمَاءُ الْعُبَادِ . وَعَلَى حَبَّتِي
مَضَوْا . وَبِاتِّبَاعِ أَوَامِرِي قَضَوْا . فَأَنَافَتَهُ الْعَالَمُ . وَأَعْدَى أَعْدَاءِ بَنِي
آدَمَ . الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ . وَإِبْلِيسُ الدِّمِيمُ . اسْمُ ذَاتِي . وَوَصَفُ
صِفَاتِي . أَنَا رَأْسُ الْفَارِيتِ الْمُتَرَدِّينَ . وَمَحَلُّ غَضَبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
خُلِقْتُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ . وَطُبِعْتُ عَلَى الْفَاءِ الْبَوَارِ وَاللَّامِ . رُجُومُ
النُّجُومِ إِنَّمَا أُعِدَّتْ لِأَخِي . وَغَتَاةُ الْغَوَاةِ لَا تَصِلُ رُؤُوسَهَا إِلَى مَوَاطِئِ
رِجْلِي . الشَّيَاطِينُ تَسْتَعِدُّ مِنْ زَوَاخِرِ مَكْرِي . وَالزَّنَدِيقُ يَقْتَسِمُ مِنْ
ضَمَائِرِ فِكْرِي . لَمْ تَمُرْ قَضِيَّةٌ مِنَ الزَّمَانِ الْغَائِبِ إِلَّا وَلِي شِرْكَةٌ فِيهَا .
وَلَا حَدَّثَتْ مِحْنَةً لِنَبِيِّ وَلَا وَلِيٍّ إِلَّا وَأَنَا مُتَعَاطِيهَا . جَدِّي إِبْلِيسُ .
نَهَضَ لَجْدِي التَّمِيسُ . وَإِلَى نَحْوِ آدَمَ هَوَى . فَصَى رَبَّهُ فَنَوَى . وَأَنَا
قَضَيْتُ بِالتَّسْوِيلِ . حَتَّى قَتَلَ قَايِنُ هَابِيلَ . أَنَا سَوَّلْتُ لِأَوْلَادٍ يَفْقُوبَ .
وَحَاوَلْتُ فِي قَضِيَّةِ أَيُّوبَ . وَأَنَا كُنْتُ الْعَوْنَ . لِهَامَانَ وَفِرْعَوْنَ .
وَجَرَأْتُ عَلَى قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ . وَتَوَصَّلْتُ بِتَرْيِينِ الْوَسْوَاسِ .
لِعَاثِلِي الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ . وَدَعَوْتُ إِلَى عِبَادَةِ النُّجْلِ
قَوْمَ مُوسَى . وَسَاعَدْتُ فِي التَّفْرِيقِ وَالْإِضْلَالِ بَيْنَ أُمَّةِ عِيسَى .
وَكَمْ أَعَوَّتُ مِنْ بُلْدَانٍ . بِمَا ذَخَرْتُ مِنْ أَوْتَانٍ . وَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْ جَمْعٍ مِنْ
مُسْتَرِّقِي السَّمْعِ وَطَنَ عَلَى أُذُنِي وَوَعَاهُ خَاطِرِي . وَوَقَرَفِي ذِهْنِي .

وَأَنَا أَشَارِفُ النَّحْوَمَ . وَأَسَارِقُ النُّجُومَ . وَأَسَاقُ الرُّجُومَ . فِي تَكْثُرِ
الْبِدْعِ . بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ . وَيَظْهَرُ مِنَ الْفِتَنِ . مَا بَطَنَ . وَيَنْفِلُ مِنْ
النَّارِ . وَأَهْلُ الْبَوَارِ وَالْحَسَارِ . أَنْوَاعُ الشُّرُورِ وَالْجِدَالِ . إِلَى حِينِ
يَظْهَرُ الدَّجَالُ . وَتَسْتَرُّ إِلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورُ . إِلَى يَوْمِ الْبَيْتِ وَالنُّشُورِ .
وَبِالْجُمْلَةِ وَالْتَفْصِيلِ . أَنَا شَيْخُ التَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ . وَتِلْكَ صَنَعَتِي مِنَ
الْإِبْتِدَاءِ . وَحِرْفَتِي إِلَى الْإِنْتِهَاءِ . أَنَسَهُمْ مَرَامِي الْمَشُومَةِ نَافِذَةٌ فِي
الْمُشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَسُيُوفُ مَنَاشِرِي السُّمُومَةِ قَاطِعَةٌ فِي الْأَعَاجِمِ .
وَالْأَعَارِبِ . كَمْ لِي فِي الْأَطْرَافِ وَالْأَفَاقِ وَالْأَكْتِنَافِ مِنْ قَاضٍ
وَنَائِبٍ . وَمَنَعَ مِنَ الْخَيْرِ وَحَاجِبٍ . وَكَمْ لِي مِنْ جَائِي . مَنُوطٍ
يَتَرَقَّى قُلُوبِهِمْ وَجَمَعَ سُودَانَهَا إِلَى بَابِي . وَكَمْ لِي فِي الزَّوَايَا . مِنْ
خَبَايَا . وَفِي أَصْحَابِ الرِّوَايَاتِ . مِنْ دِرَايَاتٍ . وَفِيهِ فِي التَّلَادِي . فَاقَ
الْحَاضِرَ وَالْبَادِي . يُعَلِّمُ لِي فِي الشَّيْطَانَةِ أَوْلَادِي . وَفِي الْبَيْلَةِ
حَفْدَتِي وَأَجْنَادِي . وَبِالْجُمْلَةِ غَالِبُ الطَّوَائِفِ . وَأَرْبَابُ الْوُظَائِفِ .
عَلَى بَابِ خِدْمَتِي وَاقِفٌ . وَعَلَى طَاعَةِ مَرَايِمِي لَيْلًا وَنَهَارًا عَاكِفٌ .
مُنَايَ مُنَاهُمْ . وَرِضَايَ رِضَاهُمْ . وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُ سِرِّي مُجَوَاهِمُ .
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ (ابن عربشاه)
٢٩٠ وَصَفَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ رَجُلًا فَقَالَ : إِنَّهُ بَسِيطُ الْكَفِّ . رَحْبُ
الصَّدْرِ . مُوْطَأُ الْأَكْتِنَافِ . سَهْلُ الْخُلُقِ . كَرِيمُ الطَّبَاعِ . غَيْثُ
مَغُوثٍ . وَبَحْرُ رُخُورٍ . وَضُحُوكُ السِّنِّ . بَشِيرُ الْوَجْهِ . بَادِي الْقَبُولِ .

غَيْرُ عُبُوسٍ . يَسْتَهْلِكُ بَطْلَانَهُ . وَيُحْيِيكَ بِبَشَرٍ . وَيَسْتَدِيرُكَ بِكَرَمٍ
 غَيْثٍ وَجَمِيلٍ بِبَشَرٍ . يَهْجُوكَ طَلَاقَهُ . وَرُضِيكَ بُشْرَهُ . ضَحَاكَ عَلَى
 مَا نَدَيْتَهُ . عَبْدٌ اضْيَافُهُ . غَيْرُ مُلَاحِظٍ لِأَكْبِيلِهِ . بَطِينٌ مِنَ الْعَقْلِ .
 خَمِصٌ مِنَ الْجَهْلِ . رَاجِحُ الْحِلْمِ . ثَاقِبُ الرَّأْيِ . طَيِّبُ الْخُلُقِ .
 مُحَصِّنُ الضَّرْبَةِ . مُعْطٍ غَيْرُ سَأَلٍ . كَاسٌ مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ . عَارٍ مِنْ
 كُلِّ مَلَامَةٍ . إِنْ سُئِلَ بِذَلِكَ . وَإِنْ قَالَ فَعَلْتُ (للقيرواني)

٢٩١ قَالَ مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ نَاعُورَةٍ :
 وَنَاعُورَةٍ قَدْ أَلْبَسَتْ لِحْيَاهَا مِنْ الشَّمْسِ ثَوْبًا فَوْقَ أَثَوَابِهَا الْخَضِرِ
 كَطَاوُوسِ بُسْتَانٍ تَدُورُ وَتَهْجِي وَتَقْضُ عَنْ أَرْيَاسِهَا بَلَلُ الْقَطْرِ
 ٢٩٢ قَالَ نُورُ الدِّينِ بْنُ سَعْدٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي دَوْلَابِ النَّاعُورَةِ :
 لِلَّهِ دَوْلَابٌ يَفِضُ بِسَلْسَلٍ فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْتَتْ أَفْنَاَنَا
 قَدْ طَارَحَتْهُ بِهَا الْحَمَامُ مَحْجُوهَا فَيَحْيِيهَا وَرَجَعُ الْأَلْحَانَا
 فَكَأَنَّهُ دَفٌّ يَدُورُ بِمَعْدٍ يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَنْ بَانَا
 ضَاقَتْ تَجَارِي جَفْنِهِ عَنْ دَمْعِهِ فَتَقَتَّ أَضْلَاعُهُ أَجْنَانَا

٢٩٣ قَالَ ابْنُ النَّبِيِّ :
 وَرَوْضَةٍ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا صُحَى وَعُيُونُ النَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْئَانِهَا سَحَرَا وَمَاتَ الْقُصْبُ لِلتَّمْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطَرُ قَدْ رَشَّ ثَوْبُ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى تَحَامِيرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَتْ
 ٢٩٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ الْمَرْوُوفُ بِابْنِ السَّلَاطِي :
 وَرَوْضَةٍ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ حَجَلَتْ فِيهَا صُحَى وَعُيُونُ النَّرْجِسِ انْفَتَحَتْ
 تَشَاجِرُ الطَّيْرِ فِي أَفْئَانِهَا سَحَرَا وَمَاتَ الْقُصْبُ لِلتَّمْنِيقِ وَأَصْطَلَحَتْ
 وَالْقَطَرُ قَدْ رَشَّ ثَوْبُ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى تَحَامِيرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَتْ

وَالطَّلُّ فِي سِلَاقِ النَّصُونِ كُلُّوْدِ رَطْبٍ يُصَاحِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْعَدِيدُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْعَمَامُ يَنْهَطُ
٢٩٥ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يَصِفُ رَوْضًا:

رَوْضٌ بِهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ فِي سِوَاهُ تُوَلَّفُ
فَمِنْ الْهَزَارِ تَهَازَرُ وَمِنْ الْقَضِيبِ تَتَصَفُّ
وَمِنْ النَّسِيمِ تَلَطَّفُ وَمِنْ الْعَدِيدِ تَتَطَفُّ

زهرة صفي الدين الحلبي

٢٩٦

وَرَدَّ الرَّيْحُ قَرَحًا يوروده وَبُورُ بَهْجَتِهِ وَتَوَرُّ وَرُودِهِ
وَبِحُسْنِ مَنْظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنِيقِ مَلْبَسِهِ وَوُثْيِ رُودِهِ
فَصَلْ إِذَا أَقْفَحَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مُقَاتِلُهُ وَبَيْتُ تَصِيدِهِ
يُغْنِي الْمَزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِالْأَطْفَرِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ
يَا حَبِذَا أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ وَنَبَاتُ نَاجِحِهِ وَحَبُّ حَصِيدِهِ
وَتَجَاوُبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَنَاتٍ مَعْبُدَةٍ فِي مَوَاجِبِ عُودِهِ
وَالنَّصْنُ قَدْ كَسَى الْغُلَاطِلَ بَدَمًا أَحَدَتْ يَدًا كَانُونٍ فِي تَجَرِيدِهِ
نَالَ الصَّبَا بَدَ الشَّيْبِ وَقَدْ جَرَى مَا الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُودِهِ
وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى النَّصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَخَفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ
وَأَنْظُرْ لِرَجْسِهِ الْجَنِيِّ كَأَنَّهُ طَرْفُ تَلَبَّهٍ بَدَ طُولِ هُجُودِهِ
وَأَنْجِبْ لِأَذْرُونِهِ وَبَهَارِهِ كَأَلْتَبْرِزُهُ بِأَخْتِلَافِ نُفُودِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَثُورِهِ مُتَوَعًا بِفُضُولِهِ وَعُغُودِهِ

أَوْ مَا تَرَى النِّعَمَ الرِّقِيقَ وَمَا بَدَا
وَالسُّحْبُ تَقَعْدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا
وَالنِّعَمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي حَرِّيَانِهِ
فَابْكُرْ إِلَى دَوْضِ الصَّرَاةِ وَظِلِّهَا
٢٩٧ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ زِيَادٍ فِي مَدِينَةِ وَادِي آش :

وَادِي الْأَشَاتِ يَهْمُ وَجْدِي كُلَّمَا
أَذْكُرْتُ مَا أَفَضَتْ بِكَ النِّعْمَاءُ
لِلَّهِ ظِلُّكَ وَالنَّهْجُ مُسَلِّطٌ
قَدْ بَرَدَتْ لَفْحَاتِهِ الْأَنْدَاءُ
وَالشَّمْسُ رَغَبٌ أَنْ تَفُوزَ بِلَحْظَةٍ
مِنْهُ قَطْرُ طَرَفَا الْأَفْيَاءِ
وَالنَّهْرُ يَنْسِمُ بِالْحَبَابِ كَأَنَّهُ
سَلَخَ نَضَّهُ حَبَّةَ رَقْطَاءِ
فَلِذَاكَ تَحْذَرُهُ النَّصُونُ قَيْلَهَا
أَبَدًا عَلَى جَنْبَاتِهِ إِيمَاءُ
٢٩٨ قَالَ عَجِيرُ الدِّينِ بْنُ تَمِيمٍ :

مُذِ قِيلَ لِلْأَغْصَانِ إِنَّ الْوَرْدَ قَدْ
وَأَفَى إِلَى الْأَزْهَارِ وَهُوَ أَمِيرُ
بَسَمَتْ تُفُورُ الْأَفْحَوَانِ مَسْرَةً
لِقُدُومِهِ وَتَلَوْنَ الْمُنْشُورُ

٢٩٩ قَالَ الصَّائِي فِي شِعْمَةٍ

وَلَيْلَةٍ مِنْ حَقَائِقِ الشَّهْرِ مُذْجَنَةٍ
لَا النَّجْمُ يَهْدِي الشَّرَى فِيهَا وَلَا الْقَمَرُ
كَتَفْتُ نَفْسِي بِهَا الْأَدْلَاجَ مُتَطَيًّا
عَزَمًا هُوَ الصَّارِمُ الْعَصَمَامَةُ الذَّكْرُ
إِلَى حَيْبٍ لَهُ فِي النَّفْسِ مَنَزَلَةٌ
مَا حَلَّهَا قَبْلَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرُ
وَلَا دَلِيلٌ سِوَى هَيْفَاءِ مَخْطَفَةٍ
تَهْدِي الرِّكَابَ وَجْخَ الْأَيْلِ مُعْتَكِرُ
عُضْنُ مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيذِ أَثْمَرُ فِي
أَعْلَاهُ يَأْقُوتَةُ صَفْرَاءُ تَسْتَعِيرُ

تَأْتِيكَ لَيْلًا كَمَا يَأْتِي الْمُرِيبُ فَإِنْ لَاحَ الصَّبَاحُ طَوَّتْهَا دُونَهَا الْجُدُرُ
٣٠٠ قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي فِي الشَّمْعَةِ أَيْضًا :

وَصَفْرَاءُ لَوْنِ الْتِيرِ مِثْلِي جَلِيدَةٌ عَلَى نُوبِ الْأَيَّامِ وَالْعَيْشَةِ الضَّنْكَ
تُرِيكَ أَنْتَسَامًا دَائِمًا وَتَجَلَّدًا وَصَبْرًا عَلَى مَا نَالَهَا وَهِيَ فِي الْهَلَاكِ
وَلَوْ نَظَفْتَ يَوْمًا لَقَالَتْ أَظْهَرُكُمْ تَخَالُونَ أَنِّي مِنْ حِذَارِ الرَّدَى أَبْكِي
فَلَا تَحْسَبُوا دَمْعِي لَوْجِدٍ وَجِدْتُهُ فَقَدْ تَدْمَعُ الْأَحْدَاقُ مِنْ كَثْرَةِ الضَّحْكَ

٣٠١ كَبَّ الصَّابِي فِي وَصْفِ الْبَغَاءِ إِلَى ابْنِ نَصْرِ الْمَعْرُوفِ بِالْبَغَاءِ :

أَلْفَتْهَا صَبِيحَةً مَلِيحَةً نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ يُوهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
تُعْبِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَا وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْتَارَا
بِكَمَاهِ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ تُعِيدُ مَا تَسْمَعُهُ طَبِيعَةٌ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوَطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
ضَيْفٌ قَرَاهُ الْجَوْزُ وَالْأَرْزُ وَالضَّيْفُ فِي إِيَّتَانِهِ يُعَزُّ
رَأَاهُ فِي مِتْقَارِهَا الْخُلُوفِي كَلُولُهُ يُلْقَطُ بِالْعَقِيقِ
يَمِيسُ فِي حُلَّتِهَا الْخُضْرَاءُ مِثْلُ الْفَتَاةِ الْعَادَةِ الْعُذْرَاءِ
خَرِيدَةٌ خُذُورُهَا الْأَقْفَاصُ لَيْسَ لَهَا مِنْ حَسَبِهَا خَلَاصُ
تَحْسِبُهَا وَمَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ وَإِنَّمَا ذَاكَ لِقَرِطِ الْحَبِّ
تِلْكَ الَّتِي كُلِّي بِهَا مَشْغُوفٌ كُنْتُ عَنْهَا وَأَسْمَاهُ مَعْرُوفُ
يُشْرِكُ فِيهَا شَاعِرُ الزَّمَانِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِالْبَيَّانِ

ذَلِكَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ تَقِيهِ نَفْسِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ
 ٣٠٢ قَالَ بَغْضُ الشُّرَاءِ يَصِفُ بَغْدَادَ بَعْدَ أَنْ حَاصَرَهَا طَاهِرُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ وَخَرَّبَ بَنَاءَهَا :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَدَّتْ نَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَنِيقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ وَمِنْ سَعَةٍ تَبَدَّلْنَا بِضِيقِ
 أَصَابَتَنَا مِنَ الْحُمَادِ عَيْنُ فَاقَتْ أَهْلَهَا بِالْمُخْجِقِ
 وَقَوْمٍ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا وَنَاحَتْهُ تَنُوحٌ عَلَى غَرِيقِ
 وَصَائِحَةٍ تَنَادَى وَأَصْبَحَا وَبَاكِئَةٍ لِفَقْدَانِ الشَّقِيقِ
 تَفَرُّ مِنْ الْحَرِيقِ إِلَى النَّهَابِ وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 حَيَارَى هَكَذَا وَمُفَكِّرَاتٍ عَلَيْهِنَ الْقَلَائِدُ فِي الْخُلُوقِ
 يُنَادِيَنَّ الشَّقِيقَ وَلَا شَفِيقُ وَقَدْ فُتِدَ الشَّقِيقُ مِنَ الشَّقِيقِ
 وَمُنْتَرِبٍ قَرِيبِ الدَّارِ مُلْقَى بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوَسَّطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا فَمَا يَذْرُونَ مِنْ أَيِّ الْقَرِيقِ
 فَمَا وَلَدُ يُقِيمُ عَلَى أَبِيهِ وَقَدْ فَرَّ الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى فَإِنِّي ذَاكِرُ دَارِ الرَّفِيقِ
 وَصَفَ صَبِيُّ الدِّينِ الْحَلِيُّ حَدِيثَهُ قَالَ :

وَأَطْلَقَ الطَّيْرُ فِيهَا سَمْعَ مَنْطِقِهِ مَا بَيْنَ مُخْتَلِفٍ فِيهَا وَمُتَّفِقِ
 وَالظِّلُّ يَسْرِقُ بَيْنَ الدَّوْحِ خُطْوَتَهُ وَاللَّيْلُ دَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَرْقِ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًّا مَبِاسْمَهُ وَاللَّزْجُ الْفَضْرُ فِيهَا شَاخِصٌ لُحْدَقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَضِرٍ أَوْ أَصْفَرٍ قَاقِعٍ أَوْ أَبْيَضٍ يَبْقُ
 وَالسَّحْبُ تَبْكِي وَتَقْرَأُ الْبَرْقُ مَبْتَسِمٌ وَالطَّيْرُ تَسْمَعُ مِنْ تَبْهِ وَمِنْ أَتَقُ
 فَالطَّيْرُ فِي طَرَبٍ وَالسَّحْبُ فِي حَرْبٍ وَالْمَاءُ فِي هَرْبٍ وَالنَّعْنَ فِي قَلْبٍ
 ٣٠٣ قَالَ الْقَاضِي التَّنُوخِيُّ يَصِفُ دِجْلَةَ فِي الظَّلَامِ وَالْقَمَرُ يَلْمَعُ عَلَيْهَا:
 أَحْسَنُ بِدِجْلَةَ وَالْدُّجَى مُتَصَوِّبٌ وَالْبَدْرُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ مُغْرِبٌ
 فَكَأَنَّهَا فِيهِ بِسَاطٌ أَزْرَقُ وَكَأَنَّهُ فِيهَا طِرَازٌ مُذْهَبٌ
 ٣٠٤ وَقَالَ أَيْضًا:

كَمْ لَيْلَةٍ سَامَرْتُ فِيهَا بِدْرَهَا مِنْ فَوْقِ دِجْلَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِبَا
 وَالْبَدْرُ يَخْجُجُ لِلْأَفْوَلِ كَأَنَّهُ قَدْ سَلَ فَوْقَ الْمَاءِ سَيْفًا مُذْهَبَا
 ٣٠٥ قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي حَمَامَةٍ:

وَمَا نَارِحَاتُ سَاجِمَاتٍ بِشَجْوِهَا تَرْمَحُ أَغْصَانُ النَّقَا وَتَرْمَحُ
 تَسُوحُ إِلَّا إِلْفٍ وَتَمْلِي غَرَامَهَا عَلَى وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَالطَّلُ يَرْقُمُ
 وَتُشْرِبُ فِي الْحَانِهَا وَفُتُونَهَا فَتُعْرِبُ عَنْ أَشْجَانِهَا وَهِيَ تُجِيمُ
 وَتَنْظُرُ فَرْحَتَهَا قَدْ اخْتَطَفَتْهَا كَوَاسِرُ أَطْيَارٍ عَلَى الْأَفْقِ حُومُ
 تَرَامَتْ بِهَا أَيْدِي النَّوَى عَنْ وَكُونِهَا فَلَا عَيْنُهَا يَصْفُو وَلَا يَتَصَرَّمُ
 بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ سِوَى أَنَّهَا تَبْدِي الْفَرَامَ وَانْكَمُ
 ٣٠٦ مِنَ الْمُعْجَبِ قَوْلُ بَدْرِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ لَوْلُوهِ مِنْ قَصِيدَةٍ:

بَاكِزًا إِلَى الرُّوضَةِ تَسْتَحِلُّهَا فَتَقْرَعُهَا فِي الصَّبْرِ بَسَامُ
 وَالتَّرْجِسُ النُّعْضُ اعْتَرَاهُ الْحَيَا فَفَضَّ طَرَفًا فِيهِ أَسْقَامُ

وَبَلْبُلُ الدَّوْحِ فَصِيحٌ عَلَى الْإَيْكَةِ وَالشَّعْرُورُ تَتَمُّ
وَتُسْمَةُ الرِّيحِ وَفِي ضَمْنِهَا لَهَا بِنَا مَرٌّ وَالْمَامُ

٣٠٧ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو سَهْلٍ فِي وَصْفِ قَرَسٍ:

أَطْرَفُ قَاتٍ طَرَفِي أَمْ شِهَابُ هَذَا كَأَلْبَرِقِ ضَرَمَهُ النَّهَابُ
أَعَارَ الصَّبِغُ صَفْحَهُ نِقَابًا فَقَرَبَهُ وَصَحَّ لَنَا النَّقَابُ
إِذَا مَا أَنْقَضَ كُلَّ النَّجْمِ عَنْهُ وَصَلَتْ عَنْ مَسَالِكِهِ السَّحَابُ
سَلَ الْأَرْوَاحَ عَنْ أَدْنَى مَدَاهُ فَعِنْدَ الرِّيحِ قَدْ يَلْقَى الْجَوَابُ

٣٠٨ قصيدة الشيخ عبد الغني النابلسي في وصف الشام

إِنْ سَامَكَ الْحَطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقَا فَأَنْزِلْ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْكُنْ حِلَقَا
تَجِدُ الْمَرَامَ بِهَا وَكُلَّ مُنَاكَ بَلٍ وَتَرَى بِهَا عِزًّا وَتَفْصَحُ مَنْطَقَا
بَلَدْتُمَ بَيْنَ الْبِلَادِ مَحَاسِنَا وَنَمَتْ بِهَا وَأَسْتَرَادَتْ رَوْنَقَا
زَادَ السَّرُورُ بِهَا لِكُلِّ مُعْرِجٍ لَاسِيًا إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ التُّنْقَى
إِنْ تَعَشَّفُوا وَطَنًا فَذِي أَوَّلَى لَكُمْ دُونَ الْبِلَادِ بِأَنْ تَحَبَّ وَتُشَمَّا
خَيْرُ الْإِنْسَانِ أَنْتَاهَا يَرْغَوْنَ أَنْوَاعَ الْوُدَادِ وَيَحْفَظُونَ الْمَوْتَنَا
هِيَ جَنَّةُ الطَّائِفِينَ مُعَدَّةٌ يَتَمَتَّعُونَ وَلَا يَرَوْنَ بِهَا شَمًا
طَابَتْ هَوَاءُ لِلنَّفُوسِ وَمَاوَاهَا عَذْبُ زُلَالٍ سَائِغٍ لِمَنْ أَسْتَقَى
جَلَّتْ مَحَاسِنُهَا عَنْ التَّمَدَادِ فَلَنَاتٍ بِمَا يُخْتَارُ مِنْهُ وَيُنْتَقَى
يَا حُسْنَ وَادِيَهَا وَطِيبَ تَحِيْمِهِ قَدْ فَاحَ عَرَفُ الزَّهْرِ فِيهِ وَعَبَا
وَرَأَسَلَتْ أَطْيَارُهُ بَيْنَ الرَّبِّ سَحَرًا فَهَيَّجَتْ الْفُؤَادَ الشَّيْخَا

كَيْفَ انْتَجَمَتْ يَخْرُجُ نَحْوَكَ مَاؤُهُ وَإِلَيْكَ يَرْكُضُ كُلُّ غُصْنٍ أَوْرَقًا
 يَا حَبْدًا إِشْرَاقُ مَرْجَتِهَا الَّتِي أَضْحَى غَنِيَّ الَّتَمَّ فِيهَا مُثْلَقًا
 وَتَلَاعَبَتْ فُرْسَانُهَا وَتَرَكَضَتْ مَا بَيْنَهَا تَفَلُّوُا الْجِيَادُ السُّبْقَا
 ضَحَكَتْ أَزَاهِرُهَا عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَتَى النَّسِيمُ يُمِيلُهُنَّ وَصَفَقَا
 قَدْ دَنَدَنْتْ أَنْهَارُهَا فِي جَرِيهَا لَمَّا شَدَا ذَاكَ الْحَمَامُ وَشَقَشَقَا
 وَالصَّالِحِيَّةُ يَا لَهَا مِنْ مَنَزِلٍ فِيهَا قُبُورُ الصَّالِحِينَ أُولَى الثَّقَى
 وَفِيهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ تَرَخَّرَتْ مِثْلَ النُّجُومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنْ أَرْتَقَى
 تَسْمُو عَلَى أَطْرَافِ جِلْقٍ بِهَجَةٍ وَطَلَاوَةٍ فِيهَا السُّرُورُ تَحَقَّقَا
 سُقِيتْ دِمَشْقُ الشَّامِ صُوبَ عِمَامَةٍ أَشْفَى عَلَى غَيْطَانِهَا فَتَدَقَّقَا
 كَمْ زَهَةِ اللَّعِينِ فِيهَا قَدْ زَهَتْ وَسَرَتْ عَلَى طَرَفِ الْهُومِ فَأَطْرَقَا
 مَا الْجَامِعُ الْأُمَوِيُّ (*) إِلَّا زَهَةٌ فِيهَا تَرَاهُ بِالْعِبَادَةِ مُشْرِقَا

(٥) ذكر ابن جبير جامع دمشق قال : هذا الجامع من أشهر جوامع الإسلام حسناً
 واتقاناً بناءً وغرابةً صنعةً واحتفالاً تنسيقاً وتزييناً . انتدب لبنائه الوليد وبلغ الغاية في
 التأني فيه . وأُنزلت جُدْرُهُ كلها بفصوص الذهب المروقة بالفضة . وخلطت بها أنواع من
 الأصباغ الغريبة قد مثلت أشجاراً وفرعت أغصاناً منظومة بالفصوص بديع الصنعة المعجزة وصف
 كل واحد . فجاء ينشي العيون وميضاً وبهيجاً . وبلغت النفقة فيه أحد عشر ألف دينار
 ومائتي ألف دينار . وطول هذا الجامع من الغرب إلى الشرق ذراعاً ثلاثمائة ذراع . وذراعُهُ في
 السعة من القبلة إلى الشمال مائتا ذراع . وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة من المشرق إلى
 المغرب سعة كل بلاطة منها ثمان عشرة خطوة . وقد قامت البلاطات على ثمانية وستين عموداً منها
 ٥٠ سارية واربعة وأثنان مرصعة بالمصق بالجدار الذي يلي الصحن . واربعة أرجل مرصعة بديع
 ترخيم مرصعة بفصوص من الرخام ملونة قد نُظمت خواتيم وصورت محارِبَ وأشكالاً غريبة
 قائمة في البلاط الأوسط . ودور كل رجل منها اثنان وسبعون شبراً . ويستدير بالصحن بلاط من
 ثلاث جهات سمته عُثْرُ خُطَا . عدد قوائمه سبع واربعون منها أربعة عشر رجلاً والباقي سوار .

قَدْ أَتَقَتْ صُنَاعُهُ بُيَانَهُ فَأَتَى الْمَزْخِفُ زَانَهُ وَتَأَنَّقَا
 وَرَى دُرُوسَ الْعِلْمِ فِيهِ دَائِمًا فِي كُلِّ فَنٍ مِنْ تَدَاوُلِهِ رَقَى
 وَثَلَاثُ هَاتِيكَ الْمَادِنِ تَجَلَّى مِثْلَ الرَّائِسِ قَدْ لَبَسْنَ أَلْيَمًا
 مِنْ فَوْقِهَا أَهْلُ الْأَذَانِ تَرَسَّلُوا بِرَثْمٍ يُشْجِي الْفَوَادَ الشُّمًا
 وَالْعِشْرَةُ الْأَبْوَابُ لَمَّا أَنْ زَهَتْ فَتَحَتْ عَلَى الْمُشْتَاقِ بَابًا مُغْلَقًا
 يَا حَبَّذَاكَ الصَّخْنُ أَشْرَقَ وَاتَّحَلَّى قَدَا بِهِ مَا أَلْسِمَ مُرْقَرًا
 فِيهِ الصَّحَابُ رَوَائِحًا وَعَوَادِيَا مَا بَيْنَهُ وَتَجْمَعًا وَتَفَرُّقًا
 مِنْ حَوْلِهِ الْأَسْوَاقُ تُشْرِقُ فِي الدُّجَى مِثْلَ النَّهَارِ بِمَا بِهَا قَدْ عَلِمَا
 فِيهَا تَرَى مَا تَشْتَهِي وَتَلَذُّهُ وَيُوتُ قَهْوَاتٍ شَذَاهَا عَبَا
 هِيَ شَامَنَا أَعْلَى الْإِلَهِ مَنَارَهَا وَبِهَا أَدَامَ اللَّهُ عَيْنًا رَيِّقًا
 لَمْ تَرْضَ عَيْنِي غَيْرَهَا مِنْ مَنْظَرٍ وَلِذَا تَرَى قَلْبِي بِهَا مُتَعَلِّمًا

وسقف الجامع كله من خارج الواح رصاص . واعظم ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب
 وهي سامية في الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم هو عماد لها يتصل من
 الحراب الى الصحن . والقبة قد اغصت الهواء فاذا استقبلها رأيت مرأى هائلًا . ومن اي جهة
 استقبلت البلد ترى القبة في الهواء كأنها معلقة في الجو . وعدد شمساتها الزجاجية المذهبة الملونة
 اربع وسبعون . فاذا قابلتها الشمس واتصل شمسها بها انكس الشعاع الى كل لون منها واتصل
 ذلك بالجدار القلبي . ويتصل بالابصار منها اشعة ملونة هائلة لا تبلغ البارة تصورها . وعجابه
 من اعجب الحاريب الاسلامية حسنًا وغرابة صنعة يتقد ذهبًا كله . قد قلعت في وسطه محاريب
 صغار متصلة بمجداره تحفها سوبريات مقتولات قتل الاسورة . فاقا مخروطية بعضها احمر كأنها
 مرجان لم ير شيء اجمل منها . وله اربعة ابواب وباب جبرون اعظمها وله وللغري دهلير
 متسة يفضي كل دهلير منها الى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة . فبقيت على حالها
 ثم ذكر ابن جبير في الصحن عجائب من الابنية والقباب والمياه المدبرة فيه ما يطول وصفه
 واختصاره انه قال : هذا الصحن من اجمل المناظر واحسنها . وللجامع اربع سقايات في كل جهة

فَإِنَّ أَيَّامَ تَقَعَّتْ لِي بِهَا مَا زِلْتُ تَحْوِ ظِلَالَهَا مُتَشَوِّقًا
هِيَ مَنَشَايَ لَا حَاجِرٌ وَطَوِيلُ عُمْرٍ لَا أُنْسِي لَا أُنْوِي وَلَا أُنْقَا
وَطَنِي وَأَوَّلُ مَا وَطِئْتُ بِهَا أَلْتَرَى لَا زَالَ عَيْشِي عَنْ حِمَايَا مُطْلَقًا
لَذَّ يَا فُؤَادَ بِيَا بِهَا مِنْ مَعْشَرٍ إِنْ سَامَكَ الْحُطْبُ الْمُهُولُ فَأَقْلَقًا

سقاية وأعطها سقاية باب جيرون . وذكر ان حول باب جيرون من الابنية القريبة ما يطول وصفه . وذكر باب جيرون فقال : يخرج من دهليز الى بلاط طويل عريض له خمسة ابواب مقوسة لها ستة اعمدة في جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه راس الحسين قبل ان ينقل الى القاهرة بازائه مسجد صغير لعمير بن عبد العزيز . وقد انتقلت امام البلاط ادراج يتحدّر عليها الى الدهليز وهي كالحدق العظيم تصل الى باب عظيم الارتفاع يتحدر الطرف دونه سموًا . قد حُتَّتْ اعمدة كالجدوع طولًا وكالطواد ضخامة وبجاني الدهليز اعمدة قامت عليها شوارع مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم . وعليها شوارع مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكرام مشرفة على الدهاليز . وفوقها سطح بيت فيه سكان الحجر والبيوت . وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة تعلوها اعمدة من الرخام . وفي وسط الحوض انبوب صُفْر يزجج الماء بقوة فيرتفع في الهواء ازيد من القامة . وحوله اثنا عشر صنار ترمي الماء علوًا فتخرج منها كقضبان اللبن فكأخا اغصان تلك الدوحة المائتة . ومنظرها ابدع من ان يوصف . وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط الذي امامه شبه عُرْفَةٍ لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طابقان من صُفْر وقد فُتِحَتْ ابوابًا صنارًا على عدد ساعات النهار ودُبرَتْ تدابير هندسية . فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صحنتان من صُفْر من في بازيين من صُفْر قائمتين على طاستين من صُفْر متقويتين فتصير البازيين يمدان احناقه بالبدقتين الى الطاستين ويقذفانها بسرعة بتدبير عجيب تنفيله الاوهام سحرًا . فعند وقوعها يسمع لها دوي فيعودان من الانقلاب الى داخل الجدار الى الرفقة وينطلق باب تلك الساعة بلوح اصفر . فلا يزال كذلك حتى تنقضي الساعات فتتخلق الابواب كلها . ثم تعود الى حالها الاول ولها بالليل تدبير آخر . وذلك ان في القوس المنعطف على الطابقان المذكورة اثني عشرة دائرة من النحاس محزّمة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة . فاذا انتقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وافاض على الدائرة شعاعًا فلات دائرة محزّمة ثم ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل . وقد وكل بها من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرج الصُغُر الى موضعه وهي التي تُسَمَّى المِقَاتَة . ثم ذكر في دمشق عجائب ليس من غرضنا اباحا (الشريشي)

الْبَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

هارون بن عبد الله والقيل

٣٠٩ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: كَانَ هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى الْأَزْدِ شَجَاعًا شَاعِرًا. وَلَمَّا حَارَبَ الْهِنْدُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَيْلِ لَمْ يَقِفْ قُدَّامَ الْقَيْلِ شَيْءٌ. وَقَدْ رَبَطُوا فِي خُرْطُومِهِ سَيْفًا هَذَا مَا طَوِيلًا ثَقِيلًا يَضْرِبُ بِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا لَا يَرَقُّهُ فَوْقَ رَأْسِ الْقَيْلَيْنِ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَضْرِبُ بِهِ. فَوَثَّ هَارُونُ وَثْبَةً أَعْجَلَهُ بِهَا عَنِ الضَّرْبِ وَلَزِقَ بِصَدْرِ الْقَيْلِ وَتَلَقَّى بِأَنْبَاهِهِ. فَجَالَ بِهِ الْقَيْلُ جَوْلَةً كَادَ يَخْطُبُهُ مِنْ شِدَّةِ مَا جَالَ بِهِ. وَكَانَ هَارُونُ شَدِيدَ الْخُلُقِ رَابِطَ الْجَأَشِ. فَأَعْتَمَدَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ عَلَى نَائِيهِ وَأَصْلُهَا مَجُوفٌ فَأَنْقَلَعَتْ مِنْ أَصْلِهَا. وَأَذَرَ الْقَيْلُ وَبَقِيَ النَّبَاتَانِ فِي يَدِ هَارُونِ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَزِيمَةِ الْهِنْدِ وَغَنَمِ الْمُسْلِمُونَ. فَحَالَ هَارُونُ فِي ذَلِكَ:

مَشَيْتُ إِلَيْهِ رَادِعًا مُتَمَهِّلًا وَقَدْ وَصَلُوا خُرْطُومَهُ بِحُجَّامٍ
فَهَلْتُ لِنَفْسِي إِنَّهُ الْقَيْلُ ضَارِبًا بِأَبْيَضٍ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ هُذَامٍ
فَإِنْ تَنَكَّيْتُ مِنْهُ فَعُذْرُكَ وَاضِحٌ لَدَى كُلِّ مَنْتُخَبٍ الْقَوَادِ عِبَامٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ فِي رَأْسِ هَضْبَةٍ كَمَا لَاحَ بَرَقٌ مِنْ خِلَالِ غَمَامٍ
فَعَاقَسْتُهُ حَتَّى لَزِقْتُ بِصَدْرِهِ فَلَمَّا هَوَى لَا زِمْتُ أَيْ لَزَامٍ
وَعُذْتُ بِأَنْبَاهِهِ وَأَذَرَ هَارِبًا وَذَلِكَ مِنْ عَادَاتِ كُلِّ حَيَامِي

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

٣١٠ حكي أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسًا فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعِنْدَهُ أَكْبَارُ الصَّخَابَةِ . وَأَهْلُ الرَّأْيِ وَالْإِهَابَةِ . وَهُوَ فِي الْقَضَايَا . يَمْحُكُمُ بَيْنَ الرَّعَايَا . إِذَا أَقْبَلَ شَابٌّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّابِّ . نَظِيفُ الْأَثْوَابِ . يَكْتَفِيهِ شَابَّانِ مِنْ أَحْسَنِ الشَّابِّ أَيْضًا . وَقَدْ جَذَبَاهُ وَتَحَبَّاهُ . وَأَوْقَفَاهُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَبَّاهُ . فَلَمَّا وَقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ . نَظَرَ إِلَيْهِمَا وَإِلَيْهِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ أَخَوَانِ شَفِيقَانِ . جَدِيدَانِ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ حَقِيقَانِ . كَانَ لَنَا أَبٌ شَيْخٌ كَبِيرٌ . حَسَنُ التَّدْبِيرِ . مُعْظَمٌ فِي قَبَائِلِهِ . مُتَزَّهِ عَنْ رَذَائِلِهِ . مَعْرُوفٌ بِفَضَائِلِهِ . رَبَّانًا صِفَارًا . وَأَوَّلَانَا مِتْنَا غَزَارًا . كَمَا قِيلَ فِي الْمُنَى :

لَنَا وَالِدٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أَبٌ آخَرُ أَغْنَاهُمْ بِالْمُنَاقِبِ
فَخَرَجَ الْيَوْمَ إِلَى حَدِيقَةٍ لَهُ يَنْتَزِعُ فِي أَشْجَارِهَا . وَيَقْطِفُ بِأَنْعِ
أَثْمَارِهَا . فَتَنَّهُ هَذَا الشَّابُّ . وَعَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الصَّوَابِ . فَتَسَّأَلَكَ
الْقِصَاصَ عَمَّا جَنَاهُ . وَالْحُكْمَ فِيهِ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ . قَالَ الرَّأْيِيُّ : فَنَظَرَ
عُمَرُ إِلَى الشَّابِّ . وَقَالَ لَهُ : قَدْ سَمِعْتَ قَمَا الْجَوَابُ . وَالْغَلَامُ مَعَ ذَلِكَ
ثَابِتُ الْجَنَانِ . خَالَ عَنِ الْإِسْتِيْجَاشِ . قَدْ خَلَعَ ثِيَابَ الْهَلَعِ . وَزَرَ
لِبَاسَ الْجَزَعِ . فَتَسَمَّ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ . وَتَكَلَّمَ بِأَفْصَحِ لِسَانٍ . وَحَيًّا
بِكَلِمَاتٍ حِسَانٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَيْتُ . فِي مَا أَدْعَا .
وَصَدَقًا . فِي مَا نَطَقًا . وَأَخْبَرَا بِمَا جَرَى . وَعَبَّرَا عَمَّا طَرَا . وَسَأْنُوهُ .

قَصَّيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَالْأَمْرُ فِيهَا إِلَيْكَ . إَعْلَمَ أَنِّي عَرِيمٌ مِنَ الْعَرَبِ
 الْعَرَبَاءُ نَبَتْ فِي مَنَازِلِ الْبَادِيَةِ . وَصَبَّتْ عَلَيَّ أَسْوَدُ السِّنِينَ الْعَلَادِيَةِ .
 فَأَقْبَلْتُ إِلَى ظَاهِرِ هَذَا الْبَلَدِ . بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ . فَأَفْضَتْ بِي
 بَعْضُ طَرَائِقِهَا . إِلَى الْمَسِيرِ بَيْنَ حَدَائِقِهَا . بِنْيَاقٍ إِلَيَّ حَبِيبَةٍ . عَلَيَّ
 عَزِيزَاتٍ . بَيْنَهُنَّ فَحْلٌ كَرِيمٌ الْأَصْلِ . كَثِيرُ النَّسْلِ . مَلِيعُ الشَّمَكْلِ .
 حَسَنُ النَّتَاجِ . يَمْشِي بَيْنَهُنَّ كَأَنَّهُ مَلِكٌ عَلَيْهِ تَاجٌ . فَدَنَّتِ الثُّوقُ إِلَى
 حَدِيقَةٍ قَدْ ظَهَرَ مِنَ الْحَاظِطِ شَجَرُهَا . فَتَنَاوَلْتُهَا بِشَفَرِهَا . فَطَرَدْتُهَا
 عَنْ تِلْكَ الْحَدِيقَةِ فَإِذَا شَجَرٌ قَدْ ظَهَرَ . وَتَسَوَّرَ الْحَاظِطُ وَزَفَرَ . وَفِي يَدِهِ
 أَلْيَمْنِي حَجَرٌ . يَتِمَادَى كَأَلْيَمْنِي إِذَا خَطَرَ . فَضَرَبَ أَفْحَلَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ
 فَأَصَابَ مَقْتَلَهُ وَأَبَادَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ أَفْحَلَ سَاطِعَ لَحْنِهِ وَأَنْدَابَ .
 تَوَقَّعْتُ فِي جَرَاتِ النَّضْبِ . فَتَنَاوَلْتُ ذَلِكَ الْحَجَرِ بِعَيْنِهِ فَضَرَبْتُهُ
 بِهِ . فَكَانَ سَبَبَ حَنْدِهِ وَلَقِيَ سُوءَ مُنْقَلَبِهِ . وَالْمَرءُ مَقْتُولٌ بِمَا قَتَلَ بِهِ .
 بَعْدَ أَنْ صَاحَ صَيْحَةً عَظِيمَةً . وَصَرَخَ صَرْخَةً أَلِيمَةً . فَأَسْرَعْتُ هَارِبًا
 مِنْ مَكَانِي . فَلَمْ أَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ هَذَيْنِ الشَّابَّيْنِ فَأَمَسَ كَانِي .
 وَأَخْضَرَانِي كَمَا تَرَانِي . قَالَ عُمَرُ : قَدْ اعْتَرَفْتَ . بِمَا اعْتَرَفْتَ . وَتَعَذَّرَ
 الْخِلَاصُ . وَوَجِبَ الْقِصَاصُ . وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ . فَقَالَ الشَّابُّ :
 سَمِعَا وَطَوَعَا إِلَّا حَكَمَ الْإِمَامُ . وَرَضِيَتْ بِمَا أَقْضَتْهُ شَرِيْعَةُ الْإِسْلَامِ .
 وَلَكِنْ لِي أَخٌ صَغِيرٌ . كَانَ لَهُ أَبٌ خَيْرٌ . خَصَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَالٍ جَزِيلٍ .
 وَذَهَبٍ جَلِيلٍ . وَأَخْضَرَهُ بَيْنَ يَدَيَّ . وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَيَّ . وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ

عَلَى . وَقَالَ : هَذَا لِأَخِيكَ عِنْدَكَ . فَأَحْضَطَهُ جَهْدَكَ . فَأَتَّخَذْتُ لِدَٰلِكَ
مَدْفِنًا . وَوَضَعْتُهُ فِيهِ وَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا أَنَا . فَإِنْ حَكَمْتَ الْآنَ
بِقَتْلِي ذَهَبَ الذَّهَبُ . وَكُنْتَ أَنْتَ السَّبَبُ . وَطَالَبَكَ الصَّغِيرُ بِحَقِّهِ .
يَوْمَ يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْفِهِ . وَإِنْ أَنْظَرْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . أَقْتُ مَنْ
يَتَوَلَّى أَمْرَ الْغُلَامِ . وَعُدْتُ وَافِيًا بِالذِّمَامِ . وَلِي مَنْ يَصْنَعُنِي عَلَى هَذَا
الْكَلَامِ . فَأَطْرَقَ عَمْرُ سَاعَةً ثُمَّ نَظَرَ . إِلَى مَنْ حَضَرَ . وَقَالَ :
مَنْ يَقُومُ عَلَى ضَمَانِهِ . وَالنُّوْدُ إِلَى مَكَانِهِ . قَالَ : فَظَنَرَ الْغُلَامُ إِلَى
وُجُوهِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ النَّاطِرِينَ . وَأَشَارَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ دُونَ الْحَاضِرِينَ .
وَقَالَ : هَذَا يَكْفُلُنِي . وَهُوَ الَّذِي يَصْنَعُنِي . فَقَالَ عَمْرُ : أَصْنَعُهُ يَا أَبَا
ذَرٍّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ أَصْنَعُهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَرَضِي
الشَّابَّانِ بِضَمَانِ أَبِي ذَرٍّ . وَأَنْظَرَاهُ ذَلِكَ الْقَدْرَ . فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ
الْإِمَهَالِ . وَكَادَ وَقْتُهَا يَزُولُ أَوْ زَالَ . حَضَرَ الشَّابَّانِ إِلَى مَجْلِسِ عَمْرٍ .
وَالصُّحَابَةُ حَوْلَهُ كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْقَمَرِ . وَأَبُو ذَرٍّ قَدْ حَضَرَ . وَالْخَصْمُ
يُنْتَظَرُ . فَقَالَا : أَيْنَ الْغَرِيمُ يَا أَبَا ذَرٍّ . وَكَيْفَ يَرْجِعُ مِنْ قَدَرٍ . فَلَا
نَبْرَحُ مِنْ مَكَانِنَا . حَتَّى تَنْفِيَ بِضَمَانِنَا . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَحَقَّ الْمَلِكِ
الْغُلَامُ . إِنْ أَنْقَضَى تَمَامُ الْأَيَّامِ . وَلَمْ يَحْضُرِ الْغُلَامُ . وَفَيْتُ بِالضَّمَانِ .
وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي وَبِاللَّهِ السَّمْعَانِ . فَقَالَ عَمْرُ : وَاللَّهِ إِنْ تَأَخَّرَ الْغُلَامُ .
لَأَمْضِيَنَّ فِي أَبِي ذَرٍّ مَا أَقْضَتْهُ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ . فَهَلَّتْ عِبْرَاتُ
الْحَاضِرِينَ . وَارْقَضَتْ زَفَرَاتُ النَّاطِرِينَ . وَعَظُمَ الصَّجِيجُ . وَتَرَايَدَ

الشَّيْخُ . فَمَرَضَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ عَلَى الشَّابِّينَ أَخَذَ الدِّيَّةَ . وَاعْتَسَمَ
 الْأَثَنِيَّةَ . فَأَصْرَعَ عَلَى عَدَمِ الْقَبُولِ . وَأَيًّا إِلَّا الْأَخْذَ بِتَارِ الْقَتُولِ . فَيَنْمُو
 النَّاسُ يَمُوجُونَ تَلَهْفًا لِمَا مَرَّ . وَيَصِيحُونَ تَأْسَفًا عَلَى أَبِي ذَرٍّ . إِذَا أَقْبَلَ
 الْغُلَامُ . وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ . وَسَلَّمَ عَلَيْهِ أَمَّ سَلَامٍ . وَوَجْهُهُ يَتَهَلَّلُ
 مُشْرِقًا . وَيَتَكَلَّلُ عَرَقًا . وَقَالَ : قَدْ أَسَلَمْتُ الصَّيِّ إِلَى أَخَوَالِي . وَعَرَفْتُهُمْ
 خَفِيَ أَخَوَالِي . وَأَطْلَعْتُهُمْ عَلَى مَكَانِ مَالِهِ وَأَمْوَالِي . ثُمَّ أَفْتَحْتُ
 هَاجِرَاتِ الْحَرِّ . وَوَقَيْتُ وَقَاءَ الْحَرِّ الْأَعْرَ . فَجَبَّ النَّاسُ مِنْ صِدْقِهِ
 وَوَفَائِهِ . وَإِقْدَامِهِ عَلَى الْمَوْتِ وَأَجْتِرَائِهِ . فَقَالَ : مَنْ غَدَرَ . لَمْ يَفُ عَنْهُ
 مَنْ قَدَرَ . وَمَنْ وَفَى . رَحِمَهُ الطَّالِبُ وَعَفَا . وَتَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَوْتَ إِذَا
 حَضَرَ لَمْ يُنْجِ مِنْهُ أَحْتِرَاسٌ . وَبَادَرْتُ كَيْ لَا يُقَالَ ذَهَبَ أَلُوفًا مِنْ
 النَّاسِ . فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ صَنَعْتُ هَذَا الْغُلَامَ
 وَلَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَيِّ قَوْمٍ . وَلَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ
 مِنْ حَضَرٍ فَصَدَدَنِي . وَقَالَ : هَذَا يَصْنَعُنِي . فَلَمْ أَسْتَحْسِنْ رَدَّهُ . وَأَبَتْ
 الْمَرْوَةُ أَنْ تُحِبَّ قَصْدَهُ . إِذْ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ الْقَصْدِ مِنْ بَاسٍ . كَيْ لَا
 يُقَالَ : ذَهَبَ الْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَ الشَّابَّانِ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ . قَدْ وَهَبْنَا لِهَذَا الْغُلَامِ دَمَ آبِنَا . فَلْتُبَدَلْ وَخَشْتُهُ بِإِيْتَابِي .
 كَيْ لَا يُقَالَ : ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ مِنَ النَّاسِ . فَاسْتَبَشَرَ الْإِمَامُ . بِالْعَفْوِ
 عَنْ الْغُلَامِ . وَعَجِبَ مِنْ صِدْقِهِ وَوَفَائِهِ . وَاسْتَعَزَّزَ مَرْوَةَ أَبِي ذَرٍّ
 دُونَ جُلَسَائِهِ . وَاسْتَحْسَنَ اعْتِمَادَ الشَّابِّينَ فِي أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ

وَأَتْنِي عَلَيْهِمَا أَحْسَنَ ثَاءٍ وَتَمَثَّلَ بِهَذَا الْيَتِي :
 مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ لَمْ يَغْدَمْ جَوَارِزَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْرِفَ لهُمَا مِنْ بَيْتِ أُمِّ الْيَتِي
 أَبِيهِمَا . فَقَالَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا عَفَوْنَا عَنْهُ أَبْنَاءَ لَوْجِهِ اللَّهِ . وَمَنْ
 نَيْتُهُ كَذَا . لَا يُتَّبَعُ إِحْسَانُهُ مِنَّا وَلَا أَدَى . قَالَ الرَّأْيِي : فَأَعْتَدْتُهَا
 مِنْ أَنْفَسِ الْعَجَائِبِ . وَأَثْبَتُهَا فِي دِيْوَانِ الْغَرَائِبِ (للالبيدي)

محمد والسبع

٣١١ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ رَيْمَةَ كَانَ بَطْلًا شَجَاعًا فَاتَّبَعَهُ شَاعِرٌ أَبْلِيغًا .
 قَسَرَ أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحُجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ . فَكَتَبَ إِلَى
 عَامِلِهِ يُؤَيِّجُهُ بَتَغْلِبِ مُحَمَّدٍ وَيَأْمُرُهُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ
 أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ إِلَيْهِ قِتِيَّةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَمَلٌ لَهُمُ الْجَمَالُ
 الْعَظِيمَةُ إِنْ هُمْ قَتَلُوا مُحَمَّدًا وَأَوْتُوا بِهِ أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْقِتِيَّةَ إِلَى طَلَبِهِ
 فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ مَكَانِهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْإِنْقِطَاعَ
 إِلَيْهِ وَالْقِيَامَ بِخِدْمَتِهِ . فَوَقَّحَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ إِلَى قَوْلِهِمْ . فَيَتَنَا هُوَ
 مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا إِلَيْهِ فَشَدُّوهُ وَثَاقًا وَقَدِّمُوا بِهِ إِلَى الْعَامِلِ . فَوَجَّهَهُ
 مَعَهُمْ إِلَى الْحُجَّاجِ . فَلَمَّا قَدِّمُوا بِهِ عَلَيْهِ مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ . قَالَ لَهُ : أَنْتَ
 مُحَمَّدٌ . قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَّكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . كَلَبَ الزَّمَانَ . وَجَفَوَةَ السُّلْطَانَ .
 وَجَرَّاءُ الْجَنَانِ . قَالَ : وَمَا بَأْسٌ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْتَلَانِي الْأَمِيرُ

وَجَعَلَنِي مَعَ الْفَرَسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُفْجِئُهُ . قَالَ الرَّأْيِي : قَتَبَ
 الْحُجَّاجُ مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا جَحْدَرُ إِنِّي قَازِفُ بَكَ فِي
 حَقَارِ بِهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كَفَانَا مَوْتَكَ . وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا
 عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قُرْبَ الْفَرَجِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ
 بِهِ فَصَفَّدُوهُ بِالْحَدِيدِ ثُمَّ كَتَبَ لِعَامِلِهِ أَنْ يَرْتَادَ لَهُ أَسَدًا عَظِيمًا وَيُجْعَلَهُ
 إِلَيْهِ . فَأَرْتَادَ لَهُ الْعَامِلُ أَسَدًا كَرِيهَ النَّظَرِ كَثِيرَ اخْبِثًا قَدْ أَفْنَى عَامَّةَ
 الْمَوَاتِي . وَأَمَرَ أَنْ يَصِيرَ فِي قَفَصِ حَدِيدٍ وَيُسَبَّحَ الْقَفْصُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمَ بِهِ عَلَى الْعَجَلِ إِلَى الْحُجَّاجِ أَمَرَ بِهِ قَاتِلِي فِي الْحَقَارِ وَلَمْ يُطْعَمْ
 شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَاسْتَكَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَحْدَرٍ أَنْ يَنْزِلُوهُ إِلَيْهِ
 فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَتْرَلُوهُ إِلَيْهِ مُقْبِدًا وَأَشْرَفَ الْحُجَّاجُ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ
 يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِجَحْدَرٍ . فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى جَحْدَرٍ
 نَهَضَ وَوَتَبَ وَغَطَّى وَزَارَ زَيْرًا دَوَى مِنْهُ الْجِبَالُ وَارْتَاعَتْ مِنْهُ أَهْلُ
 الْأَرْضِ . فَشَدَّ عَلَيْهِ جَحْدَرٌ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتُ وَلَيْتُ فِي مَجَالِ ضَنْكِ كِلَاهُمَا ذُو قُوَّةٍ وَسَفْكِ
 وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَكَ إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِتَاعَ الشَّكِّ
 فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمُلْكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِسِنْفِهِ فَتَلَقَّى هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ وَاعْتَبَ
 الْحُجَّاجُ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أَنْجَدَكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ مِنَ الْحَقَارِ وَفَكَ
 وَنَاقَهُ وَقِيدَهُ . وَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ عِنْدَنَا فَتُكْرِمَكَ وَنُقَرِّبَ

مَنْزِلِكَ . وَإِمَّا أَنْ تَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِإِلَادِكَ وَتَسْرِطَ عَلَيْكَ أَنْ لَا
تُحَدِّثَ مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِيَ أَحَدًا . قَالَ : بَلْ أَخْتَارُ صُحْبَتَكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ .
فَجَعَلَهُ مِنْ سَمَارِهِ وَخَوَاصِهِ . ثُمَّ لَمْ يَلَيْتْ أَنْ وَلَّاهُ عَلَى الْجَلْمَةِ وَكَانَ مِنْ
أَمْرِهِ مَا كَانَ

عصيان ابرهيم بن المهدي على امير المؤمنين المأمون وما جرى له في اختفائه

٣١٢ حكي الواقي قال : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهْدِي أَخَا هَارُونَ
الرَّشِيدَ لَمَّا آلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ إِلَى الْمَأْمُونِ ابْنِ أَخِيهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ لَمْ
يُبَايِعْهُ بَلْ ذَهَبَ إِلَى الرِّيِّ وَادَّعَى فِيهَا الْخِلَافَةَ لِنَفْسِهِ . وَأَقَامَ مَا لِكُلِّهَا
سَنَةً وَاحِدَةً عَشَرَ شَهْرًا وَاثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا وَابْنُ أَخِيهِ الْمَأْمُونُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُ
الْإِنْقِيَادَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْتِظَامَ فِي سِلْكِ الْجَمَاعَةِ حَتَّى يَنْسَ مِنْ
عَوْدِهِ . فَرَكِبَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَذَهَبَ إِلَى الرِّيِّ وَحَاصِرَ الْمَدِينَةِ وَافْتَتَحَهَا
وَدَخَلَهَا . قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ نَفْسِهِ : فَخِفْتُ عَلَى دَمِي وَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنْ
دَارِي عِنْدَ الظُّهْرِ وَأَنَا لَا أَذْرِي إِلَى أَيْنَ أَتَوَجَّهُ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ قَدْ
جَعَلَ لِمَنْ أَتَاهُ فِي مِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَفِيمَا كُنْتُ سَازِرًا فِي الطَّرِيقِ
إِذَا أَنَا بِرُفَاقٍ فَمَشَيْتُ فِيهِ فَوَجَدْتُهُ غَيْرَ نَافِذٍ . قُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنْ رَجَعْتُ عَلَى أَثَرِي يُرْتَابُ فِي أَمْرِي وَالشَّارِعُ غَيْرُ
نَافِذٍ فَمَا الْحِيلَةُ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فِي صَدْرِ الشَّارِعِ عَبْدًا أَسْوَدَ قَالِمًا
عَلَى بَابِ دَارٍ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ أَقِيمُ بِهِ
سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ . فَقَالَ : نَعَمْ وَقَعَ الْبَابُ . فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ تَطِيفُ

فِيهِ حَصِيرٌ وَبَسَاطٌ وَوُسْدٌ تَظِيْفَةٌ مِنْ جُلُودٍ . ثُمَّ إِنَّ الْأَسْوَدَ أَغْلَقَ عَلَى
 الْبَابِ وَمَضَى . فَتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ سَمِعَ بِجَمَالَةِ الْمَأْمُونِ لِلَّذِي يَأْتِيهِ بِي وَطَمَحَ
 بِالرَّيْحِ وَخَرَجَ يَدُلُّ عَلَيَّ فَيَقِيتُ أَثَقَلَى عَلَى جَمْرِ الْقَضَا . فَيَدِينَا كُنْتُ
 أَفْكُرُ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ وَمَعَهُ حَمَلٌ حَامِلٌ كُلُّ مَا يُنْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُبْرٍ
 وَلَحْمٍ وَقِدْرًا جَدِيدَةً وَجِرَّةَ تَظِيْفَةٍ وَكَبِيرًا نَا جُدًا فَحَطَّهَا عَنْ الْحَمَالِ
 وَقَالَ لَهُ : امْضِ بِخَيْرٍ . فَخَرَجَ وَأَقْفَلَ وَرَاءَهُ بَابَ الدَّارِ وَجَاءَ إِلَيَّ وَقَالَ
 لِي : جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا مَوْلَايَ إِنِّي رَجُلٌ حَجَامٌ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَعَذَّرُ
 مِنِّي لِمَا أَتَوَّلَاهُ مِنْ مَعِيشَتِي . فَسَأَلْتُكَ أَنْتَ بِمَا لَمْ تَقْعُ عَلَيْهِ يَدِي . قَالَ
 إِبْرَاهِيمُ : وَكُنْتُ شَدِيدَ الْجُوعِ وَلِي حَاجَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَى الطَّعَامِ فَطَلَبْتُ
 لِنَفْسِي قِدْرًا لَمْ أَذْرِ فِي عُمْرِي أَنِّي أَكَلْتُ أَلَذَّ مِنْهَا . فَلَمَّا قَضَيْتُ
 أَرَبِي مِنَ الطَّعَامِ قَالَ لِي الْأَسْوَدُ : هَلْ لَكَ يَا مَوْلَايَ فِي شَرَابٍ
 فَإِنَّهُ يَنْفِي الْهَمَّ وَيَدْفَعُ الْكَمَمَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَكْرَهُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي
 مُوَانَسَتِكَ . فَضَى وَجَاءَ نِي بِقَدَحٍ وَبَدَسْتُ مَلَانَ شَرَابًا مُطِيبًا وَقَالَ
 لِي : رَوْقَ لِنَفْسِكَ مَخَافَةً أَنْ تَتَعَزَّزَ مِنِّي . فَظَنَرْتُ فِي الْأَدَسِ
 فَرَأَيْتُ شَرَابًا فِي غَايَةِ الْجُودَةِ فَرَوَقْتُ مِنْهُ . ثُمَّ أَتَانِي بِفَاكِهَةٍ وَأَقَالَ
 مُخْتَلِفَةً . وَبَعْدَهُ قَالَ لِي : يَا مَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقْعُدَ فِي نَاجِيَةٍ
 أَمَامَكَ وَأَتِي بِشَرَابٍ لِي فَأَشْرِبُهُ سُرُورًا بِكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَفْعَلْ
 فَشَرِبَ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى خِزَانَتِهِ لَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهَا عُودًا وَقَالَ
 لِي : لَيْسَ مِنْ قَدْرِي أَنْ أَسْأَلَكَ فِي الْفِئَاءِ وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ

عَبْدَكَ يُعْنِي فَكَأَنَّكَ عَلُوُّ الرَّأْيِ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمِنْ أَيْنَ لَكَ أَنِّي أَحْسَنُ
الْعَنَاءِ . فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ . مَوْلَايَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يَخْفَى أَلَسْتَ أَنْتَ
سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُهَدِّي خَلِيفَتَا فِي الْأَمْسِ الَّذِي جَعَلَ الْمُأْمُونُ لِمَنْ
دَلَّهِ عَلَيْكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ عَظُمَ الرَّجُلُ فِي عَيْنِي
وَتَبَتَ مَرُوءَةٌ عِنْدِي . فَتَأَوَّلْتُ الْوُدَّ وَأَصْلَحْتُهُ وَقَدْ مَرَّ بِخَطِيرِي
فِرَاقُ أَهْلِي وَوَلَدِي وَوَطَنِي فَقَنَيْتُ :

وَعَسَى الَّذِي أَهْدَى لِيُوسُفَ أَهْلَهُ وَأَعَزَّهُ فِي التَّخِينِ وَهُوَ أَسِيرُ
أَنْ يَسْتَجِيبَ لَنَا وَيَجْمَعَ بَيْنَنَا وَاللَّهُ رَبُّ الْمَالِمِينَ قَدِيرُ
فَأَسْتَوِي عَلَيْهِ الطَّرْبُ الْمَفْرُطُ وَطَابَ خَاطِرُهُ وَقَالَ لِي : يَا سَيِّدِي
وَمَوْلَايَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُغْنِيَ مَا سَخَّ بِخَطِيرِي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ غَيْرِ
أَهْلِ الصَّنَاعَةِ . فَقُلْتُ : وَهَذَا مِنْ زِيَادَةِ أَدَبِكَ وَمَرُوءَتِكَ . فَأَخَذَ
الْوُدَّ وَأَنشَدَ :

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
وَذَاكَ لِأَنَّ النَّوْمَ يَنْشَى عِيُونَهُمْ سَرِيعًا وَلَا يَنْشَى لَنَا النَّوْمُ أَعْيُنَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُلَاقُونَ مِثْلَنَا نَلَا فِي لَكَأُونَا فِي الْمَضَاجِعِ مِثْلَنَا
قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَدَخَانِي مِنَ الطَّرْبِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَذْهَبَ مِنِّي
كُلُّ مَا كَانَ بِي مِنَ الْمَلَمِ فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ كُلَّ الْإِحْسَانِ
وَأَذْهَبَتْ عَنِّي أَلَمُ الْأَحْزَانِ . فَرَزَدَنِي مِنْ هَذِهِ الْتَرْهَاتِ فَأَنشَدَ لِلشُّوْءِ :
تَعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْنَا لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّرَبُ وَنِمْتُ وَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بَعْدَ
 الْمَسَاءِ . فَمَا وَدَّ نِي فِكْرِي فِي نَفَاسَةِ هَذَا الْحُجَّامِ وَحُسْنِ آدِيهِ . قُمْتُ
 ثُمَّ أَخَذْتُ خَرِيْطَةً كَانَتْ صُحْبَتِي فِيهَا دَنَائِيرُ لَهَا قِيَمَةٌ . فَرَمَيْتُ بِهَا
 إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَتَصَرَّفَ فِي هَذَا وَلَكَ
 عِنْدِي الْمَزِيدُ إِنْ أَمِنْتُ مِنْ خَوْفِي . فَأَبَى أَخْذَهَا وَأَعَادَهَا عَلَيَّ بِعِزَّةٍ
 وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ إِنْ الصَّعَالِيكَ مِنَّا لَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَكُمْ . أَاخُذْ عَلَيَّ
 مَا وَهَبِيهِ الزَّمَانُ قُرْبُكَ وَحُلُولُكَ فِي مَنْزِلِي غَنَى . وَاللَّهُ لَنْ رَاجِعْتِي
 بِهَا لِأَقْتُلَنَّ نَفْسِي . فَأَعَدْتُ الْخَرِيْطَةَ إِلَى كُمِّي وَقَدْ أَثْقَلَنِي حَمْلُهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ . وَلَمَّا أَتَيْتُهُ إِلَى بَابِ دَارِهِ قَالَ لِي : يَا سَيِّدِي إِنْ هَذَا
 الْمَكَانُ أَخْفَى لَكَ مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ عَلَيَّ فِي مَوْئِزَتِكَ ثِقَلٌ فَأَقِمْ
 عِنْدِي إِلَى أَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ عَنْكَ . فَقُلْتُ لَهُ : بِشَرْطٍ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا فِي
 هَذِهِ الْخَرِيْطَةِ . فَأَوْهَمَنِي الرِّضَا بِذَلِكَ الشَّرْطِ . فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ أَيَّامًا
 عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فِي أَلَدِّ عَيْشٍ وَهُوَ لَمْ يَصْرِفْ مِنْ الْخَرِيْطَةِ شَيْئًا .
 فَتَذَمَّمْتُ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَيْتِهِ وَأَخَشَشْتُ مِنَ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِ . فَتَرَيْتُ
 يَزِيَّ النِّسَاءَ بِالْخُفِّ وَالنَّقَابِ وَوَدَعْتُهُ وَخَرَجْتُ . فَلَمَّا صِرْتُ فِي
 الطَّرِيقِ دَاخِلْنِي مِنَ الْخَوْفِ أَمْرٌ شَدِيدٌ وَجِئْتُ لِأَعْبُرَ الْجَسْرَ وَإِذَا
 بِمَوْضِعٍ مَرشُوشٍ فَظَنَنْتِي جُنْدِيٌّ مِمَّنْ كَانَ يُخْدِمُنِي فَصَاحَ وَقَالَ :
 هَذَا حَاجَةُ الْمَأْمُونِ . ثُمَّ تَمَلَّقَ بِي فَمِنْ حُلَاوَةِ الرُّوحِ دَفَعْتُهُ هُوَ وَفَرَسَهُ
 فَوَقَعَ فِي ذَلِكَ الْمَرْلَقِ فَصَارَ عِيْرَةً . وَتَبَادَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَاجْتَهَدْتُ

أَنَا فِي الشَّيْءِ حَتَّى قَطَعْتُ الْجَسْرَ فَدَخَلْتُ شَارِعًا فَوَجَدْتُ بَابَ دَارٍ
 وَامْرَأَةً وَاقِفَةً فِي الدَّهْلِيزِ . قُلْتُ لَهَا : يَا سَيِّدَةَ النِّسَاءِ أَحْيَيْتِ دِي
 قَاتِي رَجُلٌ خَافٌ . قَالَتْ لِي : عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . وَأَطْلَعَنِي إِلَى
 غُرْفَةٍ وَفَرَشَتْ لِي فِرَاشًا وَقَدَّمَتْ لِي طَعَامًا وَقَالَتْ : هَدَى رَوْعَكَ
 فَمَا عَلِمَ بِكَ مَخْلُوقٌ . فَيِنَّمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا بِالْبَابِ يُطْرَقُ طَرَقًا
 عَنِيفًا . فَخَرَجْتُ وَفَتَحْتُ الْبَابَ وَإِذَا بِصَاحِبِي الَّذِي دَفَعْتُهُ عَلَى الْجَسْرِ
 وَهُوَ مُشْدُوخُ الرَّأْسِ وَدَمُهُ يُسِيلُ عَلَى ثِيَابِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ فَرَسٌ . قَالَتْ
 لَهُ : يَا هَذَا مَا دَهَاكَ . قَالَ : إِنِّي ظَفَرْتُ بِالْعَنَى وَأَنْقَلَتُ مِنِّي .
 وَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ . فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَصَابَ وَعَصَبَتْ رَأْسَهُ وَفَرَشَتْ
 لَهُ قَنَامَ عَلِيْلًا . ثُمَّ إِنَّمَا طَلَعَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : أَظْنُكَ أَنْتَ صَاحِبُ
 الْقَضِيَّةِ . قُلْتُ لَهَا : نَعَمْ . قَالَتْ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا تَخَفْ . ثُمَّ
 جَدَدَتْ لِي الْكَرَامَةَ فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَتْ لِي : إِنِّي خَائِفَةٌ
 عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ (وَعَنْتُ زَوْجَهَا) لِئَلَّا يَطْلُعَ عَلَيْكَ فَيَنِمَّ بِكَ .
 فَأَلَاوَلِي بِكَ أَنْ تَتَجَوَّ بِنَفْسِكَ فِي خَيْرٍ . فَسَأَلْتُهَا الْهَلَةَ إِلَى اللَّيْلِ .
 قَالَتْ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ . فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ لَيْسْتُ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجْتُ
 مِنْ عِنْدِهَا وَأَتَيْتُ إِلَى بَيْتِ جَارِيَةٍ لِي . فَلَمَّا رَأَيْتُنِي بَكَتْ وَتَوَجَّعَتْ
 وَحَمَدَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي وَخَرَجَتْ وَهِيَ تُؤْهِمُنِي أَنَّهَا تُرِيدُ السُّوقَ
 لِلْإِهْتِمَامِ بِالضِّيَاقَةِ وَظَنَنْتُ بِهَا خَيْرًا . فَمَا شَعَرْتُ إِلَّا بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي
 قَدْ أَقْبَلَ بِحَيْلِهِ وَرَجَلِهِ وَالْجَارِيَةَ مَعَهُ . فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ

عِيَانًا . فَعَمَلُونِي بِالزِّيِّ الَّذِي أَنَا فِيهِ إِلَى الْمُأْمُونِ . فَقَعَدَ مَجْلِسًا عَامًّا
وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا مَثَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . قَالَ : لَا
سَلَامَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَلَا حَيَاكَ وَلَا رَعَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ وَلِيَّ النَّارِ مُحْكَمٌ بِالْقِصَاصِ وَلَكِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى .
وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ ذَنْبِي فَوْقَ كُلِّ ذَنْبٍ . فَإِنْ
تَقَتَّلَ فَعِدْلُكَ وَإِنْ تَغَفَّرَ فَمِنْ فَضْلِكَ . ثُمَّ أُنْشَدْتُ :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
فَتُحْذِ بِحُكْمِكَ أَوْ لَا فَأُضْفِعُ بِحِلْمِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ عِنْدَ فِعْلِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ
قَالَ : فَرَفَعَ الْمُأْمُونُ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيَّ فَبَدَرْتُهُ قَائِلًا :
أَتَيْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا وَأَنْتَ لِلْعَفْوِ أَهْلٌ
فَإِنْ عَفَوْتَ فَمِنْ فَإِنْ قَتَلْتَ فَعَدْلٌ

فَرَفَعَ لِي الْمُأْمُونُ قَرَأَيْتُ وَجْهَهُ قَدْ هَشَّ وَاسْتَرْوَحَتْ رَوَاحِجُ
الرَّحْمَةِ مِنْ شَمَائِلِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْعَبَّاسِ وَأَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ وَجَمِيعٍ مِنْ
حَضَرَ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُمْ : مَاذَا تَرَوْنَ فِي أَمْرِهِ فَكُلُّهُ أَشَارٌ بِقَتْلِي
إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْقِتْلَةِ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ : مَا تَقُولُ
يَا أَحْمَدُ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ هَدَدٌ وَجَدَ نَامِثَكَ قَدْ قَتَلَ
مِثْلَهُ . وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ تُجِدْ مِثْلَكَ قَدْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ . فَكَسَّ الْمُأْمُونُ
رَأْسَهُ مُطَرِّقًا إِلَى الْأَرْضِ سَاعَةً . ثُمَّ رَفَعَهُ وَأُنْشَدَ :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي فَأَذَارَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي
 (قَالَ) فَكَشَفْتُ عِنْدَ ذَلِكَ الْفِتْنَةَ عَنْ رَأْسِي وَكَبُرَتْ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً
 فَرَحًا وَقُلْتُ: عَفَا وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ الْمَأْمُونُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ
 يَا عَمَاهُ. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَتَقَوِّدَ مَعَهُ بِمُذِرٍ
 وَعَفْوُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أُنْطِقَ مَعَهُ بِشُكْرِ وَلَكِنِّي أَقُولُ:

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْمَكَارِمَ حَازَهَا فِي صُلْبِ آدَمَ لِلْإِمَامِ السَّابِعِ
 مِلَّتْ قُلُوبُ النَّاسِ مِنْكَ هَبَابَةً وَتَظَلُّ تَكْلَاهُمُ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ
 فَعَفَوْتَ عَنْهُمْ لَمْ يَكُنْ عَنْ مِثْلِهِ عَفْوٌ وَلَمْ يُشْفَعْ إِلَيْكَ بِشَافِعٍ
 وَرَحِمْتَ أَطْفَالًا كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَخَسِنَ وَالِدُهُ بِقَلْبٍ جَارِعٍ
 قَالَ الْمَأْمُونُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. وَقَدْ عَفَوْتَ عَنْكَ وَرَدَدْتَ
 عَلَيْكَ مَا لَكَ وَضَيَاعَكَ بِأَجْمَعِهَا. قَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَأَنْشَدْتُ:

رَدَدْتَ مَا لِي وَلَمْ تَجْعَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَا لِي قَدْ حَقَّتْ دَمِي
 نَأَيْتُ مِنْكَ وَقَدْ خَوَّلْتَنِي نِعْمًا هُمَا الْحَيَاتَانِ مِنْ مَوْتٍ وَمِنْ عَدَمٍ
 فَلَوْ بَذَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ حَتَّى أَسْأَلَ التُّغْلَ مِنْ قَدَمِي
 مَا كَانَ ذَاكَ سِوَى عَارِيَةٍ رَجَعَتْ إِلَيْكَ لَوْ لَمْ تُبْرِهَا كُنْتَ لَمْ تَلَمْ
 فَإِنْ جَعَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي إِلَى الْلُؤْمِ أَوْلَى مِنْكَ بِالْكَرَمِ
 قَالَ الْمَأْمُونُ: إِنَّ مِنْ أَلْكَالِمِ لَدَرًّا وَهَذَا مِنْهُ. ثُمَّ حَلَعَ عَلَيَّ وَقَالَ
 لِي: يَا عَمُّ إِنَّ أَبَا إِسْحَاقَ أَخِي وَالْعَبَّاسَ أَشَارَا عَلَيَّ بِقَتْلِكَ. قُلْتُ لَهُ:
 إِنَّهُمَا نَصَحَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّكَ قُلْتَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ. قَالَ:

الْمَأْمُونُ : يَا عَمُّ لَقَدْ أَمَتَ حِفْذِي بِحَيَاةِ عُذْرِكَ . وَقَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ
 وَلَمْ أُجْرِعْكَ مَرَارَةً أَمْتَانِ الشَّافِعِينَ . ثُمَّ إِنَّ الْمَأْمُونَ سَجَدَ وَقَبَّلَ
 الْأَرْضَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لِي : يَا عَمُّ أَتَدْرِي لِمَذَا سَجَدْتُ وَقَبَّلْتُ
 الْأَرْضَ . قُلْتُ : نَعَمْ أَظُنُّهُ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَظْفَرَكَ بِعَدُوِّ
 دَوَانِكَ . قَالَا : مَا أَرَدْتُ هَذَا وَلَكِنْ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَلْهَمَنِي
 الْعَفْوَ عَنْكَ فَحَدَّثَنِي الْآنَ حَدِيثَكَ فِي اخْتِفَانِكَ . فَشَرَحَتْ لَهُ
 صُورَةَ أَمْرِي مَعَ الْحَجَّامِ وَالْجُنْدِيِّ وَأَمْرَاتِهِ وَمَا جَرَى لِي مَعَ جَارِيَّتِي .
 فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِإِحْضَارِ الْجَمِيعِ . فَعَدَا جَارِيَّتِي وَكَانَتْ مُنْتَظِرَةً لِلْجَائِزَةِ .
 فَقَالَ لَهَا : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ بِسَيِّدِكَ . قَالَتْ : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ .
 فَقَالَ لَهَا الْمَأْمُونُ : أَلَيْكَ وَلَدٌ أَوْ زَوْجٌ . قَالَتْ : لَا . فَأَمَرَ بِضَرْبِهَا
 بِمِائَةِ سَوْطٍ وَخَلَدَ سِجْنَهَا . ثُمَّ أَحْضَرَ الْجُنْدِيَّ وَأَمْرَاتَهُ وَالْحَجَّامَ . فَسَأَلَ
 الْجُنْدِيَّ مَا حَمَلَهُ عَلَى مَا فَعَلَ . قَالَا : الرِّغْبَةُ فِي الْمَالِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَأْمُونُ : أَنْتَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَجَّامًا لِتَتَلَمَّ الْحِجَامَةُ . ثُمَّ طَرَدَهُ مِنَ
 الْجُنْدِيَّةِ وَأَكْرَمَ زَوْجَتَهُ وَأَمَرَ فَأَدْخَلُوهَا قَصْرَهُ وَقَالَ : هَذِهِ أَمْرَاةُ
 عَاقِلَةٍ تَصْنَعُ لِلْمِهْمَاتِ . ثُمَّ أُلْفَتْ إِلَى الْحَجَّامِ وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ ظَهَرَ مِنْ
 مُرْوَتِكَ مَا يُوجِبُ الْمُبَالَغَةَ فِي إِكْرَامِكَ . فَسَلَّمَ إِلَيْهِ دَارَ الْجُنْدِيِّ بِمَا
 فِيهَا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ رِزْقَ الْجُنْدِيِّ وَأَجْرِي لَهُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي كُلِّ
 سَنَةٍ . فَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ النِّعْمَةِ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ (حديقة الافراح للشيخ)

الْبَابُ السَّادِسُ عَشَرَ فِي الْقَهَّاتِ

٣١٣ كَتَبَ ابْنُ الْحَازِمِ الْكَاتِبُ الدِّيَّوَرِيُّ إِلَى الْحَكِيمِ أَبِي الْقَاسِمِ الْأَهْوَاذِيِّ وَقَدْ فَصَدَهُ وَاللهُ :

رَحِمَ إِلَهِ مُجْدِلِينَ سَلِيمَهُمْ مِنْ سَاعِدَيْكَ مُبَضَّعٌ يُبَضِّعُ
فَقَصَابُ تَأْتِيهِمْ بِمَصَابٍ نُشِرَتْ قَطُويَ أَذْرَعًا فِي الْأَذْرَعِ
أَقْصَدْتَهُمْ بِاللَّهِ أَمْ أَقْصَدْتَهُمْ وَخَرًّا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ الشُّرْعِ
دَسْتُ الْمُبَاضِعِ أَمْ كُنَّا نُهُ أَنَّهُمْ أَمْ ذُو الْقَقَارِ مَعَ الْبَطِينِ الْأَنْزَعِ
غَرَرًا بِنَفْسِي إِنْ لَقَيْتُكَ بَعْدَهَا يَاعَتَرُ الْعَبْسِيُّ غَيْرَ مُدْرِعِ
٣١٤ كَتَبَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ إِلَى صَاحِبِهِ يَطْلُبُ خَمْرًا :

أَشْكُو إِلَيْكَ بِرَاغِيًا لَيْتُ بِهَا سُودًا إِذَا أَتَيْتُهَا فِي اللَّيْلِ لَمْ أُنْمِ
أَصِيدُ هَذَا فَيَبْقَى ذَا فَيَلْدَغُنِي فَيَنْقُضِي اللَّيْلُ فِي صَيْدِي وَلَدَغْنِي
وَقَدْ تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَيْسَ يُقْذِي سِوَى ابْنَةِ الْكَرَمِ يَا ابْنَ الْجُودِ وَانْكَرَمْ
إِبْتِئَإِي دَمَ الْعُقُودِ أَشْرِبَهَا لَكِي أُنَامُ وَلَا أَشْعُرُ بِسَفْكِ دَمِي
٣١٥ قَالَ ابْنُ الدَّرَوِيِّ فِي ابْنِ أَبِي حَصِينَةَ الْأَحْدَبِ :

لَا تَطْنَنَّ حَذَبَةَ الظُّهْرِ عَيَا فَعَنِي فِي الْحَسَنِ مِنْ صِفَاتِ الْهَلَالِ
وَكَيْذَاكَ أَلَيْسِي مُخْدَوْدِيَاتٌ وَهِيَ أَنْكِي مِنَ الطُّبَا وَالْعَوَالِي
وَإِذَا مَا عَلَا السَّكَامُ فَيَبِيهِ لِمُرُومِ الْجَمَالِ أَيُّ جَمَالِ

كُونَ اللَّهُ حَذَبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتَ مِنْ الْفَضْلِ لَا مِنْ الْإِفْضَالِ
فَأَتَتْ رُبُوعَةً عَلَى طُودٍ جَلِيمٍ مِنْكَ أَوْ مَوْجَةً يَبْغُرُ نَوَالِ
مَا رَأَتْهَا النِّسَاءُ إِلَّا تَمَنَّتْ أَنَّهَا حَلِيبَةٌ لِكُلِّ الرِّجَالِ
٣١٦ قَالَ ابْنُ دَانِيَالٍ فِي أَحَدَبَ يُسَمَّى حَسَّانَ :

قَسَمًا بِحُسْنِ قِوَامِكَ الْفَتَانِ يَا أَوْحَدَ الْأَمْزَاءِ فِي الْحُدَبَانِ
يَا مُشَبَّهَ الْفَضْلِ الرُّطِيبِ إِذَا انْتَهَى مِنْ حَذَبَةٍ فَيَمِيسُ كَالرَّيَّانِ
يَا مُنْجِلًا شَكَلَ الزَّمَانَ بِقَدَمِهِ حَاشَاكَ أَنْ تُعْزَى إِلَى نُفْصَانِ
مَا عَابَ قَامَتِكَ الْحُسُودُ جِهَالَةَ إِلَّا أَجَبْتَ مَقَالَةَ بَيَّانِ
هَلْ تَحْسُنُ الْحَرَكَاتُ إِلَّا أَنْ يُرَى ذُو حَذَبَةٍ فِي حَلَبَةِ الْبِيدَانِ
لَوْلَاكَ مَا اشْتَقْنَا قِبَابَ الْمُتَحَنَّى مِنْ حَاجِرٍ وَالْتَلَّ مِنْ عُسْفَانِ
وَالْعُودُ أَحَدَبُ وَهُوَ يُلْعَبِي مُطَرِبًا وَلَقَدْ سَمِعْتَ بِنَعْمَةِ الْبِيدَانِ
وَأَنْظُرْ سَفِينِ الْبَحْرِ لَوْلَا حَذَبَةُ فِي ظَهْرِهِ لَمْ يَقَوْ لِلطُّوفَانِ
وَمُدِيرُ الْأَكْسِيرِ يُدْعَى أَحَدَبًا فِي عِلْمِهِ وَالْقِسْطُ فِي الْمِيزَانِ
وَإِذَا اكْتَسَى الْإِنْسَانُ قِيلَ تَمَثَّلَا بِالذَّحِّ قَامَتْ حَذَبَةُ الْإِنْسَانِ
يَفْدِيكَ فِي الْحُدَبَانِ كُلِّ مُكَرَّبٍ يَمِشِي الْهَوَيْنَا مِشْيَةَ السَّرْطَانِ
مُتَجَمِّعِ الْكَفَّيْنِ أَقْوَسَ قَدْ بَدَأَ فِي هَيْئَةِ الْمُتَخَوِّفِ الضَّمْعَانِ

الطيب والحليقة

٣١٧ يُحْكِي أَنْ قَلَا حَاصِلَ لَهُ شِدَّةٌ مِنْ مَرَضٍ آلَمَهُ وَأَصَابَ قَدَمَهُ
فَجَاءَ إِلَى طَيْبٍ وَشَكَا إِلَيْهِ الْآلَامَ وَقَالَ: أَلِمِّي فِي رِجْلِي ضَلَّتْ هَمِي

وَأَضَمَفَ هَمِي . فَقَالَ لَهُ الطَّيِّبُ : لَا بَأْسَ يَا حَبِيبُ هَذَا هَمِي .
وَعِلَاجُهُ بَيْنُ . أَعْطِنِي دِينَارًا أَصِفْ لَكَ دَوَاءً شَافِيًا . فَأَعْطَاهُ مَا أَسْتَهِي
وَأَسْتَوْصِفُهُ الدَّوَاءَ . فَقَالَ صَمَدُهُ بِمَجَّةٍ يَبِضُ كَثِيرَةً الْأَثَرِ . وَضَعَ عَلَيْهِ
عَسَلًا مُسْتَحَنًّا عَلَى النَّارِ . فَقَعَلَ ذَلِكَ فَبَرَّتْ قَدَمُهُ . وَزَالَ بِالْكُلِّيَةِ أَلَمُهُ .
فَفَكَّرَ الْفَلَاحُ فِي أَمْرِ الطَّيِّبِ . وَقَوْلِهِ الْمَصِيبِ . فَرَأَى الرَّاخَةَ . فِي
تَرْكِ الْفَلَاحَةِ . وَالْأَشْتِقَالِ يَعْلَمُ الطَّيِّبُ فَإِنَّهُ أَمْرُهُنَّ يَسِيرُ . وَبِأَذَى
أَمْرِ حَقِيرٍ . يُحْصِلُ أَمَالًا كَثِيرًا . فَبَاعَ آلَاتِ الزَّرَاعَةِ . وَعَزَمَ عَلَى تَعَاطِي
مَا فِي الطَّيِّبِ وَالتَّعْبِيرِ مِنَ الصَّنَاعَةِ . وَجَمَعَ كُتُبًا وَدَفَاقِرَ . وَكَرَّارِيسَ مُحَرَّمَةً
مَنَازِرَ . وَوَسَّعَ أَكَامَهُ . وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً كَهَمَامَةً . وَجَمَعَ عَقَاقِيرَ
وَأَوْرَاقًا وَبَسَطَ بَسْطَهُ فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ وَأَشَارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ مُخْبِرًا : أَنَّ
الْمَلِكَانَ الْفَلَاحِيَّ فِيهِ طَيِّبٌ مُعَبَّرٌ وَهُوَ أَسَاذُ الزَّمَانِ وَعَلَامَةُ الْأَوَانِ .
وَتَلَامِذَتُهُ فِي الطَّيِّبِ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ . وَفِي التَّعْبِيرِ ابْنُ سِيرِينَ وَكَرْمَانُ .
وَتَصَدَّرَ كَأَبِي زَيْدٍ وَسَاسَانُ . غَامِلًا يَمَا قَالَهُ شَيْخُ الْبَيَانِ وَهُوَ :

الطَّبُّ أَهْوَنُ عِلْمٍ يُسْتَفَادُ فَطَرُ	بَيْنَ الْأَنَامِ بِهِ طَيْرُ الزَّنَابِيرِ
وَأَجْمَعَ لَذَاكَ كَرَّارِيسًا مُنْتَرَةً	وَجَمَلَةً مِنْ حَشِيشٍ مِنْ عَقَاقِيرِ
وَضَعَ عَلَى الرَّأْسِ بَقِيَارًا تُدَوِّرُهُ	كَثْبَةً النَّسْرِ فِي وَزْنِ الْقَنَاطِيرِ
وَأَجْمَعَ مَعَاجِينَ مِنْ رَبِّ تَخْلُطُهَا	وَأَسْحَقَ سَهْوًا وَاعْتَمَالَ الْعَوَاوِيرِ
وَسَمَّ مَا شِلَّتْ مِنْ أَسْمَاءٍ مُغَرَّبَةٍ	كَالسِّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالسَّرْحَا وَخَنْفُورِ
وَقُلَّ مِنَ الْهِنْدِ جَاهِذَا وَمِنْ عَدَنِ	هَذَا وَهَذَا أَتَى مِنْ مُلْكٍ تَقْفُورِ

وَذَا مِنَ الْبَحْرِ بَحْرُ الصَّيْنِ مَعْدِنُهُ وَذَا مِنَ الْبَرِّ الْمَدْعُو بِرَبْرِ
فَإِنْ رَأَيْتَ بِالْأَسْتَقَاءِ ذَا وَرَمٍ قُلْ تَوَرَّمٌ مِنْ لَسَعِ الزَّنَائِيرِ
إِنْ أَقْشَرَ قُلْ يَرُدُّ عَرَاهُ وَإِنْ يُحِمُّ قُلْ حَرَهُ وَهَجِ السَّائِيرِ
وَإِنْ أَتَاكَ مَرِيضٌ لَا تَخَفْ وَأَشِرْ بِمَا تَرَى مِنْ دَوَاءِ دُونِهِ الْبُورِي
فَإِنْ يَبِشْ قُلْ دَوَائِي كَانَ مُنْعِشُهُ وَإِنْ يَمُتْ قُلْ أَتَاهُ حُكْمٌ مَقْدُورِ
فَإِنْ أَصَبْتَ قُلْ عَلَيَّ وَمَعْرِفَتِي وَفِي التَّخَالُفِ قُلْ صِدْقُ الْمَقَادِيرِ
وَإِنْ رَأَيْتَ قَهْبًا فَرِّ مِنْهُ وَلَا تَنْطِقْ يُخْطِئُكَ فِي جَهْلِ وَتَكْفِيرِ
وَأَنْتَ تَحْتَاجُ فِي هَذَا وَذَاكَ إِلَى ذَوْقٍ وَمَعْرِفَةٍ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرِ
فَأَنْتَقِ أَنْ زِمَامَ خَلِيفَةِ الْأَنَامِ . رَأَى فِي النَّوَامِ . شَيْئًا هَالَهُ . وَغَيْرِ
حَالَهُ . فَحَصَلَ لَهُ فِي رَأْسِهِ صُدَاعٌ . وَفِي فُؤَادِهِ أَوْجَاعٌ . فَسَمِعَ بِهَذَا الْمُبِيرِ
الْجَدِيدِ . وَأَنَّهُ أَسَازٌ مُفِيدٌ . فَقَالَ : مَاذَا تَشْكُو . فَقَالَ : فِي فُؤَادِي
أَوْجَاعٌ . وَفِي رَأْسِي صُدَاعٌ . فَقَالَ : يَارَبِّ مَنْ فَأَخَرَ . أَعْطِنِي دِينَارًا
آخَرَ . أَصِفْ لَكَ أَيْسَرَ دَوَاءٍ . يَحْصُلُ لَكَ مِنْهُ الْعَافِيَةُ وَالشِّفَاءُ .
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الدِّينَارَ . وَطَلَبَ مِنْهُ دَوَاءَ الدُّوَارِ . وَمَا بِفُؤَادِهِ مِنْ أَلَمٍ .
أَوْزَتْهُ الْوُجَعُ وَالضَّرَمُ . فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَيْضِ صَمِّدْ رَجْلَكَ بِحِجَّةٍ بَيْضِ .
مُضَاقًا إِلَيْهَا عَسَلٌ مُشْتَارٌ . وَلَيْكُنْ ذَلِكَ مُسَخَّنًا بِالنَّارِ . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا .
وَفَارَ كَالنَّارِ شَوَاطِلًا وَلَهَبًا وَعَرَفَ أَنَّهُ جَاهِلٌ . وَعَنْ طُرُقِ الْعِلْمِ غَافِلٌ .
فَادَّيَبَهُ التَّأْدِيبُ الْبَالِغُ . وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُتَادِمَةِ السَّالِغِ . وَاسْتَمَرَ
عَلَى كَلَاخَتِهِ . بَعْدَ رَجُوعِهِ إِلَى فَلَاحَتِهِ (فَكَهْمَةُ الْحَقَاءِ لَا بَنَ عَرِشَاهُ)

الفضل بن يحيى والاعرابي

٣١٨ وَمِمَّا جَاءَ مِنْ أَخْبَارِ أَلْبَرَامِكَةَ مَا رَوَاهُ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ خَرَجَ الْفَضْلُ لِلصَّيْدِ وَالْقَنْصِ. وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْكِهِ إِذْ رَأَى أَعْرَابِيًّا عَلَى نَاقَةٍ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ صَدْرِ الْبَرِيَّةِ يَرْكُضُ فِي سَبِيلِهِ. قَالَ: هَذَا يَقْصِدُنِي فَلَا يُكَلِّمُهُ أَحَدٌ غَيْرِي. فَلَمَّا دَنَا الْأَعْرَابِيُّ وَرَأَى الْمَضَارِبَ نَضْرَبُ. وَالْحَيَامَ تُنْصَبُ. وَالْعُسْكَرَ الْكَثِيرَ. وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ. وَسَمِعَ الْغَوَاةَ وَالضَّجَّةَ ظَنَّ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَزَلَّ وَعَمَلَ رَاحِلَتَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. قَالَ: أَخْضَعْ عَلَيْكَ مَا تَقُولُ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ. قَالَ: الْآنَ قَارِبَتْ أَجْلِسْ فَجَلَسَ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ. قَالَ: مِنْ فُضَاعَةَ. قَالَ: مِنْ أَذْنَاهَا أَوْ مِنْ أَقْصَاهَا. قَالَ: مِنْ أَقْصَاهَا. فَقَالَ يَا أَخَا الْعَرَبِ: مِثْلَكَ مَنْ يَقْصِدُ مِنْ ثَمَانِيَةِ فَرَسَخٍ إِلَى الْعِرَاقِ لِأَيِّ شَيْءٍ. قَالَ: قَصِدْتُ هَؤُلَاءِ الْأَمَاجِدَ الْأَتْحَادَ الَّذِينَ قَدْ ائْتَمَرُوا مَعَهُمْ فِي الْبِلَادِ. قَالَ: مَنْ هُمْ. قَالَ: أَلْبَرَامِكَةُ. قَالَ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ أَلْبَرَامِكَةَ خَلَقَ كَثِيرٌ. وَفِيهِمْ جَلِيلٌ وَخَطِيرٌ. وَلِكُلِّ مِنْهُمْ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ. فَهَلْ أَفْرَزْتَ لِنَفْسِكَ مِنْهُمْ مَنْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ وَأَتَيْتَهُ لِحَاجَتِكَ. قَالَ: أَجَلْ أَطْوَلُهُمْ بَاعًا وَأَسَمَّهُمْ كَفَاءً. قَالَ: مَنْ هُوَ. قَالَ: الْفَضْلُ ابْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ. فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّ الْفَضْلَ جَلِيلٌ أَلَمْدَرُ عَظِيمُ الْخَطَرِ. إِذَا جَلَسَ لِلنَّاسِ مَجْلِسًا عَامًّا لَمْ يَخْضَرْ مَجْلِسَهُ

إِلَّا الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْأُدَبَاءَ وَالشُّعْرَاءَ وَالْكَتَّابَ وَالْمُتَظَاهِرُونَ لِلْعِلْمِ .
 أَعْلَمُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَأَدِيبُ أَنْتَ . قَالَ : لَا . قَالَ : أَفَعَارِفُ
 أَنْتَ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . قَالَ : لَا . قَالَ : وَرَدَّتْ عَلَى الْفَضْلِ
 بَكْتَابٍ وَسِيْلَةٍ . قَالَ : لَا . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ غَرَّتْكَ نَفْسُكَ . مِثْلُكَ
 يَقْصِدُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى وَهُوَ مَا عَرَفْتُكَ عَنْهُ مِنَ الْجَلَالَةِ . بِأَيِّ ذَرِيْعَةٍ
 أَوْ وَسِيْلَةٍ تَقْدُمُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرُ مَا قَصَدْتُهِ إِلَّا لِإِحْسَانِهِ
 الْمُرُوفِ . وَكَرَمِهِ الْمُوصُوفِ . وَبَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قُلْتُمَا فِيهِ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَتَشِدُّنِي الْبَيْتَيْنِ فَإِنْ كَانَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ
 بِيَهْمَا أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِلِقَائِهِ . وَإِنْ كَانَا لَا يَصْلُحَانِ أَنْ تَلْقَاهُ بِيَهْمَا بَرَزْتُكَ
 بِشَيْءٍ مِنْ مَالِي وَرَجَعْتُ إِلَى بَادِيَتِكَ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَسْتَحِقَّ بِشِعْرِكَ
 شَيْئًا . قَالَ : أَفَتَفْعَلُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّ أَقُولُ :
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجُودَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ تَحَدَّرَ حَتَّى صَارَ يَتَمَتَّعُهُ الْفَضْلُ
 وَلَوْ أَنَّ أُمَّا مَسَّهَا جُوعٌ طِفْلُهَا غَذَتْهُ بِإِسْمِ الْفَضْلِ لِأَغْتَذَا الطِّفْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ قَدْ مَدَحْنَا
 بِيَهْمَا شَاعِرٌ وَأَخَذَ الْجَائِزَةَ عَلَيْهِمَا فَأَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ . قَالَ أَقُولُ :
 قَدْ كَانَ آدَمُ حِينَ حَانَ وَقَاتُهُ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوِيَاءِ
 بَيْنَهُ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعِيَّتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَوْلَةَ الْأَبْنَاءِ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ مُعْتَمِنًا هَذَانِ
 الْبَيْتَانِ أَخَذَتْهُمَا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ . فَأَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ وَقَدْ

رَمَقْتَكَ الْأَدْبَاءُ بِالْأَبْصَارِ وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ إِلَيْكَ وَتَحْتَاجُ أَنْ تُتَاضِلَ
عَنْ نَفْسِكَ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

مَلَّتْ جَهَائِدُ فَضْلٍ وَزَنَ نَائِلُهُ وَمَلَّ كُتَابُهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يَمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ هَذَا الْيَتَانِ
مَسْرُوقَانِ . أَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا . فَمَا تَقُولُ : قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

وَلَوْ قِيلَ لِلْمَعْرُوفِ نَادِ أَخَا الْعَلَا لَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا فَضْلُ يَا فَضْلُ
وَلَوْ أَنْفَقْتَ جَدْوَالَكُمِنْ رَمْلِ عَالِجٍ لَأَصْبَحَ مِنْ جَدْوَالِكَ قَدْ نَفِدَ الرَّمْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : هَذَا
الْيَتَانِ مَسْرُوقَانِ أَيْضًا . أَتَشِدُّنِي غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ : قَالَ أَقُولُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَثْمَانٌ صَبُّ وَبَازِلٌ وَإِنِّي لَذَلِكَ الصَّبُّ وَالْبَازِلُ الْفَضْلُ
عَلَى أَنْ لِي مِثْلًا إِذَا ذُكِرَ الْوَرَى وَلَيْسَ لِفَضْلٍ فِي سَمَاحَتِهِ مِثْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَتَشِدُّنِي
غَيْرَهُمَا فَمَا تَقُولُ . قَالَ : أَقُولُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ :

حَكِيَ الْفَضْلُ عَنْ يَحْيَى سَمَاحَةِ خَالِدٍ فَضَلَّتْ بِهِ الْقَوَى وَقَامَ بِهِ الْعَدْلُ
وَقَامَ بِهِ الْمَعْرُوفُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَلَمْ يَكُ لِلْمَعْرُوفِ بَعْدُ وَلَا قَبْلُ
قَالَ : أَحْسَنْتَ . فَإِنْ قَالَ لَكَ : قَدْ صَحِبَ نَائِمِينَ الْفَاضِلَ وَالْمَقْضُولِ
أَتَشِدُّنِي يَتَيْنِ عَلَى الْكُتْبَةِ لَا عَلَى الْأَسْمِ فَمَا تَقُولُ . قَالَ : إِذَنْ أَقُولُ :

أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدُّ الْمُلُوكِ لَهُ نَعْلُ

إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَأَنَّهُمْ مَحْلُ
 قَالَ : أَحْسَنْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ فَإِنْ قَالَ لَكَ الْفَضْلُ : أَتَشْدُ نَاقِيزَ
 الْإِسْمِ وَالْكُتْبَةِ وَالنَّاقِيَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ لَنْ زَادَنِي الْفَضْلُ وَاسْتَحْنِي
 بَعْدَ هَذَا أَقُولُنَّ أَرْبَعَةَ آيَاتٍ مَا سَبَقَنِي إِلَيْهِنَّ عَرَبِيٌّ وَلَا أَعْجَبِي .
 وَلَنْ زَادَنِي بَعْدَهَا لَأَجْمَنَ قَوَائِمَ نَاقِيَةِ هَذِهِ وَأَجْعَلُهَا فِي فَمِ الْفَضْلِ .
 وَلَا زَجَمَنَ إِلَى قُضَاعَةِ خَاسِرٍ وَلَا أَبَالِي . فَكَسَّ الْفَضْلُ رَأْسَهُ وَقَالَ
 لِلْأَعْرَابِيِّ : يَا أَخَا الْعَرَبِ اسْتَحْنِي الْآيَاتِ الْأَرْبَعَةَ . قَالَ أَقُولُ :
 وَلَا نِيَّةَ لَأَمْنِكَ يَا فَضْلُ فِي النَّدَى فَقَلْتُ لَهَا هَلْ يَفْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ
 أَتَنْهِنَ فَضْلًا عَنْ عَطَايَاهُ لِلْوَرَى فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْهَى السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
 كَانَ نَوَالُ الْفَضْلِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ تَحْدُرُ مَاءُ الْمَزْنِ فِي مَهْمَةٍ قَفَرِ
 كَانَ وَفُودُ النَّاسِ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ إِلَى الْفَضْلِ لَاقُوا عِنْدَهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
 قَالَ فَأَمْسَكَ الْفَضْلُ عَنْ فِيهِ وَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ ضَاحِكًا . ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ أَنَا وَاللَّهِ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى . سَلْ مَا شِئْتَ .
 فَقَالَ : سَأَلْتُكَ بِاللَّهِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّكَ لَهْوٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ لَهُ :
 فَأَقْلِبْنِي قَالَ : أَقَالَكَ اللَّهُ أَذْكَرَ حَاجَتِكَ . قَالَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
 قَالَ الْفَضْلُ : أَزْدَدْتِ بِنَا وَبِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ . تُعْطِي عَشْرَةَ آلَافٍ
 دِرْهَمٍ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ وَأَمْرٌ يَدْفَعُ الْمَالَ . فَلَمَّا صَارَ الْمَالَ إِلَيْهِ
 حَسَدَهُ وَزِيرُ الْفَضْلِ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ هَذَا إِسْرَافٌ . يَا بَيْتُكَ جَافٌ مِنْ
 أَجْلَافِ الْعَرَبِ بِآيَاتِ اسْتَرْقَاهَا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَخَبِرَ بِهِ هَذَا الْمَالَ .

قَالَ : اسْتَحْمَهُ بِحُضُورِهِ إِلَيَّ مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ . قَالَ الْوَزِيرُ : أَقْسَمْتُ
عَلَيْكَ إِلَّا أَخَذْتَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِكَ وَرَكْبَتَهُ فِي كَيْدِ قَوْسِكَ
وَأَوْمَأَتْ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ . فَإِنْ رَدَّ عَنْ نَفْسِهِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ . وَإِلَّا
فَأَسْتَغْفِرُ مَالَكَ وَيَكُونُ لَهُ فِي بَعْضِهِ كَفَايَةٌ . فَأَخَذَ الْفَضْلُ سَهْمًا
وَرَكْبَةً فِي كَيْدِ قَوْسِهِ وَأَوْمَأَ بِهِ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ لَهُ : رُدَّ سَهْمِي
بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الْجُودِ وَالْوَتْرُ النَّدَى وَسَهْمُكَ سَهْمُ الْغِيْرِ قَارِمٍ بِهِ شَرِي
قَالَ فَصَحَّحَ الْفَضْلُ وَأَنشَأَ يَقُولُ :

إِذَا مَلَكَتْ كَفِّيَ مَنْ أَلَا وَلَمْ أَتْلُ فَلَا تُبْسَطْ كَفِّيَ وَلَا تُهَضَّتْ رِجْلِي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافَ الَّذِي قَدْ بَذَلْتَهُ فَلَا تُبْقِ لِي بُخْلِي وَلَا تُتْلِفِي بَذْلِي
أَرُونِي بِخَيْلٍ نَالٍ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وَهَاتُوا كَرِيَمَاتٍ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ
ثُمَّ قَالَ الْفَضْلُ لَوَزِيرِهِ . اعْطِ الْأَعْرَابِيَّ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِقَصْدِهِ
وَشَعْرِهِ وَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِكَيْفِيَّةِ شَرِّ قَوَائِمِ نَاقَتِهِ . فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ
أَلْمَالَ وَانْصَرَفَ . وَهُوَ يَكْبِي فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : مِمَّ بَكَوْكَ يَا أَعْرَابِي .
أَسْتَعْلَا لَأَلْمَالِ الَّذِي أُعْطِيَاكَ . قَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى مِثْلِكَ يَا كَلَّةُ
الْتَرَابِ وَتَوَارِيهِ الْأَرْضِ . وَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ مَالَ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا يَبْعُرُ
وَلَكِنِ الرِّزْيَةُ قَدْ دُحِرَ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

ثُمَّ انْصَرَفَ الْأَعْرَابِيُّ مُسْرُورًا (اعلام الناس للإليدي)

أَلْبَابُ السَّائِعِ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

مدينة الزهراء في الاندلس

٣١٩ كَانَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِرُ كَلَفًا بِعِمَارَةِ الْأَنْدَلُسِ وَإِقْلَامَةِ
مَعَالِمِهَا وَتَحْلِيدِ الْأَنْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَلِكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ . فَأَفْضَى بِهِ
الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءَ الشَّائِعَ ذِكْرُهُ
الْمُنْتَشِرَ صَيْتُهُ . وَاسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَمِيمِهَا وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا وَزُخْرَفَةِ
مَصَانِعِهَا . فَاسْتَدْعَى عُرَفَاءَ الْمُهَنْدِسِينَ وَحَشَدَ بُرْعَاءَ الْبَنَانِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرِ
فَوْقَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَزْهَرَاتِ
وَأِنْشَاءِ مَدِينَةِ الزَّهْرَاءِ الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ . وَأَقَامَهَا بِطَرِيقِ
الْبَلَدِ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ قَرْطَبَةٍ . وَنَسَقَ فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُهْجِرٍ وَنِظَامٍ .
وَكَانَ قَصْرُ الْخَلِيفَةِ مُتَاهِيًا فِي الْجَلَالَةِ وَالْفَخَامَةِ . أَطْبَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
يُبْنَ مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ الْبَتَّةَ . وَمَادَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ
وَالْتَحَلَ الْخُتْمَةَ إِلَّا وَكَلَّمَهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَلَهُ شَيْهًا يَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَلْ لَمْ
يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا السَّطْحُ الْمُرْدُ الْمَشْرِفُ عَلَى
الرَّوَضَةِ الْمُبَاهِيِ بِمَجْلِسِ الذَّهَبِ وَالْقَبَّةِ . وَغَجِبَ مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ إِتْقَانِ
الصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ الْهَمَّةِ وَحُسْنِ الْمُسْتَشْرِفِ وَرِاعَةِ الْمَلْبَسِ وَالْحَلَّةِ مَا بَيْنَ
مَرْمَرٍ مُسْنُونٍ وَفَهْبٍ مَصُونٍ وَعَمِدٍ كَانَمَا أَفْرِغَتْ فِي الْقَوَالِبِ . وَمَتَّائِلِ

لَا تُهْدَى الْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ اسْتِفْصَاءِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا (لَكِنِّي مَثَلًا). وَكَانَتْ
تَرَى فِي مَقْصُورَةِ الْخَلِيفَةِ بَرْكَهَ تَجْرِي الْمَاءُ فِيهَا بِصَنْعَةٍ مُحْكَمَةٍ وَفِي وَسْطِهَا
يَعُومُ أَسَدٌ عَظِيمُ الصُّورَةِ بَدِيعُ الصَّنْعَةِ شَدِيدُ الرُّوعَةِ. لَمْ يُشَاهَدْ أَبْعَى
مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ الْمُلُوكُ فِي غَايِرِ الدَّهْرِ. مَطْلِي بِذَهَبٍ إِبْرِيْزٍ وَعَيْنَاهُ
جَوْهَرَتَانِ لَهَا وَيَصُّ شَدِيدٌ. فَيَمُجُّ الْمَاءُ فِي تِلْكَ الْبَرْكَةِ مِنْ فِيهِ فَيَهْرُ
الْمَنَاطِرُ بِحُسْنِهِ وَرُوعَةِ مَنْظَرِهِ وَتُجَاجَهُ صَيْهٌ. فَتُسْقَى مِنْ تَجَاجِهِ جَنَانُ هَذَا
الْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا وَيَسْتَفِيزُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَابَاتِهِ. وَهَذِهِ الْبَرْكَةُ
وَتَمَثَلُهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْمُلُوكِ فِي غَايِبِ الدَّهْرِ لِقَامَةِ بُيُوتِهَا. وَمَا
يَخْصُ سَائِرَ الْبَنَاءِ فَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ جَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ الْأَبْيَضَ
الْمُجَرَّجَ مِنْ رَيَّةٍ وَالْأَبْيَضَ مِنْ غَيْرِهَا وَالْوَرْدِيَّ وَالْأَخْضَرَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةٍ
وَبَنَى فِي الْقَصْرِ الْمَجْلِسَ وَجَعَلَ فِي وَسْطِهِ الْبَيْتَةَ الَّتِي أَتَى أَتَحَفَ النَّاصِرُ
بِهَا إِلَى الْيَوْمِ مَلِكُ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ. وَكَانَتْ قَرَامِدُ هَذَا الْقَصْرِ مِنْ
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَهَذَا الْمَجْلِسُ فِي وَسْطِهِ صَهْرِيحٌ عَظِيمٌ تَمْلُؤُ بِالزَّبَقِ.
وَكَانَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ هَذَا الْمَجْلِسِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ قَدْ انْمَدَّتْ عَلَى خَتَايَا
مِنْ الْعَاجِ وَالْأَبْنُوسِ الْمُرْصَعِ بِالذَّهَبِ وَأَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ قَامَتْ عَلَى
سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ الْمَلُونِ وَالْبَلُورِ الصَّافِي. وَكَانَتْ الشَّمْسُ تَدْخُلُ
عَلَى تِلْكَ الْأَبْوَابِ فَيَضْرِبُ شِعْلُهَا فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ وَحِيطَانِهِ فَيَصِيرُ
مِنْ ذَلِكَ نُورٌ يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ. وَكَانَ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ فِي غَايَةِ الْإِثْقَانِ
وَالْحُسْنِ وَبِهَا مِنَ الرَّمْيِ وَالْعَمْدِ كَثِيرٌ وَأَجْرَى فِيهَا الْمِيَاهُ وَأَحْدَقَ بِهَا

الْبَسَاتِينَ وَقَدْ أَثَقَنَهُ إِلَى الْغَايَةِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ أَمْوَالًا طَالِيَةً . وَوَضَعَ فِي
وَسْطِ الْبَحِيرَةِ قُبَّةً مِنْ زُجَاجٍ مُلَوَّنٍ مَنقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَجَلَبَ الْمَاءَ عَلَى
رَأْسِ الْقُبَّةِ بِتَدْبِيرِ أَحْكَمِ الْمُهَنْدِسُونَ . فَكَانَ الْمَاءُ يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى الْقُبَّةِ
عَلَى جَوَانِبِهَا مُحِيطًا بِهَا وَيَتَّصِلُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ وَكَانَتْ قُبَّةُ الزُّجَاجِ فِي
غَلَالَةِ يَمَاسِكَبْ خَلْفَ الزُّجَاجِ لَا يَفْتَرُّ مِنَ الْجَرِيِّ وَتُوقَدُ فِيهَا الشُّعُوعُ
فَيَرَى لِدَلِكِ مَنْظَرٌ بَدِيعٌ . وَتَمَّ بِنَاءُ الزَّهْرَاءِ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً (للمقري)

عجائب مصر منها المقياس والاهرام والنيل

٣٢٠ قَالَ ضِيَاءُ الدِّينِ بْنِ الْأَثِيرِ فِي وَصْفِ مِصْرَ : وَلَقَدْ شَاهَدْتُ
مِنْهَا بَلَدًا يَشْهَدُ بِفَضْلِهِ عَلَى الْبِلَادِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ الْمِصْرَ وَمَا عَدَاهُ فَهُوَ
السَّوَادُ . فَمَارَاهُ رَأَى إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ وَصَدْرَهُ . وَلَا وَصَفُهُ وَاصِفٌ إِلَّا عِلِمَ
أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ قَدْرَهُ . وَبِهِ مِنْ عَجَائِبِ الْأَنْدَالِ مَا لَا يَضِيطُّهَا الْعِيَانُ فَضْلًا
عَنِ الْإِخْبَارِ . مِنْ ذَلِكَ الْهَرَمَانِ اللَّذَانِ هَرَمِ الدَّهْرِ وَهَمَا لَا يَهْرَمَانِ .
قَدْ اخْتَصَّ كُلُّ مِنْهُمَا بِعَظَمِ الْبِنَاءِ . وَسَعَةِ الْقَنَاءِ . وَبَلَغَ مِنَ الِارْتِفَاعِ
غَايَةً لَا يَلْتَمِسُهَا الطَّيْرُ عَلَى بُعْدِ تَحْلِفِهِ . وَلَا يُدْرِكُهَا الطَّرْفُ عَلَى مَدَى
تَحْدِيقِهِ . فَإِذَا اضْرَمَ بِرَأْسِهِ قَبْسُ ظَنِّهِ الْمُتَأَمِّلُ نَجْمًا . وَإِذَا اسْتَدَارَ عَلَيْهِ
قَوْسُ السَّمَاءِ كَانَ لَهُ سَهْمًا . وَمِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ الْمَقْيَاسُ الَّذِي يُعْتَبَرُ فِيهِ
قَدْرُ زِيَادَةِ قَيْضِ النَّيْلِ كُلِّ سَنَةٍ . وَأَبْدَاؤُهُ مِنْ شَهْرِ جُودَةِ وَمُعْظَمُ أَتْنَاهِ
أَغْشَتْ وَآخِرُهَا أَوَّلُ شَهْرِ الْكُوزِ . وَالْمَقْيَاسُ عُمُودٌ رُخَامٌ سَمَرِي فِي مَوْضِعٍ
يُنْخَصِرُ فِيهِ الْمَاءُ عِنْدَ أَتْنَاهِ إِلَيْهِ . وَهُوَ مُفَصَّلٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ

ذِرَاعًا. وَكُلُّ ذِرَاعٍ مُفَصَّلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ قِسْمًا أَقْسَامًا مُتَسَاوِيَةً
تُعرفُ بِالأَصَابِعِ. فَإِذَا اُسْتَوَى الْمَاءُ تِسْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الْقَيْضِ فَهِيَ
الْقَائِيَةُ عِنْدَهُمْ فِي طِيبِ الْمَاءِ. وَرَبَّمَا كَانَ الْمَاءُ فِيهَا كَثِيرًا الْعُمُومُ الْقَيْضِ
وَالْمُتَوَسِّطُ مَا اُسْتَوَى سَبْعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَهُوَ أَحْسَنُ مِمَّا زَادَ عَلَيْهِ. وَالَّذِي
يَسْتَحِقُّ بِهِ السُّلْطَانُ خَرَاجَهُ سِتُّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فَصَاعِدًا. وَعَلَيْهَا تُعْطَى
الْبِشَارَةُ لِلَّذِي يَرْقُبُ الزِّيَادَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُعْلِمُ بِهَا مِيَاوِمَةً
وَمِنْ الْمَبَانِي الَّتِي يَبْنِي الزَّمَانُ وَلَا تَبْلَى وَتَدْرُسُ مَعَالِيهِ وَأَخْبَارُهَا لَا
تَدْرُسُ الْأَهْرَامُ الَّتِي بِأَعْمَالِ مِصْرَ. وَهِيَ عَلَى تَحْوِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ فِي
الصَّخْرَاءِ الَّتِي يُفْضَى مِنْهَا إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ. وَهِيَ قَدِيمَةُ الْعَهْدِ مُعْجَزَةُ
الْبِنَاءِ غَرِيبَةُ الْمَنْظَرِ مَرْبُوعَةُ الشَّكْلِ كَأَنَّهَا الْقَبَابُ الْمَضْرُوبَةُ. قَدْ قَامَتْ
فِي جَوِّ السَّمَاءِ لَا سِيَّمَا الْإِثْنَانِ مِنْهَا. فِي سَعَةِ الْوَاحِدِ مِنْهُمَا مِنْ رُكْنِهِ إِلَى
رُكْنِهِ الْإِثْنَانَةُ خُطْوَةٌ وَسِتُّ وَسِتُّونَ خُطْوَةً مُحَدَّدَةٌ الْأَطْرَافِ فِي رَأْيِ
الْعَيْنِ. وَرَبَّمَا امْكُنَ الصُّعُودُ إِلَيْهَا عَلَى خَطَرٍ وَمَشَقَّةٍ فَتَلْقَى أَطْرَافَهَا الْمُحَدَّدَةَ
كَأَوْسَعِ مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَابِ. قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الصُّخُورِ الْعِظَامِ
الْمُخَوَّنَةِ وَرُكِبَتْ تَرْكِيبًا بَدِيعُ الْإِلْصَاقِ يَكَادُ يُجِيزُ أَهْلَ الْأَرْضِ
نَقْضُ بِنَائِهَا. أَمَّا الْأَهْرَامَانِ الْعَظِيمَانِ فَمَحَاضِيَانِ لِلْفُسْطَاطِ. كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا جِسْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحِجَارَةِ مَرْبَعُ الْقَاعِدَةِ. إِرْتِفَاعُ عُمُودِهِ أَرْبَعُ مِائَةٍ
ذِرَاعٍ يُحِيطُ بِهَا أَرْبَعَةُ سَطُوحٍ مُتَسَاوِيَاتٍ الْأَضْلَاعِ وَفِي أَعْلَاهُ سَطْحٌ
مَرْبَعٌ رَحْبٌ. وَهُمَا مَعَ هَذَا الْعِظَمِ مِنْ إِحْكَامِ الصَّنْعَةِ وَإِثْنَانِ

الهندسة وحسن التدبير بحيث إنه لم يتأثر بعصف الرياح وهطل
السحاب وزعزعة الزلازل . وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلا
ما يتخيل أنه ثوب أبيض فرش بين حجرين أو ورقة لا يخلل بينهما
الشرة . وطول الحجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين . قال بعضهم :
ما سمعت شيئا عظيم فحجته إلا رأيت دونه صفته إلا أمرين . فإني
لأرايتهما كان رؤيتهما أعظم من صفتيهما . وقد اختلفوا في من بنى
الأهرام . قال بعضهم :

حسرت عقول ذوي النهى الأهرام واستصغرت لعظيها الأجرام
ملى مؤنفة البناء شواهد قصرت لعال دونهن سهام
لم أدر حين كبا التفكير دونهما واستوهمت لعيها الأوهام
أقبور أملاك الأعاجم هن أم طلسم رمل هن أم أعلام
وزعم بعضهم أن الأهرام بمصر قبور ملوك عظام بها آثروا أن
يتميزوا على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم .
فسبق ذكرهم على تطاول الدهور . قال أمية بن عبد العزيز :

بئسك هل أبصرت أحسن منظرا على ما رأت عينك من هرمي مصر
أناقا بأعناء السماء وأشرقا على الجواشرف السماء والندر
وقال ألقمى عمارة البجلي الشاعر :

خليلي ما تحت السماء نايه غائل في إيقانها هرمي مصر
تزه طرقي في بديع بناها ولم يتزه في المراد بها فكري

وَقَالَ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ حَبَّارَةَ :

لِلَّهِ أَيْ غَرِيبَةٍ وَعَجِيبَةٍ فِي صَنَعَةِ الْأَهْرَامِ لِلْأَلْبَابِ
أَخَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ قِصَّةَ أَهْلِهَا وَقَصَّتْ عَلَى الْأَنْبَاءِ كُلِّ نِقَابٍ
فَكَأَنَّمَا هِيَ كَالْحَيَامِ مُقَامَةٌ مِنْ غَيْرِ مَا عَمِدَ وَلَا أَطْنَابٍ
قَالَ الْقُضَاعِيُّ : مِنْ عَجَائِبِ مِصْرَ النَّيْلِ قَالُوا لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
نَهْرٌ أَطْوَلُ مِنَ النَّيْلِ . لِأَنَّ مَسِيرَهُ شَهْرٌ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَشَهْرَانِ فِي
بِلَادِ النَّوْبَةِ وَأَرْبَعَةٌ أَشْهُرٍ فِي الْخُرَابِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ بِبِلَادِ الْقَمَرِ خَلْفَ
خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ . وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَهْرٌ يَصُبُّ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ
وَيَمْدُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ عِنْدَ انْتِصَاصِ الْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ كُلِّهَا وَيَزِيدُ بِتَرْتِيبٍ
وَيَنْقُصُ بِتَرْتِيبٍ إِلَّا النَّيْلُ . وَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَمَاءً يَزْرَعُ عَلَيْهِ وَيُسْتَقْنَى
عَنِ الْمَطَرِ بِهِ فِي زَمَانِ الْقَيْظِ إِذَا نَضَبَ الْمِيَاهُ . قَالَ ابْنُ خَرُوفٍ :

مَا أَعْجَبَ النَّيْلَ مَا أَبْهَى شِمَائِلَهُ فِي ضَفَّتَيْهِ مِنَ الْأَشْجَارِ أَدْوَاخُ
مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ فَيَأْصُلُ عَلَى رُءُوسِهَا فِيهَا هُبُوبُ الرِّيحِ أَرْوَاحُ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً تَكْمُلُ زَعْمُوهَا وَإِنَّمَا هِيَ أَرْزَاقُ وَأَرْوَاحُ

(اخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي)

عنقة والاسد

٣٢١ قَالَ الرَّائِي : وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ تَوَعَّلَ عَنَتُ فِي النَّبْرِ بِالْجَمَالِ
وَالنَّعَمِ . وَقَصَدَ بِهَا الرَّوَّابِي وَالْأَكْمَ . إِلَى أَنْ حَمِيتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَبَعُدَ
عَنْ حَيِّ تَبَسَّ . فَقَصَدَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ . يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنْ حَرِّ النَّهَارِ .

وَسُرِّحَتِ الْأَغْنَامُ تَرْعَى. فِي ذَلِكَ الْمَرْعَى. وَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ كَبِيرٍ مِنْ بَطْنِ
الْوَادِي ظَهَرَ يَمْشِي وَيَنْجُرُّ. أَفْطَسُ الْمُنْخَرِ. يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ الشَّرُّ. يَقْلِبُ
الْوَادِي إِذَا هَمَّ. بِأَنْيَابِ أَحَدٍ مِنَ التَّوَائِبِ. وَخَالَابِ أَمْرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ.
شَدُوقُ شَدَقَمٍ. عُبُوسٌ أَدْنَمٌ. تَسْمَعُ الرِّعْدَ إِذَا هَمَّهُمْ وَدَمْدَمٌ. يَلْمَعُ الْبَرَقُ
مِنْ عَيْنِهِ إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ وَأَعْتَمَ. شَدِيدُ الْحَيْلِ صَنْبُ الْمِرَاسِ. عَرِيضُ
الْكُتْفِ كَبِيرُ الرَّاسِ. فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَشَمَّتِ الْحَيْلُ رَافِئَتْهُ
قَرَّتْ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَكَذَلِكَ التُّوقُ وَالْجِمَالُ. شَرَدَتْ فِي الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ.
فَلَمَّا نَظَرَ عَتَرُ. إِلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ. نَزَلَ إِلَى الْوَادِي حَتَّى يُبْصِرَ.
وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ مُشَهَّرٌ. وَإِذَا هُوَ بِالْأَسَدِ رَايَطٌ بِأَسْطُ يَدَيْهِ. وَهُوَ
يَلْبَسُ يَدَيْهِ وَيَضْرِبُ بِهِ جَنْبَيْهِ. وَالشَّرُّ يَطِيرُ مِنْ عَيْنِهِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
رَعَقَ عَتَرُ عَلَيْهِ رَعَقَةٌ دَوَتْ بِهَا الْجِبَالُ. وَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا
الْأَشْبَالِ. يَا كَلْبَ الْقَلَا. يَا نَحْسَ وَحُوشِ الْيَدَا. فَلَمَّا أَبْدَتْ
بَاسَكَ وَصَوْلَتَكَ. وَأَفْخَرَتْ يَهْمَتَكَ وَهَمَمَتَكَ. فَلَاشَكَ أَنَّكَ مَلِكُ
السَّيَاحِ. وَسُلْطَانُهُمُ الْمَطَاعُ. وَلَكِنْ عُدَّ بِالْحَيَبَةِ وَالْإِذْلَالِ. قَالَا أَنَا
كُنَّا لَأَقِيْتَهُ مِنَ الرِّجَالِ. أَنَا هَلَكُ الْإِبْطَالِ. أَنَا مُيْتَمُ الْأَطْفَالِ.
قَالَا لَا أَرْضَى أَنْ أَفْطَكَ بَسَنَانٍ وَلَا بِحَسَامٍ. وَلَا بُدَّ أَنْ أَسْفِكَ كَأْسَ
الْجِلْمَامِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَلْقَى السَّيْفَ مِنْ يَدِهِ وَحَمَلَ عَلَى السَّيْبِ وَهُوَ يُشَدُّ.
يَا أَيُّهَا السَّيْبُ الْعُجُومُ عَلَى الرَّدَى هَا قَدْ بَقِيَتْ مُغْفَرًا مَنُوبًا
أَتُرِيدُ أَمْوَالِي تَكُونُ مُبَاحَةً هَا قَدْ تَرَكَتْكَ بِالْإِدْمَاخِ مَحْضُوبًا

شَرَدَتْ أَغْصَامِي وَلَمْ تَكُ عَلَامًا أَنِّي هَزِرْتُ لَا أَزَالُ
 هَذِي فَمَا لِي فِيكَ يَا كَلْبُ الْفَلَا هَلَّا شَهِدْتَ مَوَاقِعًا وَحُرُوبًا
 لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا تَلْتَقِي مِنِّي وَتُضْحِي لِلْهَيْمِ شُرُوبًا
 لَمْ تَأْتِ تَحْوِي بَنِي صَيْدًا قَدْ وَأَقَاكَ حَقُّكَ عَاجِلًا مُضْبُوبًا
 ثُمَّ هَجَمَ عَلَى الْأَسَدِ وَوَقَعَ عَلَيْهِ كَوْقُوعُ الْبَرْدِ. وَنَفَخَ عَلَيْهِ مِثْلَ
 الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ. وَوَثَبَ عَلَيْهِ حَتَّى سَاوَاهُ فِي وَثْبِهِ. وَصَرَخَ عَلَيْهِ
 صَرَخَةً أَعْظَمَ مِنْ صَرَخَتِهِ. وَقَبَضَ عَلَى فِيهِ بِكَفَيْهِ. وَأَتَكَأَ عَلَيْهِ
 فَشَقَّ حَنَكَيْهِ. إِلَى حَدِّ كَفَيْهِ. وَصَاحَ صَيْحَةً أَزْعَجَ بِهَا الْوَادِي وَجَانِبَيْهِ.
 وَصَبَرَ عَلَى الْأَسَدِ حَتَّى قَضَى عَلَيْهِ (سيرة عنتر لابن اسمعيل)

ذكر القهوة

٣٢٢ إِنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَهْوَةَ هِيَ النَّوْعُ الَّتِي تَخْتَضُّ مِنْ قَشْرِ الْبُنِّ أَوْ مِنْهُ مَعَ حَبِّ
 النَّجْحَمِ أَيْ الْمَقْلِيِّ. وَصَفَتْهَا أَنْ يُوضَعَ الْقَشْرُ إِمَّا وَحْدَهُ وَهِيَ الْقَشْرِيَّةُ
 أَوْ مَعَ الْبُنِّ النَّجْحَمِ الْمَذْقُوقِ وَهِيَ الْبُنِّيَّةُ فِي مَادَةٍ. ثُمَّ يُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى
 تَخْرُجَ خَاصِيَّتُهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَجِدُ غَايَةَ اعْتِدَالِ اسْتِوَائِهَا بِطَعْمٍ مَذَاقَهَا
 إِلَى الْمَرَارَةِ. ثُمَّ تُشْرَبُ. فَمَنْ قَابَلَ بِحُلُمَا يَرَى أَنَّهَا الشَّرَابُ الطَّهُّورُ الْمُبَارَكَةُ
 عَلَى أَرْبَابِهَا. الْمَوْجِبَةُ لِلنَّشَاطِ وَالْإِعَانَةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِ
 الْعِبَادَةِ لِطَلَابِهَا. وَمَنْ قَابَلَ بِحُرْمَتِهَا مُفْرِطٍ فِي ذَمِّهَا وَالتَّشْنِيعِ عَلَى
 شَرِّهَا. وَكَثُرَ فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ الثَّمَانِيفُ وَالْفَتَاوَى. وَبَالَغَ الْقَائِلُ
 بِحُرْمَتِهَا فَادَّعَى أَنَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَقَاسَهَا بِهِ وَسَاوَى. وَبَعْضُهُمْ نَسَبَ إِلَيْهَا

الْأَضْرَارَ بِالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَاوِي وَالتَّصَبَّاتِ
 الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْجِدَالِ وَالْفِتَنِ . وَأَمَّا اشْتِقَاقُ اسْمِ الْقَهْوَةِ (كَمَا قَالَ الْعَلَّامَةُ
 الْفَخْرُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي بَرِيدٍ فِي مُؤَلَّفِهِ إِثَارَةُ النَّخْوَةِ بِحُلِّ الْقَهْوَةِ)
 فَمِنْ الْإِقْهَاءِ وَهُوَ الْاجْتَوَاءُ أَيْ الْكَرَاهَةُ . أَوْ مِنْ الْإِقْهَاءِ بِمَعْنَى الْإِقْعَادِ
 مِنْ أَقْبَى الرَّجُلِ عَنِ الشَّيْءِ أَيْ قَعَدَعْنَهُ وَكَرَاهَهُ كُلَّ شَيْءٍ وَالْقَعُودُ
 عَنْهُ بِحَسَبِهِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْحُمْرَةُ قَهْوَةً لِأَنَّهَا تُقْبِي أَيْ تُكْرِهُ الطَّعَامَ أَوْ
 تُقْعِدُ عَنْهُ أَوْ تُقْعِدُ عَنِ النَّوْمِ . وَكَانَ ظُهُورُهَا وَانْتِشَارُهَا عَلَى يَدِ جَمَالِ
 الدِّينِ بْنِ سَعِيدٍ الْمُرُوفِيِّ بِالذَّجَاجِيِّ . وَكَانَ مُتَوَلِّيًا لِرِوَايَةِ تَضَمُّنِ
 الدَّلَاوِي بِعَدَنَ . وَسَبَبُ إِظْهَارِهِ لَهَا أَنَّهُ كَانَ عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَقْبَضَى لَهُ
 الْخُرُوجَ مِنْ عَدَنَ إِلَى بَرٍّ أَعْجَمَ فَأَقَامَ بِهِ مُدَّةً فَوَجَدَ أَهْلَهُ يَسْتَمْلُونَ الْقَهْوَةَ
 وَلَمْ يَعْلَمْ لَهَا خَاصِيَّةً . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى عَدَنَ مَرَضٌ فَتَذَكَّرَهَا فَشَرِبَهَا
 فَفَقَعَتْهُ فِيهِ . وَوَجَدَ فِيهَا مِنْ الْخَوَاصِ أَنَّهَا تُذْهِبُ النَّعَاسَ وَالْكَسَلَ
 وَتُورِثُ الْبَدَنَ خِفَةً وَنَشَاطًا . فَلَمَّا سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ صَارَ هُوَ
 وَغَيْرُهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِعَدَنَ يَسْتَعِينُونَ بِشُرْبِهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ . ثُمَّ تَنَاجَى
 النَّاسُ بِعَدَنَ عَلَى شُرْبِهَا لِلْإِسْتِمَانَةِ بِهَا عَلَى مُطَالَعَةِ الْعِلْمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ الْحِرَفِ وَالصَّنَاعَاتِ وَلَمْ تَرَلْ فِي انْتِشَارِ . قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِهَا :
 يَا قَهْوَةُ تَذْهِبُ هَمَّ الْقَتَى أَنْتِ لِحَاوِي الْعِلْمِ نِعْمَ الْمُرَادُ
 شَرَابُ أَهْلِ اللَّهِ فِيهَا الشِّفَا لِطَالِبِ الْحِكْمَةِ بَيْنَ الْعِبَادِ
 نَظِيمُهَا قِشْرًا قَتَانِي لَنَا فِي نَكْمَةِ الْإِسْكَ وَلَوْنُ الْمِدَادِ

فِيهَا لَنَا تَبَرُّ وَفِي حَانِهَا
كَالَّذِينَ الْحَالِصِ فِي حِلِّهِ مَا خَرَجَتْ عَنْهُ سِوَى بِالْأَسْوَدِ
قَالَ آخِرُ :

عَرَجَ عَلَى الْقَهْوَةِ فِي حَانِهَا فَالْلُطْفُ قَدْ حَفَّ بُدْمَانِهَا
فَانْهَا لَا غَمَّ تُبْقِي إِذَا قَابَلَكَ السَّاقِي بِفَتْجَانِهَا
لَا يُوجَدُ النِّعَمُ بِجَانَاتِهَا قَدْ خَضَعَ النِّعَمُ لِسُلْطَانِهَا
بِمَانِهَا نَفْسُ أَكْثَادِنَا وَتَحْرُقُ أَلْهَمُ بِيرَانِهَا
يَقُولُ مَنْ أَبْصَرَ كَانُونَهَا أَفِ عَلَى الْخَمْرِ وَأَدْنَانِهَا
فَأَشْرَبَ وَلَا تَسْمَعُ كَلَامَ الَّذِي بِجَهْلِهِ يُفْتِي بِبُطْلَانِهَا

(عمدة الصفوة في حل القهوة لعبد القادر الجزيري)

ذكر الاندلس وما خصَّ به أهلها من العوائد والاختراعات

٣٣٣ إِعْلَمْ أَنَّ فَضْلَ الْأَنْدَلُسِ ظَاهِرٌ . كَمَا أَنَّ حَسْنَ بِلَادِهِمْ بَاهِرٌ .
أَشْرَافُ عَرَبِ الْمَشْرِقِ أَفْتَحُوا . وَسَادَاتُ أَشْرَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ
تَرَلُّوْهَا . فَبَقِيَ النَّسْلُ فِيهَا بِكُلِّ إِقْلِيمٍ . عَلَى عِرْقِ كَرِيمٍ . فَلَا يَكَادُ
بَلَدٌ مِنْهَا يَخْلُو مِنْ كَاتِبٍ مَاهِرٍ . وَشَاعِرٍ قَاهِرٍ . وَقَدْ أَعَاتَتْهُمْ عَلَى الشِّعْرِ
أَنْسَابُهُمُ الْعَرَبِيَّةُ . وَيَعْلَمُهُمُ النَّصْرَةُ وَهُمْهُمْ الْآيَةُ . قَالَ صَاحِبُ
الْفَرَحَةِ : أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَرَبٌ فِي الْأَنْسَابِ وَالْعِزَّةِ وَالْأَنْفَةِ وَعُلُوِّ
أَلْهَمِهِمْ وَقَصَاحَةِ الْأَلْسُنِ وَطِيبِ النُّفُوسِ وَإِبَادِ الضَّمِيمِ وَقِلَّةِ أَحْتِمَالِ
الذَّلِّ وَالسَّامَةِ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالتَّزَاهَةِ عَنِ الْخُضُوعِ وَإِتْيَانِ الدِّيَّةِ .

هِنْدِيُونَ فِي إِفْرَاطِ عِنَايَتِهِمْ بِالْعُلُومِ وَحَيِّمٌ فِيهَا وَضَبَطَهُمْ لَهَا وَرَوَّاهُ تِيهِمْ .
 صِينِيُّونَ فِي إِتْقَانِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ وَإِحْكَامِ الْأَمْرِ الصُّورِيَّةِ .
 تُرْكِيُّونَ فِي مُعَانَاةِ الْحُرُوبِ وَمُعَالَجَاتِ آلَاتِهَا وَالنَّظَرِ فِي مُهَمَّاتِهَا .
 بَنَدَادِيُونَ فِي تَنْظَافَتِهِمْ وَظَرَفِهِمْ وَرِفَّةِ أَخْلَاقِهِمْ وَنَبَاهَتِهِمْ وَذَكَائِهِمْ
 وَحُسْنِ نَظَرِهِمْ وَجُودَةِ قَرَائِحِهِمْ وَلَطَافَةِ أَذْهَانِهِمْ وَجِدَّةِ أَفْكَارِهِمْ
 وَنُفُوذِ خَوَاطِرِهِمْ . يُونَانِيُّونَ فِي اسْتِبْطَاطِهِمْ لِلْعِيَالِ وَمُعَانَاةِهِمْ لِمُضْرُوبِ
 الْأَرَسَاتِ وَاخْتِيَارِهِمْ لِأَجْنَاسِ الْهَوَاكِهِ وَتَذْيِيرِهِمْ لِتَرْكِيبِ الشَّجَرِ
 وَتَحْسِينِهِمْ لِلْبَسَاتِينِ بِأَنْوَاعِ الْخَضِرِ وَصُوفِ الزَّهْرِ . فَهُمْ أَحْكَمُ
 النَّاسِ لِأَسْبَابِ الْفَلَاحَةِ . وَمِنْهُمْ ابْنُ بَصَالٍ صَاحِبُ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ
 الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ التَّجَرُّبَةُ بِفَضْلِهِ . وَهُمْ أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى مُطَاوَلَةِ النَّصَبِ
 فِي تَجْوِيدِ الْأَعْمَالِ . وَمُقَاسَاةِ النَّصَبِ فِي تَحْسِينِ الصَّنَائِعِ . أَحَدُ
 النَّاسِ بِالْقُرُوسِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالطَّنِّ وَالضَّرْبِ . وَمِنْ قَضَائِهِمْ
 اخْتِرَاعُهُمْ لِلْحُطُوطِ الْخُصُوصَةِ بِهِمْ (قَالَ) وَكَانَ خَطُّهُمْ أَوَّلًا مَشْرِقِيًّا .
 وَعَدَّ ابْنُ غَالِبٍ فِي قَضَائِهِمْ اخْتِرَاعَهُمْ لِلْمَوْشِحَاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا أَهْلُ
 الْمَشْرِقِ وَصَارُوا يَتَرَعُونَ مَتَرَعَهَا . وَأَمَّا نَظْمُهُمْ وَتَرْهُمُ فَلَا يَخْتَفِي عَلَى مَنْ
 وَقَفَ عَلَيْهِمَا غُلُوطُ بَلَاتِهِمْ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ غَالِبٍ : وَلَمَّا نَفَذَ قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى
 عَلَى أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مَخْرُوجَ أَكْثَرِهِمْ عَنْهَا فِي هَذِهِ الْقِتَّةِ الْأَخِيرَةِ
 الْمُبِيرَةِ تَفَرَّقُوا بِإِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مِنْ بَرِّ الْمُدَوَّةِ فِي بِلَادِ أَفْرِيقِيَّةِ .
 فَأَمَّا أَهْلُ الْبَلَادِيَّةِ فَمَالُوا فِي الْبُوَادِي إِلَى مَا اعْتَادُوهُ وَدَاحَلُوا أَهْلَهَا

وَسَارَكُوهُمْ فِيهَا . فَاسْتَبَطُوا الْمِيَاءَ وَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ وَأَخَذُوا الْأَرْجِي
الطَّاحِنَةَ بِالْمَاءِ وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَعَلِمُوهُمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَهَا وَلَا
رَأَوْهَا . فَشَرَقَتْ بِلَادُهُمْ وَصَلَتْ أُمُورُهُمْ وَكَثُرَتْ مُسْتَقْلَاتُهُمْ وَعَمَّتْهُمْ
الْخَيْرَاتُ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحَوَاضِرِ فَأَلَوْا إِلَى الْحَوَاضِرِ وَاسْتَوَطَنُوهَا : وَأَمَّا
أَهْلُ الْأَدَبِ فَكَانَ مِنْهُمْ الْوُزَرَاءُ وَالْكَتَّابُ وَالْعُمَالُ وَجِبَاةُ الْأَمْوَالِ
وَالْمُسْتَعْمَلُونَ فِي أُمُورِ الْمَلِكَةِ . وَلَا يُسْتَعْمَلُ بِلَدِيٍّ مَا وَجَدَ أُنْدَلِسِيٌّ .
وَأَمَّا أَهْلُ الصَّنَاعِ فَإِنَّهُمْ فَأَقُوا أَهْلَ الْبِلَادِ وَقَطَعُوا مَعَاشَهُمْ وَأَجْمَلُوا
أَعْمَالَهُمْ وَصَيَّرُوهُمْ أَتْبَاعَهُمْ وَمُنَصِّرِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَمَتَى دَخَلُوا
فِي شُغْلِ عَمَلِهِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ وَأَقْرَعُوا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَذَقِ وَالْتَجْوِيدِ
مَا يُمِيلُونَ بِهِ النَّفُوسَ إِلَيْهِمْ وَيُصَيِّرُ الذِّكْرَ لَهُمْ . وَلَا يَدْفَعُ هَذَا عَنْهُمْ إِلَّا
جَاهِلِيٌّ أَوْ مُبْطِلٌ . وَمِنْ حِكَايَاتِهِمْ فِي الذِّكَاةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْعُلُومِ
وَاسْتِبْطَائِهَا أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ عَبَّاسَ بْنَ فِرْنَاسٍ حَكِيمَ الْأَنْدَلُسِ أَوَّلُ مَنْ
اسْتَبْطَأَ بِالْأَنْدَلُسِ صِنَاعَةَ الزُّجَاجِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ بِهَا
كِتَابَ الْعُرُوضِ لِلْخَلِيلِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَكَّ الْمَوْسِقَى وَصَنَعَ الْأَلَةَ
الْمَعْرُوفَةَ بِالْمِثْقَالِ لِيَعْرِفَ الْأَوْقَاتَ عَلَى غَيْرِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ . وَأَحْتَالَ فِي
تَطْيِيرِ جُثَمَانِهِ وَكَسَا نَفْسَهُ الرِّيشَ وَمَدَّ لَهُ جَنَاحَيْنِ وَطَارَ فِي الْجَوِّ
مَسَافَةً بَعِيدَةً . وَلَكِنَّهُ لَمْ يُحْسِنِ الْإِحْتِسَالَ فِي وَقْعِهِ . وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ
الطَّائِرَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى زِمِكِهِ وَلَمْ يَقَعْ لَهُ ذَنْبًا . وَصَنَعَ فِي بَيْتِهِ هَيْئَةً
السَّمَاءِ وَخَيَّلَ لِلنَّاسِ فِيهَا النُّجُومَ وَالنُّيُومَ وَالْبُرُوقَ وَالرُّعُودَ (الْمَقْرِي)

الْبَابُ الثَّامِنُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب كسرى بن هرمز الى موريقى ملك الروم

لَمَّا وَثَبَ الْفُرسُ عَلَى هَرْمِزٍ مَلِكِهِمْ فَسَلُّوا عَيْنَيْهِ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ جِرَامَ الرُّبْدَانِ . كَانَ
لِهَرْمِزِ بْنِ خَدَثٍ اسْمُهُ كَسْرَى وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِأَنُوشِروَانَ الْعَادِلِ . فَتَنَكَّرَ كَانُهُ سَائِلٌ وَشَقَّ
سُلْطَانَ الْفُرسِ حَتَّى جَاءَ نَصِييْنٍ وَصَارَ إِلَى الرَّهْأِ وَمِنْهَا إِلَى مَنُجٍ وَكُتِبَ إِلَى مَوْرِيقِي كِتَابًا نَحْنُهُ:
٣٢٤ لِلْبَابِ الْمُبَارَكِ وَالسَّيِّدِ الْمُقَدَّمِ مُوْرِيقِي مَلِكِ الرُّومِ مِنْ كِسْرَى
أَبْنِ هَرْمِزِ السَّلَامِ . أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَعْلِمُ الْمَلِكَ أَنَّ بَهْرَامَ وَمَنْ مَعَهُ
مِنْ عِبِيدِ أَبِي جَهْلُوا قَدَرَهُمْ وَنَسُوا أَنَّهُمْ عِبِيدُ وَأَنَا مَوْلَاهُمْ . وَكَفَرُوا
نَعْمَ آبَانِي لَدَيْهِمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيَّ وَأَرَادُوا قَتْلِي . فَخَشِنْتُ أَنْ أَفْرَعَ إِلَى
مِثْلِكَ فَأَعْتَصِمَ بِفَضْلِكَ وَأَكُونُ خَاضِعًا لَكَ . لِأَنَّ الْخُضُوعَ لِمَلِكٍ مِثْلِكَ
وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا أَيْسَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الْمَرْدَةِ . وَلَئِنْ يَكُونُ
مَوْتِي عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ أَفْضَلُ وَأَقْلُ عَارًا مِنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَيْدِي
الْعَبِيدِ . فَزَعْتُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِفَضْلِكَ وَرَجَاءً أَنْ تَتَرَأَّفَ عَلَيَّ مِثْلِي
وَتُعَدِّنِي بِجُيُوشِكَ لِأَقْوَى بِهِمْ عَلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَأَصِيرَ لَكَ وَلَدًا
سَامِعًا وَمُطِيعًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فَلَمَّا قَرَأَ مَوْرِيقِي كِتَابَ كَسْرَى بْنِ هَرْمِزٍ هَزَمَ عَلَى إِجَابَةِ مَسْئَلِهِ لِأَنَّهُ لَجَأَ إِلَيْهِ فَلَتَقَبَّهُ
بَشَرِينَ أَلْفًا . وَسَيَّرَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ أَرْبَعِينَ قَطَارًا ذَهَبًا وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا نَحْنُهُ:

٣٢٥ مِنْ مُوْرِيقِي عَبْدِ يَشُوعَ السَّيِّحِ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ وَلَدِي

وَأَخِي السَّلَامُ . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ
 أَمْرِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَيْكَ . وَكَوْنِهِمْ غَمَطُوا أَنْتُمْ آبَاؤُكُمْ وَأَسْلَافُكُمْ
 غَمَطًا وَخُرُوجِهِمْ عَلَيْكَ وَدَخْضِهِمْ إِيَّاكَ عَنْ مُلْكِكَ فَقَدْ أَخْلَنِي مِنْ ذَلِكَ
 أَمْرٌ حَرَّكَنِي عَلَى التَّرَافِ بِكَ وَعَلَيْكَ وَإِمْدَادِكَ بِمَا سَأَلْتُ . فَأَمَّا مَا
 ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْأَسْتَارَ تَحْتَ جَنَاحِ مَلِكٍ عَدُوٍّ وَالْأَسْتَظْلَالَ بِكَتْفِهِ
 أَثَرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي أَيْدِي الْعَبِيدِ الرَّدَّةِ وَالْمَوْتَ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ
 أَفْضَلَ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى أَيْدِي الْعَبِيدِ فَإِنَّكَ اخْتَرْتَ أَفْضَلَ الْحِصَالِ
 وَرَغِبْتَ إِلَيْنَا فِي ذَلِكَ هَذَا صَدَقْنَا قَوْلَكَ وَقِيلْنَا كَلَامَكَ وَحَقَّقْنَا
 أَمْلَكَ وَأَتَمَمْنَا بُنْيَتَكَ وَقَضَيْنَا حَاجَتَكَ وَجِدْنَا سَعْيَكَ وَشَكَرْنَا حُسْنَ
 ظَنِّكَ بِنَا . وَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ بِمَا سَأَلْتَ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأَمْوَالِ وَصَيَّرْنَاكَ
 لِي وَلَدًا وَكُنْتُ لَكَ أَبَا . فَأَقْبِضِ الْأَمْوَالَ مُبَارَكًا لَكَ فِيهَا وَقَدْ الْجُيُوشَ
 وَسِرَّ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَلَا يَغْتَرِكَ الصَّخْرُ وَالْمَلْعُ . بَلْ تَشْتَرِ لِعَدُوِّكَ
 وَلَا تَقْصِرَ فِيمَا يَجِبُ لَكَ إِذَا تَطَاطَأْتَ مِنْ دَرَجَتِكَ وَأَتَحَطَّطَتْ عَنْ
 مَرْتَبَتِكَ . فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُظْفِرَكَ اللَّهُ بِعَدُوِّكَ وَيَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ
 وَيُعِيدَكَ إِلَى مَرْتَبَتِكَ بِرِجَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (لَا بِي الْهَرَجِ الْمَلَطِي)

كتاب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص

٣٢٦ إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَجِبْتُ
 مِنْ كَثْرَةِ كُتُبِي إِلَيْكَ فِي إِبْطَالِكَ بِالْخِرَاجِ وَكِتَابِكَ إِلَيَّ بِبُيُوتِ
 الطُّرُق . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَسْتُ أَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ . وَلَمْ

أَقْبَلْتُكَ مِصْرَ أَجْمَلَهَا لَكَ طُعْمَةٌ وَلَا لِقَوْمِكَ . وَلَكِنِّي وَجَّهْتُكَ لِمَا
 رَجَوْتُ مِنْ تَوْفِيرِكَ الْخُرَاجَ وَحُسْنِ سِيَاسَتِكَ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَأَجْمِلِ
 الْخُرَاجَ فَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَعِنْدِي مِنْ تَعَامُ قَوْمٍ مَحْصُورُونَ . وَالسَّلَامُ
 ٣٢٧ (فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ) : أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا تَائِي كِتَابُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَبْطِئِي فِي الْخُرَاجِ . وَزَعُمُ أَيُّ أَعْنَدَ عَنِ الْحَقِّ وَأَنْتَ
 عَنِ الطَّرِيقِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرْغَبُ عَنْ صَالِحٍ مَا تَعْلَمُ وَلَكِنْ أَهْلُ
 الْأَرْضِ أَسْتَظْطِرُّونِي إِلَى أَنْ تُدْرِكَ غَلَّتْهُمْ فَظَنَرْتُ لِلْمُسْلِمِينَ فَكَانَ
 الرِّفْقُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْ أَنْ يُحْرَقَ بِهِمْ فَخَصِيرٌ إِلَى مَا لَا غِنَى بِهِمْ عَنْهُ .
 (جلال الدين السيوطي)

كتاب غيبة بن اسحاق الى المأمون وهو عامله على الرقة

يصف خروج الأعراب بناحية سنجار وغيبتهم بها

٣٢٨ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ قَطَعَ سَبِيلَ الْمُجْتَازِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ
 نَفَرٌ مِنْ شُدَّادِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَلَا
 يَخَافُونَ فِي اللَّهِ حِدًّا وَلَا عُقُوبَةً . وَلَوْ لَا ثِقَتِي بِسَيْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَخَصْمِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ وَلُبُوغِهِ فِي أَعْدَاءِ اللَّهِ مَا رَدَعْتُ قَاصِيَهُمْ وَذَانِيَهُمْ
 لَأَذْنْتُ بِالْإِسْتِجَادِ عَلَيْهِمْ وَلَا سَعَيْتُ الْخَيْلَ إِلَيْهِمْ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَانٌ
 فِي أُمُورِهِ بِالْثَّابِتِ وَالنَّصْرِ . (فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ) :

أَسْتَمْتُ غَيْرَ كَهَامِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لَا يَقْطَعُ السَّيْفُ إِلَّا فِي يَدِ الْحَدِيدِ
 سَيُضَيِّجُ الْقَوْمُ مِنْ سَيْفِي وَضَارِبِهِ مِثْلَ الْهَشِيمِ ذَرْنَهُ الرِّيحُ بِالْمَطَرِ

في الطلب وحسن التواصل

كتاب ابي العيناء الى عبيد الله بن سليمان

٣٢٩ أَنَا أَعَزُّكَ اللَّهُ وَوُلْدِي وَعِيَالِي زَرْعٌ مِنْ زَرْعِكَ إِنْ أَسْقَيْتَهُ رَاعٌ وَزَكَا. وَإِنْ جَفَوْتَهُ ذَبِلَ وَدَوَى. وَقَدْ مَسَّنِي مِنْكَ جَفَاءٌ بَعْدَ بَرٍّ وَإِغْثَالٍ بَعْدَ تَعَاهِدٍ حَتَّى تَكَلَّمَ عَدُوٌّ وَثِمْتَ حَاسِدٌ. وَلَبِيتُ بِي ظَنُّونُ رِجَالٍ كُنْتُ بِهِمْ لَاعِبًا وَلَهُمْ مَخْرَسًا. وَلِلَّهِ دَرَأِي الْأَسْوَدُ فِي قَوْلِهِ: لَا تُهْنِي بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدُ عَادَةٍ مُنْشَرَّعَةٍ

٣٣٠ (فَوَقَّعَ فِي رُفْعَتِهِ): أَنَا أَسْعَدُكَ اللَّهُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي عَمِدْتُ وَمِيلِي إِلَيْكَ كَمَا عَلِمْتُ. وَلَيْسَ مِنْ أَنْسِينَاهُ أَهْمَلَنَاهُ وَلَا مِنْ أَخْرَنَاهُ تَرْكَنَاهُ مَعَ اقْتِطَاعِ الشُّغْلِ لَنَا وَاقْتِسَامِ زَمَانِنَا. وَكَانَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْنَا أَنْ تَذَكِّرَنَا بِنَفْسِكَ وَتُعَلِّمَنَا أَمْرَكَ. وَقَدْ وَقَعْتُ لَكَ بِرِزْقِ شَهْرَيْنِ لِتَرْجَحَ غَلَّتَكَ وَتُزَوِّدَنِي مَبْلَغَ اسْتِحْقَاقِكَ لِأُطْلِقَ لَكَ بَاقِي أَرْزَاقِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالسَّلَامُ (للقيرواني)

فصول لابن جبريه

٣٣١ لِلْمُفْضِلِ أَنْ يُخَصَّ بِفَضْلِهِ مِنْ شَاءَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَ وَلَا حُجَّةَ عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ. كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي وَاجِدُ أَمْرِي خَالِصَةً سَرِيْرَتِي. أَرَى بِبِقَائِكَ بَقَاءَ سُرُورِي وَبِدَوَامِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ دَوَامًا عِنْدِي. لَا أَزَالُ أَبْقَاكَ اللَّهُ أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. قُرَّةٌ أَتَوْفَّقُ تَوْفَّقَ الْخُفَّيْفِ عَنْكَ

مِنَ الْمَوْتَةِ وَرَّةً أَكْتُبُ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ. وَالْمُعْتَمِدِ مِنْكَ
 عَلَى الْقَيْلِ لَا أَعْدَمْنَا اللَّهُ دَوَامَ عِزِّكَ وَلَا سَلْبَ الدُّنْيَا بِغَيْبَتِكَ وَلَا
 أَخْلَاقَنَا مِنَ الصَّنْعِ لِلَّهِ. فَإِنَّا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ وَلَا نُسَبِّحُ الْحَيَاةَ طَعْمًا
 إِلَّا فِي ظِلِّكَ. وَلَئِنْ كَانَتِ الرَّغْبَةُ إِلَى بَشَرٍ مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًّا
 لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعِزًّا. لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرًّا قَعَدَ
 بِهِ دَعْرُهُ إِلَّا سَبَقَتْ مَسَلَّتُهُ بِالْعَطِيَّةِ وَصُنَّتْ وَجْهَهُ عَنِ الطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ.
 (فَصْلٌ): لَكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِسَى مَحَبَّتِكَ وَمَعْرُوفُ
 يُوجِبُ عَلَيْكَ الْوُدَّ وَالْإِتِّمَامَ. وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُخَيِّرَنِي مَا لَمْ تَرَلِ
 أَلْهَرَّاسَةَ تَعْدِينِي فِيكَ. (فَصْلٌ): قَدْ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَكَ عَنِ الْإِعْتِدَارِ
 وَأَغْنَانِي فِي الْقَوْلِ وَأَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْنَعُ بِمَا فَعَلْتُ وَتَرْضَى بِمَا أُنْعَمُ
 وَصَلْتُ أَوْ قَطَعْتُ

(العقد الهريد)

كان الامير عبد الرحمان قد جفا ابنته المنذر وباعته لسوء خلقه فكتب الى ابيه :

٣٣٧ إِنِّي قَدْ تَوَحَّشْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَوَحُّشًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ
 وَعَدِمْتُ فِيهِ مَنْ كُنْتُ آتِسُ إِلَيْهِ. وَأَصْبَحْتُ مَسْلُوبُ الْعِزِّ فَقِيدُ
 الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِقَابًا لِذَنْبٍ كَبِيرٍ أَرْتَكِبُهُ وَعِلْمُهُ
 مَوْلَايَ وَلَمْ أَعْلَمْهُ فَإِنِّي صَابِرٌ عَلَى تَأْدِيبِهِ ضَارِعٌ إِلَيْهِ عَفْوُهُ وَصَفْحُهُ :
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ لَكَ اللَّهُ لَعَارًا بِمَا فَعَلَ اللَّهُ
 (فلما وقف الأمير على رُفْعَةِ أَرْجَاهُ إِلَى مَا اعْتَادَهُ) (القرري)

كتاب اسحاق بن ابراهيم الموصلي الى بعض الجلة يستدعيه

٣٣٣ يَوْمَنَا يَوْمَ لَيْلِ الْحَوَاشِي وَطِيءُ التَّوَاحِي وَسَمَاوَنَا قَدْ أَقْبَلَتْ
وَرَدَعَتْ بِالْخَيْرِ وَرَقَّتْ. وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ. فَلَا
تَفْرُدْنَا قَفْلًا. وَلَا تَفْرُدْنَا قَفْلًا (للقيرواني)

كتاب ابي العباس النسائي كاتب صاحب افرقية لبعض الاصدقاء

٣٣٤ سِرِّي إِلَى مَجْلِسِ يَكَادِي سِيرُ شَوْقًا إِلَيْكَ. وَيَطِيرُ بِأَجْنَحَةٍ مِنْ
جَوَاهُ حَتَّى يَحُلَّ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَلِلَّهِ دُرُ كَمَالِهِ إِنْ طَلَعَتْ بَدْرًا بِأَعْلَاهُ
وَجَمَالِهِ إِنْ ظَهَرَتْ غُرَّةً بِمُجَيَّاهُ. فَهُوَ أَفْقُ قَدْ حَوَى نَجُومًا تَنْشَوُقُ إِلَى
طُلُوعِ بَدْرِهَا. وَقَطْرٌ قَدْ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْهَارٍ تَنْشَوُقُ إِلَى بَحْرِهَا. لَتَسْمِدَ
مِنْهُ. فَإِنْ مَنَنْتَ بِالْحُضُورِ. وَإِلَّا فَيَا خَيْبَةَ السُّرُورِ. قَالَ ابْنُ الزَّيْنِ :

قَامَتْ لَيْعَتُكَ الدُّنْيَا عَلَى سَاقٍ وَالْكَأْسُ أَضْبَحَ غَضْبَانًا عَلَى السَّاقِ
وَالرَّاحُ قَدْ أَقْسَمَتْ أَنْ لَا تَطِيبَ لَنَا حَتَّى تَرَى وَجْهَكَ الزَّاهِي بِإِشْرَاقِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ تَحْوِي أَلْبَابَ نَاطِرَةٍ وَقَدْ صَفَتْ أُذُنُ السُّوسَانِ لِلطَّاقِ
فَأَسْمَحْ بِجُودِكَ فَضْلًا بِالْحُضُورِ لَنَا مَا دَامَ تَمَلُّ مَسَرَاتِ أَلْهَانَا بَاقِ
فَلَوْ دُعِيتُ إِلَى هَذَا سَعَيْتُ لَهُ يَا حَبَّذَاكَ عَلَى رَأْسِي وَأَحْدَاقِي

كتاب صاحب ابن عباد الى صديق له

٣٣٥ مَجْلِسُنَا بِأَسَدِي مُفْتَعِرٌ إِلَيْكَ مُعُولٌ فِي شَوْقِهِ عَلَيْكَ. وَقَدْ أَبَتْ
رَاحَتُهُ أَنْ تَصْفُو إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمَانُكَ. وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ لَا يَطِيبُ حَتَّى

تَعِيَهُ أَذُنَاكَ . وَتَحْنُ لِعَيْنَيْكَ كَهْفِ ذَهَبَ وَسِطَتُهُ وَشَبَابٍ قَدْ أَخَذَتْ
جِدَّتُهُ . وَإِذَا غَابَتْ شَمْسُ السَّمَاءِ عَنَّا فَلَا بُدَّ أَنْ تَذْنُو شَمْسُ الْأَرْضِ
مِنَّا . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْضُرَ لِتَتَّصِلَ الْوَاسِطَةُ بِالْعَمِدِ . وَتَحْصُلَ بِكَ فِي جَنَّةِ
الْخُلْدِ . فَكُنْ إِلَيْنَا أَسْرَعَ مِنَ السَّهْمِ فِي مَرَمِهِ . وَالْمَاءِ إِلَى مَقَرِّهِ . لِئَلَّا يَجُثَّ
مِنْ يَوْمِي مَا طَابَ . وَيَعُودَ مِنْ نَوْمِي مَا طَارَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (للنواحي)

فصول في العتاب والاعتذار

فصول للاحمد بن يوسف

٣٣٦ لَوْلَا حَسَنُ الظَّنِّ بِكَ أَعْرَكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَابِكَ عَنِّي
مَا يَقْضِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ . وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ
لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا وَسُودُّكَ شَافِعًا . (فصل) . لَأَسِيلَ إِلَى
شِكَايَتِكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَلَا أَسْتَعَانَةَ إِلَّا بِكَ . وَمَا أَحَقَّ مَنْ جَعَلَكَ عَلَى
أَمْرٍ عَوْنًا أَنْ تَكُونَ لَهُ إِلَى التَّجَاحِ سَبَبًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عَجِبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ انْقَلَبَ وَمِنْ طُولِ وَدِّكَ أَتَى ذَهَبَ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّنِي أَرَاكَ بَيْنَ الرِّضَا فِي الْغَضَبِ
(فصل) . إِنْ مَسَّلَتْنِي إِلَيْكَ حَوَاجِي مَعَ عَتَبِكَ عَلَيَّ مِنَ اللُّؤْمِ . وَإِنْ
إِمْسَاكِ عَنْهَا فِي حَالِ ضَرُورَةٍ إِلَيْهَا مَعَ عَلَيَّ بِكَرَمِكَ فِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
لَتَجُزُّ . غَيْرَ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَقْرَبَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ رِضَاكَ مَسْئَلُكَ
مَا سَمِعَ مِنَ الْحَاجَةِ . إِذْ كُنْتَ لَا تَجْمَلُ عَتَبَكَ سَبَبًا لِمَنْ مَعْرِفَكَ

فصل في الكتاب للمثالي

٣٣٧ تَأْنِينًا إِفَاقَتَكَ مِنْ سَكْرَتِكَ وَتَرَقَّبْنَا أَنْتِبَاهَكَ مِنْ رَقْدَتِكَ .
وَصَبْرَنَا عَلَى تَجَرُّعِ الْغَيْظِ فِيكَ . هَذَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ فِي
تَعْدِيكَ لِطُورِكَ وَأَطْرَاحِكَ حَقَّ مَنْ غَلَطَ فِي اخْتِيَارِكَ (لابن عبد ربه)

فضول لابن مكرم في الاعتذار

٣٣٨ لَيْسَ يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلُ حَمَاكَ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ .
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رَجَائِكَ عَثْبُ حَدَثٍ عَلَيَّ مِنْكَ . بَلْ أَرْجُو أَنْ
يَمَاضِيَ كَرَمُكَ إِجْزَاءَ وَعْدِكَ إِذْ كَانَ أَبْلَغَ الشُّفَعَاءِ إِلَيْكَ . وَأَوْجَبَ
الْوَسَائِلِ لَدَيْكَ . (فصل) أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغُفْوِ وَالْعُفُوبَةِ مِنْ
أَنْ يُجَازِيَنِي بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِدْهُ وَلَا لِسَانٌ بَلَّ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَشْ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تَسْهَلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ
وَأَرْغَى لِلْعُفُوبَةِ . وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِلدِّمَا مَا بِهِ مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدُ مَوْلَاكَ
صَفْرًا مِنْ غَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ . وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ

٣٣٩ مرض الحسن بن وهب فلم يمهده ابن الزيات ولم يتعرف خبره فكتب اليه :
أَيُّهَاذَا أَلْوَزِيرُ أَيْدِكَ اللَّهُ وَأَبْقَاكَ لِي زَمَانًا طَوِيلًا
أَجِيلًا تَرَاهُ يَا أَكْثَرَمَ النَّاسِ لِكَيْمَا أَرَاهُ أَيْضًا جَمِيلًا
أَتَتْنِي قَدْ أَقْبَتُ عَشْرًا عَلِيلًا مَا تَرَى مُرْسِلًا إِلَيَّ دَسُولًا
إِنْ يَكُنْ يُوجِبُ التَّعَهُدُ فِي الصُّحُوفِ مَنَّا عَلَيَّ مِنْكَ طَوِيلًا
فَهُوَ أَوْلَى بِأَسِيدِ النَّاسِ بِرَأْيًا وَأَقْبَعَادًا لِمَنْ يَكُونُ عَلِيلًا

دَفَعَ اللَّهُ عَنْكَ نَائِبَةَ اللَّهِ رِوَحَاشَاكَ أَنْ تَكُونَ عَلِيلاً
 أَشْهَدُ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ وَمَاذَا لَكَ مِنَ الْعَذْرِ جَائِزًا مَقْبُولًا
 وَلَعَمْرِي أَنْ لَوْ عَلِمْتُ فَلَا زَمَ تَكْ حَوْلًا لَكَانَ عِنْدِي قَلِيلاً
 فَأَجْعَلَنَّ لِي إِلَى التَّلَقُّ بِأَلْعُذِّ رِسِيلاً إِنْ لَمْ أَجِدْ لِي سَبِيلاً
 قَدِيمًا مَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَأَعْنَةٍ وَمَا سَاحَ الْخَطِيلُ خَلِيلاً

فصول في الذم

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى العامل على البريد بالاهواز

٣٤٠ كُنْتُ ظَنَنْتُ بِكَ يَا أَخِي ظَنًّا كَذَبَهُ قُفِعَ فِعْلُكَ . وَضَعْفُ هَجْرِكَ
 وَوَصْلِكَ . فَإِنَّكَ لَا تَعْمَلُ فِيهِمَا عَلَى قِيَاسٍ وَاجِبٍ وَلَا تَصْبِرُ مِنْهُمَا عَلَى
 طَعَامٍ وَاحِدٍ . فَلَا جَرَمَ لَقَدْ رَجَعْتُ فِي وِدْيِ لَكَ وَمَا كُنْتُ أَرْجِعُ فِي
 هَيْبَةٍ . وَتَذِمَّتُ عَلَى ثِقَتِي بِكَ وَعَهْدِي أَنْ لَا أَتَذِمَّ عَلَى حَسَنَةِ (الخوارزمي)

كتاب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري

٣٤١ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ لِلنَّاسِ نَفَرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ . فَأَحْذَرُ أَنْ تُدْرِكَنِي
 وَإِيَّاكَ عَمِيَاءُ مَجْهُولَةٌ . وَضَعَانُ مَحْمُولَةٌ . وَأَهْوَاءُ مُتَّبَعَةٌ وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٌ . فَأَقِمِ
 الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ وَبَايِرْ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْفَحْ بِأَبْكَ لَهُمْ .
 فَإِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا . وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَشَتَ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْبَةً فِي لِبَاسِكَ وَمَطْمَئِكَ
 وَمَرْكَبِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا . فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ كَأَبْهَيْبَةٍ

هَمَّاهُ فِي السِّمَنِ وَالسِّمَنِ حَقَّهَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا رَاغَ رَأَتْ رَعِيَّتُهُ .
وَأَشَقَى النَّاسُ مَنْ يَشْقَى بِهِ النَّاسُ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

كتاب صلاح الدين الى مُيَزَّ الدين صاحب الجزية

٣٤٢ إِنَّكَ أَنْتَ قَصَدْتَ الْإِنْتِمَاءَ إِلَى أَيْدَاءٍ وَرَاجَعْتَنِي فِي ذَلِكَ
مِرَارًا . وَأَظْهَرْتَ الْحِفَةَ عَلَى نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ وَبَلَدِكَ مِنْ أَهْلِكَ .
فَهَلَّلْتُكَ وَأَوَيْتُكَ وَنَصَرْتُكَ وَبَسَطْتُ يَدَكَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ وَدِمَائِهِمْ
وَأَعْرَاضِهِمْ . فَغَدَّتُ إِلَيْكَ وَنَهَيْتُكَ عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا فَلَمْ تَنْتَهُ . فَأَتَّقْ
وُقُوعَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ لِلْإِسْلَامِ قَدْ عَوْنَاكَ فَأَتَيْتَ بِسُكْرٍ قَدْ عَرَفْتَهُ وَعَرَفَهُ
النَّاسُ . وَأَقَّتْ هَذِهِ الْمُدَّةَ الْمُدِيدَةَ وَقَلَّتْ هَذَا الْفَلَقُ وَتَحَرَّكَتْ هَذِهِ
الْحُرُوكَةُ . وَأَنْصَرَفَتْ عَنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ وَغَيْرِ قَصْدٍ حَالٍ مَعَ الْعَدُوِّ .
فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ وَأَبْصِرْ مَنْ تَتَّبَعِيَ إِلَيْهِ غَيْرِي . وَأَحْفَظْ نَفْسَكَ مِمَّنْ
يَقْصِدُكَ قَمَالِي إِلَى جَانِبِكَ أَلْفَاتُ (سيرة صلاح الدين لابن شاذي)

٣٤٣ كتاب عبد الله بن طاهر الى محمد بن عبد الملك الزيات

أَحْلَتَ عَمَّا عَمِدْتُ مِنْ أَدِيكَ أَمْ نِلْتُ مُلْكَكَ فَهَيْتَ فِي كُتُبِكَ
أَمْ قَدْ تَرَى أَنَّ فِي مُلَاطَفَةِ آلِ إِخْوَانٍ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي أَدِيكَ
أَكَانَ حَقًّا كِتَابُ ذِي مَعَةٍ يَكُونُ فِي صَدْرِهِ وَأَمْتَعُ بِكَ
أَتَبْتَ كَهَيْكَلِي فِي مَكَاتِبِي حَسْبُكَ مِمَّا لَيْتَ مِنْ تَعَبِكَ
(فَكَبَّ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتُ)

كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَقَالُ مِنْ سَيِّئِكَ

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَلَسْتُ قَاعِلُهُ وَلَنْ تَرَاهُ يُخْطِئُ فِي كُتُبِكَ
 إِنْ يَكُ جَهْلٌ أَتَاكَ مِنْ قِبَلِي قَعْدُ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ
 قَاعَفُ قَدَتِكَ الثُّغُوسُ عَنْ رَجُلٍ يَعِيشُ حَتَّى الْمَمَاتِ فِي أَدَبِكَ

فصول في التوبة

كتاب عمر الى ابي عبيدة بعد فتح الشام

٣٤٤ وَبَعْدُ فَإِنِّي وَلَيْتَكَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْتَحْيَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي
 مِنْ الْحَقِّ . وَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَفْنَى مَا سِوَاهُ
 وَالَّذِي اسْتَخْرَجَكَ مِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى وَقَدْ اسْتَعْمَلْتَنِي عَلَى جُنْدٍ مَا
 هُنَاكَ مَعَ خَالِدٍ فَأَقِضْ جُنْدَهُ وَأَعِزَّهُ عَنْ إِمَارَتِهِ . وَلَا تَعْلُ إِنِّي
 أَرْجُو لَكُمْ النَّصْرَ فَإِنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْعَيْنِ وَالْثَمَةِ بِاللَّهِ .
 وَإِيَّاكَ وَالتَّغْيِيرَ بِإِلْقَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْهَلَكَةِ . وَغَضَّ عَنْ الدُّنْيَا عَيْنَكَ
 وَالْهَ غَنَّا قَلْبَكَ . وَإِنَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْآخِرَةِ سِتْرُ الْحِمَارِ وَقَدْ تَقَدَّمَكَ
 سَلَفُكَ . وَأَنْتَ كَأَنَّكَ مُنْتَظِرٌ سَفَرًا وَرَجِيلًا مِنْ دَارِ مَضَتْ نَضَارَتُهَا
 وَذَهَبَتْ زَهْرَتُهَا . فَأَحْزَمُ النَّاسِ فِيهَا الرِّجَالُ عَنْهَا لَغَيْرِهَا وَيَكُونُ زَادُهُ
 الْقَتْوَى . وَرَاعِ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ . وَأَمَّا اخْتِصَامُكَ أَنْتَ وَخَالِدٌ
 فِي الصُّلْحِ أَوْ الْقِتَالِ فَأَنْتَ الْوَلِيُّ وَصَاحِبُ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ
 اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ (فتوح الشام للواقدي)

كتاب بديع الزمان الى ابن اخته

٣٤٥ أَنْتَ وَلَدِي مَا دُمْتَ وَالْعِلْمُ شَأْنُكَ . وَالْمَدْرَسَةُ مَكَانُكَ .

وَالْمُحَبَّرَةُ حَلِيفُكَ . وَالْمَقْتَرُ أَلِيفُكَ . فَإِنْ قَصَرْتَ وَلَا إِخَالَكَ . فَتَغْيِرِي
خَالَكَ وَالسَّلَامُ

(رسائل بديع الزمان الهمداني)

فصول لحمد بن عبد الملك الزيات للحظاء في التروية

٣٤٦ إِنَّ حَقَّ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى السُّلْطَانِ تَنْفِذُ أُمُورِهِمْ وَتَقْوِيمُ أَوْدِهِمْ
وَرِيَاضَةُ أَخْلَاقِهِمْ . وَأَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَهُمْ قِيَدَ الْمُحْسِنِينَ وَيُوَخِّرَ مَسِيلَهُمْ .
لِيَزِدَّ أَدَهَؤُلَاءِ فِي إِحْسَانِهِمْ وَيَزْجِرَ هَؤُلَاءِ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ . (وَفَصْلٌ لَهُ) :
إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ لِحُفَّاغِهِ عَلَى عِبَادِهِ حَقَّ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ . وَلِمْسِيهِ عَلَى
خُطْفَاغِهِ بَسْطَ الْمَدْلِ وَالرَّأْفَةِ وَإِحْيَاءَ السُّنَنِ الصَّالِحَةِ . فَإِذَا أَدَّى كُلُّ
إِلَى كُلِّ حَمَّةٍ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِتَامِ الْمُعُونَةِ وَاتِّصَالِ الزِّيَادَةِ وَاتِّسَاقِ
الْكَلِمَةِ وَدَوَامِ الْأَلْفَةِ . (وَفَصْلٌ) : لَيْسَ مِنْ نِعْمَةٍ يُجَدِّدُهَا اللَّهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ خَاصَّةً إِلَّا أَنْ تَصَلَتْ بِرِعَّتِهِ عَامَةً وَشَمَلَتْ الرِّعْيَةَ
كَافَّةً وَعَظُمَ بَلَاءُ اللَّهِ عَنْدهُمْ فِيهَا وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ عَلَيْهَا . لِأَنَّ اللَّهَ
جَعَلَ بِنِعْمَتِهِ تَامَ نِعْمَتِهِمْ وَبِتَدْيِيرِهِ وَذِيهِ عَنْ دِينِهِ حِفْظَ حَرَمِهِمْ .
وَبِحِيَاطَتِهِ حَقْنَ دِمَائِهِمْ وَأَمْنِ سَبِيلِهِمْ . فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُنْطَوِي الْقَلْبِ عَلَى مُنَاصِحَتِهِمْ مُوَيْدًا بِالنَّصْرِ . مُعَزِّيًا بِالْمُتَمَكِّنِ .
مَوْضُولَ الْبَقَاءِ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ .

فصول في المدح والشكر

فصول للحسن بن وهب

٣٤٧ مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ إِيَّاهَا . فَإِنْ

شُكْرِي لَكَ عَلَى مُعْجَةٍ أَحْبَبْتُهَا وَخَشَاةٍ أَبْقَيْتَهَا وَرَمَقٍ أَمْسَكْتَ بِهِ
وَقَتٍّ بَيْنَ التَّلَفِّ وَبَيْنَهُ. فَلَ كُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ
وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَعَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْتَوِي إِلَيْهَا الطَّرْفُ. خَلَا هَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ. وَأَنْتِ
مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ. رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحُسُودِ
فَتَحَنَّنْ لِنَجْأَ إِلَيْهِ مِنْهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْجَاهِدِ. (وَلَهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ): وَصَلَ كِتَابُكَ فَمَا
رَأَيْتُ كِتَابًا أَسْهَلَ فُتُونًا وَلَا أَمْلَسَ مُتُونًا وَلَا أَكْثَرَ عُيُونًا وَلَا أَحْسَنَ
مَقَاطِعَ وَمَطَالِعَ مِنْهُ. أُنْجِزَتْ فِيهِ عِدَّةُ الرُّأْيِ وَبُشِّرَى الْقِرَاسَةِ. وَعَادَ
الظَّنُّ يَقِينًا وَالْأَمَلُ مُبْلُوغًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

كتاب ابن مكرم الى احمد بن المديبر

٣٤٨ إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنَبِّهِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ وَلَا
يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ. وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ. وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ
إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا. وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِيَ لَا
يُقَدِّمُ كَثْرَةَ التَّنَائِبِينَ لَهُ وَالْمُؤَنِّبِينَ مَعَهُ (لَاِبْنِ عَبْدِ رِيهِ)

فصول في التهنة والتحذير

فصل للحسن بن وهب

٣٤٩ لَنْ تَخْلُقْتَ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْمُذْذِرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فُحْصَاعَنْ خَبْرَكَ. وَلَمَّا بَلَغْتَنِي إِفَاقُكَ كَتَبْتُ

هَذَا بِالْعَافِيَةِ مُفِيًّا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ (للقيرواني)

كتاب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النيزد

٣٥٠ أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنَ الْعُمْرِ
مَوْصُولَةٍ بِفِرَاضِهَا مِنَ الشُّكْرِ . لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ
أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا عَمَّا بَدَّهْهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ . وَإِنِّي
وَإِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَعَيَّ مُلْكُكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِفَيْرِكَ . وَرَمَيْتُ
بِطَرْفِي إِلَى كَرَامَتِكَ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا
لِمُهْدِي مَالِكَ إِلَيْكَ . وَتَرَعْتُ إِلَى مَوْدَتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ
مُسْتَحْدَةٍ . فَرَأَيْتُنِي إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّةً لِي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا
وَلَا لُطْفًا . وَلَمْ أُمِزْ مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ
الشُّكْرُ مُقْصِرًا عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدًا عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ . فَجَعَلْتُ
الْإِعْتِرَافَ بِالْتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْعَجْزِ عَمَّا يَجِبُ
لَكَ بَرًّا أَوْصَلُ بِهِ إِلَيْكَ

وكتب بعض الكتاب الى بعض الملوك

٣٥١ النَّفْسُ لَكَ وَالرَّجَاءُ مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَالْأَمَلُ مَضْرُوفٌ مُنْحَوَكٌ .
فَاعْسَى أَنْ أَهْدِي إِلَيْكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ . وَهُوَ يَوْمٌ سَهَّلَتْ فِيهِ الْعَادَةُ
سَبِيلَ الْهَدَايَا لِلْسَّادَةِ . فَأَقْصَرَ نَاعَلِي هَدِيَّةً تَقْضِي بَعْضَ الْحَقِّ وَتَقُومُ
عِنْدَكَ مَقَامَ أَجَلِ الْيَرِّ . وَلَا زِلْتُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ دَائِمَ السُّرُورِ وَالنَّبْطَةِ فِي
أَتَمِّ أَحْوَالِ الْعَافِيَةِ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْكِرَامَةِ تَمُرُّ بِكَ الْأَعْيَادُ الصَّالِحَةُ .

فَقُتِلَ هَا وَأَنْتَ جَدِيدٌ تَسْتَقْبِلُ أَمْثَلَهَا فَتَمَّا كَ يَهْلِكُهَا (لابن عبد ربه)

فصول في التنزيه

كتاب الحواري الى الشيخ ابي بكر

٣٥٢ بَلَّغْنِي مَا قَابَاهُ شَيْخِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَصِيبَةِ مِنْ
غَمِّ يُشْكِي بَلَّ يُبْكِي . وَجَزَعٍ يُضْنِي . بَلَّ يُفْنِي . وَالْمَوْتُ خُطْبُ ثَقُلَ
حَتَّى خَفَّ وَكَثُرَ حَتَّى قَلَّ . وَهَانَ عَلَى الْبَاقِي لِمَا رَأَاهُ بِالْمَاضِي . وَعَلَى
الْمُعْزَى لِمَا نَظَرَهُ فِي الْمُعْزَى . وَدَخَلَ الْجَمِيعُ تَحْتَ قَوْلِ الْمُتَنَبِّئِ :
قَبْدَيْنَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمِشِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي
وَشَيْخِي أَعْرَفَ بِاللَّهِ . مِنْ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِغَيْرِ آدَبِ اللَّهِ . وَلَا يُسَلِّمَ
لِقَضَاءِ اللَّهِ . وَلَكِنْ لِمَفَاجَأَةِ الْمَصِيبَةِ لَذَعَةُ يُسْتَرَاخُ مِنْهَا إِلَى مُبَابَةِ
الصَّدِيقِ . وَإِلَى تَسْلِيَةِ الْأَخِ الشَّقِيقِ . وَالسَّلَامُ (رسائل الحواري)

غيره لبعضهم

٣٥٣ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ تَعَزَّى وَأَوْلَى مَنْ تَأَنَسَ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ
اللَّهِ وَقِيلَ تَأْدِيبُهُ فِي الصَّبْرِ عَلَى نَكَبَاتِ الدُّنْيَا وَتَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلْوَى
مَنْ تَجَزَّ مِنْ اللَّهِ وَعَدَهُ وَأَخْلَصَ لَهُ نَفْسَهُ وَاعْتَرَفَ لَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . وَفِي
قَلْبِهِ سَلَوَةٌ مِنْ قَفْدِ كُلِّ حَيْبٍ وَإِنْ لَمْ تَطِبِ النَّفْسُ عَنْهُ وَأُتِسُّ مِنْ كُلِّ
قَعِيدٍ وَإِنْ عَظُمَتِ اللَّوْعَةُ بِهِ . وَالْمَوْتُ سَبِيلُ الْمَاضِينَ وَالْعَايِرِينَ وَمَوْرِدُ
الْحَلَّاقِينَ أَجْمَعِينَ . وَفِي أَنْبَاءِ اللَّهِ وَسَالِفِ أَوْلِيَائِهِ أَفْضَلُ الْعِبَرَةِ وَأَحْسَنُ
الْأَسْوَةِ . فَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْ فُجَاعِ الدُّنْيَا بِأَجْزَلِ الْإِعْطَاءِ

وَمِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا بِأَحْسَابِ الْأَجْرِ فِيهَا بِأَوْفَرِ الْأَنْصَاءِ . فَوَهَبَ اللَّهُ
لَكَ مِنْ عِصْمَةِ الصَّبْرِ مَا يَكْمُلُ لَكَ بِهِ زُلْفَى الْعَازِزِينَ وَقُرْبَةُ الشَّاكِرِينَ .
وَجَعَلَكَ مِنَ الرِّاضِينَ قَوْلًا وَفِعْلًا (لابن عبدربه)

كتاب ابي القينا . الى المهدي بعد موت الخليفة المنصور

٣٥٤ أَجَرَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَهُ وَبَارَكَ لَهُ فِيمَا خَلَفَهُ
لَهُ . فَلَا مُصِيبَةَ أَعْظَمَ مِنْ مُصِيبَةِ إِمَامٍ وَالِدٍ وَلَا عَجَبٍ أَفْضَلَ مِنْ خِلَافَةِ اللَّهِ
عَلَى أَوْلِيَائِهِ . فَاقْبَلْ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلَ الْعَطِيَّةِ وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى أَعْظَمِ الرِّزْيَةِ

فصول الى طيل

كتاب ابي بكر الخوارزمي الى تلميذه له قد ظهر عليه الجدي

٣٥٥ وَصَلَنِي خَبَرُ الْجَدْرِيِّ فَقَالَ مِنِّي وَهَمٌّ حُزْنِي . وَرَاعَ قَلْبِي
وَأَسْهَرَ عَيْنِي وَهَذِهِ الْعِلَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُوجِعَةً . وَفِي رَأْيِ الْعَيْنِ قِطْعَةً
شَنِيعَةً . فَإِنَّهَا إِلَى السَّلَامَةِ أَقْرَبُ . وَطَرِيقَهَا إِلَى الْحَيَاةِ أَقْصَدُ . لِأَنَّ
عَيْنَ الطَّيِّبِ تَقَعُ عَلَيْهَا . وَظَاهِرُ الدَّاءِ أَسْلَمُ مِنْ بَاطِنِهِ . وَبَارِزُ الْجُرْحِ
أَهْوَنُ مِنْ كَامِنِهِ . وَلَعَمْرِي إِنَّهَا تُورِثُ سَوَادَ اللَّوْنِ . وَتَنْهَبُ مِنْ
الْوَجْهِ بِدِيَابِجَةِ الْحُسْنِ وَلَكِنْ ذَلِكَ يَسِيرُ فِي جَنْبِ السَّلَامَةِ لِلرُّوحِ
اللطيفة . وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ . وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَكَ غَيْرَ الدُّعَاءِ . لَا أَسْأَلُ
صِحَّتَكَ . إِلَّا مِمَّنْ خَاقَ عَلَيْكَ . وَأَرَى لَكَ أَنْ تُحْسِنَ ظَنِّكَ بِرَبِّكَ .
وَتَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِكَ . وَتَجْعَلَ الصَّدَقَةَ شَفِيعَكَ . وَالتَّيَمْنَ طَلِيبَكَ .
وَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَدَاءٌ أَذْوَامٍ مِنْ أَجْلِ . وَلَا دَوَاءَ أَشْنَى مِنْ هَلٍّ . وَلَا فِرَاشَ

أَوْطَأُ مِنْ أَمَلٍ . شَفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى . وَحَسْبُكَ بِهِ طَيْبًا (للخوارزمي)

وكتب الى تلميذه له ورد عليه كتابه بأنه عليل

٣٥٦ وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ . ثُمَّ غَمَّنِي
أَطْلَاحِي عَلَيْهِ لِمَا تَصَنَعْتُهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ . جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَهَا كَهْرًا
وَأَخْرَهَا عَافِيَةً . وَلَا أَعْدَمُكَ عَلَى الْأَوَّلَى أَمْرًا . وَعَلَى الْآخِرَةِ شُكْرًا .
وَيُودِي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَاوَلُ عِيَادَتِكَ . فَأَحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالْتَّمُهِدِ
وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ . فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ
كَتَسْمِيكَ . وَمَرَضَ قَلْبِي لِمَرْضِ جِسْمِكَ . وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا
لَا نَصَرْتُ عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
أَعْضَائِي . غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي . شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ . وَكَفَانِي
فِيكَ الْمَحْذُورُ وَكَفَاكَ . وَغَفَرَ ذَنْبَكَ . وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَمَبِكَ لَهُ

فصل في وصاة للمحافظ

٣٥٧ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَحَقَّ مِنْ أَسْفَقْتُهُ فِي حَاجَتِهِ وَأَجَبْتُهُ إِلَى طَلِبَتِهِ مِنْ
تَوَسَّلَ إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ وَتَرَعَ نَحْوَكَ بِالرَّجَاءِ . وَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ
بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مُوَاقِفَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَاهُ وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ
الْقِتَّةِ مِنْ مَكَاثِبِهِ فَأَوْلْنَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ مَوْقِفًا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَنَكُونُ
مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا (وله) : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنَا كِتَابُكَ فِي فَلَانٍ وَلَهُ لَدَيْنَا
مِنْ الذِّمَامِ مَا يَلْزِمُنَا مُكَافَأَتُهُ وَرِعَايَةُ حَقِّهِ . وَنَحْنُ مِنَ الْمُعْتَبَةِ بِأَمْرِهِ عَلَى
مَا كَانَ فِي حُرْمَتِهِ وَيُودِي شُكْرَهُ (لابن عبد ربه)

الْبَابُ الثَّلَاثِعَ عَشَرَ فِي التَّرَاجِمِ (*)

شعراء النصرانية

٣٥٨ (الْبَرَّاقُ بْنُ رَوْحَانَ ٥٢٥). هُوَ أَبُو النَّصْرَيْنِ رَوْحَانُ بْنُ أَسَدٍ
الْتَّمِسِيُّ مِنْ شُعَرَاءِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ. وَكَانَ فِي صُغْرِهِ
يَتَّبِعُ رِعَاةَ الْإِبِلِ وَيَحْبُبُ اللَّبَنَ وَيَأْتِي بِهِ إِلَى رَهَبٍ حَوْلَ الْمُرَائِي
فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ تِلَاوَةَ الْإِنْجِيلِ وَكَانَ يَدِينُ بَدِينِهِ. ثُمَّ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وَسَارَ
بَعْدَ ذَلِكَ. وَظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْقِيَامِ وَالْفُرُوسَةِ فِي الْحَرْبِ الَّتِي وَقَعَتْ
بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي إِيَادٍ وَلَحِمَ مَا لَمْ يَكُنْ لِفِرْعِهِ. وَمِنْ شِعْرِهِ :
يَا طَالِبَ الْأَمْرِ لَا يَنْطَلِ أَمَانِيهِ اسْتَعْمِلِ الصَّبْرَ فِي مَا كُنْتَ تَنْفِيهِ
وَأَبْسَ لِسِرِّكَ مَا تُحْبِبُهُ مَجْتَهِدًا وَأَبْسَ عَفَاكَ فِي مَا كُنْتَ تَنْفِيهِ
فَصَاحِبُ الصَّدَقِ يُجْنِي صَدَقَهُ حَسَنًا وَصَاحِبُ الشَّرِّ سُوءُ الشَّرِّ يُجْنِيهِ
وَلَمَّا وَقَعَتْ بَيْنَ بَنِي رَبِيعَةَ وَبَنِي ظُلَيْ وَقَضَاعَةَ الْحُرُوبِ الْمَشْهُورَةِ
وَتَطَاوَلَتِ الْقِتَّةُ بَيْنَهُمْ وَأَتَسَعَتْ أَعْيَا التَّدْبِيرِ فِي الصَّلَاحِ حَتَّى لَحِقَ شَرُّهُمْ
مَنْ كَانَ مُعْتَرِلًا عَنْهُمْ. فَاجْتَمَعَ إِلَى الْبَرَّاقِ كَلِيبُ بْنُ رَبِيعَةَ وَإِخْوَتُهُ

(*) قد افردنا هذا الباب لذكر تراجم المشاهير من اهل النصرانية الذين مع اشتهارهم بجنى
على الكثير تاريخهم. وقد افردنا باباً آخر لتراجم المشاهير من الاسلام وغيرهم قضى علينا ضيق
المقام بوضعه في الجزء التالي. وقد اصلحنا في الارقام ان يكون العدد الاول دالاً على سنة الميلاد
والثاني على سنة الوفاة. وان لم نرأ اعداداً فذلك تاريخ تاريخ الوفاة. وهو بحسب التاريخ المسيحي

وَسَارِ قَبَائِلَ رَبِيعَةَ يَسْتَحْجِدُونَهُ وَقَالُوا: قَدْ جَلَّ الْخَطْبُ فَلَا قَرَارَ لَنَا عَلَيْهِ. وَكَانَ الْبَرَّاقُ مُعْتَرِلاً عَنْهُمْ بِقَوْمِهِ. فَأَخَذَتْهُ الْغِيرَةُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 أَمْرِي لَسْتُ أَتْرُكُ آلَ قَوْمِي وَأَرْحَلُ عَنْ فِتَائِي أَوْ أَسِيرُ
 أَوْ أَتْرُلُ بَيْنَهُمْ إِنْ كَانَ يُسَرُّ وَأَرْحَلُ إِنْ أَلَمَ بِهِمْ عَسِيرُ
 ثُمَّ نَادَى فِي قَوْمِهِ وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُمْ كَثْرَةَ قَبَائِلِ طِيٍّ وَشِدَّةَ
 بَأْسِهِمْ وَتَجَدَّتْهُمْ فَشَدُّوا بِأَخْلِيلَ وَأَبْدَوْهُمْ بِالْفَارَةِ. فَوَضَعُوا فِيهِمْ
 السُّيُوفَ وَعَلَّتِ الْأَصْوَاتُ وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِمُ النَّاسُ وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ
 قَبِيلَةٍ عِمَّا يَلِيهَا. فَأَعْرَكُوا سَاعَةً وَوَلَّتْ طِيٌّ وَقَضَاعَةٌ بَعْدَ قِتْلَةِ مُرَيْعَةَ.
 وَأَتَتْهُمْ الْبَرَّاقُ وَأَمْتَلَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الْغَنَائِمِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِمُ الْعُرَبَانُ.
 وَعَظُمَتْ مَنَزَلَةُ الْبَرَّاقِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ وَأَسْتَهْلَوْا أَمْرَهُ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ
 جَمِيلًا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ خَمْسِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لِلْمَسِيحِ.
 ٣٥٩ (أَمْرُ وَائِلِيسِ ٥٦٦). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ أَمْرُ وَائِلِيسِ بْنِ حَجْرٍ
 ابْنِ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي كِنْدَةَ صَاحِبِ الْمُلَقَّةِ الْمَشْهُورَةِ. وَكَانَ مِنْ فُحُولِ
 شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مُقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. سَبَقَ إِلَى
 أَشْيَاءَ ابْتَدَعَهَا وَاسْتَحْسَنَهَا الْعَرَبُ وَاتَّبَعَتْهُ عَلَيْهَا الشُّعْرَاءُ. وَكَانَ حَجْرٌ
 أَبُو أَمْرِئِ الْفَيْسِ مَلِكًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَتَلَّوْهُ غِيلَةً. قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ:
 فَجَاءَ رَسُولٌ إِلَى أَمْرِئِ الْفَيْسِ فَأَخْبَرَهُ عَنْ أَمْرِ أَبِيهِ فَقَالَ: الْحَمْرُ عَلَيَّ
 وَاللَّبُّ حَرَامٌ حَتَّى أَقْتُلَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مِائَةً. وَأَجَزَ نَوَاصِي مِائَةً
 ثُمَّ قَامَ أَمْرُ وَائِلِيسِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ غُلَامًا قَدْ تَرَعَرَ يَسِيرُ فِي أَحْيَاءِ

الرَّبِّ . وَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ رَأَى رِقًا فَقَالَ :

أَرَقْتُ لِبَرَقِ بَلِيلِ أَهْلِ بَيْتِي سَنَاءً بِأَعْلَى الْجَبَلِ
أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ بِأَمْرِ رَزَّعٍ مِنْهُ الْقَتْلُ
بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ بِهِمْ أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلَلٌ

ثُمَّ أَرْتَحِلُ حَتَّى زَلَّ بَكْرًا وَتَلَبَّ فَسَأَلَهُمُ النَّصْرَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ .
وَبَثَّ الْعِيُونَ عَلَى بَنِي أَسَدٍ فَتَدَرَّوْا بِالْعِيُونَ وَجَاءُوا إِلَى بَنِي كِنَانَةَ .
فَنَهَضَ إِلَيْهِمْ وَبَنُو أَسَدٍ جَامُونَ عَلَى الْمَاءِ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى كَثُرَتْ الْجُرْحَى
وَالْقَتْلُ فِيهِمْ . وَحُجِرَ اللَّيْلُ بَيْنَهُمْ وَهَرَبَتْ بَنُو أَسَدٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ بَكْرٌ
وَتَلَبَّ أَبَوَانِ يَتِيمَوهُ وَقَالُوا لَهُ : قَدْ أَصَبْتَ تَارَكَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا
فَعَلْتُ وَلَا أَصَبْتُ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدًا .
قَالُوا : بَلَى وَلَكِنَّكَ رَجُلٌ مَشُورٌ . وَكَرِهُوا قَاتَلَهُمْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَنْصَرَفُوا
عَنْهُ فَمَضَى هَارِبًا لَوَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِحَمِيرٍ . ثُمَّ خَرَجَ فَظَفَّرَ بَيْنِي أَسَدٍ
(قَالُوا) وَأَلَحَّ الْمُنْذِرُ فِي طَلَبِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَأَمَدَهُ أَنْوَشِيرَوَانُ بِجَيْشٍ مِنْ
الْأَسَاوِرَةِ فَسَرَّحَهُمْ فِي طَلَبِهِ . وَتَفَرَّقَ حَمِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ عَنْهُ فَنَجَّاهُ فِي
عُصْبَةٍ مِنْ بَنِي آكِلِ الرَّمَارِ حَتَّى زَلَّ بِالْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ مِنْ بَنِي
حَنْظَلَةَ وَمَعَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ أَذْرَاعُ يَتَوَارَثُونَهَا مَلَكًا عَنْ مَلِكٍ . فَقَلَّمَا
لَبِثُوا عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ حَتَّى بَثَّ إِلَيْهِ الْمُنْذِرُ مَائَةً مِنْ أَصْحَابِهِ
يُوعِدُهُ بِالْحَرْبِ إِنْ لَمْ يُسَلِّمْ إِلَيْهِ بَنِي آكِلِ الرَّمَارِ . فَاسْتَدْعَاهُمْ وَنَجَّاهُ
أَمْرُؤَ الْقَيْسِ وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ وَبَيْتُهُ هِنْدُ بِنْتُ أَمْرِئِ

الْقَيْسِ وَالْأَذْرُعَ وَالسَّلَاحَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ بْنُ مَازِنٍ
الْقَزَارِيُّ : يَا أَبْنُ حَجْرٍ إِنِّي أَرَاكَ فِي خَلٍّ مِنْ قَوْمِكَ وَأَنَا أَنْفَسُ
عَيْتِكَ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ . أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَلَدٍ قَدْ جِئْتُ قَيْصَرَ وَجِئْتُ
النُّعْمَانَ فَلَمْ أَرِ لِيَصِيفِ نَازِلٌ وَلَا لِيَجْتَدِيَ مِثْلَهُ وَلَا مِثْلَ صَاحِبِهِ . قَالَ :
مَنْ هُوَ وَأَيْنَ مَنْزِلُهُ . قَالَ : السَّمْوَلُ بَيْتَاءُ . وَسَوْفَ أَضْرِبُ لَكَ مِثْلَهُ . هُوَ
يَمْنَعُ ضَعْفَكَ حَتَّى تَرَى ذَاتَ غَيْكَ . وَهُوَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَحَسَبٍ
كَبِيرٍ . فَمَضَى الْقَوْمُ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى السَّمْوَلِ فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

وَلَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي الْمُصَاصِ مُفَاخِرًا وَإِلَى السَّمْوَلِ زُرْتُهُ يَأْلَا بَلَقُ
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحْمَلُ حَاجَةً إِنْ جِئْتُهُ فِي غَارِمٍ أَوْ مَرَهَقِ
عَرَفْتُ لَهُ الْأَقْوَامَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَحَوَى الْمَكَارِمَ سَابِقًا لَمْ يَسْبِقِ
وَعَرَفَ لَهُمُ السَّمْوَلُ حَقَّهُمْ فَأَزَلَّهُمْ فِي مَجْلِسٍ لَهُ بِرَاحٍ فَكَانَ عِنْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ إِنَّهُ طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ
الْعَسَايَ بِالسَّامِ لِيُوصِلَهُ إِلَى قَيْصَرَ . فَاسْتَجَدَّ لَهُ رَجُلًا وَاسْتَوْدَعَ عِنْدَهُ
الْأَذْرُعَ وَالْمَالَ وَأَقَامَ مَعَ يَزِيدَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ عَمِّهِ . فَمَضَى
حَتَّى أَتَاهُ إِلَى قَيْصَرَ فَصَلَّاهُ وَكَرَّمَهُ وَكَانَتْ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةٌ . فَأَنْدَسَ
رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ الطَّمَّاحُ حَتَّى أَتَى إِلَى بِلَادِ الرُّومِ فَأَقَامَ
مُسْتَحْتَمًا . ثُمَّ إِنَّ قَيْصَرَ ضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا وَفِيهِمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ .
فَلَمَّا فَصَلَ دَخَلَ الطَّمَّاحُ عَلَى قَيْصَرَ فَقَالَ : إِنَّ الْعَرَبَ قَوْمٌ غَدَرٌ وَلَا تَأْمَنُ
أَنْ يَظْفَرِ بِمَا يُحْرِيدُ ثُمَّ يَفْزُوكَ بِمَنْ بَشَتْ مَعَهُ . فَبَثَّ إِلَيْهِ قَيْصَرُ

حِينَئِذٍ بَجَلَّةٌ وَثَنِي مَسْمُومَةٌ مَسْجُوجَةٌ بِالذَّهَبِ . وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ
 إِلَيْكَ بِجِلَّتِي الَّتِي كُنْتُ أَلْبَسُهَا تَكْرِمَةً لَكَ فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكَ فَأَلْبَسْهَا
 بِالْيَمِينِ وَالْبَرَكَةِ . وَانْكُتِبَ إِلَيَّ بِخَبْرِكَ مِنْ مَنْزِلٍ مَنْزِلٍ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
 لِبْسُهَا فَاسْرَعَ فِيهِ السُّمُّ وَسَقَطَ جِلْدُهُ فَسُمِّيَ ذَا الْقُرُوحِ (الآغاخي)
 ٣٦٠ (عدي بن زيد ٥٨٢) . هُوَ مِنْ أَوْلَادِ زَيْارٍ وَكَانَ شَاعِرًا أَفْصَحًا مِنْ
 شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . وَكَانَ أَبُوهُ لَمَّا أَتَيْعَ طَرَحَهُ فِي الْكُتَّابِ
 حَتَّى إِذَا حَذَقَ أَرْسَلَهُ الْمَرْزُبَانَ مَعَ ابْنِهِ شَاهَانَ مَرَدًا إِلَى كُتَّابِ الْقَارِيسِيَّةِ .
 فَكَانَ يَخْتَلِفُ مَعَ ابْنِهِ وَيَتَلَمَّنُ الْكُتَّابَةَ وَالْكَلَامَ بِالْقَارِيسِيَّةِ . حَتَّى خَرَجَ
 مِنْ أَفْهَمِ النَّاسِ بِهِمَا وَأَفْصَحِهِم بِالْعَرَبِيَّةِ . وَقَالَ الشَّعْرُ وَتَعَلَّمَ الرَّيَّ
 بِالنَّشَابِ فَخَرَجَ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ الرُّمَامَةِ . وَتَعَلَّمَ لَبَّ الْعَجَمِ عَلَى الْخَيْلِ
 بِالصَّوَالِحَةِ وَغَيْرِهَا . ثُمَّ اثْبَتَهُ كِسْرَى مَعَ وَلَدِ الْمَرْزُبَانَ فَكَانَ عَدِيُّ
 أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ فِي دِيْوَانِ كِسْرَى . يُؤَذِّنُ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْخَاصَّةِ
 وَهُوَ مُحِبٌّ بِهِ قَرِيبٌ مِنْهُ فَأَرْتَقِعْ ذِكْرَ عَدِيٍّ . وَلَمَّا تَوَلَّى التَّنْعَمَانُ بْنُ
 الْمُنْذِرِ عَلَى الْحَيْرَةِ اسْتَدْعَى عَدِيَّ بْنَ زَيْدٍ مِنَ الْمَدَائِنِ مَعَ أَخَوَيْهِ لَهُ
 اسْمُهُمَا أُنَى وَعَايِرُ فَارَكَمَهُمْ وَأَجَزَلَ صَلَاتَهُمْ وَزَوَّجَ عَدِيًّا ابْنَتَهُ هِنْدًا وَأَوْلَاهُ
 مَمْلَكَتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ دَسَوَى اسْمِ الْمَلِكِ . ثُمَّ حَسَدَهُ وَحَبَسَهُ فِي تَحْبَسٍ لَا
 يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ أَحَدٌ . فَجَعَلَ عَدِيُّ يَقُولُ الشُّعْرَ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ فَمِنْ قَوْلِهِ :
 أَلَا مَنْ مَبْلُغُ التَّنْعَمَانِ عَنِّي وَقَدْ تَهَوَّى أَتَّصِيحُهُ بِالْمَلِيبِ
 أَحْظِي كَانَ سِلْسِلَةً وَقِيدًا وَغُلًّا وَالْيَانُ لَدَى الطَّيِّبِ

أَتَاكَ يَا أُنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَلَمْ تَسَأَمْ بِمَسْجُونٍ حَرِيبٍ
وَبَيْتِي مُقَرَّرٌ إِلَّا نِسَاءً أَرَامِلَ قَدْ هَلَكْنَ مِنَ النِّجَبِ
يُكَادِرْنَ الدَّمُوعَ عَلَى عَدِي كَسْنِ خَانِهِ خَرَزُ الرِّيبِ
فَهَلْ لَكَ أَنْ تَدَارِكَ مَا لَدَيْنَا وَلَا تُثَلِّبَ عَلَى الرَّأْيِ الصِّبِ
فَإِنِّي قَدْ وَكَلْتُ الْيَوْمَ أَمْرِي إِلَى رَبِّ قَرِيبٍ مُسْتَجِيبِ
وَكُتِبَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي وَهُوَ مَعَ كِسْرَى :

وَتَقُولُ الْعِدَاءُ أَوْدَى عَدِي وَبَنُوهُ قَدْ أَيَقُنُوا بِعَلَاقِ
يَا أَبَا مُسَهَّرٍ فَأَبْلِغْ رَسُولًا إِخْوَتِي إِنْ أَتَيْتَ صَخْنَ الْعِرَاقِ
أَبْلِغْنَا عَامِرًا وَأَبْلِغْ أَخَاهُ أَنَّنِي مُوثِقٌ شَلِيدٌ وَثَاقِي
فِي حَدِيدٍ مُضَاعَفٍ وَغِلَالٍ وَثِيَابٍ مُصَفَّحَاتٍ خِلَاقِ
فَازْكُبُوا فِي الْحَرَامِ فَكُونُوا أَحَاكِمَ إِنْ عِيرًا تَجَمَّزَتْ لَا تَطْلَاقِ
فَلَمَّا قَرَأَ أَبِي كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كِسْرَى فَكَلَّمَهُ فِي أَمْرِهِ
وَعَرَفَهُ خَبْرَهُ . فَكُتِبَ إِلَى النُّعْمَانِ يَا مَرَّةُ بِإِطْلَاقِهِ . فَأَتَى النُّعْمَانُ أَعْدَاءَ
عَدِي فَأَغْرَوْهُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَتَلَهُ (*) (لَا بِي الْمَرْجِ الْأَصْبَهَانِي)

(هـ) واخبر صاحب كتاب الاغاني انه لما انتهى خبر قتل عدي الى كسرى سكت اشهرًا
على ذلك ووقع في قلبه منه ما وقع . وجعل النعمان يستمد ويتوقع حتى آتاه كتابه أن أقبل فإن
الملك حاجة اليك . فحمل سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بالبادية وأقبل يطوف على قبائل العرب
وليس احد منهم يقبله خوفًا من كسرى . فقال له بعض أصحابه : عندي رأي لك كست أشير
به عليك لأدفعك عما تريد من مجاورتي ولكنه الصواب . فقال : هاتيه . فقال : ان كل أمر
يحمل بالرجل ان يكون عليه إلا أن يكون بعد الملك سوقة والموت نازل بكل أحد . ولأن
موت كرمًا خير من أن تجزع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك . فامض الى صاحبك واحمل

٣٦١ (حاتم الطائي ٦٠٥). هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ الطَّائِي. وَكَانَ نَصْرَانِيًّا مِنَ الْكُرَمِ عَلَى أَفْضَلِ جَانِبٍ. فَبَقِيَ الطَّائِي وَيَحْيَى الذَّمَامُ وَيُقْرَى الضَّيْفُ وَيُشَبِّعُ الْجَانِغُ وَيُفْرَجُ عَنِ الْمَكْرُوبِ وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ وَيُقْشِي السَّلَامَ. وَلَمْ يَرُدَّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ. وَكَانَ حَاتِمٌ مِنْ شُرَاءِ أَعْرَبٍ جَوَادًا يُشَبِّهُ شِعْرَهُ جُودَهُ. وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُ فِعْلُهُ. وَكَانَ حَيْثَمَا تَرَلَّ عُرْفَ مَنْزِلِهِ وَكَانَ مُظْفَرًا إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ. وَإِذَا غَنِمَ أَتَهَبَ. وَإِذَا سُلِّ وَهَبَ. وَكَانَ إِذَا جَنَّ اللَّيْلُ يُوعِزُّ إِلَى غُلَامِهِ أَنْ يُوقِدَ النَّارَ فِي يَفَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مِنْ أَضَلِّهِ الطَّرِيقِ فَيَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ وَيَقُولُ: أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحُ يَأْمُوقِدُ رِيحٌ صِرٌّ عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبَتْ ضَيْقًا فَأَنْتَ حُرٌّ وَكَانَ إِذَا أَهَلَ الشَّهْرَ تَحْرُ عَشْرًا مِنْ الْأَيْلِ فَيُطْعِمُ النَّاسَ (دواوين العرب) ٣٦٢ (أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ٦٢٤) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ التَّقِيُّ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شُرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى. وَكَانَ أُمِيَّةً مِنْ رُؤَسَاءِ ثَقِيفٍ وَفَصَحَائِهِمْ يَتَعَبَّدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُؤْمِنُ بِالْبَثِّ. وَيُنْشِدُ فِي أَثْنَائِهِ الشَّعْرَ الْمُنِجَّ وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يُسْلِمَ. وَلَهُ فِي الْأَنْحَرِ:

إِلَيْهِ هَدَايَا وَمَالًا وَأَلْقَى نَفْسَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا إِنْ صَفَحَ عَنْكَ فَصَدَّتْ مَلَكًا عَزِيزًا . وَامَّا إِنْ
 أَصَابَكَ فَلَمُوتٌ خَيْرٌ مِنْ إِنْ يَتَلَمَّبُ بِكَ صَالِكُ الْعَرَبِ وَتَخْطُفُكَ ذُنَابُهَا وَتَأْكُلُ مَالَكَ
 وَتَعْبِسُ فَقِيرًا مُجَاوِرًا أَوْ تُقْتَلُ مَقْهُورًا . فَضَى إِلَى كَسْرَى حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الدَّائِنِ بَلَغَ كَسْرَى أَنَّهُ
 بِالْبَابِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَعَبْدَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى سِجْنٍ كَانَ لَهُ بَخَائِفٌ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ
 الْكَلْبِيُّ : الْقَاهُ تَحْتَ أَرْجْلِ الْغَيْلَةِ فَوُضِعَتْهُ حَتَّى مَاتَ وَذَلِكَ قَبِيلُ الْإِسْلَامِ بِحَيْنٍ (الْأَخْلَانِي)

وَرَيْنَا الْمَجْدَعَنَ كَبْرًا يَزَارُ فَأَوْرَثَنَا مَاؤُنَا يَنْبَا
وَكُنَّا حَيْثَا عَلِمْتَ مَعَدَّ أَهْمْنَا حَيْثُ سَارُوا هَارِبِينَ
تُحِيرُكَ الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدَّ إِذَا عَدُّوا سِعَايَةَ أَوْلِينَا
يَأْتَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ نَقِيرٍ وَأَنَا الضَّارِبُونَ إِذَا التَّمِينَا
وَأَنَا الْمَانِعُونَ إِذَا أَرَدْنَا وَأَنَا الْعَاطِفُونَ إِذَا دُعِينَا
وَأَنَا الْحَامِلُونَ إِذَا أَنَاخْتَ خُطُوبُ فِي الْعَشِيرَةِ تَبْلِينَا
وَأَنَا الرَّاغِبُونَ عَلَى مَعَدَّ أَكْفَا فِي الْمَكَارِمِ مَا بَقِينَا
نُشْرِدُ بِالْخَافَةِ مِنْ أَتَانَا وَيُعْطِينَا الْمَقَادَةَ مَنْ يَلِينَا
نَسِيرُ بِمَشْرِ قَوْمًا لِقَوْمٍ وَنَدْخُلُ دَارَ قَوْمٍ آخِرِينَ
وَحَضَرَ يَوْمًا مَجْلِسَ بَيْضِ الرُّؤَسَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَطْبَاقٌ مِنَ الذَّهَبِ
فِيهَا وَرْدٌ أَبْيَضٌ وَأَحْمَرٌ فَأَمَرَهُ بِوَضْعِهَا فَقَالَ :

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ الَّذِي نَشْرُهُ يَبْقَى مِنْ طِيبِ مَعَانِكَا
دِيمًا أَعْدَانُكَ مَسْفُوكَةٌ قَدْ قَابَلَتْ بَيْضَ أَيْدِيكَ
وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ يَمْدَحُ ابْنَ جَدْعَانَ النَّبِيِّ صَدِيقَهُ :
خَلِيلٌ لَا يَنْفِرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَلَّتْهَا بُسُوْتِيمُ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الرَّأْيُ يَوْمًا كَفَّاهُ مِنْ تَمَرُّضِهِ الْبُكَاءُ
قَالَ النَّبِيُّ : لَمَّا رَضِ أُمِّيَةُ الرِّضَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَمَلٌ يَقُولُ :
قَدْ دَنَا أَجَلِي وَهَذِهِ الرِّضَةُ مِنْدِي . فَلَمَّا دَنَتْ وَفَاتَهُ أَغْمِيَ عَلَيْهِ قَلِيلًا

ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَقُولُ: لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا هَا أَنَا ذَا لَدَيْكُمَا . لَا مَالَ لِي
 يَفْدِينِي وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِينِي . وَرَقَعَ رَأْسُهُ وَهُوَ يَقُولُ:
 كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا حَازِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
 لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُعُولَا
 إِجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ وَأَحْذَرْ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنَّ الدَّهْرَ غَوَلَا
 ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ فِي قَصْرِ مِنْ قُصُورِ الطَّائِفِ (لَا بِي زَكَرِيَّا النُّووي)
 ٣٦٣ (أَبُو زَيْدٍ ٦٤٥) . هُوَ حَرَمَلَةٌ بَنَى الْمُنْذِرِ مِنْ بَنِي طَيْيٍّ . وَكَانَ
 نَصْرَانِيًّا وَعَلَى دِينِهِ مَاتَ . وَهُوَ مِمَّنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ .
 كَانَ يَزُورُ الْمُلُوكَ وَخَاصَّةً مُلُوكَ الْعَجَمِ . وَكَانَ عَالِمًا بِسِيرِهِمْ . وَكَانَ عُثْمَانُ
 ابْنُ عَفَّانٍ يُقَرِّبُهُ إِلَى ذَلِكَ وَيُدْنِي مَجْلِسَهُ . وَكَانَ يَكْثُرُ وَصْفُ الْأَسَدِ
 قَدْ ذَكَرُوا مَا ثَرَّ الْعَرَبَ وَأَشْعَارَهَا فَالْتَفَتَ عُثْمَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ وَقَالَ:
 يَا أَخَا تَيْعِ السَّمِجِ اسْمِعْنَا بَعْضَ قَوْلِكَ . فَقَدْ أَنْبَيْتُ أَنَّكَ مُجِيدٌ فَأَنْشُدْهُ
 قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمَنَا النَّائِينَ إِذْ سَمَحُوا أَنْ الْقَوَادِ إِلَيْهِمْ شَيْئٌ وَلِجْ
 وَوَصَفَ الْأَسَدَ فَقَالَ عُثْمَانُ: تَاللَّهِ تَفَعْنَا تَذَكُّرَ الْأَسَدِ مَا حَيَّتْ وَاللَّهِ
 إِنِّي لَا أَحْسِبُكَ جَبَانًا هَرَبًا . قَالَ: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنِّي رَأَيْتُ
 مِنْهُ مَنْظَرًا وَشَهِدْتُ مِنْهُ مَشْهَدًا لَا يَبْرَحُ ذِكْرُهُ يُجَدِّدُ وَيَرْدُدُ فِي قَلْبِي .
 وَتَعَذَّرُ أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ مَلُومٍ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: وَأَنْتَى كَانَ ذَلِكَ .
 قَالَ: خَرَجْتُ فِي صُيَاةٍ أَشْرَافٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ذَوِي هَيْبَةٍ

وَشَارِدَ حَسَنَةَ تَزْمِي بِنَا الْمَهَارِي بِأَكْسَانِهَا وَتَحْنُ زَيْدُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ
الْأَسَّانِي مَلِكُ الشَّامِ. فَأَخْرُوطُ بِنَا السَّيْرُ فِي حِمَارَةِ الْقَيْطِ حَتَّى إِذَا
عَصَبَتِ الْأَفْوَاهُ. وَذَبَلَتِ الشَّفَاهُ وَسَالَتِ الْمِيَاهُ. وَأَذْكَّتِ الْجُوزَاءُ الْمَغْرَاءُ
وَصَرَ الْجُنْدُبُ قَالَ قَائِلٌ: أَيُّهَا الرِّكْبُ غُورُوا بِنَا فِي صَوْنِ هَذَا
الْوَادِي. وَإِذَا وَادٍ قَدْ بَدَا لَنَا كَثِيرُ الدَّغَلِ دَائِمُ الْغُلَلِ. أَشْجَارُهُ مَغْنَمَةٌ
وَأَطْيَارُهُ مَرْتَةٌ. فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا بِأُصُولِ دَوْحَاتِ كَنْهَبَلَاتٍ. فَأَصْبْنَا مِنْ
فَضْلَاتِ الزَّادِ وَاتَّبَعْنَا هَا الْمَاءَ الْبَارِدَ. فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمَمَاطَلَهُ إِذْ
صَرَ أَقْصَى الْخَيْلِ أَذْنِيهِ. وَفَحَصَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ. فَوَاللَّهِ مَا لَيْتَ أَنْ
جَالَ. ثُمَّ حَقَّمَ الْخَيْلَ وَتَكَمَّكَتِ الْإِبِلُ وَتَهَمَّقَتِ الْبُغَالُ. فَمِنْ تَأْفِيرٍ
بِشِكَالِهِ. وَنَاهِضٍ بِمَقَالِهِ. فَعَلِمْنَا أَنَّ قَدْ أَتَيْنَا وَأَنَّهُ السَّبْعُ فَزِعَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ مِنْ جَرَابِهِ. ثُمَّ وَقَفْنَا رُزْدَقًا أَرْسَالًا وَأَقْبَلَ أَبُو
الْحَارِثِ مِنْ أَجْمَتِهِ يَتَظَالَعُ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ نَفْتِهِ كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ أَوْ فِي هِجَارٍ
بِصَدْرِهِ نَحِيطٌ. وَلِبَاسُهُ غَطِيطٌ. وَلِطَرَفِهِ وَمِضٌ. وَلَا رَسَاغَةَ نَقِيطِضُ.
كَأَنَّمَا يَنْحِيطُ هَشِيمًا. أَوْ يَطَأُ صَرِيمًا. وَإِذَا هَلُمَّةٌ كَالْحِجْنِ. وَخَدٌّ كَالْمِسْنِ.
وَعَيْنَانِ سَجَرَاوَانِ. كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ يَتَقَدَّانِ. وَكَفٌّ شَتْنَةُ الْبَرَاثِنِ إِلَى
مَخَالِبِ كَالْحِجَانِ. فَضْرَبَ بِيَدِهِ فَارْجَحَ. وَكُشِّرَ فَافْرَجَ عَنْ أَنْيَابِ
كَالْمَعَاوِلِ مَضْفُولَةٍ غَيْرِ مَقْلُولَةٍ. ثُمَّ أَقْفَى فَاقْشَرَتْ ثُمَّ مَثَلُ فَالْكُفْرُ. ثُمَّ
تَجَهَّمُ فَازْبَارَ. فَلَا وَدُو بَيْنَتِي فِي السَّمَاءِ مَا أَتَقِينَاهُ إِلَّا بِالْخُ لَنَا مِنْ قَرَارَةٍ
كَانَ صَحْنُ الْجَزَارَةِ. فَوْقَهُ ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً فَفَضَضَهُ نَفْثَةً فَجَمَلَ

يَلِغُ فِي دَمِهِ . فَذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي فَأَخْلَجَ رَجُلًا أُعْجِرَ ذَا حَوَايَا فَفَضَّه
نَفْضَةً تَرَأَيْتُ مَفَاصِلَهُ . ثُمَّ نَهَمَ قَفَرَفَرْتُمْ زَقَرَفَرَرْتُ . ثُمَّ زَارَ حُجْرَجَرَ .
ثُمَّ لَحَظَ فَوَاللَّهِ لَحَلَّتْ أَلْبَرَقُ يَتَطَاوَرُ مِنْ تَحْتِ جُنُونِهِ مِنْ شِمَالِهِ وَيَمِينِهِ .
فَارْعَشَتْ أَلْأَيْدِي وَأَصْطَلَكْتَ أَلْأَرْجُلُ وَأَطَلْتَ أَلْأَضْلَاعُ . وَارْتَجَبَتْ
أَلْأَسْمَاعُ . وَتَخَصَّصَتِ أَلْعُيُونُ . وَتَحَقَّقَتِ أَلظُّنُونُ وَانْخَرَزَتِ أَلْمُتُونُ . فَقَالَ
لَهُ عُثْمَانُ : أَسْكُتْ فَقَدْ أَرَعَبَتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ . وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا زَيْدٍ
عُمِرَ مِائَةً سَنَةً يَنْفَيْ وَدُفِنَ فِي أَلرَّقَةِ فِي بَيْعَةِ النَّصَارَى (الآغَانِي)
٣٦٤ (أَلْقَطَائِي ٧١٠) . هُوَ لَقَبٌ غَلَبَ عَلَيْهِ وَاسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ
وَكَانَ نَصْرَانِيًّا . قَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ أَلْعَلَاءَ : أَوَّلُ مَا حَرَّكَ مِنَ أَلْقَطَائِي
وَرَفَعَ مِنْ ذِكْرِهِ أَنَّهُ قَدِيمٌ فِي خِلَافَةِ أَلْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ أَلْمَلِكِ دِمَشْقَ
لِيَمْدَحَهُ فَقِيلَ لَهُ : إِنَّهُ يُجِيلُ لَا يُعْطِي أَلشُّرَاءَ وَأَلشُّرَّ لَا يُفْقُ عِنْدَهُ . وَهَذَا
عَبْدُ أَلْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَامَدَحَهُ . قَدَحَهُ فَقَالَ لَهُ : كَمْ أَمَلْتُ مِنْ أَمِيرِ
أَلْمُؤْمِنِينَ قَالَ : أَمَلْتُ أَنْ يُعْطِيَنِي ثَلَاثِينَ نَاقَةً . فَقَالَ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ
بِخَمْسِينَ نَاقَةً مُوقَرَةً بِرًا وَتَمْرًا وَثِيَابًا ثُمَّ أَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَلَمَّا سَارَ
عُمَيْرُ بْنُ أَلْحَبَابِ لِمَحَارَبَةِ بَنِي عَتَابٍ وَفِيهِمْ أَخْلَاطٌ تَلَبَّ اسْتَحَرَّ بِهِمْ
أَلْقَتْلُ وَأَصِيبُ أَكْثَرِهِمْ وَأَسِيرُ مِنْهُمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَلْقَطَائِي . وَأَخَذَتْ إِلَيْهِ
فَأَتَى أَلْأَمِيرَ زَقَرَفَقَحْلَى سَبِيلَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَةً نَاقَةٍ . فَقَالَ أَلْقَطَائِي يَمْدَحُهُ :
يَا زَقَرُ بْنُ أَلْحَارِثِ ابْنِ أَلْأَكْرَمِ قَدْ كُنْتُ فِي أَلْحَيِّ قَدِيمٌ أَلْمُقَدَّمُ
إِذْ أَتَجَمَّ أَلْقَوْمُ وَلَمَّا تَنَجَّجِمُ إِنَّكَ وَأَبْنَيْكَ حَفِظْتُمْ عَجْرِي

وَحَسَنَ اللَّهُ بِكَتْمِكَ دَمِي مِنْ بَعْدِ مَا جَفَّ لِسَانِي وَفِي
 أَنْقَذْتَنِي مِنْ بَطْلٍ مُعَمَّمٍ وَالْخَلِيلُ تَحْتَ الْعَارِضِ الْمُسَوِّمِ
 أَخْبَرَ الْمَدَائِنِي قَالَ : قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْأَخْطَلِ وَعِنْدَهُ
 عَامِرُ الشَّعْبِيِّ : أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاصًا بِشَعْرِكَ شَعْرًا أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ
 أَمْ تُحِبُّ أَنْتَ قُلْتَهُ . قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي
 كُنْتُ قُلْتُ أَيَّامًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا مُغْدِفُ الْقِنَاعِ . قَلِيلُ السَّمَاعِ قَصِيرُ
 الذَّرَاعِ . قَالَ : وَمَا قَالَ . فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَيْمَانَ :
 إِنَّا نَحْبُوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَالُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ
 لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا دُوحَلَةٌ يَصِلُ
 وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْقُصُ
 قَدْ يُدْرِكُ النَّاتِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَجِيلِ الزَّلَلُ
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : ثَكَتِ
 الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ . هَذَا وَاللَّهُ الشَّعْرُ

٣٦٥ (الْأَخْطَلُ ٧١٢) هُوَ أَبُو مَالِكٍ غِيَاثُ بْنُ عُوثِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ
 الطَّارِقَةِ . وَأَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِالْأَخْطَلِ أَنَّهُ هَجَرَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ :
 يَا غُلَامُ إِنَّكَ لَأَخْطَلُ اللِّسَانِ . فَتَلَبَّتْ عَلَيْهِ . وَكَانَ الْأَخْطَلُ نَصْرَانِيًّا
 وَمَحَلُّهُ فِي الشَّعْرِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَخْتِاجَ إِلَى وَصْفٍ . وَهُوَ وَجَرِيٌّ وَالْقِرْدَقُ
 طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ . سُئِلَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةِ عَنِ الْأَخْطَلِ فَقَالَ : مَا تَسْأَلُونِي
 عَنْ رَجُلٍ قَدْ حَبَّبَ شَعْرَهُ إِلَيَّ النَّصْرَانِيَّةَ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : لَوْ أَدْرَكَ

الْأَخْطَلُ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مَا قَدَّمْتُ عَلَيْهِ أَحَدًا . قِيلَ لَجَرِيرٍ مَا
 تَقُولُ فِي الْأَخْطَلِ . قَالَ : كَانَ أَشَدَّنَا اجْتِرَاءً وَأَرْمَانًا لِلْفَرَانِصِ
 وَأَمْدَحَ النَّاسَ لِكَرِيمٍ . وَكَانَ أَبُو عَيْدَةَ يَقُولُ : شُعْرَاءُ الْإِسْلَامِ
 الْأَخْطَلُ ثُمَّ جَرِيرٌ ثُمَّ الْقُرَزْدَقُ . وَكَانَ يُشَبُّهُ الْأَخْطَلُ بِالنَّائِفَةِ لِعَيْتَةِ
 شِعْرِهِ وَيَقُولُ : الْأَخْطَلُ أَشَبُّ بِالْجَاهِلِيَّةِ وَأَشَدُّهُمْ أَمْرَ شِعْرٍ وَأَقْلَامٍ
 سَقَطًا . أَخْبَرَ عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ قَالَ : دَخَلَ الْأَخْطَلُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
 فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زَعَمَ ابْنُ الْمُرَاغَةِ أَنَّهُ يَبْلُغُ مِدْحَتَكَ فِي ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ . وَقَدْ أَقَمْتُ فِي مِدْحَتِكَ (خَفَّ الْقَطِينُ فَرَا حُومَانِكَ أَوْ بَكَرُوا)
 سَنَةً قَمَا بَلَّغْتُ كُلَّمَا أَرَدْتُ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَا سَمِعْتَاهَا يَا أَخْطَلُ .
 فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا فَجَعَلَتْ أَرَى عَبْدَ الْمَلِكِ يَتَطَاوَلُ لَهَا . ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ
 يَا أَخْطَلُ أَتُرِيدُ أَنْ أَكُتِبَ إِلَى الْأَاقِقِ أَنَّكَ أَشْعَرُ الْعَرَبِ . قَالَ :
 أَكْفَيْ يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَمْرَ لَهُ يُخْفِضُ كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمَّتْ
 دَرَاهِمَ وَأَلْقَى عَلَيْهِ خَلْعًا . وَخَرَجَ بِهِ مَوْلَى لِعَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى النَّاسِ يَقُولُ :
 هَذَا شَاعِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ . وَأَخْبَرَ أَبُو عَمْرٍو قَالَ :
 لَقَدْ كَانَ الْأَخْطَلُ يَمُجُّ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزَّ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ ذَهَبٍ فِيهَا
 صَلِيبٌ ذَهَبٍ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بِغَيْرِ إِذْنٍ . قَالَ الْأَخْطَلُ :
 فَضَلْتُ أَشْعْرَاءَ فِي الْمَدِيحِ وَالنَّجَاءِ بِمَا لَا يُلْحِقُ بِي فِيهِ . فَقَوْلِي بِالْمَدِيحِ :
 نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبَدَى التَّوَّاجِدُ يَوْمَ عَارِمٍ ذَكَرُ
 الْحَائِضِ الْعَمْرَةَ أَلْيَمُونَ طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ

وَقَوْلِي فِي الْهَجَاءِ :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَمِيدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتُ أَيُّهُمَا الْعَمِيدُ
لَيْمُ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودُ
قَالَ عَبْدُ الْحَالِقِ : وَصَدَقَ لَعْمَرِي لَقَدْ فَضَّلَهُمْ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ :
كَانَ يَمَّا يُقَدَّمُ بِهِ الْأَخْطَلُ أَنَّهُ كَانَ أَخْبَثَ الشُّعْرَاءِ هَجَاءً فِي عَفَافٍ
مِنَ الْفَحْشِ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَا هَجَوْتُ أَحَدًا قَطُّ يَمَّا لَسْتُ فِي الْعَذْرَاءِ
أَنْ تُنْشِدَهُ أَبَاهَا . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : قَدِمْتُ الشَّامَ وَأَنَا شَابٌ .
فَكُنْتُ أَطُوفُ فِي كَنَائِسِهَا وَسَاجِدِهَا فَدَخَلْتُ كَنِيَسَةً دِمَشْقَ وَإِذَا
الْأَخْطَلُ فِيهَا مَحْبُوسٌ . فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَسَأَلَ عَنِّي فَأَخْبَرْتُ بِسَيِّ
فَقَالَ : يَا قَتِي إِنَّكَ لَرَجُلٌ شَرِيفٌ وَإِنِّي أَسْأَلُكَ حَاجَةً . قُلْتُ :
حَاجَتُكَ مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : إِنَّ أَلْهَسَ حَبَسَنِي هَهُنَا فَتَكَلِّمُهُ لِيُخَلِّيَ عَنِّي .
فَأَتَيْتُ أَلْهَسَ فَأَتَسَبَّتُ لَهُ فَرَحَبٌ وَعَظَمٌ . قُلْتُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ
حَاجَةٌ . قَالَ : مَا حَاجَتُكَ . قُلْتُ : الْأَخْطَلُ يُخَلِّيَ عَنْهُ . قَالَ : أُعِيدُكَ
بِاللهِ مِنْ هَذَا . مِثْلَكَ لَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ . فَاسِقٌ يَشْتُمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ
وَيَهْجُوهُمْ . فَلَمْ أَزَلْ أَطْلُبُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مَعِيَ مُتَكِنًا عَلَى عَصَاهُ .
فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَرَفَعَ عَصَاهُ وَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللهِ أَتُودُّ تَشْتُمُ النَّاسَ
وَيَهْجُوهُمْ وَتَعْتَذِرُ الْخُصَنَاتِ . وَهُوَ يَقُولُ : لَسْتُ بِمَائِدٍ وَلَا أَفْصَلُ
وَيَسْتَحْذِي لَهُ . قَالَ : قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا مَالِكٍ النَّاسُ يَهْجُونَكَ وَالْخَلِيفَةُ
يُكْرِمُكَ وَقَدْرُكَ فِي النَّاسِ قَدْرُكَ وَأَنْتَ تَخْضَعُ لِهَذَا هَذَا الْخُضُوعِ

وَتَسْتَخْذِي لَهُ . فَجَلَّ يَقُولُ لِي : إِنَّهُ الدِّينُ إِنَّهُ الدِّينُ (الاعاني) (*)

خطباء النصرانية

٣٦٦ (قُسْ بَنُ سَاعِدَةَ ٦٠٠) . هُوَ اسْتَفْ نَجْرَانِ خَطِيبُ الْعَرَبِ
وَشَاعِرُهَا وَحَلِيمُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصْرِهِ . يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
عَلَا عَلَى شَرَفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ : أَمَّا بَعْدُ .
وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا . حَدَّثَ بَعْضُهُمْ قَالَ :
كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قُسٍ يَسُوقُ عَكَظًا وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا
وَعُوا : مَنْ عَاشَ مَاتَ . وَمَنْ مَاتَ قَاتَ . وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ . لَيْلُ
دَاجٍ . وَسَمَاءُ ذَاتُ أَرْجَاجٍ . بِحَارُ تَرْخَرُ . وَنُجُومُ تَرْهَرُ . وَضُوءُ وَظَلَامُ .
وَبُرٌّ وَأَنَامُ . وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ . وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ . مَا لِي أَرَى النَّاسَ
يَنْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ . أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تَرَكُوا فَأَقَامُوا . وَإِلَهُ
قُسٍ بَنُ سَاعِدَةَ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ الدِّينِ . فَطَوَيْتُ لِمَنْ
أَدْرَكَهُ فَأَتَبَعَهُ وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ . ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ :

فِي الدَّاهِيَيْنِ الْأَوَّلِ نَ مِنْ الْأَرْوَنِ لَنَا بَصَائِرُ

(٠) ومن شعراء النصرانية المثلثس وخنين الحبري من فحول المفتين . وله صنعة فاضلة
منفعة . ومنهم قيس بن زهير تضرع قبل وفاته . ومنهم ابو قابوس والرياب بن البراء وظالد
للقري . وقد ذكروا جميعاً صاحب الاعاني . ومنهم ابو العجاج المائي ذكره ابن خلكان . ومنهم
ثابت بن هارون الرقي وراثوه اللثني معروف . ومنهم المرغوي ذكره المقرئ في نفع الطب .
ومنهم سليمان بن ابي ايل الماردني وله نظم رفيق حسن الموضع في النفوس . ومنهم الاسقف
جبرائيل الكلداني الكاثوليكي وله القصائد الطائفة . ومنهم السيد جرماتوس فرحات والحوري
يقولوا الصانع وغيرهم ممن يستغنى بشهرتهم عن ذكرهم

لَّمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
وَرَأَيْتُ قَوِيَّ تَحْوَهَا يَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكْبَارُ
أَبْقَتْ أُنِي لَا مَحَا لَهُ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَايِرُ (*)

٣٦٧ (إِلَى الثَّلَاثِ ١١٢٨ - ١١٩٠). هُوَ ابْنُ الْحُدَيْثِيِّ الْمَعْرُوفُ
بِأَبِي حَلِيمٍ. هَذَا الْأَبُ كَانَ كَمَلًا حَسَنَ الْخَلْقَةِ تَامَ الْقَامَةِ حَبِيبًا
كَرِيمًا عَالِمًا فَاضِلًا مِنْ أَهْلِ بَلَدٍ مَيَّاقَرِقِينَ وَكَانَ مَطْرَانًا عَلَى نَصِيبِينَ
فَانتَشَرَتْ شُهْرَتُهُ. وَلَمَّا اسْتَنَاحَ يَشُوعِيَابُ وَرَدَّ إِلَى بَغْدَادَ مَعَ الْأَبَاءِ
لِلْإِخْتِيَارِ. وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ لِأَنَّ الْأَبَاءَ الْوَارِدِينَ مَعَهُ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ مَنْ يَمِثِلُهُ عِلْمًا وَحِكْمَةً وَكِرَامًا وَحُسْنًا وَبَلَاغَةً وَفَصَاحَةً. فَاخْتِيرَ
فِي خِلَافَةِ السُّنَنِيِّ وَأَقِيمَ فَطْرَكًَا بِدَيْرِ الْمَدَائِنِ.... وَوَضَّهَ اللَّهُ وَأَجْرَى
الْحَيَرَاتِ عَلَى يَدِهِ. وَأَقَامَ جَمَاعَةً مِنَ الْمَطَارِنَةِ وَجَدَّدَ بِنَاءَ هَيْكَلِ مَارِ

(٥) وجاء في كتاب الأغانى عن بعضهم قال: بينما أنا بجبل يُقال له سمان في يومٍ شديد
الحر إذ أنا بقس بن ساعدة وبقرين بينها مسجد فقلتُ له: ما هذان القبران قال: هذان
قبرا أخوين كانا في قناتنا فاختدتُ بينهما مجداً أعبد الله جلَّ وعزَّ فيه حتى ألحقَهما. ثم ذكر أباها
فبكى ثم أنشأ يقول:

خَلِيٍّ هَبَّ طَالَمَا قَدْ رَقَدْتُ	أَجْدَاكُمَا لَا تَقْبِيَانِ كِرَاكُمَا
أَلَمْ تَلْمَسَا مَا لِي بِرَأُونَدُ هَذِهِ	وَلَا تَجُزَّاقِي مِنْ نَدِيمِ سَوَاكُمَا
مُقِيمٌ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا	طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكُمَا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى الْهَمِّ وَالْعَظْمُ مِنْكَ	كَأَنَّ الَّذِي يَبْقَى الْعَقَارَ سَقَاكُمَا
أُنَادِيكُمْ صَوْبًا تَحِيبًا وَتَنْطَلِقَا	وَلَيْسَ بِجَبَابٍ صَوْتُهُ مِنْ دَعَاكُمَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَحْيِيَانِ دَاعِيًا	خَلِيٍّ مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَعَاكُمَا
قَضَيْتُ بِأُنِي لَا مَحَالَةَ هَالِكٌ	وَأُنِي سَيَمُرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
سَابِكِكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي	يُرْدُّ عَلَى ذِي عَوَلَةٍ إِنْ بَكََاكُمَا

مَا رَى الرَّسُولَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْبَيْعِ وَالْأَذْيَارِ . وَكَانَ مَعَ أَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ
 بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْحَلَقَةِ سَخِيًّا بِالْمَالِ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ مَعَ النَّاسِ الضُّعْفَاءِ
 وَالسَّكِينِ وَمَعَ الْحُكَّامِ وَالْمُتَوَلِّينَ لِأَجْلِ جَاهِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَمَعَ
 ذَلِكَ كَانَ مُرْتَضَاً بِالْعُلُومِ النَّحْوِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ السَّرِّيَانِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ
 وَالْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ . وَمِنْ جَمَلَةِ مَوْضُوعَاتِهِ كِتَابُ تَرَاجِمِ الْأَعْيَادِ
 السَّيِّدِيَّةِ وَخُطْبُ وَمَوَاعِظُ كَثِيرَةٌ وَرِسَالٌ كَثِيرَةٌ فِي إِبْثَاتِ
 الْأَمَانَةِ وَالْإِعْتِقَادِ وَصَحَّةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ . وَدَرَّ الْكُرْسِيَّ تَدْبِيرًا
 حَسَنًا وَاسْتَنَاحَ يَوْمَ الْحَمِيسِ الثَّلَاثِي عَشَرَ مِنْ نَيْسَانَ . وَكَانَتْ مُدَّةُ
 رِئَاسَتِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَعِنْدَ مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ جَاءَ الْأَبَاءُ
 وَالرُّؤَسَاءُ إِلَى عِيَادَتِهِ فَأَخَذَ يَرِي نَفْسَهُ وَيَزِيهِمْ وَفِي آخِرِ ذَلِكَ قَالَ :
 أَرُونِي مَنْ يَقُومُ لَكُمْ مَقَامِي إِذَا مَا الْأَمْرُ جَلَّ عَنْ الْخُطَّابِ
 يَمْنُ تَسْتَصْرِخُونَ إِذَا خَوْتُمْ بِأَعْيُنِكُمْ عَلَيَّ مِنَ التُّرَابِ
 (ملخص عن كتاب المجدل لعديرو بن متى) (*)

مشاهير اطباء النصرانية

٣٦٨ (جِيورْجِيْسُ بْنُ بَجْنَيْشُوعَ ٧٧٠) . كَانَ الْمَنْصُورُ فِي صَدْرِ أَمْرِهِ
 عِنْدَمَا بَنَى بَغْدَادَ أَذْرَكَهُ ضَعْفٌ فِي مَعِدَتِهِ وَسُوءٌ اسْتِمْرَادٌ وَقَلَّةٌ شَهْوَةٌ
 وَكَلَامًا عَالِجُهُ الْأَطِبَاءُ أَزْدَادَ مَرَضِهِ . فَقِيلَ لَهُ عَنْ جِيورْجِيْسَ بْنِ

(*) ومن خطباء النصرانية خالد القسري (٧٨٥) وهو معدود من خطباء العرب المشهورين .
 ومنهم يوسف بن أيوب الصمداني الزاهد الرباني (١١٤٦) صاحب المقامات والكرامات . عقد
 ببغداد مجلس الرعظ بالمدرسة النظامية وصادف جماعته . ثم انقطع إلى الله وتصر بالقسطنطينية

بَخْنِشُوعَ الْجَنْدِيسَابُورِيِّ إِنَّهُ أَفْضَلُ الْأَطِبَّاءِ فَقَدَّمَ بِإِحْضَارِهِ فَأَنْفَذَهُ
 الْعَامِلُ بِجَنْدِيسَابُورٍ بَعْدَ مَا أَكْرَمَهُ . فَخَرَجَ وَوَصَّى وَلَدَهُ بِبَخْنِشُوعَ
 بِالْبِيَارِ سِتَانِ . وَاسْتَضَجَّ مَعَهُ تَلْمِيزُهُ عِيسَى بْنِ شَهْلَانَا . وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
 بَغْدَادَ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِإِحْضَارِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْحَضْرَةِ دَعَا لَهُ بِالْمَارِسِيَّةِ
 وَالْمَرْيَةِ فَحَبَّبَ الْمَنْصُورُ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِهِ وَمَنْظَرِهِ . وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ
 وَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَجَابَهُ عَنْهَا بِسُكُونٍ . وَخَبَرَهُ بِمَرَضِهِ فَقَالَ لَهُ
 جِيُورْجِيسُ : أَنَا أَدْرِيكَ بِمِشِيَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ . فَأَمَرَ لَهُ فِي الْوَقْتِ بِخَلْعَةٍ
 جَلِيلَةٍ وَتَقَدَّمَ إِلَى الرِّبْعِ بِإِثْرَالِهِ فِي أَجَلٍ مَوْضِعٍ مِنْ دُورِهِ وَإِكْرَامِهِ
 كَمَا يَكْرُمُ أَخَصَّ الْأَهْلِ . وَلَمْ يَزَلْ جِيُورْجِيسُ يَلَطِّفُ لَهُ فِي تَذْيِيرِهِ
 حَتَّى بَرَى مِنْ مَرَضِهِ وَفَرَحَ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا . وَكَانَ الْمَنْصُورُ أَمَرَ أَنْ
 يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوَارِي الرُّومِيَّاتِ ثَلَاثُ فَرْدَهْنَ جِيُورْجِيسُ . فَلَمَّا
 اتَّصَلَ الْخَبْرُ إِلَى الْمَنْصُورِ أَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : لِمَ رَدَدْتَ الْجَوَارِي . قَالَ :
 لَا يَجُوزُ لَنَا مَعَشَرَ النَّصَارَى أَنْ تَتَزَوَّجَ بِأَكْثَرِ مِنْ أَمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ مَا
 دَامَتِ الْمَرْأَةُ حَيَّةً لَا نَأْخُذُ غَيْرَهَا . فَحَسُنَ مَوْضِعُ هَذَا مِنَ الْخَلِيفَةِ وَزَادَ
 مَوْضِعُهُ عِنْدَهُ وَهَذَا ثَمَرَةُ الْعِفَّةِ . ثُمَّ مَرَضَ جِيُورْجِيسُ مَرَضًا صَعْبًا وَلَمَّا
 اشْتَدَّ مَرَضُهُ أَمَرَ الْمَنْصُورُ بِحَمْلِهِ إِلَى دَارِ الْعَامَةِ . وَخَرَجَ مَاشِيًا إِلَيْهِ
 وَتَعَرَّفَ خَبَرَهُ فَخَبَرَهُ وَقَالَ لَهُ : إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي
 الْإِنْعِرَافِ إِلَى بَلَدِي لَا أَنْظُرَ أَهْلِي وَوُلْدِي وَإِنْ مِتُّ قُبِرْتُ مَعَ آبَائِي .
 فَقَالَ الْمَنْصُورُ : إِنِّي مِنْذُ رَأَيْتُكَ وَجَدْتُ رَاحَةً مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي

تَعَادُنِي . فَقَالَ جِيُوزَجِيسُ : أَنَا أَخْلَفُ بَيْنَ يَدَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِيسَى
تَلْمِيزِي فَهُوَ مَاهِرٌ . فَأَمَرَ لَجِيُوزَجِيسَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَأَذِنَ لَهُ
فِي الْإِنْصِرَافِ . وَأَنْفَذَ مَعَهُ خَادِمًا وَقَالَ : إِنْ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ فَأَجِمْهُ
إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُذَقَنَّ هُنَاكَ كَمَا أَحَبَّ . فَوَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ حَيًّا

٣٦٩ (بَحْثُ شَوْعُ بْنُ جِيُوزَجِيسَ ٧٩٨) . قِيلَ إِنَّ الرَّشِيدَ فِي خِلَافَتِهِ
مَرَضَ مِنْ صُدَاعٍ لَحِقَهُ . فَقَالَ لِيُحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ . هُوَلَاءُ الْأَطِبَّاءُ
لَيْسُوا يَفْهَمُونَ شَيْئًا وَيَنْبَغِي أَنْ تَطْلُبَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا . فَقَالَ لَهُ عَنْ
بَحْثِ شَوْعُ بْنُ جِيُوزَجِيسَ . فَأَرْسَلَ الْبَرِيدَ فِي حِمْلِهِ مِنْ نَيْسَابُورَ . وَلَمَّا
كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَرَدَ وَدَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ فَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِطْمَةً سَيِّئَةً .
وَوَهَبَ لَهُ مَالًا وَافِرًا وَجَعَلَهُ رَئِيسَ الْأَطِبَّاءِ . وَلَمَّا كَانَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ (٧٩٠) مَرَضَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى . فَتَقَدَّمَ الرَّشِيدُ إِلَى
بَحْثِ شَوْعُ أَنْ يُخْدِمَهُ وَلَمَّا أَفَاقَ جَعْفَرٌ مِنْ مَرَضِهِ قَالَ لِبَحْثِ شَوْعُ : أُرِيدُ أَنْ
تُخْتَارَ لِي طَبِيبًا مَاهِرًا أَكْرَمُهُ وَأَحْسَنُ إِلَيْهِ قَالَ بَحْثِ شَوْعُ : لَسْتُ أَعْرِفُ
فِي هُوَلَاءِ الْأَطِبَّاءِ أَحَدًا قَدْ أَتَى ابْنِي جَبْرِيلَ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : أَحْضَرْنِيهِ
فَلَمَّا أَحْضَرَهُ شَكَا إِلَيْهِ مَرَضًا كَانَ يُخْجِيهِ . فَدَرَّهُ فِي مُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَرَأَى فَاحِجَهُ جَعْفَرٌ مِثْلَ نَفْسِهِ

٣٧٠ (حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ ٨٠٩ - ٨٧٤) . فِي أَيَّامِ التَّوَكُّلِ اشْتَهَرَ
حُزَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الطَّبِيبُ النَّصْرَانِيُّ الْعِبَادِيَّ . وَنَسَبَتْهُ إِلَى الْعِبَادِ وَهُمْ
قَوْمٌ مِنَ نَصَارَى الْعَرَبِ مِنْ قَبَائِلِ شَتَّى اجْتَمَعُوا وَأَنْفَرُوا عَنْ

النَّاسِ فِي قُصُورِ ابْتَنَوْهَا بَظَاهِرِ الْحِيرَةِ . وَتَسْمَوُا بِالْعِبَادِ لِأَنَّهُ لَا يُضَافُ
إِلَّا إِلَى الْخَالِقِ وَأَمَّا الْعَبْدُ فَيُضَافُ إِلَى الْخَالِقِ وَالْخَالِقِ . وَيُنْسَبُ إِلَيْهِمْ
خَلَقُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ . وَكَانَ إِسْحَاقُ وَالِدُ
حُثَيْنٍ صَيْدٍ لَا نِيًّا بِالْحِيرَةِ . فَلَمَّا نَشَأَ حُثَيْنُ أَحَبَّ الْمَلِمَ فَدَخَلَ بَعْدَادَ
وَحَضَرَ مَجْلِسَ يُوْحَنَّا بْنِ مَاسُويَةَ وَجَمَلَ بِخِدْمَتِهِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِ . ثُمَّ تَوَجَّهَ
إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَأَقَامَ بِهَا سَتَيْنِ حَتَّى أَحْكَمَ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ وَتَوَصَّلَ
فِي تَحْصِيلِ كُتُبِ الْحِكْمَةِ غَايَةَ إِمْكَانِهِ . وَعَادَ إِلَى بَعْدَادَ بَعْدَ
سَتَيْنِ وَنَهَضَ مِنْ بَعْدَادَ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ . وَدَخَلَ الْبَصْرَةَ وَلَزِمَ الْحَلِيلَ
ابْنَ أَحْمَدَ حَتَّى يَرَعَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَعْدَادَ . قَالَ يُونُسُ
الطَّبِيبُ : دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى جَبْرِ بِلَ بْنِ بَجْثِشُوعَ فَوَجَدْتُ حُثَيْنًا
وَجَبْرِ بِلَ يُخَاطَبُهُ بِالتَّجِيلِ وَيُسَمِّيهِ الرُّبَانَ . فَأَعْظَمْتُ مَا رَأَيْتُ وَتَبَيَّنَ
ذَلِكَ جَبْرِ بِلَ مِنِّي . فَقَالَ : تَسْتَكْثِرُ هَذَا مِنِّي فِي أَمْرِ هَذَا أَلَمْ تَقُلْ
قَوْلًا لِّإِنِّ مَدَّةً لَهُ فِي الْعَمْرِ لَيَقْضَى سَرَّجِيْسَ . وَسَرَّجِيْسُ هَذَا هُوَ
الرَّأْسُ عَيْنِي الْيَعْقُوبِيُّ نَاقِلُ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ فِي السَّرِّيَانِي . وَلَمْ يَزَلْ
أَمْرُ حُثَيْنٍ يَقْوَى وَعِلْمُهُ يَتَرَاوِدُ وَمُحَابَبَتُهُ تَظْهَرُ فِي الثَّقَلِ وَالتَّهَاسِيرِ حَتَّى
صَارَ يَنْبُوْعًا لِلْعُلُومِ وَمَعْدَنًا لِلْفَضَائِلِ . وَاتَّصَلَ بِهِ بِالْحَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ . وَلَمَّا حَضَرَ أَقْطَعَهُ إِقْطَاعًا سَنِيًّا وَأَحَبَّ امْتِحَانَهُ .
فَاسْتَدْعَاهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ . فَشَكَرَ حُثَيْنُ هَذَا الْفِعْلَ ثُمَّ قَالَ لَهُ بَعْدَ
أَشْيَاءَ جَرَتْ : أُرِيدُ أَنْ تَصِفَ لِي دَوَاءَ يَقْتُلُ عَدُوًّا أُرِيدُ قَتْلَهُ . وَلَيْسَ

يُمْكِنُ إِعْلَانُ هَذَا وَزَيْدُهُ سِرًّا. فَقَالَ حُثَيْنٌ: مَا تَعَلَّمْتُ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ
 الْنَافِعَةِ وَلَا عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُ مِنِّي غَيْرَهَا. ثُمَّ رَغِبَهُ وَهَدَّاهُ
 وَأَحْضَرَ سِفًا وَنَطْعًا. فَقَالَ حُثَيْنٌ: قَدْ ظَلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ
 الْكُفَايَةُ. قَالَ الْخَلِيفَةُ: فَإِنِّي أَفُتُّكَ. قَالَ حُثَيْنٌ: لِي رَبٌّ يَأْخُذُ بِي
 حَتَّى غَدَا فِي الْمَوْقِفِ الْأَعْظَمِ. فَتَبَسَّمَ الْمُتَوَكِّلُ وَقَالَ لَهُ: طِبَّ نَفْسًا
 فَإِنَّا أَرَدْنَا امْتِحَانَكَ وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْكَ. فَقَبِلَ حُثَيْنُ الْأَرْضَ وَشَكَرَ لَهُ.
 فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنَ الْإِجَابَةِ مَعَ مَا رَأَيْتَهُ مِنْ صِدْقِ
 الْأَمْرِ مِنَّا فِي الْحَالَيْنِ. قَالَ حُثَيْنٌ: شَيْنَانِ هُمَا الدِّينُ وَالصَّنَاعَةُ. أَمَّا
 الدِّينُ فَإِنَّهُ يَأْمُرُنَا بِاصْطِنَاعِ الْجَمِيلِ مَعَ أَعْدَانِنَا فَكَيْفَ ظَنُّكَ بِالْأَصْدِقَاءِ.
 وَأَمَّا الصَّنَاعَةُ فَإِنَّهَا مَوْضُوعَةٌ لِنَفْعِ أَتْبَاءِ الْجِنْسِ وَمَقْصُودَةٌ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ.
 وَمَعَ هَذَا قَدْ جُعِلَ فِي رِقَابِ الْأَطِبَّاءِ عَهْدٌ مُؤَكَّدٌ بِإِيمَانٍ مُعَظَّمَةٍ أَنْ لَا
 يُنْطَوَادُوا وَقَتًا لَا لِأَحَدٍ. فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: إِنَّهُمَا شَرَعَانِ جَلِيلَانِ. وَأَمْرٌ بِالْخُلْعِ
 فَأَيْضَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا وَجَاهًا (لَا بِي التَّوَجُّهِ الْمَلْطِي)
 ٣٧١ (إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنٍ ٨٣٠-٩١١). هُوَ أَبُو يَحْيَى إِسْحَاقُ بْنُ حُثَيْنِ
 ابْنِ إِسْحَاقَ الْعَبَّادِيِّ الطَّبِيبُ الشَّهُورُ كَانَ أَوْحَدَ عَصْرِهِ فِي عِلْمِ
 الطِّبِّ. وَكَانَ يُلْحِقُ بِأَيِّهِ فِي الثَّقَلِ وَفِي مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَاتِ وَقَصَاحَتِهِ
 فِيهَا. وَكَانَ يُرَبِّ كُتُبِ الْحِكْمَةِ الَّتِي بَلَّغَهُ الْيُونَانِيُّونَ إِلَى أَلْفَةِ الْعَرَبِيَّةِ
 كَمَا كَانَ يَفْعَلُ آبَاؤُهُ. إِلَّا أَنَّ الَّذِي وَجَدَ مِنْ تَعْرِيبِهِ فِي كُتُبِ الْحِكْمَةِ
 مِنْ كَلَامِ أَرِسْطُو طَالِيلِسَ وَغَيْرِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يُوجَدُ مِنْ تَعْرِيبِهِ لِكُتُبِ

الطَّبِّ. وَكَانَ قَدْ خَدَمَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مَنْ خَدَمَهُ أَبُوهُ. ثُمَّ
 انْقَطَعَ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَزَيْرِ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ. وَاخْتَصَّ
 بِهِ حَتَّى إِنَّ الْوَزِيرَ الْمَذْكُورَ كَانَ يُطْلِمُهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَيُنْضِي إِلَيْهِ بِمَا
 يَكْتُمُهُ عَنْ غَيْرِهِ لَهُ. وَلَا يَبِيهِ الْمَصَنَّفَاتُ الْمَفِيدَةُ فِي الطَّبِّ. وَلِحَقِّهِ الْعَالِجُ
 فِي آخِرِ عُمْرِهِ. وَكَانَتْ وَقَاتُهُ سَنَةً ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (لَا بَنَ خَلَّكَانَ)
 ٣٧٢ (يُوحَنَّا بْنُ مَسْوِيهِ ٨٥٧). وَمِنْ أَطِبَّاءِ الرَّشِيدِ يُوحَنَّا بْنُ
 مَسْوِيهِ النَّصْرَانِيُّ السَّرْيَانِيُّ وَلَاهُ الرَّشِيدُ تَرْجَمَةَ الْكُتُبِ الطَّبِيَّةِ
 الْقَدِيمَةِ. وَخَدَمَ الرَّشِيدَ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ. وَكَانَ مُعَظَّمًا
 بِبَعْدَادَ جَائِلَ الْقَدْرِ وَلَهُ تَصَانِيفُ جَمِيلَةٌ. وَكَانَ يَقَعِدُ مَجْلِسًا لَانْظَرِ
 وَيَجْرِي فِيهِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ بِأَحْسَنِ عِبَارَةٍ وَكَانَ
 يُدْرَسُ وَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ تَلَامِيذٌ كَثِيرُونَ. وَكَانَ فِي يُوحَنَّا دَعَابَةٌ شَدِيدَةٌ
 بِمَحْضَرِهِ مِنْ حَضَرٍ لِأَجْلَاهَا فِي الْأَكْثَرِ. وَكَانَ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ
 وَشِدَّةِ الْحِدَّةِ عَلَى أَكْثَرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ بْنُ بُحْتِشُوعَ. وَكَانَتْ الْحِدَّةُ
 تَخْرُجُ مِنْ يُوحَنَّا أَلْفَاظًا وَهِيَ مُضْحَكَةٌ. فَمَا حُفِظَ مِنْ نَوَادِرِهِ أَنْ رَجُلًا
 شَكَا إِلَيْهِ عِلَّةً وَكَانَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالْقَصْدِ. فَقَالَ لَهُ: لَمْ أَعْتَدِ الْقَصْدَ. قَالَ
 لَهُ يُوحَنَّا: وَلَا أَحْسَبُكَ أَتَعْتَدُ الْعِلَّةَ مِنْ بَطْنِ أَمَلِكِ (لَا بِي الْهَرَجِ)
 ٣٧٣ (ابْنُ التَّلْمِيزِ ١١٦٥). وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ هَبَةُ اللَّهِ بْنُ التَّلْمِيزِ
 النَّصْرَانِيُّ الطَّبِيبُ الْمَلُوبُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ. شَيْخُ النَّصَارَى وَالْأَطِبَّاءِ
 وَسُلْطَانُ الْحِكْمَاءِ مُقَصِّدُ الْعَالَمِ فِي عِلْمِ الطَّبِّ بِقِرَاطِ عَصَرِهِ

وَجَالِيَنُوسُ زَمَانِهِ . خُتِمَ بِهِ هَذَا الْعِلْمُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَاضِي مِنْ بَلَغَ مَدَاهُ
 فِي الطِّبِّ . عُمُرُ طَوِيلًا . وَعَاشَ نَيْلًا جَلِيلًا . وَرَأَيْتُهُ وَهُوَ شَجَّ بِهَيِّ
 النَّظَرِ حَسَنُ الرِّوَاءِ عَذْبُ الْعَجَلَى وَالنَّجْتَى لَطِيفُ الرُّوحِ ظَرِيفُ
 الشَّخْصِ بَعِيدُ الْمَهْمِ عَالِيُ الْهِمَّةِ ذِكْرُ الْخَاطِرِ مُصِيبُ الْفِكْرِ حَازِمُ الرَّأْيِ
 رَأْسُ النَّصَارَى وَقَيْسُهُمْ وَرَبِّسُهُمْ . وَلَهُ فِي النَّظْمِ كَلِمَاتٌ رَائِقَةٌ
 وَحَلَاوَةٌ جَنِيَّةٌ وَغَزَارَةٌ بَهِيَّةٌ . وَذَكَرَ فِي أَمْثُودَجِ الْأَعْيَانِ مِنْ شُعَرَاءِ
 الزَّمَانِ أَنَّ ابْنَ التَّلْمِيزِ الْمَذْكُورَ كَانَ مُتَفَنًّا فِي الْعُلُومِ ذَا رَأْيٍ رَصِينٍ .
 وَعَمَلٌ مَتِينٍ . طَالَتْ خِدْمَتُهُ لِلخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ . وَكَانَتْ مُجَالَسَتُهُ أَحْسَنَ
 مِنَ التَّبَرُّعِ الْمَسْبُوكِ وَالذَّرِّ فِي السُّلُوكِ . وَكَانَ يُتَعَجَّبُ فِي أَمْرِهِ كَيْفَ
 حُرِّمَ الْإِسْلَامُ مَعَ كَمَالِ قَهْمِهِ وَغَزَارَةِ عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ . وَكَانَ إِذَا تَرَسَّلَ
 اسْتَطَالَ وَسَطًا . وَإِذَا نَظَّمَ وَقَعَ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَسَطًا . وَكَانَ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَوْحِدِ الزَّمَانِ هِيَةُ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْمَشْهُورِ تَنَافُسٌ وَكَانَ هَذَا يَهُودِيًّا
 فَاسْلَمَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ . وَأَصَابَهُ الْجَذَامُ فَمَالَجَ نَفْسَهُ بِتَسْلِيطِ الْأَقَاعِي عَلَى
 جَسَدِهِ فَبَالَتْ فِي نَهْشِهِ قَبْرِىَ مِنَ الْجَذَامِ . فَعَمِلَ فِيهِ ابْنُ التَّلْمِيزِ شِعْرًا :
 لَنَا صَدِيقٌ يَهُودِيٌّ حَمَاقَتُهُ إِذَا تَكَلَّمَ تَبَدُّو فِيهِ مِنْ فِيهِ
 بَيْنَهُ وَالْكَأْبُ أَعْلَى مِنْهُ مَنَزَلَةٌ كَأَنَّهُ بَدُّ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ أَلْيِهِ
 وَكَانَ ابْنُ التَّلْمِيزِ مُتَوَاضِعًا وَأَوْحَدُ الزَّمَانِ أَبُو الْبَرَكَاتِ مُتَكَبِّرًا
 فَعَمِلَ فِيهَا الْبَدِيعُ الْأَسْطَرُّ لَا بِي شِعْرًا :
 أَبُو الْحَسَنِ الطَّيِّبُ وَمُتَقِيهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ فِي طَرَفِي نَقِيصِ

قَدْذَا بِالْتَّوَّاضِعِ فِي الثَّرْيَا وَهَذَا بِالتَّكْبُرِ فِي الْحُضِيِّ
وَوُتِي ابْنُ التَّلْمِيذِ سَنَةً سِتِينَ وَخَمْسِمِائَةً وَقَدْ نَاهَزَ الْمِائَةَ مِنْ عُمُرِهِ
(١١٦٥). وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ مَنْ لَمْ يَخْضُرِ الْيَمِينَةَ وَلَمْ يَشْهَدْ
جَنَازَتَهُ. وَلِابْنِ التَّلْمِيذِ فِي الطَّبِّ تَصَانِيفٌ نَافِعَةٌ فِي بَابِهَا مِنْهَا كِتَابُ
أَقْرَابَائِهِ وَحَوَاشٍ عَلَى كَلَيَاتِ ابْنِ سِينَا (الْحَرِيدَةُ لِلْعَمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ) (*)

مشاهير المؤرخين والكتّاب والفلاسفة من أهل النصارية

٣٧٤ (أَبُو الْقَرَجِ الْمَلْطِيِّ ١٢٢٦-١٢٨٦). جَمَالُ الدِّينِ غَرِيبُ رُيُوسُ
أَبُو الْقَرَجِ بْنُ حَكِيمٍ (*) الطَّبِيبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَبْرِيِّ تَاجُ
الْفَضَلَاءِ. مَحَلُّ الشُّكُوكَاتِ الْخَفِيَّةِ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَجِدُ
الْعَصْرِ وَقَرِيدُ الزَّمَانِ. رَئِيسُ رُؤَسَاءِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ. وَخُلَاصَةُ
نُضَارِ الْمِلَّةِ الْيَقُوتِيَّةِ. كَانَ كَثِيرَ الْأَطْلَاعِ وَحَصَلَ عُلُومًا شَتَّى
وَأَتَقَنَهَا وَأَنْفَرَدَ بِالطَّبِّ فِي زَمَانِهِ حَتَّى شُدَّتْ إِلَيْهِ الرِّجَالُ بِأَرْضِ

(*) ومن اشتهر أيضاً بين النصارى في الطب سميد بن ماري صاحب المقامات الستين .
ويوحنا بن بطريق ترجمان الخليفة المأمون . ومنهم ابن المطاطر متطبب القاهرة . ومنهم كتيقات
خدم الباسيلي . ومنهم ابن المقرئ المصري طبيب العزيز . ومنهم ابن بطلان وله تصانيف جليلة
في الطب انقطع في آخر عمره للعبادة . ومنهم حسنون الرهاوي خدم سيف الدين وذر قلم
ارسلان . ومنهم يعقوب بن صقلان الملكي المقدسي اجتمع بالملك العظيم ابن الملك العادل وطالجه
وارتفعت عنده حالة . ومنهم صاعد بن هبة الله وابو الحثير الاركيذاقون أخوة الخالطيق ابن
المسيحي . ومنهم صاعد بن توما البندادي الملقب بامير الدولة استوفته الامام الناصر
(*) وأخبر في تاريخه قال : في سنة أربعين وستائة (١٢٦٣) لما سمع أهل ملطية ما

فعل التاتار بقبسارية هلموا وجزعوا أنحس الخزع طالين حلب . فأمسك والذي عن الخروج
واجتمع بالطران دينوسيوس وقشاورا في مرابطة المدينة . وجما المسلمين والنصارى في اليمنة

الْمُغْرِبِ . وَأَقِيمَ اسْمُهَا عَلَى مَدِينَةِ مَلَطِيَّةَ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ فَضْلِهِ
الْمُسْلِمِينَ . وَبَيْنَ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ تَارِيخِ مُحْتَصَرِ الدُّوَلِ وَهُوَ مِنْ أَشْهُرِ
التَّوَارِيخِ وَشَرَحَ قَانُونِ ابْنِ سِينَا وَبُشْرَاطَ وَدِيُونِسُورُسَ وَكَتَابَ دَفْعِ
الْهَمِّ وَدِيُونِ شِعْرِ فِي الْأَلْهِيَّاتِ وَغَيْرَهَا (١)

٣٧٥ (ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ ٨٣٦ - ٩٠٢) . أَبُو الْحَسَنِ بْنُ كَرَايَا الْحَاسِبُ
كَانَ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ صَرِيفًا بِحِرَّانَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَغْدَادَ . وَاشْتَغَلَ
بِالْعِلْمِ الْأَوَّلِ فَهَرَفَ فِيهَا . وَكَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْقَاسِفَةُ وَلَهُ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ
فِي فُنُونٍ مِنَ الْعِلْمِ مِقْدَارُ عَشْرِينَ تَأْلِيفًا . وَأَخَذَ كِتَابَ أَفْلِدُسَ الَّذِي
عَرَبَهُ حُثَيْنُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعِلْبَادِيُّ فَهَذَّبَهُ وَنَقَّحَهُ وَأَوْضَعَ مِنْهُ مَا كَانَ مُسْتَعْجِلًا
وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ عَصْرِهِ فِي الْفَضَائِلِ . وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ
أَشْيَاءُ أَنْكَرُوهَا عَلَيْهِ فِي الْمَذْهَبِ . فَرَأَوْهُ إِلَى رَئِيسِهِمْ فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ
مَقَالَتَهُ وَمَنْعَهُ مِنْ دُخُولِ الْمِكَلِ فَتَابَ وَرَجَعَ عَنْ ذَلِكَ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
حِرَّانَ وَزَلَّ كَفَرْتُونًا وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً إِلَى أَنْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى مِنْ

الكوفة وتحالفوا أن لا يجنوا بعضهم بعضاً ولا يخالفوا المطران في جميع ما يتقدم لهم من مداراة
التأثير والقيام بحفظ المدينة والبيوتة على أسوارها وكف أهل الشر عن الفساد . فظفر الله إلى
حسن نيأهم ودفع العدو عنهم ووصلوا بالقرب من ملطية ولم يتعرضوا إليها . وفي إحدى
وأربعين (١٧٤٤) غزا شاورنوزين بلد الشام واجتاز بملطية وخرَّب بلدها وأخذ غلاتها . ثم
رحل عنها وطلب طبيباً يدعى عن مرضي عرض له . فخرج إليه والدي وسار معه إلى
حَرَّتْ بَرَّتْ فِدْبَرُهُ حَتَّى يَرَأَى . ثُمَّ جَاءَ وَلَمْ يُطِلِ الْمَقَامَ بملطية ورحل بنا إلى أنطاكية فأسكنها

(٥) ومن مؤرخي النصارى سعيد بن البطريق بطرك الاسكندرية وجرجيس بن العصيد
مكمل تاريخ الطبري . ومنهم ابن الرامب وابو البركات وابن المسيحي وكثيراً ما يستشهد
ابن خلدون في تاريخه . ومنهم عمرو بن مَقِيٍّ (٨٣٤) نقل عنه العلامة (السمعاني)

بِإِلَادِ الرُّومِ . فَاجْتَمَعَ بِهِ فَرَّاهُ فَاضِلًا فَصِيحًا فَاسْتَضَجَّهُ إِلَى بَغْدَادَ وَأَرْزَلَهُ
 فِي دَارِهِ وَوَضَلَهُ بِالْخَلِيفَةِ . رَتَبَهُ بِهَا إِلَى الْآنَ . وَلَهُ وَلَدٌ يُسَمَّى إِبراهيمَ
 بَلَغَ رُتَبَهُ أَبِيهِ فِي الْفَضْلِ وَكَانَ مِنْ حُذَّاقِ الْأَطِبَّاءِ . عَالَجَ مَرَّةً السَّرِي
 الرِّقَاءَ الشَّاعِرَ فَاصَابَ الْعَافِيَةَ فَعَمِلَ فِيهِ وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي طَبِيبِ
 هَلْ لِلْعَلِيلِ سِوَى ابْنِ قُرَّةَ شَافِي . بَعْدَ الْإِلَهِ وَهَلْ لَهُ مِنْ كَافِي
 فَكَانَتْهُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ نَاطِقًا . يَهْبُ الْحَيَاةَ بِأَيْسَرِ الْأَوْصَافِ
 يَبْدُو لَهُ الدَّاءُ الْخَفِيُّ كَمَا بَدَأَ . لِلْعَيْنِ رَضَارُضُ الْعَدِيدِ الصَّافِي
 ٣٧٦ الْكِنْدِيُّ (٢٤٦هـ) (٨٦٠م) . هُوَ يَتَقَوَّبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ
 النَّصْرَانِي . وَكَانَ شَرِيفَ الْأَصْلِ بَصْرِيًّا وَكَانَ أَبُوهُ إِسْحَاقُ أَمِيرًا عَلَى
 الْكُوفَةِ لِلْمُهَدِي وَالرَّشِيدِ . وَيَتَقَوَّبُ هَذَا أَوْحَدُ عَصْرِهِ فِي فُنُونِ
 الْأَدَابِ وَشَهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ الْإِطْنَابِ . وَكَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى بِمَعْلُومِ
 الْيُونَانِ وَالْهِنْدِ وَالْعَجَمِ مُتَفَنًّا عَالِمًا بِالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَتَأَلَّفَ الْخَوْنِ
 وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالْهَيْئَةِ وَالْفَلَسَفَةِ . وَلَهُ فِي أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ تَأَلِيفُ
 مَشْهُورَةٌ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ مَنْ اشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ بِمَعَانَاةِ عِلْمِ
 الْفَلَسَفَةِ حَتَّى تَمُوتَ قَلِسُوقًا غَيْرَ يَتَقَوَّبِ . وَكَانَ مُعَاصِرَ الْإِسْطَاقِ بْنِ
 لُوقَا الْفَلَسُوفِ الْبَلْبَكِيِّ النَّصْرَانِي وَاسْتَوْطَنَ بَغْدَادَ وَأَخَذَ عَنْ أَبِي
 مَعْشَرٍ الْبَلْخِيِّ . وَمِنْ أَتْسَابِ يَتَقَوَّبِ هَذَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ إِسْحَاقَ
 الْكِنْدِيُّ وَلَهُ رِسَالَةٌ مُشْتَهَرَةٌ قَدْ فِيهَا اعْتِرَاضَاتُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ
 الْهَاشِمِيِّ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ . ذَكَرَهَا أَبُو رِيحَانَ الْبَيْهَقِيُّ فِي تَارِيخِهِ

٣٧٧ (الصَّائِي ٩٣٤-٩٨٣) أَبُو الْحَسَنِ إِدْرِهِيمُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ إِدْرِهِيمَ
 ابْنُ زَهْرُونَ بْنِ حَبُونِ الْحَرَّانِيِّ الصَّائِي صَاحِبُ الرِّسَالِ الْمَشْهُورَةِ
 وَالنَّظْمِ الْبَدِيعِ وَكَانَ كَاتِبَ الْإِنشَاءِ بِبَغْدَادَ عَنِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ عِزِّ
 الدَّوْلَةِ بِمُخْتَارِ بْنِ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ ابْنِ بُوَيْهٍ الدَّيْلَمِيِّ . وَتَقَلَّدَ دِيْوَانَ الرِّسَالِ
 سَنَةَ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ . وَكَانَتْ تَصْدُرُّ عَنْهُ مَكَاتِبَاتٌ إِلَى عَصْدُ
 الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ بِمَا يُؤْلَهُ فَحَدَّ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قُتِلَ عِزُّ الدَّوْلَةِ وَمَلَكَ عَصْدُ
 الدَّوْلَةَ بِبَغْدَادَ اعْتَقَلَهُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَعِينَ . وَكَانَ قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَصْنَعَ
 لَهُ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ فَعَمِلَ الْكِتَابَ التَّاجِيَّ . فَحِيلَ لِعَصْدِ
 الدَّوْلَةِ أَنْ صَدِيقًا لِلصَّائِي دَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَاهُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ مِنْ
 التَّطْلِقِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّبْيِضِ فَسَأَلَهُ عَمَّا يَعْمَلُ فَقَالَ : أَبَاطِيلُ أَنْفُهَا
 وَأَكَاذِيبُ أَلْفِهَا . فَحَرَّكَتْ سَاكِنَهُ وَهَاجَتْ جَفْدُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُبْعَدًا
 فِي أَيَّامِهِ . وَكَانَ مُتَشَدِّدًا فِي دِينِهِ . وَجَهَدَ عَلَيْهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يُسَلِّمَ
 فَلَمْ يَقْعِلْ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ (*) (ابن خلكان)

(٥) وقد اشتهر كثير من الكتاب والمصنفين بين النعماني نستفي يذكر بعضهم فنه ابن
 المقفع الكتاب المشهور صاحب الرسائل البديعة والدرة البیمة ومعرّب كتاب كلیلة ودمنة .
 ومنهم زكريا الافريحي النطقي تزيل بغداد . ومنهم قسطا بن لوقا البعلبي توفي سنة ٩٠٨ الحاسب
 الفيلسوف عرب كُتِبَ كثيرة منها كتاب الفلاحة . ومنهم القديس قزما المني . ومنهم القديس
 يوحنا الدمشقي يعرفه العرب بابن منصور وكان ابوه من اعيان الدولة الاموية خرج في
 العلوم والمعارف على القديس قزما الشيخ فبلغ منها المبلغ الطائل حتى صار مشكاة للآداب . ودافع
 عن اكرام الصور فردت له العذراء يده للقطوعة بدسائس الملك لاون الازوري . ثم انقطع
 الى اقه في بلاد فلسطين وألف مئة تأليف فلسفية ولاهوتية فلقب بحمري الذهب وتوفي سنة
 ٧٨٥ . وقد اشتهرت اليسوعية داره بدمشق من عهد قريب وموقعها قرب باب نوما

الْبَابُ الْعِشْرُونَ فِي التَّارِيخِ

صاحب الشريعة الاسلامية محمد بن عبدالله

٣٧٨ ذَكَرَ النَّسَائِيُّ أَنَّ نِسْبَتَهُ تَرْتَقِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
الَّذِي وَلَدَتْ لَهُ هَاجِرُ أُمَّةٌ سَارَا زَوْجَتِهِ . وَكَانَ وَلَادُهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَثَمَانِيَةً لِلْإِسْكَانْدَرِ وَلَمَّا مَضَى مِنْ عُمُرِهِ سَلْكَانَ بِالتَّوْبِ مَاتَ
عَبْدُ اللَّهِ أَبُوهُ وَكَانَ مَعَ أُمِّهِ آمَنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ سِتِّ سِنِينَ . فَلَمَّا
تُوُفِّيَتْ أَخَذَهُ إِلَيْهِ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بِحِطَاطِهِ وَصَّهْهُ إِلَيْهِ وَكَفَلَهُ . ثُمَّ خَرَجَ
بِهِ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ إِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا تَرَلُّوا بَصْرَى خَرَجَ إِلَيْهِمْ
رَاهِبٌ عَارِفٌ أَسْمُهُ بُحَيْرَا مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَجَمَلَ يَنْخُلُ الْقَوْمِ حَتَّى أَتَاهُ
إِلَيْهِ فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ وَقَالَ : سَيَكُونُ مِنْ هَذَا الصَّبِيِّ أَمْرٌ عَظِيمٌ يَنْشُرُ
ذِكْرَهُ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ خَمْسُ
وَعِشْرُونَ سَنَةً عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَمْرَاةٌ ذَاتُ شَرَفٍ وَيَسَارٍ أَسْمَاهُ خَدِيجَةُ أَنَّ
يُخْرَجَ بِمَا لَهَا تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ وَتُعْطِيَهُ أَفْضَلَ مَا تُعْطِي غَيْرَهُ . فَأَجَابَهَا إِلَى
ذَلِكَ وَخَرَجَ . ثُمَّ رَغِبَتْ فِيهِ وَعَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَتَرَوَّجَهَا وَعَمَرُهَا
يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَتْ بِمَكَّةَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ
سَنَةً . وَلَمَّا كَمَلَ لَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً أَظْهَرَ الدَّعْوَةَ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ
عَمُّهُ وَمَاتَتْ أَيْضًا خَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ أَصَابَتْهُ قُرَيْشُ بِعَظِيمٍ مِنْ أَذَى

فَاجْرَعَهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ يَثْرِبُ . وَفِي (الْسَّنَةِ الْأُولَى) مِنْ هِجْرَتِهِ
إِحْضَلُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَصَرُّوهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَعْدَائِهِ . وَفِي (الْسَّنَةِ الثَّانِيَةِ)
مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَدْرٍ وَهِيَ الْبَطْشَةُ الْكُبْرَى
وَهَزَمَ بِنِائِثَانِيَةٍ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْقَا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
الْمُشْرِكِينَ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ جِهَةِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ
إِلَى جِهَةِ الْكَعْبَةِ . وَفِيهَا فَرَضَ صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَفِي (الْسَّنَةِ الثَّالِثَةِ)
خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ أُحُدٍ وَفِيهَا هَزَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمِينَ وَنَجَّى فِي وَجْهِهِ
وَكُفِّرَتْ رَبَاعِيَتُهُ . وَفِي (الْسَّنَةِ الرَّابِعَةِ) غَزَا بَنِي النَّضِيرِ الْيَهُودَ وَأَجْلَاهُمْ
إِلَى الشَّامِ . وَفِيهَا اجْتَمَعَ أَحْزَابُ شَتَّى مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ
وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَلَاقَاهُمْ هَالِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ
أَمْرٌ بِخَفَرٍ خَذَقُوا وَبَقُوا بِضِعْفَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ .
وَفِي (الْسَّنَةِ السَّادِسَةِ) خَرَجَ بِنَفْسِهِ إِلَى غَزَاةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَأَصَابَ
مِنْهُمْ سَبِيًّا كَثِيرًا . وَفِي (الْسَّنَةِ السَّابِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ خَيْبَرِ مَدِينَةِ
الْيَهُودِ وَيُقَالُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ عَالَجَ بَابَ خَيْبَرٍ وَأَقْتَلَهُ وَجَمَلُهُ
مِجْنًا وَقَاتَلَهُمْ . وَفِي (الْثَامِيَةِ) كَانَتْ غَزَاةُ الْقَتَنِجِ فَفَتَحَ مَكَّةَ وَعَمِدَ الْمُسْلِمِينَ
أَنْ لَا يَقْتُلُوا فِيهَا إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُمْ . وَأَمَّنَ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَمَنْ أَغْلَقَ
عَلَى نَفْسِهِ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ وَمَنْ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ سِوَى قَوْمٍ
يُؤَدُّونَهُ . وَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ وَهُوَ عَظِيمُ مَكَّةَ مِنْ تَحْتِ السَّيْفِ . وَفِي
(الْسَّنَةِ الثَّاسِعَةِ) خَرَجَ إِلَى غَزَاةِ تَبُوكَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ وَلَمْ يَخْتِمْ فِيهَا إِلَى

حَرْبٍ . وَفِي (السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ) حَجَّ حِجَّةَ الْوَدَاعِ . ثُمَّ وَعَكَ وَمَرَضَ وَتُوِّفِيَ
يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِلْيَتِيمِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ وَكَانَ عُمُرُهُ ثَلَاثًا وَسِتِينَ سَنَةً . وَلَمَّا
تُوِّفِيَ أَرَادَ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَدَّهُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا مَسْقُطُ رَأْسِهِ .
وَأَرَادَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ دَفْنَهُ بِالْمَدِينَةِ لِأَنَّهَا دَارُ هِجْرَتِهِ وَمَدَارُ
نُصْرَتِهِ . ثُمَّ دَفَنُوهُ بِالْمَدِينَةِ فِي حَجْرَتِهِ حَيْثُ قُبُصُ (*) (الابن القريج)

ذكر الحلقاء الراشدين (٦٣٣ - ٦٦١)

خلافة أبي بكر (٦٣٣ - ٦٣٤)

٣٧٩ ثم اجتمع المهاجرون والأنصار للبيعة فارتفعت الأصوات وكثر اللُفُط . فلما أَسْفَقَ
عَمَرُ الْاِخْتِلَافِ قَالَ : إِنَّا وَاقِعٌ مَا وَجَدْنَا أَمْرًا هُوَ أَقْوَى مِنْ مَبَايِعَةِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ : ابْسُطْ
يَدَكَ فَايْبُكُ . فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَبَايَعَهُ الْأَنْصَارُ . وَلَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ ضَرْبَ
بِعْثًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمِنْ حَوْلِهِمْ . وَأَمْرُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : إِنَّ هَؤُلَاءِ جُلُ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى مَا تَرَى نَجْمٌ فِيهِمُ النِّفَاقُ وَاتَّقِضُوا بِكَ . فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُفَرِّقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ .
فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّيَاحَ تَخْطِفُنِي لَأَنْقَذْتُ بَيْتَ أَسَامَةَ إِلَى الشَّامِ .
وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقَرْيَةِ غَيْرِي لَأَنْقَذْتُهُ . ثُمَّ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى الْبَيْتِ حَتَّى أَتَاهُمْ . فَاشْتَصَّهُمْ وَشَبَّهَهُمْ
وَهُوَ مَاشٍ وَأَسَامَةُ رَاكِبٌ . فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاقِعٌ لَتَرْكَبَنَّ أَوْ لَا تَزَلَنَّ . فَقَالَ :
لَا تَزَلَنَّ وَلَا أَرْكَبُ وَمَا عَلَيَّ أَنْ أُخْبِرَ قَدَمِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاعَةً (تاريخ الخوفا للطبري)

خبر الأسود العنسي ومسيلمة الكذابين (٦٣٤)

٣٨٠ كَانَ الْأَسْوَدُ هَذَا غَلَبَ عَلَى صَنْعَاءَ وَمَغَازَةَ حَضَرَمَوْتَ إِلَى عَمَلِ الطَّائِفِ إِلَى الْيَمَنِ .
وَادَّعَى النَّبُوَّةَ وَطَابَقَتْ عَلَيْهِ الْيَمَنُ وَجَمَلٌ يَسْتَطِيرُ اسْتِطَارَةَ الْحَرِيقِ . فَبِعِثَ أَبُو بَكْرٍ رَجَالًا
لِمُحَاوَلَتِهِ أَوْ مُصَاحَبَتِهِ . فَدَخَلُوا عَلَى أَزَادِهِ وَهِيَ امْرَأَتُهُ فَقَالُوا لَهَا : يَا ابْنَتَ الْعَمِّ قَدْ عَرَفْتَ بِلَاةَ هَذَا

(هـ) وَصَفُهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : كَانَ رَاجِحَ الْعَقْلِ يَكْثُرُ الذِّكْرُ وَيَقِلُّ الْقَوْلُ دَائِمَ الْبَشَرِ
مُطِيلُ الصَّمْتِ لَا يَنْفِرُ أَحَدًا . وَكَانَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ فَنَحِمُ الرِّاسَ كَثَّ اللَّحْيَةِ مُشْرَبًا وَجْهُهُ
حُمْرَةٌ وَقِيلَ : كَانَ إِدْمَجَ الْمَيْتِينَ سَبَطَ الشَّعْرَ سَهْلَ الْخَدَّيْنِ . وَاخْتَلَفَ فِي أَزْوَاجِهِ قَالَ أَبُو الْقَدَّامِ :
تَزَوَّجَ بِخَمْسِ عَشْرَةِ امْرَأَةً وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَةَ الْأَبْرَهْمِ ابْنَةِ قَانَةَ مِنْ مَارِيَةَ
الْقُبَطِيَّةِ الَّتِي بَعَثَ جَاءَ الْمُقَوْسَ وَلَمْ يَمُشْ مِنْهُمْ بَعْدَهُ إِلَّا فَاطِمَةُ فَتَوَفَّيَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ

الرجل عند قومك قتل أباك ولطأاً في قومك القتل وسقّل بمن بقي منهم فهل عندك من مالا
عليه . فاجابت أزداد الى قومهم . ولما جن الليل أدخلت الرجال في مقصورة الأسود زوجها . وهو
يفط فالحموه بمسلة وأمرؤا الشفرة على حلقه . فغار خوار الثور . فابتدر الحرس الباب وم
حول المقصورة : ما هذا ما هذا . فقالت المرأة : التي يوحى اليه . ولما قُتل الأسود وأراح الله
الإسلام من شره تراجع الامراء واعتذر الناس (الآداب السلطانية للنفري)

ثم ظهر سلسلة الكذاب . وأوقع أعظم فتنة في أهل اليمامة وكان يؤذّن له ويُشهد
له بالرسالة . وكان يجمع لقومه بالجماع يزعم أنّها قرآن يأتيه ويأتي بخناق يزعم أنّها معجزات
فيقع منها ضد المقصود . فامر أبو بكر خالد بن الوليد بالمسير الى محاربه . وكان بينهما وقعات
واشدّ الحرب بين الفريقين . واقفح المسلمون بالجمهم الى مسيلة وأصحابه . فقاتلوم حتى
احمرت الأرض بالدماء . ونظر عبدُ أسود اسمه وحشي الى مسيلة فرماه بحربة فوقعت على
خاصرته فسقط عن فرسه قتيلًا (للطبري)

فتح العراق (٦٣٢) والشام (٦٣٣ - ٦٣٨) وموت ابي بكر (٦٣٥)

٣٨١ ومن هناك توجه خالد الى أرض العراق فزحف الى الحيرة ففتحها صلحاً . وكان ذلك
أول شيء افتتح من العراق . وقد كان ابو بكر وجه قبل ذلك أبا عبيدة بن الجراح في زهاء
عشرين الف رجل الى الشام . وبلغ هرقل ملك الروم ورود العرب الى أرض الشام . فوجه
اليهم سرجيس الطريق في خمسة آلاف رجل من جنوده ليجارجم . وكتب أبو بكر الى خالد
عند افتتاحه الحيرة يأمره أن يسير الى أبي عبيدة بارض الشام . ففعل والتقى العرب والروم
باجنادين فانزعم الروم . وقتل سرجيس الطريق وذلك أنّه في هربه سقط من فرسه . فركبه
ظلمانه فسقط فركبوه ثانياً فهبط ايضاً وقال لهم : فوزوا بانفسكم واتركوني أقتل وحدي . وفي
سنة ثلاث عشرة للهجرة مرض أبو بكر خمسة عشر يوماً ومات رحمه الله يوم الاثنين لثاني
خون من جمادى الآخرة . وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر

خلافة عمر (٦٣٤ - ٦٤٤) فتح دمشق (٦٣٦) فارس (٦٣٢) مصر (٦٤٢)

٣٨٢ ثم قام بالأمر بعده عمر بن الخطاب بوجع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو
بكر . فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الحشن والقناعة بالبسر وفتح
الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة . وهو أول من سمي بامير المؤمنين فأرّخ التاريخ ودوّن
الدواوين ومصر الأمصار وشهد بدراً . وهو أول من عس في عمله لحفظ الدين والناس .
وهابه الناس هبة عظيمة وزاد في الشدة في مواضعها واللين في مواضعه . ولما ولي الأمر لم يكن
له همّة إلا العراق . فمقد لأبي عبيد بن مسعود على زهاء الف رجل وأمره بالمسير الى العراق
فعبروا اليها . فزحف اليهم العجم فتناجزوا من وقت الزوال الى أن توارت الشمس بالحجاب .

فحمل العرب حملة رجل واحد وقتلوا بهران قائدهم . فاضرم العجم لاحقين بالمدائن . ثم هوى
يزدجرد عظيماً من عظام مرزبانته له سنٌ وتجربة يُقال له رستم . وعقد أيضاً لرجل آخر يُسمى
العُرمزان في جنود كثيرة . وعند الالتقاء قُتِل هذان المرزبانان ومُرت العرب في أثر العجم
يقتلون من أدركوا منهم (تاريخ ابن خلدون)

وفي خلافة عُمر فتح أبو عُبَيْدَةَ وخالد دِمَشق بعد حصار سبعة اشهر فخرج اهل دِمَشق
وبذلوا الصلح لأبي عُبَيْدَةَ . فأمنهم وصالح اهل طَبَرِيَّة وقيسارية وبلبيك . وعلى يد عُمر انتهى
الفتح الى حمص والرها وماردين وطرابلس وعسقلان وما يليها من الساحل وبيت المقدس .
وفتح عمرو بن العاص مصر غزوة وفتح الإسكندرية صلحاً . حتى هاب عُمر ملوك فارس والروم .
ومع ذلك كلّه بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لباسه وزيه واقامه وتواضعه يسير منفرداً
من غير حرس ولا حجاب . لم تميزه الإمرة ولم يستطع على مسلم بلسانه . ولا حاج أحد في
الحق . وكان لا يطعم الشريف في حيفه ولا يباس الضعيف من عدله . ومات عُمر يوم الاربعاء
لخمس بقين من ذي الحجة . وقته أبو لؤلؤة الجوسي وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . وكانت
خلافته عشر سنين وستة اشهر . ولا فتح عمرو بن العاص مصر طلب منه يوحنا النحوي التصراحي
كتب الحكمة التي في الخزانة الملكية . فكتب عمرو الى الخليفة يستأذن امير المؤمنين . فكتب
اليه عُمر : الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى . وان
كان فيها ما يخالفه فلا حاجة اليه فتقدم باعداها . فشرع عمرو في تفريقها على حمّامات
الاسكندرية واحرقها في مواقيدها . فاستيقفت في مدّة ستة اشهر (لابن الصبيد)

عثمان بن عفان (٦٤٥-٦٥٧)

٣٨٣ بُويع له بالخلافة في أوّل يوم من سنة اربع وعشرين . وكانت له شفقة ورأفة
بالرعية . وافتتحت في ايامه أفريقية وغزا مملوكية قبرس وأنقرة وافتتحها صلحاً . وانتزع عثمان عمرو
ابن العاص عن الاسكندرية فأمر عليها اخاه لأمه . ثم ان الناس انكروا على عثمان اشياء منها كلّفه
باقاريه . فحققت العرب على ذلك وجمعوا الجموع وتولوا فرسخاً من المدينة . وبشوا الى عثمان
من يستعبه ويقول له : إماماً أن تعتدل او تعتزل

وكتب عثمان اليهم كتاباً يقول فيه : اني انتزع عن كل شيء انكرتموه وأتوب الى الله .
فلم يقبلوا منه ثم اشتد عليه الحصار عشرين يوماً حتى تسور محمد بن أبي بكر مع رجلين حائط
عثمان فضربه اعدام بعشقص في اوداجه . وقتله الآخر والمصنف في حجره . وكانت خلافته
اثنى عشرة سنة . وعمره ثيف وثمانون سنة (للدميري)

علي بن أبي طالب (٦٥٧-٦٦١)

٣٨٤ ولما قُتِل عثمان اجتمع طلبة والزُبير والمهاجرون والأنصار وأتوا طلباً بيايونه

فأبى . وقال : أن أكون وزيراً لكم خيرٌ من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضىته . فالتحقوا به وقالوا : لا نعلم أحقّ منك حتى غلبوه في ذلك . ثم أدعى الزبير بن العوام وطلحة الأكرام بعد ذلك وقالوا على نقض إمارة علي . فلقى عليّ جهم وتاجزم الحرب وقتل الزبير وطلحة . وسميت هذه الوقعة وقعة الجبل . ولما بلغ معاوية خبر الجبل دعا أهل الشام إلى القتال . فخرج عليّ من الكوفة واقتتلوا قتالاً شديداً في صِغَيْن . ثم خادنا واقترقا . ثم تعاهد شبيب وابن المقيم على قتل عليّ وكمنّا له في المسجد . فلما خرج عليّ ونادى بالصلاة علاه شبيب بالسيف وضربه ابن المقيم على مقدم رأسه . فدعا عليّ قبل موته الحسن والحسين ابنيه ووصّاهما وقال : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بئسكما . ولا تأسفا على شيء ذوى منها عنكما . وقولا الحق وارحما اليقيم وكونا للظالم خصماً وللظلم ناصراً . ولا تأخذكما في الله لومة . ولما حضرته الوفاة صكّب وصيته العامة ثم قبض . وصعفه ضرار بن ضمرة قال : كان عليّ بعد المدي شديد القوى يتجبر الهَم من جوانبه . وتنطق الحكمة من نواحيه . يستوحش من الدنيا وزهرها . ويأنس بالليل ووحشته . غزير العبرة . طويل الفكرة . يجهه من اللباس ما خشن . ومن الطعام ما جب . وكان فينا كأحدنا . يميننا اذا سألناه ويأتينا اذا دعواناه . ونحن مع تقرّبه لا تكاد نكلمه هبة له . لا يطمع القوي في باطله ولا يأسر الضعيف من عدله (لابن خلدون)

الحسن بن عليّ بن أبي طالب (٦٦١ - ٦٦٢)

٣٨٥ ولما قُتِل عليّ اجتمع اصحابه بالكوفة فبايعوا ابنه الحسن . وبويع معاوية بالشام . فسار الحسن إلى المدائن واستقر بها خمسة اشهر . ولما رأى المناوشة بين اصحابه قال : لا حاجة لي في هذا الأمر وقد رأيت أن أسلمته إلى معاوية فيكون في عتقه تبعاً له ووزاره . فقال له الحسين اخوه : أئشدك الله أن لا تكون أول من غاب أباه ورغب عن رأيه . فقال : لا بد من ذلك وقد اخترت العار على النار . وبعث إلى معاوية يسلم الأمر اليه واشترط عليه شروطاً . فاجابه معاوية إلى ما التمس منه . فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له خمس بقتن من ربيع الأول . وذلك لانه رأى المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال (لابي الفداء)

دولة الامويين (٦٦٢ - ٧٤٦)

خلافة معاوية (٦٦٢ - ٦٨٠)

٣٨٦ ولما بويع بالخلافة استقام له الملك وصفت له الولاية . وكان معاوية ملج الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة ويركب الخيل المسومة . وكان كثير البذل والمطا . محسناً إلى رعيته . وهو أول من اتخذ المقاصير واقام الحرس والحجاب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحرب وله في الحلم اخبار كثيرة . واعلم ان معاوية كان مرنياً

دول وسائر أمم وراعي مالك ابتكر في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها . منها انه وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة . واخترع ديوان الخاتم فصارت التواقيع تصدر منه محتومة لا يتسكن احد من تميمها . وفي سنة خمسين سير جيشاً كثيفاً الى القسطنطينية فاولغوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية ولم يدخلوها . وفي ايامه بُنيت القديروان وكمل بناؤها في خمس سنين . ولما حضرته الوفاة جمع اهله فقال : ألسم اهل . قالوا : بلى فداك الله بنا . قال : فهذه نفسي قد خرجت من قدي فردوها علي أن استظمن . فبكوا وقالوا : ما لنا الى هذا سيل . فرفع صوته بالبكاء ثم قال : فلا تفركم الدنيا بعدي . وتوفي بدمشق في مستهل رجب سنة ستين (الفجري)

خلافة يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣)

٣٨٧ بويج له بالخلافة يوم مات ابوه . وكان يزيد يحسن تقدم منها وبأيمه الناس . ولم يسايمة الحسين بن علي بن ابي طالب ولا عبد الله بن زبير . فسار جيشاً الى محاربة الحسين فادركوه فمسلوا عليه واصحابه واحترؤا راس الحسين . اما عبد الله بن زبير فلقى بمكة وتمحصن في المسجد الحرام . فسار اليه الحصين بن غزير ونصب الخنبيق على ابي قبيس ورمى به الكعبة فحرقت استارها . وبينما هم كذلك اذ ورد الى الحصين الخبر بموت يزيد بن معاوية . فارسل الى ابن زبير يسأله المودة فاجابه الى ذلك . وتوفي يزيد في شهر ربيع الاول سنة اربع وستين . وكان آدم جملأ احور البين . بوجه اثار جذري حسن اللحية خفيفها طويلاً . وكان موثراً الرغبة في اللهو والقتص . تعلم الفصاحة ونظم الشعر في بادية بني كلب (لابي الفداء)

معاوية الثاني (٦٨٣) ومروان بن الحكم (٦٨٤)

٣٨٨ ثم قام بعده بالامر معاوية ابنه ولم تكن ولايته غير ثلاثة اشهر . ثم تحلى بالمباداة ومات بالطاعون . واما عبد الله بن زبير فلما مات يزيد دعا الناس الى البيعة وادعى الخلافة . فظفر بالجزاز والوراق وخراسان واليمن ومصر والشام والأردن . ثم بويج بالاردن لمروان بن الحكم وكان كاتب السر لثمان . ثم دخل الشام فاذعن اهله له بالطاعة . وسار اليه من قبل عبد الله بن زبير الضحاك بن قيس . فاقتلوا بنوطة دمشق فقتل الضحاك . ومات مروان بدمشق مخنوقاً . وكانت مدة خلافته تسعة اشهر

عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥)

٣٨٩ بويج سنة خمس وستين بالشام . واما ابن الزبير فيمات اخاه مصعباً على العراق فقدم البصرة واعطاه اهله الطاعة . واستولى المصعب على العراقيين فسار اليه عبد الملك بن مروان . فالتقوا بسكن وقتل مصعب واستقام العراق لعبد الملك . وكان الحجاج بن يوسف الثقفي على شرطه فرأى عبد الملك من نفاذه وجلادته ما اعجب به . فبعثه الى عبد الله بن زبير فقتله وسلخ جلده وحشاه ثبناً وصلبه . وتوفي عبد الملك سنة ست وثمانين وكان حازماً عازلاً

ففيها علماً وكان ديناً . فلما تولى الخلافة استهوت الدنيا فتغير عن ذلك (لابي الفرج)

الوليد بن عبد الملك (٧٠٥ — ٧١٥)

٣٩٠ هو سادس خلفائهم وكان مغرمًا بالبناء واستوتت له الامور . ومن بناياته المسجد الاقصى واعطى المجذمين ومنهم السؤال الى الناس . واعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً . ومنع الكتاب النصارى من ان يكتبوا الدفاتر بالرومية ولكن بالعمرية . وفي ايامه اجاز طارق الى الاندلس فهض لذريق ملك القوط وزحف الى طارق فالتقوا بخص شريش فهزم الله لذريق واذنت الاندلس لامر الوليد . وفتح في ايامه الفتوحات الكثيرة من ذلك ما وراء النهر . وتغلغل الحجاج في بلاد الترك . وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم ففتح وسي . وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند . وفي سنة ثمان وثمانين امر الوليد ببناء جامع دمشق . وكان فيه كيسة فهدمها . فانفق عليه اموال كثيرة فحبل عن الوصف . وفي ايامه توفي الحجاج وقيل انه احصى من جملة الذين قتلهم الحجاج فكانوا مائة الف وعشرين الفا . ومات الوليد سنة ست وتسعين (للمدبري)

سليمان بن عبد الملك (٧١٥ — ٧١٧) عمر بن عبد العزيز (٧٢٠ — ٧٢١)

٣٩١ ثم قام بالامر بعده اخوه سليمان وهو ساجم . واحسن السيرة ورد المظالم وآوى للفقيرين وخرج الجوسين . وكان غيوراً شديد الغيرة خصاً واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً وجهازه مسلمة لغزو القسطنطينية . ونزل سليمان في مرج دابق فشق مسلمة على قسطنطينية وزرع الناس جال الزرع واكلوه . واقام مسلمة قاهراً قسطنطينية حتى جاءه الخبر بموت سليمان متحسناً . وكانت خلافة سليمان سنتين وثمانية اشهر واستخلف وزيره عمر بن عبد العزيز . كان عمر عفيفاً زاهداً ناسكاً عابداً تقياً . وهو اول من فرض لابناء السيل . وابطل في الخطب سب علي . وكان اليه انتهى في العلم والنفل والشرف والورع والتألف ونشر العدل . وتوفي عمر بدير سحمان وكان موته بالسنة عند اكثر اهل التاريخ . فان بني أمية علموا انه ان استندت ايامه اخرج الامر من ايديهم وانه لا يعمده بعده الا لمن يصلح للامر فعالجوه وما املوه . وكانت خلافة سنتين وخمسة اشهر . وكان في وجهه شجرة من ریح دابة . وكان يدعى بالاشج . وكان حتمياً سيرة الخلفاء الراشدين . وكانت نفقته كل يوم درهمين . وفي ايامه تحركت دولة بني هشام وكان كثيراً ما يشمل هذه الايات :

خارك يا منور سهو وغفلة وليك نور والردى لك لازم
يفرك ما يغني وتفرج بالمئي كما غر باللذات في التوم حالم
وشغلك فيما سوف تتركه غبه كذلك في الدنيا تعيش الهائم

يزيد الثاني (٧٢٠-٧٢٤) هشام (٧٢٤-٧٤٣)

٣٩٢ ثم قام بالامر بعده يزيد بن عبد الملك . وكان ايضاً جسيماً ملج الوجه خرج في ايام يزيد بن المهلب فارس على اخاه مسلمة فقاتله وظفر به . ثم توفي يزيد لاربع سنين من خلافته بعد ان عهد بالخلافة الى اخيه هشام . بويج له بالخلافة يوم مات اخوه . وكان حازماً حافلاً صاحب سياسة حسنة ايضاً . وكان ذا راي ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة اثم قيام . وكان يجمع الاموال ويوصف بالخل والحرص . يقال انه جمع من الاموال ما لم يجمعه خليفة قبله . وفي ايامه غزا المسلمون بلاد الترك فاتصروا وغنموا شيئاً كثيراً . وقتلوا من الاتراك مقتلة عظيمة وقتلوا ابن خاقان ملك الترك . وكان المتولي لمريم اسد بن عبد الله القسري . وفي ايام هشام ايضاً خرج زيد بن زين العابدين ودعا الى نفسه فامرعت اليه الشيعة . وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام يوسف بن عمر الثقفى . فجمع الساكر وناوش زيدا القتال فاصاب زيدا سهم في جبهته تحمل من المعركة فأتى وذفن . فلما اصبحوا استخرجوه يوسف من قبره فصلبوه . ومات هشام بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة . وكان مرضه الذبحة

الوليد الثاني (٧٤٣-٧٤٤) يزيد الثالث (٧٤٤-٧٤٤)

٣٩٣ كان الوليد مقبلاً في البداية فلما مات هشام سار من فوره الى دمشق واقام في الخلافة سنة واحدة وكان اكمل بني أمية ادباً وفصاحة وظرفاً واعرفهم باللغة والنحو . وكان جواداً مفضلاً . ومع ذلك لم يكن في بني أمية اكثر ادماناً للشراب والسباع ولا اشد مجوناً وتكاثراً واستخفافاً باسم الأمة من الوليد بن يزيد . فاجمع اهل دمشق على خلعهم وقتله لاشتهاره بالمكرات وتظاهره بالكفر والزندقة . فلم يلبث الا اياماً يسيرة حتى قُتل شر قتلة وصلب رأسه على شرافات قصره . ثم على اعلى سور بلده . ولما قُتل اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية اعداؤهم ولم تقم لهم قاذفة بعده . ثم تولى يزيد الثالث ابن الوليد وابن عم الوليد بن يزيد وسعي الناقص فتفائل بنو أمية بولايته فاقام في الخلافة والامور مضطربة عليه . وكان مظهرًا للنسك محمود السيرة مرضي الطريقة ويحظى باخلاق عمر بن عبد العزيز . وكان ذا دين وورع الا انه لم يتح وبنته المنية

ابراهيم بن الوليد (٧٤٥) مروان الثاني (٧٤٦)

٣٩٤ ثم بويج اخوه ابراهيم فلم يثبت له امر . ومكث سبعين يوماً فسار اليه مروان بن محمد . فبرز اليه الخليفة وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وحاصروا عليه بعد ان اتفق عليهم الحزبان واخفى امرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الامر وغلطوا ابراهيم . وظهر السفاح بالكوفة وبويج له بالخلافة . فجهز جيشاً لقتال مروان بن محمد فالتقى الجيمان قرب الموصل . فهزم مروان وقُتل في هربه وظهرت دولة بني عباس وانقرضت دولة بني أمية (لاي القداء) ثم بجواره تعالى

فهرس الجزء الرابع من كتاب مجاني الادب

وج	وج
٦٧ وصية ابن سعيد المغربي لابنه	٣ الباب الاول في التدئين
٧٣ وصية ابن طاهر لابنه	٣ حكمة الخالق وجبروته
٨٠ وصية ابراهيم الدكدي لابنه	٤ متن الشيبانية في التوحيد
٨٢ نخبة من حكم ابي عثمان لثون العجبي	٥ قصيدة للبرعي في الاستدلال على الحق
٨٤ نخبة حكم اوردها البستي في ديوانه	٦ متن بدء الامالي في التوحيد
٨٥ نخبة من اراجيز الشيخ السابوري	٧ قصيدة للبرعي في الحق سبحانه
٨٦ التجارب	٩ قصيدتان له في الابتهاال الى الله وحده
٨٧ الصمت وحفظ اللسان	١١ وله ايضا من قصيدة في الرجاء بالله
٨٨ الصبر صدق النطق	١٢ قصيدة لمجد الغني النابلسي في الثقة بالله
٨٩ المسكارم	١٣ قصيدة للباي في التوسل والاستعطف
٨٩ القصيدة الزينية لصالح بن عبد القدوس	١٥ الباب الثاني في الزهد
٩٢ لامية ابن الوردي	١٥ الزهد في الدنيا والانتقطاع الى الله
٩٤ نونية ابي الفتح البستي	١٧ قصيدة للبرعي في الزهد
٩٨ الباب الخامس في الامثال	٢٠ زهد رجل من بني عباس
٩٨ امثال في معاني مختلفة جميعها ابن عبد ربو	٢١ ذو النون والزاهدة
١٠٤ ابيات مثلية للنبي والحريري	٢٢ ذلة الدنيا
١٠٨ نخبة من تفرير الصالح لابن حجة الحموي	٢٣ زوال الدنيا
١٠٩ نخبة من قصيدة ابي الصائبة المثلية	٢٣ ذكر النية والعواقب
١١٠ الباب السادس في الامثال والاشارات	٢٧ في الدهر ونواتيه
١١٠ الملك المتروقي	٣٤ قصيدة لاسماعيل المغربي في التوبة
١١٧ نخبة من كشف الاسرار عن حكم الطيور	٣٥ للبرعي في الاغراء بالتوبة
١١٧ والازهار لابن ظالم المقدسي	٣٨ ما كتب على القبور
١١٨ اشارة التسم	٤١ الباب الثالث في المراثي
١١٩ اشارة الورد	٥٨ رثاء مشاهير العرب
١٢٠ اشارة الترجس	٦٥ الباب الرابع في الحكم
١٢١ اشارة البان	

وجه	وجه	وجه	
١٥٩	قصيدة ابن البواب في وصف الخط	١٢٢	إشارة النعمان
١٦٠	في الادب وتربية الصغار	١٢٣	إشارة الخزام
١٦٢	الباب الثامن في السيف والقلم	١٢٤	إشارة الشقيق
		١٢٥	إشارة السحاب
	فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم	١٢٦	إشارة العزاز
١٦٣	في الدول	١٢٧	إشارة الباز
١٦٦	في شرف الكتاب	١٢٨	إشارة الحمام
١٦٨	الباب التاسع في اللطائف	١٣٠	إشارة الخطاف
١٦٨	وزير المأمون والشاعر	١٣١	إشارة البوم
١٦٩	مروان بن أبي حفصة وجمفر البرمكي	١٣٢	إشارة الدرة
١٧٠	الصلوات والصلوة	١٣٣	إشارة الديك
١٧١	ممن بن زائدة والثلاث جوارى	١٣٤	إشارة البط
١٧٢	الحسين بن الفضل عند المتوكل	١٣٦	إشارة النخل
١٧٣	البايعي والرشيد	١٣٧	إشارة الشع
١٧٥	علي بن الحليل وزيد بن المزيدي	١٣٨	إشارة الغراب
١٨٠	الباب العاشر في المدح	١٣٩	إشارة العدهد
١٨٠	بلعاء بن قيس وبنو هاشم	١٤٠	إشارة الكلب
١٨٠	مدح المأمون	١٤١	إشارة الجمل
١٨١	مدح مقامات الحريري	١٤٢	إشارة الفرس
١٨٣	الباب الحادي عشر في القفر والحامسة	١٤٣	إشارة دود القز
٢٠١	قصيدة ابن سناء الملك في القفر	١٤٤	إشارة المنكبوت
٢٠٥	الباب الثاني عشر في العجو	١٤٥	إشارة النملة
٢٠٨	الباب الثالث عشر في الانياز	١٤٦	إشارة النقاء
٢١٤	الباب الرابع عشر في الوصف	١٤٧	الباب السابع في الذكاء والادب
٢١٤	وصف مصر	١٤٨	مدح مختلف العلوم
		١٤٩	ابو تمام والمتني وابو عبادة الجعدي
		١٥٧	وصف القلم
		١٥٨	وصف الحجرة و وصف الخط

وجه	وجه
٢٧٧	وصف دابة
٢٧٩	وصف ابليس لنفسه
٢٨٠	زهريّة صبي الدين الحليّ
٢٨٢	قصيدة عبد الغني النابلسي في وصف الشام
٢٨٢	الباب الخامس عشر في الحكايات
٢٩٦	هارون بن عبد الله والفيل
٢٩٨	الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء
٣٠٥	جمدر والسبع
٣٠٩	عصيان ابراهيم بن المهدي على امير المؤمنين
٣٠٩	الباب السادس عشر في الفكاهات
٣٠٩	الطيب والحليّة
٣١١	الفضل بن يحيى والاعرابي
٣١١	الباب السابع عشر في النوادر
٣١٢	مدينة الزهراء في الاندلس
٣١٢	عجائب مصر كالقياس والاهرام والنيل
٣١٣	عنبرة والاسد
٣١٣	ذكر القهوة
٣١٤	الحسن بن علي بن ابي طالب
٣١٤	الاندلس وعوائد اهلها واختراعاتهم
٣١٤	دولة الامويين
٣١٥	الباب الثامن عشر في المراسلات
٣١٥	خلافة يزيد بن معاوية
٣١٥	فصل في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٥	معاوية الثاني ومروان بن الحكم
٣١٦	عبد الملك بن مروان
٣١٦	عبد الوليد بن عبد الملك
٣١٦	سلطان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز
٣١٧	يزيد الثاني وهشام
٣١٧	الوليد الثاني ويزيد الثالث
٣١٧	ابراهيم بن الوليد ومروان الثاني



Bibliotheca Alexandrina



0431192